التعليق والبيان

على

كتاب الفرقان

بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

علق عليه

فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان حفظه الله

عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

ترتيب وتخريج

د. حنان بنت علي بن محمد اليماني

المكتبة الأسدية

مكة المكرمة

التعليق والبيان

على

كتاب الفرقان

بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

ⓒ المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع ، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
الفوزان ، صالح بن فوزان

التعليق والبيان على كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان .
صالح بن فوزان الفوزان ؛ حنان علي محمد اليماني مكة المكرمة ١٤٣٩هـ
... ص ، ٢٤X١٧ سم
ردمك : ٣- ٢ - ٩٧٨.٦٠٣.٩١٠١١

١. الأئمة والأولياء ٢- الإيمان (الإسلام) ٣ -الشياطين والجان
اليماني، حنان علي محمد (مؤلف مشارك) ب . العنوان
ديوي ٢٤٠   ١٤٣٩/٣٨٤٥
رقم الايداع : ٣٨٤٥ / ١٤٣٩
ردمك : ٣- ٢ - ٩٧٨.٦٠٣.٩١٠١١

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة - العزيزية الشمالية
بجوار مدخل جامعة أم القرى
ت : ٠٥٧٠٥٠٦ - ٠٥٢٧٣٠٣٧
alasadi2000@hotmail.com

التعليق والبيان

على

كتاب الفرقان

بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨هـ

علق عليه

فضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان حفظه الله

عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

ترتيب وتخريج

د. حنان بنت علي بن محمد اليماني

المكتبة الأسدية

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله وسدده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد وصلني تسجيل ~~شرحكم~~ تعليقكم على لكتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فرغبت في المساهمة في إخراجه كتاباً يستفيد منه طلاب العلم وعامة المسلمين فأرجو منكم الإذن لي بذلك بارك الله في علمكم ونفع بكم الإسلام والمسلمين.

مقدمته

حنان بنت علي اليماني

الحمد لله لا مانع لدي من طباعة تعليقي على كتاب الفرقان للإمام ابن تيمية للاستفادة منه إن شاء الله.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على من بعثه الله للعالمين بشيراً ونذيراً ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فإن كتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله كتاب عظيم في بابه ، وقد كان سبب تأليفه : أن سائلاً سأل شيخ الإسلام عن الأولياء ، وكيف يميز بين أولياء الرحمن ، وبين من يدَّعون الوَلاية ، وهم في الحقيقة أنهم من أولياء الشيطان ؟ وما العلامة التي يُعرف بها هؤلاء وهؤلاء ؟ فبسط رحمه الله القول بياناً لذلك في هذا الكتاب المبارك ، فجاء هذا الكتاب فريداً من نوعه ، ذكر فيه صفات أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، وفرَّق فيه بين الولي الصالح المؤمن التقي ، صاحب الكرامات ، وبين الوليّ الطالح صاحب الخوارق الشيطانية ، ففضح به أرباب الطرق الصوفية ، والخزعبلات الشيطانية من السحرة والكهان ، والمشعوذين والدجالين .

ولأهمية هذا الكتاب في عصرنا ، وخاصة مع انتشار الطرق الصوفية في البلاد الإسلامية ، وفي بلادنا من جهة ، وانتشار السحرة والمشعوذين

الذين يلبِّسون على الناس بخوارقهم الشيطانية من جهة أخرى ، جاء هذا التعليق المبارك من فضيلة شيخنا الدكتور صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله ، وهو عبارة عن دروس ألقاها فضيلته ابتداءً من الحادي والعشرين من شهر صفر ، من عام ثمان وعشرين وأربعمئة وألف من الهجرة النبوية، وذلك لتقريب متن هذا الكتاب إلى مدارك الناس ؛ لكي يستطيعوا التمييز به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وحتى لا يُستغلوا من جهة الصوفية ، ولا من جهة السحرة والكهان بالتلبيس عليهم بأنهم أولياء لله ، وتجري على أيديهم كرامات من الطيران في الهواء ، أو المشي على الماء ، أو الدخول في النار ، وما أشبه ذلك من تلبيسات الشياطين .

وهو تعليق يسير في جُمَلِه ، دقيق في مَبانِيه ، وقد أسميته : « التعليق والبيان على كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » حرصت على إخراجه في أسهل صورة ، بعيداً عن التعليق والحواشي ، واتبعت في إخراجه ما يلي :

١ - تفريغ المادة العلمية الموجودة في (٢٧) شريطاً من موقع التوحيد - نقلاً عن تسجيلات الراية بالرياض - .

٢ - وضعت متن الكتاب في أعلى الصفحة ، وتعليق الشيخ في الحاشية .

٣ - نظراً لأن مادة هذا الكتاب هي شرح صوتي للشيخ حفظه الله ، ولا يخفى على القارئ اللبيب الفرق بين الشرح والتأليف من تكرار بعض الجمل ، ومخاطبة الحاضرين ونحو ذلك ؛ لذا حرصت على حذف التكرار، وإعادة صياغة بعض العبارات بما يناسب التأليف ، دون الخروج عن مراد الشيخ حفظه الله .

٤ - كتبت الآيات بالرسم العثماني ، مع ذكر اسم السورة ، ورقم الآية .

٥ - قمت بتخريج الأحاديث والآثار التي في المتن والحاشية تخريجاً مختصراً جداً ، مع بيان حكم العلماء عليه إن وُجد ، وذلك في أول موضع يرد فيه الحديث أو الأثر ، مع وضعه بين قوسين كبيرين ( ) .

٦ - أحلت أقوال العلماء والأبيات الشعرية ، والغزوات وأسباب النزول التي قد ترد في المتن أو الحاشية إلى مصادرها الأصلية بقدر الإمكان، ووضعت الإحالة بين قوسين كبيرين في آخر النقل .

٧ - حذفت الأسئلة والأجوبة الموجودة في نهاية كل درس تلبية لرغبة الشيخ حفظه الله .

٨ - وضعت ثلاثة فهارس ، خدمة للكتاب :

أ - فهرس الأحاديث .

ب - فهرس الآثار .

جـ - فهرس الموضوعات .

هذا ، وأسأل الله العظيم الأجر والمثوبة لكل من أعان على إنجاز هذا العمل المبارك ، وأن يجعله مما يرجون برَّه يوم لا ينفع مال ولا بنون .

كما أساله سبحانه أن يبارك في عمر شيخنا ، وأن يرفع قدره ، ويُعلي درجته ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، ويقمع به أهل البدع والمخالفين. هو وليُّ ذلك والقادر عليه .

وصلِ اللهم وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبته

حنان بنت علي اليماني

في الحادي عشر من شهر ذي الحجة

لعام ثمانية وثلاثين وأربعمئة وألف

من الهجرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

هذا الكتاب القيم من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مسألة مهمة التبس فيها الحق بالباطل في وقته ، ولا يزال هذا الالتباس موجوداً ، إلا أنه لابد من بيان الحق عند الالتباس ، فلا يسع العالم أن يسكت ؛ بل لابد له أن يبين الحق للناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ - ١٦٠] .

فالشيخ رحمه الله قام بهذه المهمة العظيمة إلى جانب مهمات عظيمة قام بها رحمه الله في وقته من نصرة الحق وبيانه وتوضيحه ، والرد على الباطل وكشفه ، حتى لا يبقى الأمر ملتبساً على الناس .

ومن ذلك هذه المسألة : مسألة أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابد أن هناك فريقين من الناس : مؤمنون وكفار . فالمؤمنون هم أولياء الرحمن ،

والكفار هم أولياء الشيطان ، لكن الخرافيين في وقته - ولا يزالون - لا يفرقون بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فيعتبرون الكهان والسحرة والمشعوذين أولياء لله بما معهم من الخوارق الشيطانية ، ويظنون أنها كرامات ، يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء ، ويدخلون النار رأي العين ، فيظن الناس أنهم أولياء الله ، وأن هذه كرامات ، في حين أنها خوارق شيطانية ، الشياطين هي التي تحملهم وتطير بهم ، وتعمل لهم الخوارق التي لم يألفها الناس ، فيظنون أنهم أولياء لله ، وأن هذه الخوارق كرامات ، ولا ينظرون إلى أعمالهم .

فالخوارق وحدها لا تكفي حتى يُنظر إلى عمل الشخص التي تجري على يده ، فإن كان عمله صالحاً فهي كرامات ، قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] فإن كانوا مؤمنين متقين فهذه الخوارق كرامات من الله ﷻ ، وليس بلازم كل ولي من أولياء الله تجري على يده كرامات ، لكن قد تجري وقد تقع ، أما إذا كان عمله خبيثاً ، مضيعاً للصلوات ، مرتكباً للمحرمات ، فإن ما يجري على يده خوارق شيطانية ، وليست كرامات من الله ﷻ ، فهم لبَّسوا على الناس في هذا الأمر وجعلوا أولياء الشيطان أولياء لله بحجة أن معهم خوارق دون نظر إلى عملهم وما هم عليه ، وهذا لاشك أنه تضليل خطير وبهذه الطريقة انحرف كثير من

الناس ، فعبدوا الأولياء والصالحين أحياء وأمواتاً بحجة أنهم أولياء لله ، وأن لهم خوارق دون نظر إلى أعمالهم التي كانوا عليها . فالشيخ رحمه الله أراد في هذا الكتاب أن يُجلِّي هذه المسألة ، وأن يُبيِّن من هم أولياء الله حتى نواليهم ، ومن هم أعداء الله حتى نعاديهم ؛ لئلا يلتبس الحق بالباطل ، وباب الولاء والبراء - الولاء لأولياء الله ، والبراء من أعداء الله - الناس فيه مختلفون إلا من هدى الله وبصَّره بالحق .

فهناك من يغلو في الولاء والبراء فيخرج بالتكفير على الناس ، كالخوارج وغيرهم ومن سار على نهجهم ، يأخذ الآيات التي فيها البراءة من أعداء الله وهذا حق ، ولكن لا ينظر إلى الآيات التي فيها التعامل مع أعداء الله .

هذا الصنف يريد أن يقطع التعامل معهم نهائياً ، والله جل وعلا شرع التعامل معهم في أمور الدنيا ، أمور لا تمس الدين ، فتُجرى معهم المعاهدات ويُجرى معهم الصلح ، ويُعقد لهم الأمان ، ويأخذون بموجب ذلك عدم الاعتداء عليهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بموجب العقود التي تَجري بينهم وبين المسلمين ، كذلك لا مانع من التعامل معهم بالتجارة والبيع والشراء ، ولا مانع من الانتفاع بخبراتهم التي يحسنونها ، ولا يتنافى هذا مع الولاء والبراء ، لكن هؤلاء الصنف ألغوا هذا كله ، وقد قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ

ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨ - ٩] ففرّق ﷺ بين أصناف الكفار .

وكذلك الوالدان إذا كانا على الكفر ؛ فإن الله أوجب على الولد برهما ، مع عدم متابعتهما على دينهما ، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ . وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٤ - ١٥] .

قال : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ فالاتباع يكون للمؤمنين ، وأما البرّ بهما والإحسان إليهما فهذا واجب على الولد المسلم لوالديه الكافرين ، هذا من التعامل مع الكفار .

وصنف ثان : على النقيض من ذلك تماماً ، يميعون الولاء والبراء ، ويقولون : تجب المحبة لكل إنسان ، وديننا دين التسامح ، دين المحبة ، ودين التآلف بين البشرية ، ويقولون : لا ولاء ولا براء بين الإنسانية ، وحقوق الإنسان كما يقولون إلى غير ذلك ، فهم على النقيض من الصنف

الأول . أولئك غلوا ، وهؤلاء تساهلوا ، حتى إنهم يحاولون أن يلغوا الولاء والبراء والجهاد من كتب التوحيد والمقررات الدراسية ، كما لا يخفى عليكم ، ويتكلمون في هذه الأمور ويهونون من شأنها ويستدلون بسماحة الإسلام ، والإسلام لاشك سمح ، ولكن السماحة لها حدود وضوابط شرعية وتستعمل في مواضعها وليست سماحة مطلقة .

وصنف ثالث : وهم الخرافيون - وهم الذين عناهم شيخ الإسلام ﷺ في هذا الكتاب - الذين جعلوا كل من معه خارق للعادة ، ولو كان سحراً ، ولو كان كهانة ، ولو كان تنجيماً ، يعتبرونه ولياً لله ، ولا ينظرون إلى عمله وتقواه ، ولا ينظرون في الآيات التي ذكرها الشيخ في هذا الكتاب - كما يأتي إن شاء الله - .

وصنف رابع : يجعلون الولاء والبراء للجماعات والفرق فلا يوالون إلا فرقتهم وجماعتهم ويعادون من سواها ، فمن وافقهم على مذهبهم وفكرهم فهو وليُّهم وأخوهم ، ومن خالفهم فهو عدوهم ، وهذا موجود بلا شك ، فهذه أربع فرق ، كلها ضلت في هذا الباب .

أما الفرقة الخامسة : وهم أهل السنة والجماعة الذين ذكرهم الشيخ ﷺ في هذا الكتاب ، فهم الذين أخذوا بالكتاب كله ، فجمعوا بين الآيات ، ونظروا صفات أولياء الله وصفات أولياء الشيطان ، وهذا ما يدور عليه هذا الكتاب ، يدور على الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشيطان ، وهو كتاب قيم والحاجة إليه ماسة ؛ لأجل إزالة هذا اللبس الذي التبس الولاء والبراء فيه عند الناس بين غالٍ وجافٍ ، وبين منكر له نهائياً ؛ فالنبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم ، ليس عندهم من العلم شيء وإنما يتبعون أهواءهم ويتبعون آباءهم وأجدادهم ، فأنزل الله عليه القرآن والسنة ، وهدى الله به من شاء له الهداية ممن يستحقها وأضل الله من أعمى بصيرته وطمس على قلبه فلم يقبل هذا الحق ، فتميز أولياء الله من أعداء الله ببعثة هذا الرسول ﷺ ، وما أنزل الله عليه من الكتاب والسنة ، بيَّن مَنْ هم أولياء الله الذين نحبهم ونقتدي بهم ، ومَنْ هم أعداء الله الذين نبغضهم ونتجنب طريقتهم ، وبيَّن لنا كيفية التعامل معهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصَّر به من العمى ، وأرشد به من الغيّ ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وفرَّق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله .

فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أولياء الشيطان .

وقد بيّن ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء[1] .

(١) هذا موجود في القرآن ، وسيذكر الشيخ آيات فيها أولياء الله وأولياء الشيطان ، فالله ﷻ فرّق بين أوليائه وبين أولياء الشيطان ، وذكر صفات هؤلاء وصفات هؤلاء.

ففرّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ . لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] [يونس : ٦٢-٦٤] .

---

(١) هذه الآيات فيها بيان أولياء الله وصفاتهم ، وما يحوزون عليه من الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ ألا : أداة تنبيه ، ﴿ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ تأكيد ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ إثبات لوَلَايتهم ، ونفي للخوف والحَزَن عنهم ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في المستقبل ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم في الدنيا . ولا يخافون مما أمامهم ، ثم قال ﷻ : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ : ذكر أن أولياء الله هم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ : إذاً الكافر ليس ولياً لله . ﴿ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ إذاً الذي لا يتقي الله ليس ولياً لله ، يتقون محارمه فيجتنبونها ، ويتقون عذابه فيعملون الأعمال التي تقيهم من العذاب ، هؤلاء هم أولياء الله . إذاً الذي لا يتقي الله ليس من أولياء الله ، الذي يترك الصلاة ويزني ، ويشرب الخمر ، ويعمل الفواحش ليس من أولياء الله ، إما أنه ليس من أولياء الله أصلاً ، أو أنه ليس من أولياء الله الذين لهم الوَلاية التامة . فإن الناس على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يكون ولياً لله ولاية خالصة : وهؤلاء هم الرسل وأتباعهم على الحق ، الذين سلموا من الذنوب والمعاصي ، هؤلاء ولايتهم تامة .

=

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(١) [البقرة : ٢٥٧] .

القسم الثاني : وهناك من هو عدو لله عداوة تامة وهو الكافر والمشرك ، هؤلاء أولياء الشيطان وأعداء لله عداوة تامة ليس معها وَلَاية لله .

القسم الثالث : وهناك من يجتمع فيه وَلَاية لله من جانب ، ووَلَاية الشيطان من جانب ، وهو المؤمن العاصي ، فهو ولي لله بما معه من الإيمان والتوحيد ، وهو ولي للشيطان بما معه من كبائر الذنوب والمعاصي ، التي دون الشرك والكفر ، تجتمع فيه الوَلَاية والعداوة . لا يخرج الناس عن هذه الأقسام الثلاثة .

(١) وهذه الآية فيها بيان أولياء الله وأولياء الشيطان ، فقال ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فالله وليُّ المؤمنين ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ : يخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والشبهات إلى نور الإيمان والعلم والهداية ، فهذه ثمرة وَلَايتهم لله ﷻ ، أنه يخرجهم من الظلمات . وتأمل قوله : ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ جاءت بصيغة الجمع ؛ لأنها ليس لها حد؛ لأن الظلمات كثيرة ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ النور واحد ، ولم يقل الأنوار ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] فصراط الله واحد ، والسبل المخالفة لصراط الله كثيرة ، والظلمات كثيرة والنور واحد ، هؤلاء أولياء الله .

من هم أولياء الشيطان ؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ : الكفار أولياؤهم الطاغوت ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ والطاغوت : مأخوذ من الطغيان ، =

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ . فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ . وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ

وهو مجاوزة الحد ، والطواغيت كثيرون ، لكن كلهم يشملهم اسم الطاغوت ، الطاغية : الذي خرج عن طاعة الله ، فالشيطان طاغوت ، وكل شياطين الإنس والجن طواغيت . لا حصر للطواغيت ، وكل طاغوت له أتباع . والطاغوت : اسم جنس يدخل فيه كل شيطان من شياطين الإنس والجن ، ودعاة الضلال ، ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾ : نور الرسالة والإيمان والهدى ﴿ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ إلى ظلمات الكفر والشرك ، وهذا مستمر إلى أن تقوم الساعة . ثم بيَّن سبحانه عاقبتهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ : أصحابها يعني الملازمين لها الذين لا يتخلصون منها ، ثم قال : ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ : مصاحبون لها وخالدون فيها ، هذه نهايتهم - والعياذ بالله - فعرفنا إذاً الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان : أولياء الله هم المؤمنون ، وأولياء الشيطان هم الكافرون .

وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] [المائدة : ٥١-٥٦] .

---

(١) هذه الآيات من سورة المائدة فيها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خاطبهم باسم الإيمان ؛ لأن الإيمان يقتضي أنهم يمتثلون أوامر الله ويصغون لندائه ، ثم نهاهم ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ : لا تتولوا اليهود والنصارى ، تحبونهم وتناصرونهم وتدافعون عنهم . واليهود : هم الذين نزلت عليهم التوراة ، وهم أمة موسى ﷺ ، والنصارى: هم الذين نزل عليهم الإنجيل، وهم أمة عيسى ابن مريم ﷺ ، لكنهم انحرفوا عن اتباع موسى وعيسى ، ولما بُعث محمد ﷺ كفروا به ، فاليهود كفروا بعيسى وبمحمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ ، ومن كفر بنبي واحد فإنه كافر بالله وبجميع رسله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء : ١٥٠-١٥١] ، ﴿ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ : لا مرية فيه ، فمن كفر بنبي واحد كفر بالجميع ، وهو كافر بالله الذي أرسل الرسل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ، فأبطل إيمانهم برسلهم لما كفروا بمحمد ﷺ ، وأبطل إيمان اليهود بموسى ﷺ لما كفروا بعيسى ﷺ ، ومحمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ إذا كان هذا في اليهود والنصارى وهم أهل كتاب فكيف بغيرهم من الوثنيين وعُبَّاد الأصنام والملاحدة ؟! من باب أولى ، =

﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ : لا تتولوهم بالمناصرة والمحبة ؛ بل أبغضوهم لله ﷻ ؛ لأن الله يبغضهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] ، ثم قال ﷻ : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ : الكفار بعضهم أولياء بعض ، قطع الوَلَاية بينهم وبين المسلمين ، فالكافر ولي الكافر ، واليهودي ولي اليهودي ، والنصراني ولي النصراني ففرَق بينهم وبين المؤمنين ، ثم قال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يكون يهودياً أو نصرانياً إذا تولاهم ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عقوبة لهم ، وسمى ذلك ظلماً وأخبر أنه لا يهدي من اتصف به ، فمن والى اليهود والنصارى فإنه ظالم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، وإنما يهدي أهل الإيمان الذين يقبلون الحق ، أما من أعرض عن الحق فإن الله يحرمه منه عقوبة له .

ثم أخبر عن المنافقين الذين يدَّعون الإسلام وما أكثرهم - لا كثَّرهم الله - يدَّعون الإسلام وهم يوالون اليهود والنصارى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ مرض النفاق ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ يتولون اليهود والنصارى ، ويضعون معهم يداً ، فلو أن اليهود والنصارى انتصروا على المسلمين يكون لهم عندهم يد ، فهم يسيؤن الظن بالله ﷻ ، ويظنون أن الله سيخذل المسلمين ، وينصر اليهود والنصارى ، وهذا سوء ظن بالله ﷻ ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ ، قال تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ أي : ينصر المسلمين ، و(عسى) من الله واجبة ، وهذا وعد من الله أنه سينصر المسلمين ويفتح لهم بالنصر ، أو أمر من عنده ﷻ ينفذه في اليهود والنصارى ، فيصبح هؤلاء المنافقين مفتضحين ﴿ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ - والعياذ بالله - ، وقد حصل هذا ، فالله فضح =

المنافقين ، وخذل اليهود والنصارى ، وأعزَّ الإسلام والمسلمين ، فافتضح المنافقون في مواقف كثيرة ، ولا يزال هذا إلى أن تقوم الساعة ، ما بقي الإسلام وبقي المسلمون. ثم إن أهل الإيمان يتعجبون من هؤلاء المنافقين : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ . ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ١-٣] إلى آخر السورة .

ثم قال : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ : أحبطها النفاق – والعياذ بالله – أعمالهم الظاهرة صارت هباءً منثوراً لا قيمة لها ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ كما ارتد هؤلاء المنافقون ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ : وهذا فيه أن الله يحب المؤمنين ، وهذا هو الوَلَاية . فالوَلَاية أن الله يحبهم ويحبونه ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ : يلينون لإخوانهم المؤمنين ويرحمونهم ويحمونهم ، هذا شأن المؤمنين ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ : أقوياء على الكافرين ، فالعزة هي القوة ، فهم يلينون للمؤمنين ، ويشتدون على الكافرين ، ولا يلينون لهم ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : يجاهدون الكفار وأعداء الله ، يجاهدونهم باللسان ، ويجاهدونهم باليد ، ويجاهدونهم بكل أنواع الجهاد ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ ؛ لأن الجهاد هو قوام الدين ، فلا يقوم الدين بغير الجهاد في سبيل الله الذي يقمع أولياء الشيطان ويقمع الكفار ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ

=

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ : هذا الإيمان ، وهذه القوة في دين الله ، وهذه الرحمة للمؤمنين وتولي المؤمنين ، هذا فضل الله يوفق لله له من يشاء من عباده ممن يقبل الحق ويريده ، أما من أعرض عن الحق فإن الله يحرمه منه ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ : واسع الرحمة، واسع الرزق، واسع الملك ، واسع بكل أنواع السعة . وعليم بكل شيء ، فيعلم المؤمن الحقيقي من المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، الله يعلم ما يخفى عليه شيء، ثم قال ﷻ - لما ذكر هؤلاء الذين يتولون اليهود والنصارى ، وهم يدَّعون الإسلام - : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ : الذين يجب أن تتولوهم هم أولاً : الله ﷻ بمحبته وطاعته ، وخوفه ورجائه ، وعبادته بجميع أنواع العبادة ، ورسوله بطاعته واتباعه ، ومحبته والتمسك بسنته ﷺ ، والذين ءامنوا هم إخوانكم وأولياؤكم ، وأنتم أولياؤهم ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة : ٧١] ، هذا شأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، واليهود بعضهم أولياء بعض ، فقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني لا تتولوا غير الله ورسوله والمؤمنين، لا تتولوا الكفار سواء كانوا كتابيين أو غير كتابيين ، لا تتولوهم بالمحبة والنصرة ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ هذه صفة أولياء الله : أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ : ملازمون للصلاة ، فعبَّر عن الصلاة بالركوع ؛ لأن الركوع هو أعظم أركان الصلاة ، ويدخل فيه السجود ، فالسجود يسمى ركوعاً ؛ لأنه خضوع لله ﷻ . ثم بيَّن ﷻ من الغلبة له ؟ هل الغلبة تكون لأولياء الشيطان وأولياء اليهود والنصارى ؟ أو تكون الغلبة =

وقال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾(١) [الكهف : ٤٤] .

وذكر أولياء الشيطان ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ . إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

لأولياء الله ؟ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ سماهم حزب الله إذاً الفريق الثاني حزب الشيطان ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ : نعم قد يحصل عليهم بعض النكسات ، ويحصل عليهم بعض المصائب ، لكن هذا بسبب من قِبَلهم ، فإذا أصلحوا خللهم أعطاهم الله الغلبة ، والعاقبة للمتقين .

بيَّن الله في هذه الآيات أن أولياء الله هم أهل الإيمان الذين يتولى بعضهم بعضاً ، وأن أولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يتربصون ويترددون بين هؤلاء وهؤلاء ، ليسوا مع الكفار ولا مع المؤمنين ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، هؤلاء هم أولياء الشيطان ، هذا فرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

(١) في اليوم الآخر لا يبقى إلا وَلَاية الله ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ ﴾ ، الوَلَاية - بالفتح - معناها المحبة ، وأما الوِلاية - بالكسر - فمعناها : الإمارة وتولي الأمور . ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ ما يبقى غيرها ، وما عداها فإنه يزول ويضمحل ، ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أما من تولى الشياطين ، فإنه سيجد العاقبة السيئة ، ويجد العقاب بدل الثواب ، وهذه صفات أولياء الرحمن .

يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[1] [النحل : ٩٨-١٠٠] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ

---

(١) قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ : أي : إذا أردت القراءة ، مثل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة : ٦] أي : إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فإذا قرأت القرآن فإنك تبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، لماذا ؟ لأجل أن يعتزلك الشيطان ، فلا يُلبِّس عليك القراءة ويحول بينك وبين التدبر ، ويشغلك بالهواجس والأفكار عن كتاب الله ﷻ ، فمن آداب تلاوة القرآن : أن يستعيذ القارئ قبل أن يبدأ القراءة سواء من أول السورة أو من وسطها ؛ لأجل أن يطرد الشيطان عنه ؛ لأنه يحضر لأجل أن يُلَبِّس على القارئ وليشغله عن التدبر والانتفاع بالقرآن ، فإذا استعاذ بالله أعاذه الله منه وطرده عنه ، ثم قال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ هؤلاء أولياء الله ، وهذه صفاتهم ، هؤلاء يخرجون من ولاية الشيطان إلى ولاية الرحمن ، ﴿ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾ أي : ليس له سلطة على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ الشيطان يستولي عليهم ويستحوذ عليهم ، ويصبحون حزباً للشيطان بسبب أنهم أطاعوه وتولوه وأحبوه ، فصار هو وليهم ، وصاروا حزبه .

فهذه الآيات فيها فرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ضَعِيفًا ﴾[1] [النساء : ٧٦] .

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥] تبرؤوا من الكفار وهم في ديارهم ، وطلبوا من الله أن يجعل لهم ولياً من المؤمنين ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ ، ثم قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لنصرة دين الله وإعلاء كلمته ، هذه من صفات أولياء الرحمن ، أنهم يقاتلون في سبيل الله ، لا يقاتلون رياء ، ولا سمعة ، ولا طمعاً في المال ، ولا طمعاً في الملك ، وإنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله ﷻ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ يقاتلون ويقدِّمون أموالهم وأنفسهم دفاعاً عن الشيطان – والعياذ بالله – هذا غاية التولي للشيطان ، ثم قال ﷻ : ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ : هذا فيه وجوب الجهاد مع الاستطاعة ، وأن المسلمين أولياء الرحمن يقاتلون أولياء الشيطان ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ كيده مهما كان فإنه ضعيف ، إذا قام أهل الإيمان بالجهاد في سبيل الله ، فقد حصل هذا لما جاهد الرسول ﷺ وأصحابه ، وجاهد أصحابه من بعده اندحر الشيطان وحزبه ، وظهر الإسلام ، وسقطت دول الكفر تحت راية الإسلام ؛ لأن كيد الشيطان ضعيف ، ما نفعتهم قوتهم وهيبتهم ، والفرس والروم اندحروا أمام جند الله ﷻ .

فهذه الآية فيها بيان أن من صفات أولياء الرحمن أنهم يقاتلون في سبيل الله ، وأن من صفات أولياء الشيطان أنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[1] [الكهف : ٥٠] .

---

(١) لما خلق الله آدم ﷺ ، خلقه بيده ، خلقه من طين ، وهذه تكرمة لآدم أن الله خلقه بيده ، ثم علمه أسماء كل شيء ، فظهر على الملائكة بالعلم ، ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود إكرام وتحية لا سجود عبادة ، وهو عبادة لله ﷻ بامتثال أمره ، وإكرام لآدم ، والملائكة أولياء الله لم يترددوا ؛ بل سجدوا وأطاعوا الله ﷻ ، وهذا هو غاية العبادة لله ﷻ ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ وهو رأس الشياطين ، واستثناؤه من الملائكة هل هو من جنسهم ؟ فيكون الاستثناء متصلاً ، ثم لما أبى السجود واستكبر خذله الله ﷻ ولعنه وطرده ، أو هو من غير جنس الملائكة ؟ فيكون الاستثناء منقطعاً ، بمعنى (لكن) . والراجح - والله أعلم - أنه من غير جنس الملائكة، وإنما كان يتعبد معهم، ولهذا قال : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ولو كان من الملائكة لما قال : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ أي : كان من عالم الجن ، وعالم الجن فيهم شياطين مردة ، فكل من تمرد عن طاعة الله من الجن فهو شيطان ، ورئيسهم إبليس هو رأس شياطين الجن ، وهناك شياطين للإنس أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وعالم الجن لا نراهم ، ولذلك سموا بالجن من الاجتنان وهو الاستتار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، يعني الشيطان ، ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ يعني عصى أمر ربه، لما قال الله للملائكة: اسجدوا، وكان إبليس معهم ، سجد الملائكة وامتنع إبليس ، فخرج عن أمر الله ﷻ ، هذا هو =

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾(1) [النساء : ١١٩] .

الفسق ، ثم قال ﷻ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ ﴾ هذا استفهام إنكار يخاطب به بني آدم ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ : تكونون من أولياء الشيطان ، والواجب عليكم أن تكونوا من أولياء الرحمن ؟! هذا استنكار من الله ﷻ ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ﴾ تحبون أعداءكم وتوالون أعداءكم ، هذا من العجائب وانتكاس الفطر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ . إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ أي : إن تمكنوا منكم ﴿ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ١-٢] ، هذه سريرة الكفار دائماً وأبداً نحو المسلمين ، فكيف تطمئنون إليهم ، وكيف توالونهم وهم يضمرون لكم العداوة ؟! ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، هذه طبيعتهم لا يمكن للكفار أن يتحولوا عن هذا أبداً مهما تصنَّعوا ، ومهما قالوا وقالوا ، فهم أعداء كفار ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ : دل على أن إبليس له ذرية ، كما أن آدم له ذرية ﴿ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الذي يستبدل ولاية الله بولاية الشيطان هذا بئس البديل - نسأل الله العافية - .

(١) ثم ذكر الشيخ ﷺ هذه الآية : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ =

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] [آل عمران : ١٧٣-١٧٥]

خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ في الآية التي قبلها التي ذكرها الشيخ ﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ وفي هذه أنه قد خسر خسراناً مبيناً ، وهو يظن أنه يربح ، وأنه يكون دبلوماسياً ، وأنه يصلح مع الناس ، وأنه لا يكون فيه خشونة ، ويكون مندمجاً مع الناس ويدخل معهم ، هذه صفة المنافقين ، نحن لا نقول : اعتدوا على الكفار ، اظلموا الكفار ، لا ، لا يجوز الظلم ولا الاعتداء ، ولا نقول : لا تتعاهدوا مع الكفار أو تتصالحوا معهم ، أو أن تنتفعوا أو تبيعوا وتشتروا معهم في أمور الدنيا أو أن تحسنوا إلى من أحسن منهم إليكم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [الممتحنة : ٨] لا نقول هذا ، لكن هذا كله ليس من الموالاة ، وإنما هو من تبادل المصالح ومن المكافأة على الإحسان ، والمؤمنون أوفياء بالعهود وبالتعامل الطيب هذه صفة المؤمنين ، وليس هذا من الموالاة ، كما يظن بعض الجهال ، فهذا لا يدخل في أمور الدين .

(١) هذه الآيات من سورة آل عمران ، التي ذكر الله فيها قصة غزوة أحد مفصلة ، وجاءت هذه الآيات في آخرها ، تبين أولياء الله وأولياء الشيطان . فأولياء الله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ، ثم ذكر أولياء الشيطان ، فقال : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا =

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ : وذلك أنها لما حصلت الوقعة عند أحد ، وحصل على المسلمين ما حصل من القرح ، واستُشهد منهم العدد الكثير ، وجُرح منهم العدد الكثير ؛ وذلك بسبب مخالفة وقعت من بعضهم لأمر الرسول ﷺ ، فلما حصلت منهم المخالفة عمَّت العقوبة ؛ وذلك أن النبي ﷺ نَظَّم المسلمين ، وجعل ظهورهم إلى الجبل ، وجعل على الجبل رماة يدفعون عن ظهور المسلمين ، يسمى جبل الرماة ، فامتثلوا وأمسكوا الجبل ، ولم يحصل للمشركين فرصة أن يأتوا المسلمين من خلفهم ، فتفرَّغ المسلمون للقتال ، ففتكوا في العدو ، وكاد العدو أن ينهزم ، فشرع المسلمون في جمع الغنائم ، فلما رأى بعض الرماة الذين على الجبل أن المسلمين انتصروا ، وأنهم شرعوا يجمعون الغنائم ظنوا أن المعركة قد انتهت ، فقالوا: ننزل مع إخواننا نعينهم على جمع الغنائم ، فقال لهم قائدهم عبد الله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن النبي ﷺ قال لنا : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم » . ذكَّرهم بذلك ، ولكنهم أصروا على النزول ، فنزل بعضهم وثبت بعضهم ، ومنهم قائدهم عبد الله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت ، حتى جاء المشركون من الخلف ، ورأوا أن الجبل قد خف الرماة الذين هم عليه ، فتقاتلوا معهم حتى قتلوا بقية الرماة ، ثم انقضوا على المسلمين من الخلف ، والمسلمون لم يشعروا إلا والمشركون قد أحاطوا بهم من الأمام ومن الخلف ، فحصلت النكبة بسبب مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ . (انظر القصة في « تفسير الطبري » ٦/ ١٢٩) . ولهذا قال : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] أي : أنتم السبب ، وقبل هذا يقول : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ

=

أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . ﴿ تَحُسُّونَهُم ﴾ : يعني تقتلونهم بإذنه ، وفي قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ : بشرهم الله بأنه عفا عما حصل منهم من المخالفة ليطمئنهم ، وبعد ذلك انتهت المعركة وانصرف المسلمون ، ودفنوا شهداءهم في محل المعركة ، في مقبرة الشهداء التي عند أحد ، وحملوا جرحاهم وعادوا إلى المدينة ، وقفل المشركون إلى مكة ، ثم إن المشركين تلاوموا قالوا : كيف نترك بقيتهم ، لماذا لا نرجع ونستأصل بقيتهم ؟ فأرسلوا مندوباً منهم إلى الرسول ﷺ أننا سنعود إليكم ونستأصل بقيتكم ، فالنبي ﷺ أمر كل من حضر المعركة من الأصحاء والجرحى أن لا يتخلف أحد ، فنهضوا رضي الله عنهم بجروحهم مع الرسول ﷺ وأمر أن لا يخرج إلا من حضر الوقعة ، فخرجوا بجروحهم رضي الله عنهم مع الرسول ﷺ ، وساروا في أثر المشركين ، ثم نزلوا منزلاً يُقال له : حمراء الأسد ، فلما بلغ المشركين أن المسلمين خرجوا في أثرهم أصابهم الرعب ، وقالوا : ما خرجوا إلا وفيهم قوة ، فهزمهم الله ولم يرجعوا إلى المسلمين ؛ بل أصابهم الرعب ومضوا في طريقهم إلى مكة ، وكفى الله المؤمنين شرهم ، لكن بعد ماذا ؟ بعد الامتحان وبعد إظهار القوة والإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ أي : مندوب من المشركين ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ أي : المشركين ﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ : قد جمعوا لكم يريدون الرجوع ، وهم على أثر المعركة وفيهم الدماء والجروح ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ : زادهم إيماناً ، ما تضعضعوا ولا جبنوا ، وزادهم ذلك قوة ؛ لأنهم يؤمنون بالله ﷻ ، وهؤلاء هم أولياء الله ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: الله كافينا ﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ أي : الموكول إليه أمرنا ، فلم يتضعضعوا من التهديد ، ولم يخافوا من المشركين ، لقوة =

إيمانهم ، ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ هذا ما قالوه وخرجوا بأمْر الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ ﴾ يعني : رجعوا سالمين ﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ نتيجة الإيمان والصبر ، وقولهم : حسبنا الله ونعم الوكيل . (انظر : تفسير الطبري ٦/ ٢٤٧ ، ٢٤٨)، ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ : هؤلاء هم أولياء الله ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ حيث مَنَّ عليهم بالأجر والسلامة ، وأمدهم بالقوة في قلوبهم فلم يتضعضعوا ، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن هذه الكلمة: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ : « قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار » قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقال الله ﷻ : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ «وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ » (صحيح البخاري/ ٤٢٨٧) ، فكانت النتيجة أنهم انقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء ، وهؤلاء هم أولياء الله ﷻ دائماً وأبداً ، أن الله يكون معهم . ثم ذكر أولياء الشيطان، فقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ﴾ أي : هذه الشائعة التي سمعتم، وهذا الكلام وهذا التهديد إنما هو من الشيطان ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ فيها وجهان :

الوجه الأول : ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ : المفعول الأول محذوف ، تقديره : يخوفكم أولياءه، يخوفكم - أيها المسلمون - أولياءه من الكفار والمشركين .

والوجه الثاني : ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ : يخوف ضعاف الإيمان من المنافقين الذين هم أولياء الشيطان ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ : هذا نهي من الله ﷻ أن أولياءه يخافون أولياء الشيطان ، فالله ﷻ قال : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] ، ﴿ وَخَافُونِ ﴾ مخففة أصلها : (وخافوني) بالياء ، وحذفت الياء تخفيفاً ﴿ وَخَافُونِ إِن

=

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] [الأعراف : ٢٧-٣٠]

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فالمؤمن الحقيقي لا يخاف إلا الله ﷻ مهما هُدِّد فإنه لا يخاف إلا الله ، قلبه معلق بالله ﷻ . فهذه الآيات فيها بيان صفات أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

(١) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : سلَّط الله الشياطين على الذين لا يؤمنون ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] ، فالكفار أولياؤهم الشياطين ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ والسبب : أنهم لا يؤمنون ، فلما كانوا لا يؤمنون بالله سلط الله عليهم الشيطان وجعله وليهم ، كما قال ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] . فدلت الآية على أن الذين يؤمنون بالله ، فإن الشيطان يبتعد عنهم ، ويكون وليهم الله ﷻ ، ثم قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ لماذا حقت عليهم الضلالة ؟ لأنهم ﴿ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨-٣٠] ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ : وهي أنهم يطوفون بالبيت عراة =

ويكشفون عوراتهم ، وكشف العورة سماه الله فاحشة . والفاحشة : هي المتناهي في القبح ، فكشف العورات والسفور للنساء هذا فاحشة ، والذي يأمر بها هو الشيطان وجنوده من الجن والإنس ، ودعاة الفتنة الذين يدعون الآن إلى خلع الحجاب وإلى السفور ، هم مثل الذين كانوا يدعون إلى الطواف بالبيت عراة في الزمان الأول سواء بسواء ، ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا ﴾ : يحتجون بما وجدوا عليه آباءهم ولا يحتجون بما قال الله وقال الرسول ﷺ ، وهذه حجة باطلة تكررت منهم ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ وهذه أشد ، نسبوا إلى الله أنه أمرهم أن يطوفوا بالبيت عراة ، وأن يكشفوا عوراتهم فكذبوا على الله ﷻ ، ورد الله عليهم فقال لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ ﴾ هذا يتنافى مع شرع الله ﷻ، لا يأمر بالفحشاء أمر تشريع ، أما الأمر الكوني والقدري ، فهذا يقدره الله عقوبة على من قدَّره عليه ، لكن الأمر الشرعي أبداً مستحيل أن الله يشرِّع لعباده كشف العورات ؛ لأنه فحشاء ، والله لا يأمر بالفحشاء من هذا وغيره ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فقولهم : ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ هذا قول على الله بغير علم ، والقول على الله بغير علم أشد من الشرك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ يعني بالعدل ، وكشف العورات ليس من العدل ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ هذا الذي أمر الله به عند كل مسجد ، يعني عند كل صلاة ، ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ يعني أخلصوا نياتكم وقصدكم لله ﷻ وأخلصوا لله في صلواتكم وطوافكم بالبيت ، لأن البيت مسجد ، وكشف العورة عند البيت هذا ليس من إقامة الوجوه ، هذا من الظلم ومن صرف الوجوه عن الله ﷻ إلى الشيطان ، ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: الدعاء ،

=

وسمى الدعاء ديناً وفي الحديث : « الدعاء هو العبادة » (مسند أحمد / ١٨٣٩١ ، وإسناده صحيح) الدعاء هو أعظم أنواع العبادة ، وأعظم أنواع الدين ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، كما خلقكم أول مرة فإنه يعيدكم يوم القيامة ، والإعادة أهون من البداءة في نظر العقول ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] كما بدأكم حيث خلقكم من العدم تعودون عند البعث كما كنتم في خلقتكم الأولى ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف : ٤٨] ، ثم قال : ﴿ فَرِيقًا هَدَى ﴾ هدى الله ﷺ ﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ بسبب كفرهم وتوليهم للشيطان حق عليهم الضلالة ما السبب ؟ هل الله ظلمهم ؟ لا ، ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ هذا هو السبب ، فتركوا ولاية الله وأخذوا ولاية الشيطان ، ﴿ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ ﴾ التي تدعوهم إلى الشرك وإلى كشف العورات وإلى السفور ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ تولوهم واتبعوهم وأحبوهم من دون الله ، والمصيبة الأشد ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ يُزين لهم - والعياذ بالله - ويقولون : هذا هو الصحيح ، وهذا هو الرقي ، والحضارة ، والدين تخلف ورجعية ، إلى آخر ما يقولون ، ولو كانوا يعرفون أنهم على ضلال لهان الأمر ؛ لأنهم يُرجى أن يرجعوا ؛ لكن المشكلة أنهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يرجعون ، هذا من تمام الابتلاء - والعياذ بالله - فدل على أن من خالف الحق وهو يعلم أنه لا يعذر، ولو كان يرى أن ما هو عليه حق ، ما دام أنه يخالف الوحي فهو باطل ولو رآه حقاً .

بعض الناس يقول : إن الذي يظن أنه على حق هذا معذور ، وهذا ليس على إطلاقه ، الذي يظن أنه على حق لأنه لم يصل إليه الوحي يكون معذوراً إلى أن يتبين له ، أما

=

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾(١) [الأنعام : ١٢١] ، وقال تعالى عن الخليل عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾(٢) [مريم : ٤٥] .

الذي بعد ما وصله الوحي يخالفه ويظن أنه على حق فهذا غير معذور وقامت عليه الحجة ، ولو كان يرى أنه على حق ، فهو ليس على حق .

(١) قوله : ﴿ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ : أولياء الشياطين من الكفار والمنافقين ، والآية من سورة الأنعام في سياق استباحة الميتة ؛ لأن المشركين كانوا يستبيحون الميتة ، ويقولون : إن الميتة الله هو الذي ذكاها ، أما الذبائح أنتم الذين ذبحتموها ، وهذه المقولة أوحاها إليهم شياطين فارس من المجوس ، وهم يوحون إلى أوليائهم من مشركي العرب هذه الفرية ، فقالوا : إن الذي ذبحه الله وهو الميتة أولى من المذكاة التي ذبحتموها ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ أي : شياطين الإنس ﴿ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ بهذه الحجة الباطلة ﴿ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ ﴾ في استباحة ما حرم الله ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ بالله ؛ لأن التحليل والتحريم حق لله جل وعلا ، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم من دون الله ، هذا شرك في الطاعة - والعياذ بالله - ، وشرك الطاعة نوع من أنواع الشرك .

والشاهد من الآية : ﴿ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ فدل على أن من استحل ما حرم الله ، وحرم ما أحل الله ، فإنه من أولياء الشيطان ، وأما من أحل ما أحله الله ، وحرَّم ما حرمه الله فإنه من أولياء الله .

(٢) إبراهيم عليه السلام لما نوَّر الله قلبه بالإيمان والتوحيد من بين قومه الذين يعبدون الكواكب =

على غزوهم ، ولكنه أخفى ذلك وأسرَّه ، ولم يبيِّن وجهته لأصحابه ؛ لأن هذا من أسرار الحرب التي لا تُظهر للناس ، فتوجه إلى مكة في رمضان ، وكان من جملة الصحابة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، من سادات الصحابة ، وممن شهدوا بدراً ، ولكنه اجتهد فأخطأ ، فكتب إلى المشركين كتاباً سرِّياً يخبرهم أن محمداً ﷺ أراد غزوهم ، وأرسل الكتاب مع امرأة خُفية ، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ بالأمر ، فأرسل الزبير ، والمقداد ، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أثر المرأة ، وقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها » ، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عِقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « يا حاطب ما هذا ؟ » ، قال : يا رسول الله ، لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفُسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد صدقكم » ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » (صحيح البخاري / ٢٨٤٥ - صحيح مسلم / ٢٤٩٤) ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] وسبب النزول هو قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ووصفه بالإيمان ، فدل على أنه لم يتأثر إيمانه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولم ينافق ، وإنما وصفه الله بالإيمان مع إخوانه من المهاجرين =

والأنصار ، لكنه نهى عن هذا الفعل ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ .

والموالاة : هي المحبة والنصرة . وحاطب لم يحبهم ، ولكنه أراد نصرتهم ، وهذا من الوَلَاية . ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ أليسوا طردوا الرسول ﷺ ، وأخرجوا المسلمين حتى اضطروهم إلى الهجرة ؛ لأي سبب ؟ ﴿ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ هذا هو السبب ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فدل على أن الذي يوالي الكفار أنه قد ضلَّ سواء السبيل ، إلى آخر الآيات التي فيها اللوم والعتاب ، وفيها التحذير في المستقبل أن مسلماً يفعل هذا الفعل ، وفيها أن سبب عداوتنا لهم أنهم أعداء الله وأعداء للمؤمنين ، ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ونحن نعادي من عادى الله ﷻ ، وعادى رسوله ، هذا هو السبب ، لا نعادي من أجل الدنيا ، أو من أجل العاطفة ؛ بل نعادي من أجل الله ، فنحب في الله ، ونوالي في الله ، ونعادي في الله ﷻ .

فصل

وإذا عُرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(١) ، فيجب أن يُفرَّق بين هؤلاء وهؤلاء(٢) ، كما فرّق الله ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾(٣) [يونس : ٦٢-٦٣] . وفي الحديث الذي رواه البخاري وغيره(٤) عن أبي هريرة

---

(١) لما ذكر الشيخ ﷺ هذه الآيات في مطلع هذا الكتاب المبارك التي فيها أوصاف أولياء الله ، وأوصاف أعداء الله ، عند ذلك عقد هذا الفصل ليبيِّن النتيجة مما سبق .

فقوله : (عُرف) من ماذا ؟ من الآيات السابقة التي أوردها ، هذه هي النتيجة .

(٢) يجب أن يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فلا يُخلط الأمر ، فيُقال : كلهم بنو آدم ، كلهم إخوان في الإنسانية ، لا . المسألة مسألة كفر وإيمان ، ليس مسألة إنسانية ، ولا مسألة عاطفة .

فالذي لا يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، هذا دليل على عدم إيمانه ؛ لأن الله فرَّق بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فيجب عليك أن تفرق ، لا يلتبس عليك الأمر ، وهذا فيه رد على من يعتقد أن السحرة والكهان والمنجمين بما معهم من الخوارق الشيطانية أنهم أولياء لله ، وأن هذه الخوارق كرامات من الله ﷻ ، فهذا لا يفرق بين الحق والباطل ، ولا بين أولياء الله وأعداء الله .

(٣) فكل مؤمن تقي فإنه وليٌّ لله ، وكل كافر مشرك ومنافق فإنه عدو لله .

(٤) هذا الحديث رواه البخاري في « صحيحه » ، ورواه غيره ، وله طرق كثيرة يقوي
=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب[1] - ، وما تقرب إليَّ عبدي

بعضها بعضاً ، ويرتفع إلى درجة الصحة ، ولذلك خرجه البخاري في « صحيحه » ، فلا التفات إلى من تكلم في هذا الحديث ، وعتب على البخاري ، فالبخاري أعلم من هؤلاء ، وأحكم في معرفة الحديث الصحيح ، وهو حجة عند المسلمين ، لا يُشكَّك في « صحيحه » أبداً .

فهذا الحديث حديث قدسي ؛ لأنه من كلام الله ﷻ ، يرويه عنه رسوله ﷺ : « يقول الله تعالى » : وهذا فيه إثبات الكلام والقول لله تعالى .

(١) قوله : « فقد بارزني بالمحاربة » ، وقوله : « فقد آذنته بالحرب » : أي أعلنت عليه الحرب ، فالروايتان بمعنى واحد . أن من عادى أولياء الله فهو محارب لله ﷻ ، والله يحاربه - والعياذ بالله - مثل ما أعلن الحرب على أَكَلَة الربا ، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] وهل أحد يطيق أن يحارب الله ﷻ ؟! ومن حاربه الله فهو مخذول ، ولن ينتصر أبداً ، فهذا فيه التحذير من معاداة أولياء الله ﷻ .

فقوله : « فقد آذنته » : أي أعلمته بأني محارب له - والعياذ بالله - ؛ لأن الله ينتصر لأوليائه ، والذين يقعون في أعراض العلماء الآن ويتنقصونهم ، ويغتابونهم في المجالس ، هؤلاء من هذا الصنف ، من الذين يعادون أولياء الله لماذا ؟ لأن العلماء ورثة الأنبياء ، وقد قال ﷺ : « إن العلماء ورثة الأنبياء » (سنن أبي داود / ٣٦٤١ ، وصححه الألباني) .

ولما قال ناس في عهد النبي ﷺ : « ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألْسنةً ، ولا أجْبنَ عند اللقاء » (تفسير الطبري ١١ / ٥٤٣ - الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص١٠٨) قال الله ﷻ فيهم : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٦] .

=

بمثل أداء ما افترضت عليه[(١)] ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه[(٢)] ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ،

فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في العلماء ورثة الأنبياء ، ولو أخطأ من أخطأ منهم عن غير قصد ، فلا يُتخذ الخطأ وسيلة للطعن فيه ، وترخيصه على الناس ، واغتيابه عندهم . فهذا يجب أن يتنبه له هؤلاء الذين يقعون في أعراض العلماء ، ويعمرون بها مجالسهم ، ويوالون ويعادون على هذا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - حتى تفرقوا واختلفوا وتعادوا فيما بينهم ، وهم يزعمون أنهم طلبة علم ، أو أن بعضهم يزعم أنه شيخ من العلماء ، فهذا من كيد الشيطان في الحقيقة .

(١) هذه صفات أولياء الله : أنهم يتقربون إلى الله ، لما ذكر التحذير من معاداة أولياء الله ، ذكر من هم أولياء الله ؟ هم هؤلاء الذين يتقربون إلى الله بأداء الفرائض ثم بالنوافل ، « وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه » هذا فيه الحث على أداء الفرائض التي فرضها الله تعالى . وقد قال ﷺ : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها » (مسند أبي يعلى / ٢٤٥٨) ؛ ولأن الفرائض هي الأساس ، فمن ضيع الفرائض فإن النوافل لا تنفعه ؛ لأنه يبني على غير أساس ، فمن قام الليل كله يتهجد ويبكي ، لكنه مضيِّع للفرائض فعمله هباءً منثوراً ، وتعب بلا فائدة . فإذا حافظ على الفرائض فإنه يأتي بالنوافل ؛ لأنه أتى بالأساس الذي يبني عليه ، والفرائض أحب إلى الله من النوافل ، فإذا كنت تريد محبة الله لك فتأتي بما يحبه الله ، وهو الفرائض التي أوجبها الله على عباده .

(٢) هذا فيه الترغيب في النوافل ، ولكن بعد أداء الفرائض ، « حتى أحبه » : فدل على أن أداء الفرائض ، وفعل النوافل سبب لنيل محبة الله للعبد ، وهذه هي الوَلَاية ، والولي هو المحبوب ، فالله يحب من هذه صفته ، يحافظ على الفرائض ، ثم يتبعها بالنوافل ،
=

ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها[(١)] ، فبي يسمع ، وبي يبصر ،

فالصلاة لها نوافل ، والزكاة لها نوافل ، والصيام له نوافل ، والحج له نوافل ، وكل شيء من الفرائض له نافلة من جنسه ، والأساس هو الفرائض .
فدل هذا الحديث على أن ولي الله هو الذي يتقرب إليه بالطاعات - فرائضها ونوافلها - ، وهذا مطابق للآية : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] فليست الولاية دعوى يقال : فلان ولي ؛ لأن عنده كرامات أو خوارق حتى يُنظر عمله ، هل هو عمل صالح موافق للشرع ؟ فهو ولي الله ، وهذا الحديث أصل في هذه المسألة .
وفي قوله : « حتى أحبه » : دليل على أن الله يحب أولياءه ، والمحبة من صفات الله الثابتة له سبحانه وتعالى ، فهو يحب ويبغض ، ويكره ويسخط ، ويرضى ويغضب ، كل هذه من صفاته ﷻ اللائقة به سبحانه ، وليست كصفات المخلوقين .
(١) هذا فيه أن الله يكون معهم ، يوفقهم ويسددهم في حركاتهم ، وفي حواسهم وأعضائهم ، فيستعملونها بطاعة الله ، وقوله : « فبي يسمع ، وبي يبصر » يفسر قوله : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » بأنه لا يسمع إلا ما يفيده وينفعه ، يسمع القرآن والذكر والعلم ؛ لأن الله سدده في سمعه فيتجنب المحرمات ، فلا يسمع اللغو واللهو ، والأغاني والمزامير ، والغيبة والنميمة ، فلا يسمع شيئاً مما يُسخط الله .
وكذلك لا يبصر إلا ما ينفعه من النظر في آيات الله ومخلوقاته ، يتدبر ويتأمل ، ويستدل بها على قدرة الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة ، ولا ينظر إلى المحرمات ، كالنظر إلى النساء ، والمناظر الكريهة ، والعورات ، أو إلى ما يُسخط الله ﷻ ، عملاً

وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه[(١)]،
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ،
يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولابد له منه »[(٢)] (صحيح البخاري / ٦١٣٧) ،

بقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] ،
ولأن الله ﷻ قال : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] ،
فهو يستعمل سمعه وبصره فيما ينفعه ويفيده ، ويترك ما يضره ويفسد عليه دينه وأخلاقه .

وكذلك لا يعقد بيده ويعطي بيده إلا ما فيه مصلحته ، فلا يتناول الحرام ، ولا يضرب أحداً بيده ، ولا يظلم أحداً ، وإنما يأخذ ويعطي لله ﷻ ، فيستعمل يده في طاعة الله .

كذلك لا يمشي إلا إلى ما فيه مرضاة الله ﷻ ، كالمشي إلى المساجد ، والمشي إلى حلق الذكر ، والمشي إلى طاعة الله ، أينما كانت يذهب إليها ، ولا يمشي إلى ما حرم الله ، إلى المسارح والملاهي ، ودور البِغا والسينما ، ومحلات اللهو واللعب فيتجنبها ، وإنما يذهب إلى الأمكنة التي فيها الطاعة والخير والذكر ، وتعلم العلم النافع .

(١) ثم قال : « ولئن سالني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » : هذا أيضاً من ثمرات ولايته لله ﷻ ، أن الله يجيب دعاءه ويعيذه مما يخاف ، من أعدائه ، وشياطين الإنس والجن ، يتولاه ويحفظه ، هذا نتيجة كونه ولياً لله ﷻ .

(٢) ثم قال ﷻ : « وما ترددت في شيء ترددي في قبض روح عبدي المؤمن » : هل الله ﷻ يتردد ؟ فسَّر هذا بقوله : « يكره الموت وأكره مساءته » ، فالتردد في حق الله معناه كراهية هذا الشيء ، أن الله يكره ما يكرهه وليه ، ووليه يكره الموت ، فالله يكره
=

وهذا أصح حديث يُروى في الأولياء[١] ، فبيَّن النبي ﷺ أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله بالمحاربة[٢] .

وفي حديث آخر : « وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِد »[٣] (شرح السنة للبغوي / ١٢٤٩ ، وضعفه الألباني) ، أي : آخذ ثأرهم ممن عاداهم ، كما يأخذ الليث الحرد ثأره[٤] ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يُبغض[٥] ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما

ما يكرهه وليه ، هذا معنى « ترددت » يعني أكره ما يكرهه .

ثم قال ﷺ : « ولابد له منه » ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] ، فالله ﷻ قضى وقدر أن كل نفس ذائقة الموت ، الأولياء وكل من له حياة وروح ، فإن الله قضى بالموت ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧] ، ولابد له منه ، ولكن الله يكره له ذلك ، ومع هذا يجريه عليه قضاءً وقدراً .

(١) هذا فيه رد على الذين يطعنون في هذا الحديث ، وهو في « صحيح البخاري » .

(٢) يعني عرَّض نفسه لغضب الله وعقوبته ، هذه هي المحاربة .

(٣) الله ﷻ يثأر ، يعني ينتصر لأوليائه ممن ظلمهم ، ومن عاداهم ، « كما يثأر الليث » : يعني السبع ، « الحَرِد » : حينما يهجم على فريسته ، وليس في هذا تشبيه للمخلوق بالخالق ، وإنما تشبيه للثأر بالثأر ، وتشبيه للفعل بالفعل .

(٤) الليث أو السبع إذا أوذي أو اعتدي عليه ، فإنه يهجم على من آذاه ، وينتصر لنفسه .

(٥) هؤلاء هم أولياء الله الذين أحبوا ما يحبه ، وأبغضوا ما يبغضه من الأقوال والأعمال والأشخاص ، لا يحبون بموجب الهوى ، أو يعادون بموجب الهوى ، وإنما يوالون ويعادون في ذات الله ﷻ .

يسخط[١] ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما ينهى[٢] ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يُمنع[٣] ، كما في الترمذي وغيره ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »[٤]

---

(١) يرضون بما يرضي الله ، ويسخطون عما يُسخط الله ﷻ ، هذا معنى الولاية الحقيقية .

(٢) أمروا بما يأمر الله ﷻ ، ونهوا عما ينهى ، ولا يحدثون شيئاً من عند أنفسهم ، فيأمرون بشيء لم يأمر الله به ، أو ينهون عن شيء لم ينه الله عنه ، كما يفعل المبتدعة الذين يأمرون بأشياء ما شرعها الله ﷻ ، أو ينهون عن أشياء قد شرعها الله لعباده ، هؤلاء مبتدعة ، قال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (صحيح البخاري/ ٢٥٥٠ - صحيح مسلم ١٧١٨) .

(٣) أعطوا من يحب الله أن يُعطى كالفقراء والمساكين والأيتام ، وذوي القربى ، ومن أمر الله بإعطائهم ، وأمسكوا عمن نهى الله عن إعطائهم من أعداء الله ورسوله ، الذين يستعينون بما يُعطون على عداوة الله ورسوله .

(٤) « أوثق عرى الإيمان »: يعني أقوى عرى الإيمان : « الحب في الله ، والبغض في الله » . وعرفنا - فيما سبق - أن محبة العبد لله من أعظم أنواع العبادة ، وكذلك محبة من يحبه الله من رسله وأنبيائه ، وعباده الصالحين ، فهو يحبهم لأن الله يحبهم ، لا لطمع دنيوي، ولا لغرض نفسي ، ولا لهوى ، إنما يحبهم لأن الله يحبهم ، كذلك البغض ، لا يبغض بحسب هواه أو رغبته ، وإنما يُبغض من يُبغضه الله ﷻ ، والله يُبغض الكفار والمنافقين ، ويُبغض أهل المعاصي والسيئات ، فهو يُبغضهم ويعاديهم ، فيوالي من والى الله ، ويعادي من عادى الله ﷻ : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] ،

=

(مسند أبي داود الطيالسي / ٧٨٣ ، وصححه الألباني) ، وفي حديث آخر رواه أبو داود ، قال ﷺ : « ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[١] (سنن أبي داود / ٤٦٨١ ، وصححه الألباني) .

والوَلَاية ضد العداوة[٢] ، وأصل الوَلَاية : المحبة والقرب[٣] . وأصل العداوة : البغض والبعد .

فهم يوالون هؤلاء ، ويعادون الكفار والمنافقين ، والمخالفين ؛ لأنهم أعداء الله ، فهم يعادونهم ؛ لأن الله عدو لهم ، قال ﷻ : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨] ، فلا يمكن أن تحب الكفار ، والله يبغضهم ، وقد عاداهم .

(١) من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، ومن نقص شيئاً من ذلك نقص إيمانه ، فإذا كان على هذا الميزان : يحب من يحبه الله ، ويبغض من يبغضه الله ، ويعطي من يحب الله أن يُعطى ، ويمنع من يحب الله أن يُمنع ، فهو يعطي ويبذل المال في طاعة الله ، لا يبذله لأعداء الله ﷻ ، ومن يبغضهم الله ، فهذا استكمل الإيمان ، وإذا نقص شيء من ذلك نقص إيمانه .

(٢) هذا تفسير الوَلَاية - بفتح الواو - : هي ضد العداوة ، والوليّ : من الولي وهو القرب ، فلان يلي فلاناً ، يعني يقرب منه ، والذي يليك في الصف ، يعني يقرب منك : « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى » (صحيح مسلم/ ٤٣٢) ، فالوَلَاية في اللغة : القرب من الشيء ، وليه : يعني قرب منه . وطاعة الله تسمى وَلَاية ؛ لأنها تقرِّب إلى الله .

(٣) هذا أصلها في اللغة : المحبة ، ووالاه : يعني أحبه وقرب منه ، والمؤمن قريب من الله ﷻ ، والكافر والمنافق بعيد عن الله ﷻ ، فليس ولياً لله .

وقد قيل : إن الوليّ سُمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي : متابعته لها[١] ، والأول أصح[٢] . والوليّ : القريب ، يُقال : هذا يلي هذا ، أي : يقرب منه ، ومنه قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر »[٣] (صحيح البخاري / ٦٣٥١ - صحيح مسلم / ١٦١٥) أي :

---

(١) وكذلك من معاني الوَلاية : موالاة الطاعة والمتابعة لها طيل حياته ، لا يتركها في وقت ويفعلها في وقت ، وإنما يواليها حسب استطاعته ، فالله ﷻ قال لنبيه : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ، تواصل العمل ، لكن من غير تشدد وغلو ، وإنما باعتدال واقتصاد ، كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك ، أما من يجتهد للطاعة في وقت ، ثم يتركها في وقت آخر ، فهذا لم يوال العبادة ، وهذا نقص في ولايته لله ﷻ .

(٢) الأول – أنها من القرب والطاعة – أصح من أنها من متابعة العمل والاستمرار عليه .

(٣) أولى : يعني أقرب رجل إلى الميت من عصبته ، وقوله : « ألحقوا الفرائض » : أي الفروض المقدرة في كتاب الله ، كالنصف ، والربع ، والثمن ، والثلثين ، والثلث ، والسدس ، هذه هي الفروض المقدرة في القرآن ، وهي ستة ، هذه يُبدأ بها عند تقسيم التركة ، فتعطى لأصحابها ، فإن بقي شيء بعد الفروض يُعطى لأقرب عاصب للميت ، « فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر » .

ما فائدة قوله : « ذكر » بعد قوله : « رجل » ؟ قالوا : لكي لا يفهم أنه لا يكون عصبة إلا إذا كان رجلاً كبيراً ؛ بل المهم الذكورية ، ولو كان صغيراً ، ولو كان حملاً في البطن . المهم أنه ذكر . وقيل غير ذلك كما يذكر المؤلف .

لأقرب رجل إلى الميت[١] ، وأكَّده ﷺ بلفظ « الذَّكَر » ليبيِّن أنه حكم يختص بالذكور[٢] ، ولا يشترك فيه الذكور والإناث[٣] ، كما قال ﷺ في الزكاة : « فابن لبون ذكر » (مسند أحمد / ٧٢ ، وإسناده صحيح) ، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويُبغضه ويُسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معادياً له[٤] ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى

---

(١) من العصبة ، والعصبة على الترتيب بعضهم أقرب من بعض

فَبِالجِهةِ التَّقدِيمُ ثُم بِقُربِه   وبعدهُما التَّقدِيمُ بالقُوَّةِ اجْعَلا

(السبيكة الذهبية على المنظومة الرحبية / فيصل آل مبارك ص ٣٣)

لأن العصبة جهات : بُنوَّة ، ثم أُبوَّة ، ثم أُخُوَّة ، ثم بنو إخْوَة ، ثم عمومة ، ثم ولاء . ست جهات ، يُبدأ بالأقرب فالأقرب .

(٢) هذا ما قاله ، يعني أنه لا يدخل فيه الإناث إلا في مسألة العصبة بالغير، أو مع الغير ، أو المعتقة (العصبة بالنفس) ، فإنها ترث عتيقها ، قال :

وَلَيْسَ في النِّساءِ طُرّاً عَصَبَة   إِلَّا التي مَنَّتْ بِعتقِ الرَّقَبَة

(متن الرحبية / للرحبي ص ٨)

يعني ليس في النساء عصبة بالنفس ، وإنما النساء تكون عصبة بالغير ، أو مع الغير ، أو تكون معتقة .

(٣) هذا فيه نظر ؛ لأن الإناث تشترك مع الذكور إذا كنَّ عصبة بالغير ، كالبنات مع البنين ، والأخوات مع الإخوة ، وكذلك المعتقة .

(٤) هذا وجه قوله سبحانه : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، أو فقد بارزني بالمحاربة » ، فإن الله ينتصر لأوليائه من أعدائه .

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[(١)] [الممتحنة : ١] ، **فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه[(٢)] ، ولهذا قال : « ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » .**

وأفضل أولياء الله : هم أنبياؤه[(٣)] ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم[(٤)] ،

---

(١) وهذا - كما سبق - أنها نزلت في قضية الحديبية ، وما حصل من بعض الصحابة من الخطأ الذي غفره الله تعالى لصاحبه ، فقوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ ﴾ : يعني الكفار ، ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ : يعني أحباباً تحبونهم وتناصرونهم ، فدل على أن المودة هي الموالاة ، أو هي أصل الموالاة ، ثم تتبعها المناصرة ، وقوله : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ تفسير لقوله : ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ .

(٢) من عادى أولياء الله فقد عادى الله . لماذا يعادي أولياء الله ؟ إلا لأن الله يحبهم ، ولأنهم أطاعوا الله ﷻ ، فهو يبغضهم من أجل ذلك ، فهو معاد لله ﷻ .

(٣) الأولياء درجات : أفضلهم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ولا أحد يساوي الأنبياء في منزلتهم عند الله ﷻ ، لأنهم صفوته من خلقه ، اصطفاهم الله ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] ، فهو اصطفاهم ﷻ واختارهم ، فهم أقرب الخلق إلى الله ، وأحبهم إليه ، وفي هذا رد على من يفضل الوليّ على النبيّ ، وهم الصوفية .

(٤) الأنبياء والمرسلون ما الفرق بينهم ؟

الأنبياء : جمع نبي ، والمرسلون : جمع رسول ، والفرق بينهما أن النبي : هو من بُعث بشرع من قبله من الأنبياء ، وقد يوحى إليه في قضية خاصة . وأما الرسول : فهو من =

وأفضل المرسلين أولو العزم(١) : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين . قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ (٢)

أوحي إليه بشرع ، فأنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بشريعة موسى عليه السلام ، وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، فهم أنبياء وليسوا رسلاً ، هذا هو الفرق بين النبي والرسول ، فالنبي لا ينزل عليه شرع ، والرسول ينزل عليه شرع ، فالرسول أعم من النبي ، لذلك قالوا : كل رسول فهو نبي ، وليس كل نبي رسولاً ، فبينهما عموم وخصوص .

فالله ﷻ قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج : ٥٢] ذكر هؤلاء وهؤلاء ، وعطف بالواو ، فدل على المغايرة .

(١) الرسل يتفاضلون ، قال تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، والرسل أفضل من الأنبياء ، وأفضل الرسل أولو العزم الخمسة ، الذين ذكرهم الله في سورة الشورى ، وفي سورة الأحزاب .

(٢) هؤلاء خمسة : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ هذا محمد ﷺ ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ هؤلاء هم أولو العزم من الرسل ، قال تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، والعزم هو القوة والصبر .

أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(١) [الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢) [الأحزاب : ٧-٨] .

فالله ﷻ وصى محمداً ﷺ بما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ، فدين الأنبياء واحد ، وهو التوحيد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ، فإن دينهم واحد ، ولهذا قال ﷺ : « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » (صحيح البخاري/ ٣٤٤٣) يعني دينهم واحد ، وشرائعهم مختلفة .

(١) ما هو الذي وصَّى به هؤلاء ؟ ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . وإقامة الدين : إخلاص العبادة لله على وفق ما شرعه ، فلابد من شرطين : الإخلاص ، وموافقة الشرع . والشرع يختلف في كل زمان بحسب وقت الأنبياء السابقين ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، فعبادة الله هي عبادته بما شرع في كل وقت بحسبه ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ : أمة واحدة . ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ، فلا يجوز التفرق في الدين ؛ لأن الدين واحد ، فلا يجوز التفرق فيه ، كلٌ له دين ، وكلٌ له نحلة ، وكلٌ له طريقة . الطريق واحد ، والدين واحد ، وهو دين الله ﷻ ، فلا نبتكر شيئاً من عندنا .

(٢) هذه الآية الثانية التي ذكر الله فيها أولو العزم من الرسل ، وهي في سورة الأحزاب .

وأفـضل أولي العـزم : محمـد ﷺ[(١)] ، خـاتم النبيـين[(٢)] وإمـام

(١) أفضل أولي العزم : محمد ﷺ ؛ لأنه إمام المرسلين، وميَّزه الله بمزايا ليست عند غيره، منها : أنه بعثه إلى الناس كافة ، وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة ، وشريعة كل رسول تنتهي وتُنسخ بشريعة بعدها ، إلا هذه الشريعة فإنها باقية إلى أن تقوم الساعة ، فهذه من خصائصه ﷺ ، ومما يدل على فضله على غيره من المرسلين ، ومن بعده إبراهيم ﷺ ، فأفضل أولي العزم : الخليلان : محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام . قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] ، وقال ﷺ : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » (صحيح مسلم / ٥٣٢) ، فهو أفضل الخليلين ، والخليلان أفضل أولي العزم ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، ولكن يلاحظ أنه لا يجوز التفضيل بين الأنبياء من باب المفاخرة ، أو تنقّص المفضول ، وإنما من باب التحدث بنعمة الله ﷻ ، ولهذا قال ﷺ : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » (صحيح البخاري / ٣٢٣٤ - صحيح مسلم / ٢٣٧٦) ، مع أنه أفضل الرسل ، ولكن إذا كان التفضيل من باب المفاخرة ، أو تنقّص المفضول فلا يجوز .

وقال ﷺ : « لا تفضلوا بين أنبياء الله » (صحيح البخاري / ٣٢٣٣ - صحيح مسلم / ٢٣٧٣) ، نهى عن المفاضلة بين الرسل من باب تنقص المفضول والمفاخرة .

(٢) خاتم النبيين : قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، معنى خاتم النبيين : أنه لا يأتي بعده نبي إلى أن تقوم الساعة ، فلابد من اعتقاد هذا : أنه خاتم النبيين ، وأنه لا يبعث نبي بعده ، فمن أجاز أن يُبعث بعده نبي فهو كافر ؛ لأنه مخالف للقرآن ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ، ومخالف للسنة الصحيحة ، قال ﷺ : « أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » (مسند أحمد / ٢٢٣٩٥ ، وإسناده صحيح) ، وأخبر =

المتقين[١] ، وسيد ولد آدم[٢] ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا[٣] ، وخطيبهم إذا وفدوا[٤] ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون[٥] ،

أنه يأتي من بعده كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، فمن أجاز أن يأتي بعده نبي فهو كافر . ولذلك كفَّر المسلمون القاديانية ، الذين زعموا أن أحمد القادياني نبي، وأجمع المسلمون على تكفيرهم ، ومنعوهم من الحج ، ومن المجيء إلى مكة ؛ لأنهم كفار .

(١) وإمام المتقين : كيف يكون إمام المتقين ؟ يأتي هذا بأنه أول من يُبعث ، وأول من يستفتح باب الجنة ، وأن الناس يكونون يوم القيامة تحت لوائه ﷺ .

(٢) قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (صحيح مسلم/ ٢٢٧٨) هذا من باب التحدث بنعمة الله ، لا من باب الفخر ، أو تنقص المفضول .

(٣) إذا اجتمعوا عند الله ﷻ ، ولذلك لما أسري به ﷺ إلى بيت المقدس ، جمع الله له الأنبياء ، وصلى بهم ﷺ ، فصار إمامهم .

(٤) إذا وفدوا على الله ﷻ ، فإنه يؤذن لهم بالكلام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨] .

(٥) المقام المحمود : هذا مما فضله الله به على غيره من الأنبياء ، والمقام المحمود : هو الشفاعة العظمى ، حينما يشتد القيام على الخلائق في المحشر ، فيطلبون من يشفع لهم عند الله ليفصل بينهم ، ويريحهم من الموقف ، فيتقدمون إلى آدم ، ثم إلى نوح ، ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى ، فكلهم يعتذر ، ثم ينتهون إلى محمد ﷺ فيقول : « أنا لها » ، فيخر ساجداً بين يدي الله ﷻ ، فلا يزال ساجداً يدعو ربه حتى يقال له : ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، واشفع تُشَفَّع ، فيشفع في الخلائق بأن يحاسبهم الله ، ويصرفهم من الموقف الطويل الذي شق عليهم خمسين ألف سنة ، وهم وقوف =

وصاحب لواء الحمد(١) ، وصاحب الحوض المورود(٢) ، وشفيع الخلائق يوم القيامة(٣) ، وصاحب الوسيلة والفضيلة(٤) ، الذي بعثه بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه(٥) ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس(٦) ،

على أقدامهم . (انظر: صحيح البخاري/ ٧٥١٠ - صحيح مسلم/ ١٩٣) ، وهذا هو المقام المحمود ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩] : يعني يحمده عليه الأولون والآخرون .

(١) اللواء : هو الراية التي يجتمع تحتها الجند .

(٢) الحوض المورود الذي جاء وصفه في الأحاديث بأنه حوض طوله مسافة شهر ، وعرضه مسافة شهر ، وأن ماءه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأن من شرب منه شربة فلا يظمأ بعدها أبداً ، هذا لمحمد ﷺ .

(٣) شفيع الخلائق : كما مر في المقام المحمود .

(٤) صاحب الوسيلة : وهو القصر الذي في الجنة « سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو » (صحيح مسلم/ ٣٨٤) .

(٥) من فضائله على غيره من الأنبياء ، أن شريعته هي أفضل الشرائع ، شاملة كاملة ، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣] ، وباقية لا تنسخ إلى أن تقوم الساعة ، وأيضاً الكتاب الذي أُنزل عليه وهو القرآن هو أفضل الكتب الإلهية على الإطلاق .

(٦) كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهم خير للناس في أنهم يدعون إلى الله ، ويُعلِّمون ، ويجاهدون في سبيل الله ، لينشروا هذا الدين ، ويُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فهم خيرهم ليس قاصراً عليهم ، وإنما يتعدى للناس كافة ، وهذا واضح في جهاد المسلمين ، ونشر هذا الدين في المشارق والمغارب ، حتى أنقذ الله به أمماً من الكفر ، ومن الضلال ، ومن النار ، ومن الجهل .

وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرَّقه فيمن قبلهم(١) ، وهم آخر الأمم خلقاً ، وأول الأمم بعثاً(٢) ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم(٣) ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني يوم

---

(١) جمع ما فرَّقه ؛ لأن الجمع ضد التفريق ، فهم اجتمعت فيهم الفضائل المتفرقة في الأمم السابقة .

(٢) آخر الأمم خلقاً : أمة محمد ﷺ هي آخر الأمم ، وبعدها تقوم الساعة ، وهم أول الأمم بعثاً ، إذا بُعث الناس من قبورهم ، فهم أول من يُبعث ، وأول الأمة محمد ﷺ، فهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ﷺ ، فهم وإن كانوا متأخرين في الخلق ، إلا أنهم سابقون في البعث .

(٣) « نحن الآخرون » يعني في الخلق ، « السابقون » في البعث يوم القيامة « بيد أنهم » : أي من أجل أنهم ، فكلمة « بيد » : بمعنى غير أنا ، أو بمعنى التعليل ، لأننا أوتينا الكتاب من بعدهم ، وأوتوا الكتاب من قبلنا ، فهي تعليلية .

وشيخ الإسلام يرجِّح أنها تعليلية ، كما ذكر هذا في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/ ٥٠٧) .

ما سبب أننا السابقون يوم القيامة ؟ لأننا أوتينا الكتاب من بعدهم ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ . جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾ [فاطر : ٣٢-٣٣] ، فالظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات كلهم يدخلون الجنة ، ولله الحمد والمنَّة ، فهو سبحانه أورث هذه الأمة الكتاب ، الذي هو القرآن المهيمن على الكتب التي قبله ، المصدِّق لها .

الجمعة[1] - فهدانا الله له ، الناس لنا تبع فيه ، غداً لليهود ، وبعد غدٍ

(١) مما يدل على فضل هذه الأمة : أن الله اختار لها يوم الجمعة ، بينما اليهود أخذوا يوم السبت ، والنصارى أخذوا يوم الأحد ، فالله ﷻ اختار لهذه الأمة يوم الجمعة ؛ لأنه اليوم الذي تجتمع فيه الفضائل : فيه خُلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، فهذا يوم الجمعة الذي اختاره الله لهذه الأمة .

وأما اليهود والنصارى فاختلفوا في اليوم الذي يجعلونه يوماً للعبادة ، فاليهود أخذوا يوم السبت ، والنصارى أخذوا يوم الأحد لماذا ؟ قالت اليهود : لأن يوم السبت هو اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض . وقالت النصارى : الأحد هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق السموات والأرض ، لأن الله ﷻ خلق السموات والأرض في ستة أيام ، أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة .

فاليهود زعموا أن الله استراح يوم السبت ؛ لأنه تعب في خلق السموات والأرض - تعالى الله عما يقولون - ولهذا قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] : أي لم يتعب ، والعي هو التعب ، فهذا رد على اليهود ، زعموا أن الله استراح من التعب في يوم السبت ، فهم يعطلون فيه ويتعبدون فيه ، وهذا زعم باطل .

والنصارى أخذوا يوم الأحد ؛ لأنه هو بداية الخلق ، لكن الجمعة كمال الخلق ، والكمال أفضل من البداية ؛ فاختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة ، ولهذا ما حسدونا على شيء مثل ما حسدونا على يوم الجمعة ، فهذا يدل على فضل هذه الأمة ، أن الله اختار لها أفضل الأيام يوم الجمعة .

للنصارى »[١] (صحيح البخاري / ٣٢٩٨ - صحيح مسلم / ٨٥٥) .

وقال ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »[٢] (صحيح البخاري / ٢٢٨١ - صحيح مسلم / ٢٣٧٤) ، وقال ﷺ : « آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »[٣] (صحيح مسلم / ١٩٧) .

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة[٤] ، ومن حين بعثه الله جعله الله

---

(١) صار يوم الجمعة هو اليوم الأول ، وهم صاروا تبعاً بعده ، يوم السبت ويوم الأحد ، بعد يوم الجمعة ، فصار السبق لهذه الأمة ، ولله الحمد .

(٢) يعني عند البعث ، فإذا نُفخ في الصور ، ثم انشقت الأرض عمن فيها ، فأول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ ، فهذا يدل على فضله ﷺ ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق: ٤٤] .

(٣) وهذا من فضائل هذا الرسول ، وفضائل أمته ، أنه أول من يستفتح باب الجنة ، وأن الله أمر خازن الجنة أن لا يفتح لأحد قبله ، قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] .

فأول من يستفتح هو نبينا محمد ﷺ ، وهو أول من يدخل الجنة من الرسل ، وأول من يدخلها من الأمم أمة محمد ﷺ ، وإن كانوا الأخيرين في الخلق ، إلا أنهم السابقون يوم القيامة .

(٤) وفضائله ، أي النبي ﷺ التي فاز بها على غيره من الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، ومن سائر الخلق كثيرة ، وفضائل أمته على سائر الأمم كثيرة ، مذكورة في القرآن والسنة .

الفارق بين أوليائه وبين أعدائه(١) ، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً(٢)، ومن ادعى محبة الله ووَلَايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله؛ بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان(٣)،

---

(١) منذ بعثه الله وأرسله إلى الناس جعله فارقاً بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فرّق الله به بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الرشد والغي ، بما أنزل الله عليه من الكتاب والسنة ، وبما أعطاه الله من القدرة على البيان والإيضاح ، ومما أعطاه الله من النصح والأمانة ، فهو ﷺ فرّق الله به بين الحق والباطل .

(٢) لا يكون ولياً لله إلا من آمن به – أي : بالرسول ﷺ – باطناً وظاهراً ، فلا يكفي أنه يؤمن به في الظاهر ، كالمنافقين الذين قالوا : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] ؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك من آمن به في الباطن ولم يُقرّ له بالرسالة، وذلك كالمشركين، واليهود والنصارى ، الذين يعرفون أنه رسول الله ، ولكن منعهم الكبر والحسد والحمية الجاهلية عن الإقرار برسالته ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] ، وقال في اليهود والنصارى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] ، فلا يكون مؤمناً بهذا الرسول ﷺ إلا من آمن به ظاهراً وباطناً .

(٣) من ادعى محبة الله ووَلَاية الله ، وأنه ولي لله ، وهو لا يتبع هذا الرسول ﷺ فإنه كاذب ، قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .
=

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال الحسن البصري رحمه الله : « ادعى قوم أنهم يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم »[١] (تفسير ابن جرير ٦ / ٣٢٢) ، وقد بيّن الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله ، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣١-٣٢] . فالله ﷻ جعل علامة الصدق على محبة الله اتباع هذا الرسول ﷺ ، أما الذي لا يتبعه فإنه لا يحب الله وإن ادعى ذلك . اليهود قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨] ، ادعوا هذه الدعوى ، لكنهم لم يؤمنوا بهذا الرسول ﷺ فهم أعداء الله ، فمن لم يؤمن بهذا الرسول فهو عدو لله ، لا يحب الله ﷻ .

(١) من اليهود والنصارى وغيرهم ، من الصوفية والقبورية وغيرهم يدَّعون محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، لكنهم لا يطيعون الله ورسوله ، فدعواهم كاذبة ، قال الشافعي :

تَعصِي الإِلَـهَ وَأَنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَـذا مُحَالٌ في القِيَـاسِ بَـدِيـعُ

لَوْ كَانَ حُبُّـكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِـبَّ لِـمَنْ يُحِـبُّ مُـطِيـعُ

(ديوان الشافعي ص ٥٨)

فمن اتبع الرسول ﷺ فإن الله يحبه ، ومن لم يتبع هذا الرسول ، فإن الله يبغضه وهو عدو لله ﷻ ، وإن كان يدَّعي أنه وليٌّ لله ، هذه علامة محبة الله ، وهي اتباع الرسول ﷺ . وأما ثمراتها : ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فذكر علامتها وهي الاتباع ، وذكر ثمراتها وهي أن الله يحبه ويغفر له ذنوبه .

أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله[١] ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأحباؤه[٢] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾[٣] [المائدة : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ[٤] تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١١-١١٢]

---

(١) كثير يدَّعون أنهم أولياء الله دعوى، ويدَّعون ذلك لأنفسهم، أو لغيرهم ممن يقولون: هؤلاء أولياء الله ، لكن عند التطبيق لأعمالهم تجد أنهم لا يتبعون الرسول ﷺ ، ولا يطيعونه ، وإنما يتبعون غيره ، ويطيعون غيره من قادتهم وأئمتهم ودعاتهم ، فهؤلاء كذبة في دعواهم محبة الله ﷻ ، وكذبة في دعواهم أنهم أولياء الله . خذ هذه الآية دائماً معك : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ هذه هي المقياس : ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾ .

(٢) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة : ١٨] أبناء الله : أي أننا مفتقرين إليه ، وليس معناه البنوة النَّسَبِية ، وإنما عندهم أن الله هو الأب ، وأنهم أبناؤه ، يعني أنهم الفقراء إليه ، وعباده المخلصون ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ : لو كنتم أحبابه ما عذبكم بذنوبكم ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أنتم كغيركم ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ .

(٣) هذا هو الرد عليهم .

(٤) ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، فزعموا أنه لا يهتدي إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ، فمعنى هذا : أن هذه الأمة ليست مهتدية ، وأنها كافرة ؛ لأنها =

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل الله ؛ لسكناهم مكة ، ومجاورتهم البيت[١] ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ

ليست يهودية ولا نصرانية ، ثم قالوا أيضاً : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١] احتجزوا الجنة لأنفسهم ، فلا يدخلها إلا من كان منهم ، فقال الله ﷻ رداً عليهم ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ ، الدليل الذي يدل على هذه المقالة ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ في دعواكم أنه لا يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى ، لأن من ادعى شيئاً فلابد أن يقيم الدليل عليه ، وأما مجرد الدعوى ، فلا تقبل إلا بدليل ، ولهذا قال : ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ فيُطلب الدليل من النافي كما أنه يُطلب من المُثبت ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ هذا نفي ، كما أن من أثبت شيئاً فلابد أن يقيم الدليل عليه ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ . بَلَىٰ ﴾ : يعني : بلى يدخل الجنة غير اليهود والنصارى ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ : يعني أخلص عبادته لله من الشرك ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ : أي متبع للرسول ﷺ ، فهذه شروط قبول العمل : الإخلاص لله ﷻ ، والاتباع للرسول ﷺ .

(١) كان أهل مكة يفتخرون على غيرهم بأنهم سكان مكة ، سكان الحرم ، وأنهم سدنة البيت ، وأنهم يخدمون البيت ويبنونه ، فاستكبروا به على الناس ، وظنوا أن هذا يكفيهم عند الله ﷻ ، فقال الله عنهم : ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، فأولياء البيت هم المتقون ، ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم
=

﴿ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾(١) [المؤمنون: ٦٦-٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٢) [الأنفال: ٣٠-٣٤]، فبيَّن سبحانه أن

= بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ . أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ١٧-٢٠]، هذه الفوارق بينهم، فمجرد أنهم يخدمون البيت أو يبنونه أو يخدمون الحجاج، ويسقونهم، هذا كله لا يكون لهم به ميزة على الناس.

(١) يعني يقولون: لو ما اتبعنا محمداً يكفينا أننا عمّار البيت، والقائمون على شئونه ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: بالبيت ﴿سَٰمِرًا﴾: يسمرون بالليل في نواديهم، ويتمدحون بذلك على الناس ﴿تَهْجُرُونَ﴾: أي تقولون القول الهُجر، والقول القبيح، فسمركم بالليل كله بالكلام الهُجر، والكلام الفاحش البذيء. هذا ردٌّ عليهم.

(٢) ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ اجتمعوا في دار الندوة التي يجتمع فيها كبراؤهم وأصحاب الرأي منهم، ماذا يفعلون بمحمد الذي سب =

آلهتهم وسفَّه أحلامهم ؟ وأيضاً لما هاجر أصحابه إلى المدينة خافوا أن يلحق بهم فتتكون له قوة ، فيغزوهم ويسيطر عليهم ، فأرادوا منعه من الهجرة واللحاق بأصحابه ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون ، ماذا يفعلون به ؟ قال بعضهم : يحبس ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ والإثبات معناه الحبس ، يُحبس حتى يموت كما مات غيره من الشعراء ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] ، يعني : ننتظر حتى يموت ، يُحبس ويترك في الحبس إلى الموت ؛ حتى لا يهاجر ويذهب لأصحابه ، ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ فيستريحوا منك ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ : أي يطردونك من مكة ، حتى لا تفسد عليهم أمرهم ، فجاءهم الشيطان في صورة إنسان ، وقال لهم : اجمعوا جماعة من الفتيان من كل قبيلة فتى قوياً ، وأعطوهم الرماح ، فإذا خرج محمد ، فإنهم يطعنونه طعنة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا تقدر قريش على أخذ القبائل كلها ، فقالوا : هذا هو الرأي . فجاءوا بالفتيان ومعهم السلاح ، ويترصدون لخروج النبي ﷺ ، فأخرجه الله من بينهم وهم لا يشعرون ، وترك علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فراشه ينظرون إليه ، يظنون أنه الرسول ، وأخرجه الله من بينهم ، وذرَّ الترابَ على رؤوسهم ، (انظر : سيرة ابن هشام ١ / ٤٨٠ - ٤٨٣) ، ثم خرج إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وخرج الاثنان إلى غار ثور ، واختبئا فيه حتى انقطع عنهم الطلب ، ثم ذهبا إلى المدينة بسلامة وأمان من الله ﷻ حتى وصلوها ولحق بأصحابه ، فقال ﷻ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ مكر الله ﷻ لرسوله فأخرجه من بينهم وهم لا يشعرون بطريقة عجيبة .

ثم قال : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ . وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ يتحدُّون الله ﷻ

=

المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياؤه المتقون[(١)] .

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر : « إن آل فلان ليسوا لي بأولياء

﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣١-٣٢] ، انظر كيف يبلغ الإنسان من الكفر والطغيان ، يتحدون الله ﷻ . قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ ما دام الرسول بين أظهرهم فلن يعذبهم الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ، فذكر مانعين من العذاب :

المانع الأول : وجود الرسول ﷺ بين أظهرهم ، كل نبي من الأنبياء إنما يهلك قومه ، إذا أخرجه الله من بينهم .

المانع الثاني : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ؛ لأن الاستغفار يدفع العذاب . ثم قال ﷻ : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾: يمنعون الحجاج والمعتمرين ، ويسيطرون على الناس ، صدوا النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ ، هذا محل الشاهد ، ما كانوا أولياء المسجد الحرام ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(١) هذا فاصل في القضية ، أن مجرد دعوى الوَلاية لا يكفي حتى يقوم الدليل عليها وهو التقوى ، فمن ادعى الوَلاية يُنظر في عمله ، فإن كان عمله صالحاً وكان يتقي ربه ﷻ فهو وليّ ، وأما إن كان بخلاف ذلك فهو وليٌّ للشيطان ، وليس ولياً للرحمن ، هذا فيه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ : هذا حصر للولاية في المتقين ، ومعناه أن غير المتقين ليسوا أولياء الله ، وإنما هم أولياء الشيطان .

- يعني : طائفة من أقاربه - إنما وليي الله وصالح المؤمنين »[١] (صحيح البخاري / ٥٦٤٤ - صحيح مسلم / ٢١٥) .

وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٢] [التحريم : ٤] . ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : هو من كان صالحاً من المؤمنين[٣] ، وهم المؤمنون المتقون ، أولياء الله ، ودخل

---

(١) أقارب الرسول ﷺ إذا كانوا على الكفر ، فليسوا أولياء للرسول ﷺ ، إن أولياؤه إلا الله وصالح المؤمنين ، فدل على أن مجرد القرابة من الرسول ﷺ لا تنفع ، وإنما الذي ينفع هو العمل الصالح ، ولو لم يكن من أقارب الرسول ﷺ . فأبو لهب عم الرسول ﷺ وهو في النار ، وكذلك أبو طالب ، وكل من لم يؤمن بالرسول ﷺ فهو في النار . وهم أعمامه . وبلال وسلمان وصهيب وغيرهم ، هؤلاء أرقاء مماليك ، وصاروا سادات الأولياء بإيمانهم بالله ﷻ ، واتباعهم للرسول ﷺ .

(٢) هذا في قصة ما جرى من زوجات النبي ﷺ مع الرسول ﷺ من أنه حصل - خصوصاً من عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - منهن شيء من التأثير والمضايقة على الرسول ﷺ يطالبن بأشياء لا يقدر عليها الرسول ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] ، يعني عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ : أي تتعاونا على الرسول ﷺ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، فهؤلاء هم أولياء الرسول ﷺ وأحبابه وأنصاره : الله وملائكته وصالح المؤمنين ، ومن كان هؤلاء أولياؤه فلن يُغلب .

(٣) هذا فيه محل الشاهد : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فأولياء الرسول ﷺ هم صالح المؤمنين ، وليسوا الأقارب في النسب مع عدم الإيمان .

في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)] ، وسائر أهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين بايعوا تحت الشجرة[(٢)] ، وكانوا ألفاً وأربعمئة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة »[(٣)] (صحيح مسلم / ٢٤٩٦) ، ومثل هذا الحديث الآخر : « إنَّ أوليائي المتقون أياً كانوا وحيث كانوا »[(٤)] (مسند أحمد / ٢٢٠٥٢ ، وإسناده صحيح) كما أن من الكفار من يدَّعي أنه ولي الله ، وليس ولياً لله ؛ بل

---

(١) دخولاً أولياً ، هؤلاء هم سادة أولياء الله ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، الخلفاء الأربعة ، وبقية العشرة ، والصحابة رضوان الله عليهم ، كلهم أولياء الله ، ولكن بعضهم أفضل من بعض .

(٢) يوم الحديبية ، لما حصل من المشركين الصدّ لرسول الله ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن الوصول إلى البيت ، فأرادوا التفاوض ، ثم أرسل الرسول ﷺ عثمان إلى أهل مكة ، فأُشيع أن عثمان قد قُتل في مكة ، والنبي ﷺ طلب أصحابه للبيعة على القتال ، فبايعوه تحت الشجرة على القتال ، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨]، فنالوا هذه الكرامة ، وهي رضا الله عنهم ، وكانوا ألفاً وأربعمئة .

(٣) لقد رضي الله عنهم ، وأخبر النبي ﷺ أنهم لا يدخلون النار ، فهؤلاء هم أولياء الله على الحقيقة .

(٤) يقول ﷺ : « إنَّ أوليائي المتقون » ، وليسوا غير المتقين ، وكل تقي فهو وليٌّ لله ورسوله أينما كانوا من الأرض ، ولو لم يكونوا في مكة ، « ومن كانوا » : ولو كانوا من الموالي ، أو من المماليك ، أو من العرب ، أو من العجم . المتقون من كانوا هم أولياء الرسول ﷺ .

عدو له[١] ، فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ، يُقِرُّون في الظاهر بشهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنه مرسل إلى جميع الإنس ؛ بل إلى الثقلين الإنس والجن[٢] ، ويعتقدون في الباطن

---

(١) من الكفار من يزعم أنه وليٌّ لله ، مثل ما سبق من دعاوى المشركين من أهل مكة ، أنهم أهل البيت ، وأنهم أهل الحرم ، ويستكبرون بذلك على الناس ، يظنون أن هذا يكفي عن اتباع الرسول ﷺ ، ويدَّعون أنهم أولياء الله ، لأنهم أولياء بيته ، فالله ﷻ رد عليهم بقوله : ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، فهذا موجود في المشركين ، وكذلك وُجد هذا في المنافقين ، واليهود والنصارى وغيرهم من ادعاء للولاية ، وليس لها دليل .

(٢) وممن يدَّعي الوَلاية ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى : المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، فهم يعترفون بالرسالة ظاهراً ، ويكفرون بها باطناً ، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ . ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ [المنافقون : ١-٢] أي : الشهادة ؛ لأن الشهادة يمين ، فقولهم : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هذا يمين ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ أي : سترة يستترون بها عن القتل أن يفعل بهم ما فُعل بالكفار ، فهم أظهروا الإسلام سترة لهم ﴿ فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فهم يزعمون الإيمان ، ومعلوم أن المؤمن وليٌّ لله فهم يدَّعون الولاية لله ﷻ وهم كذبة ؛ لأنهم في قلوبهم جاحدون منكرون .

الطائفة الثانية : غلاة الصوفية ، الذين يزعمون أنهم وصلوا إلى الله ، وليسوا بحاجة
=

ما يناقض ذلك ، مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله ، وإنما كان مَلِكاً مطاعاً ، ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك[١] .

أو يقولون : أنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى[٢] ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن لله

إلى الرسول ﷺ ، والرسول لم يبعث إليهم ، وإنما بُعث للعوام .

الطائفة الثالثة : اليهود والنصارى ، الذين آمنوا بالرسول ﷺ ، ولكن قالوا : رسالته للعرب خاصة ، ولا يدخل فيها اليهود والنصارى ، وهذا يأتي - إن شاء الله تعالى - .

(١) خضعوا للرسول ﷺ ، فتظاهروا بالشهادة له بالرسالة ، لأن له سلطة ، يخافون من سطوته ، فهم فعلوا هذا لأجل أن يعيشوا بأمان ، لا أنهم فعلوه إيماناً من قلوبهم .

(٢) من اليهود والنصارى من يشهد أنه رسول الله ، لكن يقولون : رسالته إلى الأميين ، أي : إلى العرب فقط ، ولا تشمل أهل الكتاب ، وهذه شهادة باطلة ، لأنه لا تكون الشهادة للرسول بالرسالة إلا إذا كان الاعتراف برسالته إلى الناس عامة ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] ، فمن قصر رسالته على الأميين - يعني العرب - وأن أهل الكتاب لا يدخلون تحت دعوته ، ولا يعترفون برسالته ، فهو كافر بالله ﷻ ، وفي هذا رد على الذين يقولون الآن : الأديان الصحيحة ثلاثة ، يجب أنها تتحاور وتتقارب ، وكل يصل إلى الله : اليهود على دين ، والنصارى على دين ، والمسلمون على دين ، هذا - والعياذ بالله - من أقبح الضلال ، وأبطل الباطل ، لأنهم جعلوا الكفر إيماناً ، وأنه يوصل إلى الله ، وأنه يساوي الإسلام ، وأن اليهودية والنصرانية تساوي الإسلام ، فهذا تكذيب لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا

=

أولياء خاصة لم يرسل إليهم[1] ، ولا يحتاجون إليه[2] ، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[3] ، أو أنهم

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ، وتكذيب لقوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

(١) هذا قول غلاة الصوفية ، يعترفون أنه رسول الله إلى الناس ، ولكن خواص الخلق لا يدخلون تحت رسالته ، خواص الأولياء من الصوفية هؤلاء وصلوا إلى الله ، وليسوا بحاجة إلى الرسل ، لأنهم عرفوا ووصلوا - يسمونه العارف - وليسوا بحاجة إلى رسول ، الرسول للعوام فقط .

(٢) ولا يحتاجون إليه : لأنهم عرفوا الله ، ووصلوا إلى الله ، فليسوا بحاجة إلى الرسول لكي يعرِّفهم بالله .

(٣) هناك فرق بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ . فموسى عليه السلام بُعث إلى بني إسرائيل ، إلى قومه خاصة ، وأما هذا الرسول ﷺ فقد بُعث إلى الناس عامة . والخضر عبد من عباد الله ، آتاه الله علماً من لدنه ، ولم يدخل تحت دعوة موسى عليه السلام ، وهذا جائز في الأمم السابقة ، أما هذا الرسول ﷺ فلا يجوز لمن وُجد بعد بعثته إلا أن يتبعه ﷺ ، حتى موسى عليه السلام لو وُجد وجب عليه أن يتبعه ، وعيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يتبع هذا الرسول ﷺ ، فهناك فرق بين رسالة موسى عليه السلام ، ورسالة نبينا محمد ﷺ . ومن الخصائص التي أوتيها رسولنا ﷺ : أن الرسل قبله يرسلون إلى أممهم خاصة ، وأما هو ﷺ فبعث إلى الناس عامة ، هذه لم تحصل إلا له ﷺ ، فلا يسع أحداً من الخلق بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يتبعه ، فالصوفية من أمة محمد : أمة الدعوة لا أمة =

يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه(١) ، وينتفعون به من غير واسطة(٢) .

أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة ، وهم موافقون له فيها ، وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها(٣) ، أو لم يكن يعرفها(٤) ، أو هم أعرف بها منه(٥) ،

الإجابة - يعني الغلاة منهم ، وليس كلهم - بعضهم عنده شطحات ، ولكنه لا يخرج من الإسلام ، وإنما غلاة الصوفية الذين بلغوا هذه الوقاحة وقالوا : لسنا بحاجة إلى الرسل ، لأننا واصلون إلى الله ، وعارفون بدونهم ، وإنما هم للعوام فقط .

(١) غلاة الصوفية يقولون : نحن نأخذ من الله بلا واسطة ، وأما سائر الأمم فيأخذون من الله بواسطة الرسل ؛ فنحن لا نحتاج إلى واسطة ؛ لأننا وصلنا إلى الله ، بل منهم من يزعم أنه يجلس مع الله يتفاهم معه ، ويأخذ منه ويعطيه . فانظر إلى الضلال أين يبلغ بالإنسان !!

(٢) يقولون : أنتم تأخذون دينكم عن الأموات ، عن الرواة الذين رووا لكم القرآن والسنة ، وأما نحن فنأخذ ديننا عن الله مباشرة عن الحي الذي لا يموت .

(٣) عندهم فرق بين الشريعة والحقيقة : الحقيقة لا يعرفها إلا هم ، وأما الشريعة هذه فقد جاءت لإصلاح الناس ، وهي أمور ظاهرة لإصلاح الناس فقط ، لكن الحقائق لا يعرفها إلا الصوفية ، فالرسل لا يعرفون الحقائق .

(٤) هذه أشد ، هذه طريقة أهل التخييل ، الذين يقولون : إن الرسل ما عرفوا الحقائق ، وإنما حدَّثوا الناس بأشياء غير حقيقية من أجل صالح الناس ، كذبوا لأجل المصلحة - كما ذكر شيخ الإسلام في رسالة « التدمرية » - طريقة أهل التخييل وأهل التضليل. (انظر : الرسالة التدمرية ص ٣٣ - الفتوى الحموية الكبرى / لابن تيمية ص ٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٥) أو الصوفية أعرف بالحقائق من الرسل .

أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته[١] .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ﷺ[٢] ، ولم يُرسَل إليهم[٣] ، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصُّفَّة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المعراج ، فصار أهل الصفة بمنزلته[٤] ، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة[٥] ، كما قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

---

(١) يعرفون الحقائق من غير طريقة الرسول ، فهم سواء مع الرسول في معرفة الحقائق ، لكنهم عرفوها لا عن طريق الرسول ، وإنما أخذوها من الله مباشرة . إنسان يبلغ به الضلال إلى هذا الحد ، ماذا تكون حاله - والعياذ بالله - ؟!

(٢) بعض غلاة الصوفية يقولون : إن أهل الصفة منا ، وسيبين الشيخ من هم أهل الصفة ، حتى إن بعضهم يقول : إن الصوفية مأخوذة من الصُفَّة ، وهم يقولون : إن أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ﷺ ، لأنهم عرفوا الله ، وليسوا بحاجة إلى الرسول ﷺ ويروون أنهم لما جاء إليهم الرسول أول مرة قالوا : اذهب إلى من أرسلت إليهم .

(٣) لأنهم غير محتاجين عارفون وواصلون إلى الله .

(٤) أي بمنزلة الرسول ﷺ ؛ لأن الله يوحي إليهم ، كما يوحي إلى الرسول ﷺ .

(٥) الصّفَّة بالمدينة بعد الهجرة ، وهم يقولون : إن هذا كان في مكة ليلة الإسراء ، وليلة الإسراء في مكة ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ لم يقل : من المدينة ، قبل الهجرة .

ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] ، وأن الصُّفَّة لم تكن إلا بالمدينة(١) ، وكانت صُفَّة في شمال مسجده ﷺ(٢) ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم ، وإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ، ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد إلى أن يتيسر له مكان ينتقل إليه .

ولم يكن أهل الصُّفَّة ناساً بأعيانهم يلازمون الصُّفَّة(٣) ؛ بل كانوا يقلُّون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ، ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بها من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين(٤) ، بل فيهم من ارتد عن الإسلام ، وقتله النبي ﷺ كالعُرَنيين ،

---

(١) والصُّفَّة حقيقتها أنها دار في المسجد جعلها النبي ﷺ لفقراء المهاجرين ، الذين ليس لهم مأوى في المدينة ، يجتمعون فيها ، ويبيتون فيها ويتعبدون ، ويطلبون العلم ، ويطعمون من الصدقات ، وكان النبي ﷺ يعطيهم مما يصل إليه ، هؤلاء هم أهل الصُّفَّة : فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى ، أو الذين جاءوا من القبائل لأجل طلب العلم .

(٢) صُفَّة يعني : حجرة .

(٣) بل كانوا أناس يأتون ، وأناس يذهبون ، ولم يكن خاصاً بأناس معينين ، وإنما مسكن للوافد والقادم إلى المدينة .

(٤) الذين ينزلون في الصُّفَّة هم فقراء المهاجرين ، ليس لهم مزية على غيرهم من غير أهل الصُّفَّة من الصحابة ، كلهم سواء في العلم والإيمان .

الذين اجتووا المدينة ، أي استوخموها ، فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح ، أي : إبل لها لبن ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها[(١)] ، فلما صَحُّوا قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأُتي بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسُمِّرت أعينهم ، وتركهم في الحرَّة يستسقون فلا يُسقون ، وحديثهم في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] (صحيح البخاري / ٣٩٥٦ ، صحيح مسلم / ١٦٧١) ، وفيه أنهم نزلوا الصُّفَّة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصُّفَّة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة وغيره[(٣)] ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي[(٤)] « تاريخ من نزل بالصُّفَّة » ، وأما الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فلم يكونوا من أهل الصُّفَّة[(٥)] .

---

(١) لأن أبوال الإبل وألبانها فيها علاج للحمى بإذن الله .

(٢) لما فعلوا بالراعي هذا الفعل ، قطعوا أطرافه وسمَّروا أعينه ، ثم قتلوه أجرى عليهم النبي ﷺ القصاص ، ففعل بهم مثل ما فعلوا بالراعي .

(٣) ينزل بها من أفضل الصحابة ، كسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وغيره من فضلاء الصحابة إلى أن يستغني عنها ، ثم ينتقل منها .

(٤) عبد الرحمن السلمي من العُبَّاد ، ومن المتصوفة ، فجمع تاريخ من نزل الصفة بتراجمهم وأسمائهم ، وكوَّنه في كتاب .

(٥) الأنصار هم أهل الدار من قبل ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] ، لهم بيوت ، ومزارع ، فليسوا بحاجة إلى الصفة ، فالصفة إنما هي للحاجة فقط ، لا من =

وكذلك أكابر المهاجرين ، كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم لم يكونوا من أهل الصُّفَّة[(١)] .

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ قال : « هذا واحد من السبعة » ، وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم[(٢)] ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية »[(٣)] (٢ / ٢٤ بمعناه) ، وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ،

أجل الميزة في الوَلاية كما يزعم هؤلاء ، فقد يكون الذي لم ينزل الصفة أفضل من الذي نزل بها .

(١) فليس من نزل الصُّفَّة يكون له مزية ، وإنما نزلها على قدر الحاجة فقط ، لا لأن له مزية على غيره من الصحابة ، قد يكون من الصحابة ممن لم ينزلها أفضل مثل : سادات المهاجرين ، كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد ، وكذلك الأنصار كلهم ما نزل أحد منهم في الصفة ، وهم من أفضل الصحابة بعد المهاجرين .

(٢) السبعة الأقطاب عند الصوفية ، فهذا واحد من السبعة يعني الأقطاب ؛ لأن الصوفية عندهم أقطاب وأوتاد ، وهذا الحديث كذب ، ما قال الرسول ﷺ : هذا - أي غلام المغيرة - واحد من السبعة ، وليس هناك سبعة

(٣) أبو نعيم رحمه الله ، عنده كتاب اسمه « حلية الأولياء » فيه تراجم الأولياء ، وقد يكون فيه شيء من المآخذ ، مثل هذه الرواية الباطلة .

والأوتاد ، والأقطاب[١] ، مثل : أربعة أو سبعة ، أو اثني عشر ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمئة وثلاثة عشر ، أو القطب الواحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال ، وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ، وأنهم بالشام ، وهو في « المسند » (٨٩٦) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو حديث منقطع ليس بثابت[٢] ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه بالشام[٣] ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر عليّ .

---

(١) هذه من اصطلاحات الصوفية ، إلا الأبدال فقد جاء فيهم حديث قوي ، ولكن الأبدال معناه : كل ما ذهب واحد أتى بعده واحد ، أو كل ما مات واحد منهم ، يأتي بدله واحد ، والله أعلم بصحة هذا ، ولكنه أحسن ما روي في هذا الباب ، لكن قالوا: إن الأبدال بالشام ، وهذا سيناقشه الشيخ .

فكل حديث يروى عن النبي ﷺ في الأقطاب والأبدال والأوتاد فإنه مكذوب ، ما عدا الأبدال ففيه نظر ، فيه قوة .

(٢) منقطع الإسناد ، فيه سقط .

(٣) لأنه قال : « الأبدال بالشام » فمعنى هذا : أن أهل الشام أفضل من عليّ وأصحابه ، مع أن علياً أفضل ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، ومن السابقين الأولين من المهاجرين ، ومن أقارب النبي ﷺ ، فهو ومن معه من الصحابة أفضل من الذين بالشام ، فهذا يدل على أن هذا الحديث فيه نظر ، وهو كونهم بالشام .

وقد أخرجا في « الصحيحين » عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين ، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق »[1] (صحيح البخاري / ٣١٦٦ - صحيح مسلم / ١٠٦٤) ، وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة عليّ ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما[2] ؟!

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد ، فقال :

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوَى كَبِدِي فَلَا طَبِيبَ لَهَا ولا رَاقِي

(١) أخبر النبي ﷺ عن ظهور الخوارج ، وزمن خروجهم ، أنهم لما رجعوا من صفين كانوا يقاتلون مع علي ، ولما انتهت المعركة ، وقَبِل عليّ التحكيم ، قالوا له : أنت حكمت الرجال ، والله ﷻ يقول : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] ، وكفّروه ، وكفّروا من معه ، وخرجوا عليه وكانوا اثني عشر ألفاً ، نزلوا بحروراء من أرض العراق ، ولذلك يقال لهم : الحرورية ، وقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النهراوان، ونصره الله عليهم ، وقد قال النبي ﷺ : « يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فهذه شهادة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه أقرب إلى الحق من أهل الشام ، لأنه هو الذي قتل الخوارج .

(٢) كيف يكون الأبدال في الشام مع معاوية ، ولا يكونون مع علي ، مع أن جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل من جيش معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟!

إِلَّا الحَبِيبُ الَّذِي شُغِفْتُ به فَعِنْـدَهُ رُقْيَتِي وَتِـرْيَاقِي

(الأربعون في شيوخ الصوفية للماليني ص ٢١٠) .

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه[١] ، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث[٢] ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مَزَّق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلَّقها بالعرش[٣] .

فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من

---

(١) هذه القصة العجيبة ، يرويها بعض الصوفية عن النبي ﷺ أنه تَواجَد تَواجُد الصوفية لما سمع هذه الأبيات .

والتواجد من الوجد ، وهو من اصطلاحات الصوفية ، بحيث إنه يطرب عند سماع المقطّعات والأناشيد ، ثم يزيد عليه الطرب والإعجاب حتى يغيب عن الدنيا ويسقط على الأرض ، فيزعمون أن النبي ﷺ سمع هذه الأبيات ، وهي أبيات عشق وغرام وغزل ، كيف الرسول ﷺ يستمع لها ؟! وأشد من هذا كيف يتواجد عندها تواجد الصوفية ؟!

يكذبون على الرسول ﷺ ، ولا يحترمونه ، وينسبون إليه السفاهة ﷺ .

(٢) هذه القصة كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، ولا تليق بالرسول ﷺ أنه يتواجد ويسمع أبيات العشق والغرام والغزل ، نزَّهه الله عن ذلك .

(٣) لما تواجد الرسول ﷺ مزَّق ثوبه ، فأخذ جبريل قطعة منه وعلَّقها على العرش !! فانظر إلى الكذب والوقاحة كيف تبلغ بهم، ويزعمون أنهم أولياء الله .

أظهر الأحاديث كذباً عليه ﷺ[١] .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال : « كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجي »[٢] ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث[٣] .

والمقصود هنا ، أن فيمن يقرُّ برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك[٤] ، فيكون منافقاً ، وهو يدَّعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ[٥] ، إما

---

(١) عند الصوفية من الوقاحات والكذب والمضحكات أشد من هذا، وهذه سنة الله ﷻ ، أن من ترك الحق ابتلي بالباطل .

(٢) يعني أنهما يتحدثان بكلام لا يفهمه عمر رضي الله عنه ، فهل هذا ممكن ؟! يرطنون رطانة لا يعرفها عمر ؟!

(٣) قصد الشيخ من إيراد مثل هذه المضحكات أن يبين مخازيهم ، ويكشف عوارهم ؛ لأنهم يزعمون أنهم أولياء الله ، وعندهم مثل هذه الترهات والأباطيل .

(٤) هذا هو المقصود مثل ما بدأ أن هناك من يتظاهر بتصديق الرسول ﷺ في الظاهر ، لكنه يكذبه في الباطن ، ومنهم الصوفية والمنافقون .

(٥) ما زال الشيخ رحمه الله يبين الفوارق بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فالله ﷻ ذكر أن أولياءه هم الذين ءامنوا وكانوا يتقون ، آمنوا ظاهراً وباطناً ، فلا يكفي الإيمان في الظاهر دون الباطن كإيمان المنافقين ، الذين يشهدون أنه رسول الله ، لكنهم كاذبون ، ويكذبونه في قلوبهم ، فهؤلاء في الدرك الأسفل من النار ، كيف يقال : إنهم أولياء =

عناداً ، وإما جهلاً[1] ، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم

الله ؟! وكذلك ضُلَّال المتصوفة الذين يتظاهرون بالشهادة أنه رسول الله ، ولكنهم في الباطن يعتقدون خلاف ذلك ، يعتقدون أن الأولياء لا يحتاجون إلى الرسول ﷺ وإنما يأخذون عن الله مباشرة ، وإنما الذي يحتاج إلى الرسول ﷺ هم العوام الذين لم يصلوا إلى الله ، وأما خواص الصوفية فإنهم وصلوا إلى الله وليسوا بحاجة إلى الرسل ، فهؤلاء هل يقال : إنهم من أولياء الله ، وهم يكفرون في الباطن ويتظاهرون بالإيمان في الظاهر ؟! هم يقولون : إنهم من أولياء الله ، لكن أهل الإيمان وأهل العقيدة الصحيحة يعتقدون أنهم من أولياء الشيطان ؛ لأنهم لم ينقادوا للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً .

وكذلك فريق ثالث من النصارى : فمن النصارى من يشهد أن محمداً رسول الله لكن يقولون : رسالته خاصة بالعرب وليست عامة للناس جميعاً ، فمثل هذا لا يؤمن بالرسول ﷺ ؛ لأنه قصر رسالته على بعض جوانبها ، اعترف بجانب ، وجحد جانباً أعظم ، وهو عموم الرسالة ، وهؤلاء لا يقال : إنهم من أولياء الله ، وإن كانوا يشهدون أنه رسول الله ويعترفون ، لكن يجحدون عموم الرسالة .

وصنف رابع : يعترفون أنه رسول الله ، وأن رسالته عامة إلى جميع الثقلين ولكن يقولون : ليس خاتم الرسل ، يأتي بعده أنبياء فلا يؤمنون بختم الرسالة ، فالله ﷻ قال : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] فالنبي ﷺ قال : « أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » الذي يعتقد أنه يأتي بعد الرسول نبي ، هذا كافر ؛ لأنه لا يؤمن بختم الرسالة لمحمد ﷺ ، وكل هؤلاء ليسوا من أولياء الله ، وإن كانوا يتظاهرون أنهم من أولياء الله أو يُدَّعى لهم أنهم أولياء الله ، لأنهم لا يدخلون في قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] هؤلاء هم أولياء الله على الحقيقة ، لا بالادعاء .

(١) إما عناداً مع العلم أو جهلاً ، وهذا الجهل لا يُعذرون به ، لأنه بالإمكان زواله =

أولياء الله ، وأن محمداً رسول الله[(١)] ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب[(٢)] ، وإنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل إلينا

بالعلم ، فهم لا يرون العلم أصلاً ويحتقرون الذين يجلسون لطلب العلم ، ويقولون: لسنا بحاجة إلى العلم ، وهذه ظاهرة في الصوفية من قديم ، ذكرها ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » وهي واقعة الآن . هناك صوفية يزهدون في طلب العلم ، ويقولون: اشتغل بالعبادة ، لأن طلب العلم يعوقك عن العبادة ، ولست بحاجة إلى طلب العلم ، ويأتيك العلم تلقائياً من عند الله ، فهذه صفة هؤلاء المتعبدة الذي يزعمون أن الاشتغال بالعبادة أفضل من طلب العلم ، في حين أن طلب العلم أفضل من التفرغ للعبادة ، فمسألة تفقهها وتعرفها أحسن من قيام ليلة من النوافل ، فطلب العلم لا يعادله شيء ، هو أفضل العبادات ، أما عبادة بدون علم فهي ضلال ، وهي طريقة النصارى ، فينبغي التنبه لمثل هؤلاء ، ولا نقول أنهم انقرضوا وذهبوا ؛ بل هم موجودون الآن .

(١) الله ﷻ ذكر ذلك عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨] ادَّعوا لأنفسهم هذا وهم يقولون : إن الله ثالث ثلاثة ، أو يقولون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٢] ولهذا قال بعدها : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] ، واليهود يقولون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] ويعبدون العجل ويقولون : ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ !!

(٢) يعني إلى العرب فقط ، إلى الأميين ، وهذا كفر صريح ، لأن رسالة النبي ﷺ عامة ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال في اليهود =

رسلاً قبله[١] ، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم

والنصارى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي : محمد ﷺ ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ . ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ من هو الرسول ؟ ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ من هو النبي الأمي ؟ محمد ﷺ ﴿ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [الأعراف : ١٥٦-١٥٧] وقال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [البقرة: ١٤٦] وبشَّر به عيسى ﵇ ، قال : ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾ [الصف : ٦] هذا اسم الرسول ﷺ اسمه أحمد ومحمد ، وله أسماء غير هذين الاسمين أيضاً ﷺ ، فهم لا يؤمنون بعموم الرسالة ، ويوجد ممن ينتسب إلى الإسلام من يصدقهم على هذا ويوافقهم ، ويقول : هم على دين ونحن على دين ونحن إخوان ، والكل يصل إلى الله ، هذا كفر - والعياذ بالله - هذا جحود لرسالة محمد ﷺ ، والنبي ﷺ قال : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (صحيح مسلم / ٥٣) والرسول ﷺ دعا الناس جميعاً ، دعا العرب واليهود والنصارى ، وكتب إلى الملوك والرؤساء ، وإلى كسرى وقيصر يدعوهم إلى الإسلام ، كيف يكتب لهم وهو ليس رسولاً إليهم ؟! فينبغي أن يتفطن إلى هذه الأفكار الخبيثة التي يروجها اليهود والنصارى ، وقد يتقبّلها بعض المنتسبين للإسلام ، إما عن عمد وإما عن جهل .

(١) الرسل الذين قبله أحالوا عليه ، فهذا موسى ﵇ أحال عليه في التوراة التي معه

=

أولياء الله[(١)] ، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ

﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] وهذا عيسى بشّر به ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] فهو مرسل إليهم وهو كتب إلى ملوكهم ورؤسائهم ، وقال لمعاذ : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله » (صحيح مسلم / ١٩) ، كيف يدعوهم إلى الشهادتين ، وهم أهل كتاب مؤمنون كما يزعم هؤلاء ، لو كانوا مؤمنين ما دعاهم إلى الشهادتين ، فهذا من أبطل الباطل ، وأعظم الضلال – والعياذ بالله – .

(١) هؤلاء أولياء الشيطان ، لما لم يستجيبوا له ، قال الله ﷻ : ﴿ قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ . قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ هذا خطاب لليهود والنصارى ﴿ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ . فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ليسوا أتباعاً لموسى ولا لعيسى ؛ لأنهم لو كانوا أتباعاً لموسى وعيسى لآمنوا بمحمد ﷺ ، وإنما هم كفار خارجون عن شريعة موسى ، وعن شريعة عيسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤٩-٥٠] ما قال : يتبعون الشرائع السابقة ؛ لأنها نُسخت ، وإنما يتبعون أهواءهم . هي نسخت ، وأيضاً أحالت على اتباع الرسول ﷺ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ أي : محمد ﷺ ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

=

أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[1] [يونس: ٦٢-٦٣] .

ولابد في الإيمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر[2] ، ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزله

طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٣] فهذا واضح جداً ، وليست الغرابة في أن اليهود والنصارى يقولون هذا ؛ بل يقولون أعظم من هذا ، ولكن الغرابة فيمن يدَّعي الإسلام أنه يُصدِّق هذا ، ويقول : هم على دين وليسوا كفاراً ، كيف لا يكونون كفاراً وهم يكفرون بمحمد ﷺ ؟! من يقول هذه المقالة يكون كافراً مثلهم ، لأن من لا يُكَفِّر الكافر يكون كافراً مثله . هذا من نواقض الإسلام .

(١) الله حدد أولياءه بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ آمنوا ظاهراً وباطناً ، وكانوا يتقون الله ﷻ ، هؤلاء هم الأولياء المؤمنون والأتقياء ، ومن ليس كذلك فليس ولياً لله ، إنما هو وليٌّ للشيطان .

(٢) وهؤلاء لم يؤمنوا بالرسل ، ولم يؤمنوا بالكتب ؛ لأنهم كفروا بالقرآن ، وكفروا بمحمد ﷺ ، فمن كفر بكتاب واحد فهو كافر بجميع الكتب ، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر بجميع الأنبياء ، الأنبياء كلهم رسل الله لابد من الإيمان بهم جميعاً من أولهم إلى آخرهم ، اليهود كفروا بعيسى ومحمد ﷺ ، والنصارى كفروا بمحمد ﷺ فكيف يقال أنهم مؤمنون ومسلمون ؟! والله تعالى قال : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ
=

الله[١] ، كما قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢] [البقرة : ١٣٦-١٣٧] .

عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٤] هؤلاء فرَّقوا وكفروا بأعظم الأنبياء وسيد الأنبياء وهو محمد ﷺ ، كيف يقال : إنهم مسلمون مؤمنون ؟! وبعضهم يقول : إخواننا - والعياذ بالله - من هذه الكلمة !

(١) لابد من هذا ، أن يؤمن بكل كتاب أنزله الله ، فإن كفر بكتاب واحد ، بل لو كفر ببعض الكتاب صار كافراً بالجميع ، وكذلك لابد أن يؤمن بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم فكيف بمن يكفر بأفضل الرسل وهو محمد ﷺ ويقال : إنه مسلم ، إنه مؤمن ؟!

(٢) ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ : إذا لم يؤمنوا بمثل ما آمنتم به فهم كفار ؛ لأنهم قالوا للمسلمين : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ قال الله ﷻ : ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ : مشاقين لله ﷻ ولرسله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ لا أدري كيف هؤلاء ؟ ألا يقرأون القرآن ؟! يقولون : إن اليهود والنصارى مسلمون مؤمنون ، ويقولون : إنهم إخواننا ؟!

وقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(1) [البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] .

---

(١) في سورة البقرة تكرر هذا ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ ، ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] وفي آخرها قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ بل في أول السورة قال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٢-٥] فقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ لا يكفي أن يقول : آمنت بمحمد فقط ولا أؤمن بمن قبله ، أو آمنت بمن قبله ولا أؤمن بمحمد ، لابد من أن تؤمن بذلك كله .

وقال في أول السورة : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(١) [البقرة : ١-٥] ، فلابد في الإيمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده(٢) ، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين : الجن والإنس .

فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين(٣) ، ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض ،

---

(١) ذكر الله ﷻ في أول سورة البقرة أن الناس انقسموا مع القرآن ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من آمن به ظاهراً وباطناً ، وهم المؤمنون من هذه الأمة ومن غيرها من أهل الكتاب ، الذين ءامنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن واتبعوه .

القسم الثاني : من كفر بالقرآن ظاهراً وباطناً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] .

القسم الثالث : الذين ءامنوا بالقرآن ظاهراً وكفروا به باطناً وهم المنافقون ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ . يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ٨-٩] ذكر الأصناف الثلاثة في أول السورة .

(٢) تؤمن بعموم رسالته وتؤمن أيضاً بأنه خاتم النبيين لا نبي بعده ، لابد هذا .

(٣) من لم يؤمن بهذا الرسول ﷺ وبما جاء به فليس بمؤمن يعني كافر ، فكيف يكون ولياً =

فهو كافر ليس بمؤمن[(١)] ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

لله وهو كافر ؟! هذا لا يكون أبداً ، الكفار ليسوا أولياء الله ، وإنما هم أولياء الشيطان ، فيجب أن يتنبه لهذا الأمر ، القرآن واضح صريح في هذه الأمور التي التبست على كثير من الناس اليوم ، خصوصاً مَنْ يدَّعي أنه مثقف ، وأنه صحفي ، وأنه ، وأنه ، التبس عليهم هذا الأمر ، صاروا يهرفون بما لا يعرفون ، يريدون التقارب مع اليهود والنصارى ، يريدون إرضاء اليهود والنصارى ، والله ﷻ قال : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] يريدون إرضاءهم ومجاملتهم ، لكن هم لن يرضوا أبداً حتى نتخلى عن ديننا ونتبعهم .

(١) كذلك لابد من الإيمان بجميع الكتب ، فلا يؤمن ببعضها ويكفر ببعضها ، ولابد من الإيمان بجميع الكتاب ، فلا يؤمن ببعض الكتاب ويترك بعضه ، يؤمن بما يوافق هواه ويكفر بما خالف هواه ورغبته ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] فلابد من الإيمان بجميع الكتاب ، ما وافق رغبتك وهواك وما خالف رغبتك وهواك ؛ لأنه وإن خالف رغبتك وهواك فهو خير لك ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا [١] . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [٢] ﴾ [النساء : ١٥٠-١٥٢] ومن الإيمان به : الإيمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه[٣] ، ووعده ووعيده ، وحلاله

---

(١) قال الله ﷻ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ وهم يقولون : نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ كيف يفرقون بين الله ورسله ؟ ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ ، هذا التفريق بين الله ورسله ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ أي : طريقاً يمشون عليه ، ومذهباً يذهبون إليه ، قال الله ﷻ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ فالذين يكفرون بمحمد ﷺ هم الكافرون حقاً . وهناك من يقول : إنهم مؤمنون !!

(٢) ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : لم يفرقوا بين أحد منهم ؛ بل آمنوا بهم جميعاً ، لأنهم رسل الله طريقتهم واحدة ، وكل واحد مصدق بما قبله ومبشر بما بعده ، فهم سلسلة واحدة لا يجوز التمييز بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم .

(٣) الرسول ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه في أي شيء ؟ في قضاء الحاجات وتفريج الكربات ؟! لا ؛ بل في تبليغ الرسالة ، وأما أنه واسطة في قضاء الحوائج هذا كفر ، ولهذا قال شيخ الإسلام – وله رسالة في هذا اسمها « الواسطة بين الحق والخلق » – :

=

وحرامه[١] ، فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله[٢] ،

(وهناك واسطة من أنكرها كفر ، وواسطة من أثبتها كفر) (انظر : الواسطة بين الحق والخلق ص ١٦ - ٢٠)
الواسطة التي من أنكرها كفر هي الواسطة في تبليغ الرسالة ، فالرسل هم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الرسالة ولا أحد يصل إلى الله من غير طريقهم فمن أنكرها كفر ، وقد أنكرها غلاة الصوفية ، وقالوا : لا حاجة إلى الرسل يبلغوننا ، نحن نأخذ عن الله مباشرة ، بعضهم يقول : أنا أجلس مع الله ويتحدث معي - نسأل الله العافية - .

أما الواسطة التي تتخذ لأجل قضاء الحوائج وتفريج الكربات ، فهذه من أثبتها كفر . ليس بين الله وبين خلقه واسطة في قضاء حوائجهم ، وإجابة دعواتهم ، وإغاثة لهفاتهم .

(١) فلم يأتنا هذا الدين العظيم إلا من طريق هذا الرسول ﷺ ، وقبله كان الناس في ضلال عظيم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] في الجاهلية كانوا في ضلال مبين ، فلما بُعث الرسول ﷺ جاء الهدى وجاء النور ، والعلم النافع ، وانتفع به من آمن به ، وخرج من الظلمات إلى النور .

(٢) الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، وليس لأحد أن يحل شيئاً أو يحرم شيئاً من عنده ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا =

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] قال عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما سمع هذه الآية ، وكان نصرانياً – قبل أن يسلم – قال: « إنا لسنا نعبدهم، فقال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ » قلت : بلى . قال : فتلك عبادتهم » (المعجم الكبير للطبراني / ٢١٨ ، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في « السلسلة الصحيحة » / ٣٢٩٣) . طاعتهم في التحليل والتحريم من دون الله ﷻ ، فالله ﷻ قال : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ١٢١] هذا في أي شيء ؟ في الميتة ؛ لأن أهل الجاهلية يستحلون الميتة ويقولون : إنها أحسن من المذكاة ؛ لأن الميتة الله هو الذي ذكاها ، وأما المذكاة فأنتم الذين ذكيتموها ، فهي أحسن ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ يعني هذه الشبه ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ ثم قال : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فمن أطاع أحداً في تحليل ما حرم الله ، فهو مشرك ؛ لأنه جعل لله شريكاً في التحليل والتحريم ، فهذا من حق الله. فالذين يقولون الآن : ما دام المسألة فيها خلاف بين العلماء فنحن نأخذ ما أردنا وما يوافق رغبتنا من أقوال العلماء ، وهذا فيه سعة . هذا ضلال – والعياذ بالله – لا نأخذ من أقوال العلماء إلا ما وافق الدليل ، وما خالف الدليل تركناه .

الإمام الشافعي يقول : « إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط » (إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤ / ٤٠ بمعناه) ومالك يقول : « كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر » (سير أعلام النبلاء للذهبي ٨ / ٩٣ بمعناه) يعني : رسول الله ﷺ . والإمام أحمد يقول : « عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] » (الإبانة الكبرى لابن بطة / ٩٧) ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقد باباً في كتاب =

والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ[1] ، فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان[2] .

« التوحيد » : (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله) فالأمر في هذا خطير جداً ، فأقوال العلماء نستفيد منها ، ولكن لا نأخذها إذا وافقت رغبتنا وقلنا : العلم بحر وواسع ، وإذا خالفت رغبتنا قلنا : هذا تشدد وهذا تحجر ، وهذا .. ، وهذا .. ، نحن نأخذ ما يوافق الدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ : ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] المنهاج واضح - ولله الحمد - وغير خفي ، لكن أين الذين يتفقهون في القرآن ويرجعون للقرآن والسنة ؟!

فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، لا ما أحله العلماء أو حرمه العلماء بدون دليل ، وإن كانوا علماء ، هم مجتهدون ، يعذرون باجتهادهم ولهم أجر ، لكن نحن لا نُعذر في أن نأخذ قولاً مخالفاً ، أو فتوى مخالفة للدليل .

(١) هذا رد على المبتدعة الذين يقولون : نحن نتقرب إلى الله وقصدنا الطاعة فلا مانع أن نتقرب إلى الله بأي شيء نراه من العبادات . نقول : هذا لا يجوز ، الدين مبني على الاقتداء والاتباع ، توقيفي لا يُحدث فيه شيء قال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفي رواية : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (صحيح مسلم/ ١٧١٨) فالدين ما شرعه الله ، لا ما رآه الناس ، واستحسنوه بدون دليل .

(٢) من اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله غير طريق محمد ﷺ فهو كافر ، وعلى هذا غلاة الصوفية الذين يقولون : نحن لسنا بحاجة إلى الرسل أو إلى محمد ﷺ ؛ لأننا وصلنا =

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورَزْقُه إياهم ، وإجابته لدعائهم[(١)] ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده[(٢)] ، يفعله بما يشاء من الأسباب[(٣)] ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل[(٤)] .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى[(٥)] ، كالأحبار

إلى الله ونعرف الحق من الله ، ونأخذ عنه مباشرة ، وهم في الحقيقة يأخذون عن الشياطين ، لا عن الله ﷻ ، وهؤلاء الذين يزعمون أنهم يجلسون معهم ويتحدثون معهم ، هؤلاء شياطين – نسأل الله العافية – .

(١) لما ذكر الواسطة الصحيحة وهي واسطة الرسل في تبليغ الشرائع ، ذكر الواسطة المرفوضة الباطلة .

(٢) وليس للوسائط ، هذه الواسطة الباطلة : اتخاذ الوسائط بين العبد وبين ربه في قضاء حوائجه وتفريج كرباته وإجابة دعواته ، أو طلب الرزق أو أن أحداً يرزقك من دون الله ﷻ هذا كله باطل .

(٣) وقد يفعله بسبب من الخلق ، يسخر الأغنياء يتصدقون على الفقراء ، ويستعملون المحتاجين فيكونون سبباً فقط ، لا واسطة بينهم وبين الله ، وإنما هم سبب أجرى الله الرزق على أيديهم ، وفَرْقٌ بين السبب وبين الواسطة .

(٤) هذه الواسطة الممنوعة التي يكفر من أثبتها .

(٥) لو اجتهد في العبادة – في الصلاة والصيام والصدقات – لكنه لا يؤمن بكل ما جاء =

والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعُبَّادهم[١] .

وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند وغيرهم[٢] ، ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به ، فهو كافر عدو لله[٣] ،

به محمد ﷺ ، فهذا ليس بمؤمن وعمله باطل ، فليس العبرة بكثرة العمل والتعب ، وإنما العبرة بالاتباع والاقتداء ، ولهذا قال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] ولم يقل : أيكم أكثر عملاً ، فليست العبرة بالكثرة ، العبرة بالحسن ، متى يكون العمل حسناً ؟ إذا توفر فيه شرطان : الإخلاص لله ، والمتابعة للرسول ﷺ ، هذا هو العمل الحسن ، وأما ما اختل فيه شرط من هذين الشرطين فهو قبيح ، وليس بحسن وإن أتعب الإنسان فيه نفسه ، وأفنى فيه وقته ، فهو لا ينفعه عند الله شيئاً .

(١) اليهود والنصارى فيهم أحبار ورهبان ، فيهم رهبان يجتهدون في العبادة ويتخلون في الصوامع وينعزلون عن الدنيا ولا يتزوجون النساء: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] ، هذا ضلال - والعياذ بالله - ، ولا ينفعهم كثرة تعبهم لأن هذا على غير هدى ، وعلى غير صراط مستقيم .

(٢) يوجد زهاد من الكفار يزهدون في الدنيا ، ويتركون الملاذ ويتقشفون هذا موجود في الهند : فلاسفة وحكماء ، وملاحدة . يزهدون في الدنيا ويتقللون منها ويتقشفون ، لكن ليسوا على شيء - والعياذ بالله - .

(٣) لأنه ليس متبعاً للرسل ، فاجتهاده وزهده وتقشفه ورهبانيته لا ينفعه ذلك عند الله ﷻ ؛

=

وإن ظن طائفة أنه ولي لله ، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوساً[١] ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب[٢] .

وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمئة سنة ، وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني[٣] ، وهو الذي تؤرخ به تواريخ الروم واليونان ، وتُؤرِّخ

بل إن المؤمن العاصي الذي معصيته دون الشرك هذا أحسن منهم ، وإن كان فاسقاً ما دام مؤمناً فهو أقرب عند الله ﷻ ويرجى له النجاة والمغفرة ، لكن الذي خرج عن طاعة الرسول ﷺ ولو تقشف ولو زهد ولو ترهبن ، ولو تعب في العبادة ، هو كافر بالله ﷻ ومن أهل النار ولا ينفعه ذلك . فليست العبرة بكثرة العبادة ، أو الزهد والتقشف ، والتقلل من الدنيا والرهبانية ، ولكن العبرة باتباع الرسول ﷺ .

(١) وهم يتعبدون ويسهرون الليل ، والمجوس يعبدون النار ، ويتقربون إليها ، والهندوس والسيخ يعبدون البقر ، ويتزهدون ، ويتقشفون ، وهم من أهل النار ، إذا لم يتوبوا ويسلموا قبل موتهم ، ولا ينفعهم تعبهم وتقشفهم وزهدهم ، ولن يصل أحد إلى الله من غير طريق هذا الرسول ﷺ .

(٢) الفلاسفة من اليونان أهل زهد وأهل عبادة وتقشف ، وتعفف عن الناس ، ولكنهم لا يؤمنون بالأنبياء ، لاسيما بخاتم الأنبياء محمد ﷺ فهم من أهل النار ، مثل : أفلاطون ، وأرسطو وغيرهم .

(٣) يقصد الاسكندر الكافر ؛ لأن الاسكندر شخصان : أحدهما كافر ، والثاني مسلم . الاسكندر المسلم هو ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن ، وأما الاسكندر المقدوني =

به اليهود والنصارى ، وليس هذا هو ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه[١]، كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين[٢] لما رأوا أن ذاك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك[٣] ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه[٤] .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك - الذي قد كان أرسطو وزيره - متأخر عن ذاك ، ولم يبن هذا السد ، ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج[٥] ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ،

الذي أسس الاسكندرية بمصر هذا كافر ، ووزيره أرسطو الفيلسوف ، كان معلمه وهو غلام صغير ، فلما تولى الملك جاء به وجعله وزيراً له ، وأرسطو تلميذ لأفلاطون .

(١) يسمى الاسكندر ، لكنه مسلم .

(٢) هذا باطل ، أرسطو ليس معاصراً له ، بينهما ألفا سنة ، فكيف يصير وزيراً له ؟!

(٣) التبس عليهم الاسم ، ولم يعرفوا أن هناك شخصين ، كُلًا منهما يسمى الاسكندر أحدهما كافر ، والآخر مسلم وبينهما ألفا سنة . وهذا ليس اسمه العلم ولكن قد يسمى ، أما الأول اسمه العلم الاسكندر .

(٤) ابن سينا : أبو علي ، الطبيب المشهور ، لكنه خبيث الديانة ؛ لأنه باطني من الإسماعيلية .

(٥) ذو القرنين المذكور في القرآن هو الذي بنى السد الذي يسمى سد ذي القرنين دون يأجوج ومأجوج ، وهو الذي بلغ مطلع الشمس ومغرب الشمس ، ومكَّن الله له في الأرض ، وهو مَلِك مسلم .

يؤرخ له تاريخ الروم المعروف(١) .

وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند ، والترك واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة(٢) ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا يؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم بما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء لله(٣) ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر(٤) ، وهم من جنس

---

(١) هذا كافر .

(٢) كما سبق أنهم فيهم زهاد ونساك ورهبان ، لكن ليسوا على طريق صحيح فلا ينفعهم ذلك ، بل هو تعب عليهم بلا فائدة ، لا فائدة في العمل إلا إذا كان خالصاً لله وصواباً على سنة رسول الله ﷺ ، بدون هذا لا يُتعب الإنسان نفسه .

(٣) وإن كانوا يسمونهم أولياء الله ، وهم ليسوا بمؤمنين فضلاً عن أن يكونوا أولياء لله ، وإنما هم من أولياء الشيطان ، وإن كانوا زُهَّاداً ونُسَّاكاً وعُبَّاداً ومجتهدين لكن على غير طريق صحيح .

(٤) أولياء الشيطان لما خالفوا الرسل وأطاعوا الشيطان فإنهم يكون لهم أحوال غريبة ؛ لأن الشياطين تساعدهم ، وتظهر على أيديهم بعض التصرفات الخارقة للعادة ، وقد مرَّ بنا أن الخارق للعادة على قسمين :

القسم الأول : خارق للعادة يكون كرامة إذا كان صاحبه مستقيماً على طاعة الله ، ومن المؤمنين المتقين .

=

الكهان والسحرة الذين تَنزَّل عليهم الشياطين ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾[1] [الشعراء : ٢٢١-٢٢٣] . وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلابد أن يكذبوا[2]

القسم الثاني : يكون خارقاً شيطانياً وليس كرامة ، إذا كان صاحبه على الكفر والضلال ومخالفة الرسل ، وهذا هو الصنف الذي يتحدث عنه الشيخ رحمه الله في هذا الكلام ، فهؤلاء لما والوا الشياطين وعادوا المرسلين والمؤمنين ، فإن الشياطين تتولاهم ويَجري على أيديهم بعض التصرفات الخارقة للعادة ، وهي أحوال شيطانية فلا يُغتر بها ويقال : هؤلاء أولياء ؛ لأن لهم كرامات وخوارق .

(١) الله ﷻ نفى عن القرآن وعن الرسول ﷺ تنزل الشياطين ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ يعني عن الوحي ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ وليس لهم قدرة على تلقي الوحي إلا في صفة استراق السمع . ثم قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ لما نفى تنزل الشياطين على الرسول ﷺ بالقرآن بيَّن ﷻ الذين تتنزل عليهم الشياطين ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ الأفاك : الكذاب كثير الإثم ، ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي : يسترقون السمع ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ يصيبون في كلمة ويكذبون معها مئة كذبة كما قال النبي ﷺ (انظر: صحيح البخاري/ ٣٠٣٨) فبيَّن ﷻ أولياء الشيطان وأنهم ليسوا أولياء للرحمن .

(٢) هذه القاعدة ، فليس العبرة بوجود الخارق للعادة مع الشخص ، حتى ينظر حاله ،
=

وتكذبهم شياطينهم ، ولابد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة[١] .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن[٢] ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[٣] [الزخرف : ٣٦] وذكر الرحمن هو الذكر

فإن كان مستقيماً على طاعة الله ، وهو من المؤمنين المتقين ، فإن هذا الخارق يكون كرامة من الله ﷻ له ، وإن كان مخالفاً لأوامر الله ومطيعاً لأوامر الشيطان فإن هذا الخارق يكون خارقاً شيطانياً يجري على يده بواسطة الشياطين فلا يعد من أولياء الله وإنما يعد من أولياء الشيطان .

(١) قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ أفاك : كذاب ، أثيم : كثير الإثم بما يمارس من الفواحش والمعاصي فكيف يعد هذا ولياً لله ﷻ ؟! هذا من المغالطات .

(٢) تنزلت عليهم الشياطين بسبب إفكهم وإثمهم ، فالإنسان إما أن يكون ولياً لله أو ولياً للشيطان ، فإن أطاع الله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله ، وإن أطاع الشيطان وعصى الرسول ﷺ فإنه يكون من أولياء الشيطان . هذا فرق واضح وقاعدة واضحة ، لا تلتبس إلا على صاحب هوى أو جاهل ، يحسب أن كل بيضاء شحمة ، كما قالوا .

(٣) ما معنى قوله تعالى : ﴿يَعْشُ﴾ تفسرها الآية الأخرى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ ومعناها : يعرض عن الوحي ، وعن ذكر الله ﷻ - بالثناء عليه ، والتسبيح والتكبير والتهليل - ، وعن القرآن والسنة ، فإن الشيطان يأخذه ويجعله من جنوده ﴿ وَمَن =

الذي بعث به رسوله ﷺ[١] مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه[٢] ، فيقيِّض له الشيطان فيقترن به[٣] .

قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾[٤] [الأنبياء : ٥٠] وقال تعالى :

يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ : هذه عقوبة له ، فإن الله يسلط عليه الشيطان ﴿ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ : يعني الشيطان يلازمه ولا ينفك عنه عقوبة له ، و﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي: الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ يصدون هؤلاء عن سبيل الله ﷻ ، وأعظم من ذلك ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٧] لو كان الإنسان على ضلال وهو يدري أنه على ضلال هذا حري أن يرجع ، ولكن إذا كان على ضلال وهو يحسب أنه على هدى هذه المصيبة ، هذا لا يرجع . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾ يعني يوم القيامة وتبيَّن له ﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ يعني المشرق والمغرب ﴿ فَبِئْسَ الْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٨-٣٩] .

(١) هو الوحي المنزل .

(٢) من لم يصدِّق بالقرآن وقال : إنه سحر ، أو أساطير الأولين ، أو أنه كذب ، أو أنه قول محمد وليس كلام الله ، أو أن القرآن مخلوق ، فهذا لم يؤمن بالقرآن ، وأيضاً لا يكفي أنه يُصدِّق أن القرآن كلام الله ؛ بل لابد أن يعمل به ويتبعه حتى يكون من أهل القرآن ، ومن أولياء الله ﷻ .

(٣) يصير قريناً له لا ينفك عنه .

(٤) مما يدل على أن الذكر هو القرآن المنزل قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ فدل على أن الذكر هو ما أنزل الله ﷻ ، على رسوله من الكتاب والسنة .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[١] [طه : ١٢٤-١٢٦] فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها[٢] ، ولهذا لو ذكر الرجل الله ﷺ دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد[٣] ،

---

(١) قوله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ مثل قوله : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ فقوله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي : عن الوحي الذي أنزلته على نبيي ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ : ضيقة ، قيل : هذا في القبر يضيق عليه قبره ، لأنه يُسأل ويُقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فيضيق عليه قبره ، ويفتح له باباً من النار حتى تختلف أضلاعه ، فهذا هو الضَنْك - والعياذ بالله - وكذلك يكون في ضنك في الحياة الدنيا فتجده يعيش في قلق وفي هَمٍّ ، وفي وساوس وفي حزن ، وأما المؤمن فتجده يعيش مطمئناً مستريح البال ، متنعماً بذكر الله ﷻ ، هذا الذي أعرض عن ذكر الله يعيش في الدنيا في قلق وهم وضيق ، حتى لو كان يملك الملايين من الأموال فإنه في عيشة ضنك ، لا يتلذذ بها في يده، أو في القبر ، ثم يوم القيامة يحشر أعمى ، فاقداً للبصر ، عقوبة له ، فيستغرب فيقول: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ ما هو السبب ؟ السبب كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ فالجزاء من جنس العمل .

(٢) لأن الله سماه الذكر ﴿ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ٥٨] .

(٣) لا يُظن أن المراد بالذكر - فيما سبق - الذكر الذي يقوله الإنسان من التسبيح والتهليل والتكبير ، وإنما المراد بالذكر : الوحي ، أما الذكر الذي يصدر من الإنسان =

وعبده مجتهداً في عبادته ، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان[١] ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء[٢] ، فإن الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع[٣] .

فهذا مقصود الشيخ فيمن يذكر الله ليلاً ونهاراً فلا يجف لسانه من كثرة الذكر مع غاية الزهد في الدنيا .

(١) إذا أكثر من الأذكار والأوراد ، كالأوراد الكثيرة التي يقرؤونها في الصباح والمساء مكتوبة ، بعضهم يحفظها ويجتهد في الطاعة والعبادة ، لكنه لا يتبع القرآن ، وإنما يتبع الشيخ الفلاني والطريقة الفلانية ، ولا يتبع القرآن ، هذا من أولياء الشيطان ، فتنبهوا لهذا . فقوله : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ ليس المراد به الذكر اللساني من التسبيح والتهليل والتكبير ، وإنما المراد بالذكر هنا الوحي المنزل وهو القرآن .

(٢) ولو كان معه خوارق كالطيران في الهواء ، أو المشي على الماء ، أو المشي على النار ، ولا يتألم في ظاهره ، فإن هذه خوارق شيطانية . الشياطين هي التي تأتي بها إليهم ، فتخدمهم بهذه الأمور ، فليس العبرة بوجود الخارق مع الإنسان ، وإنما العبرة بسلوكه وسيره ، فإن كان متبعاً لرسول الله ﷺ كان من أولياء الله ، وإن كان عاصياً لرسول الله ومطيعاً للخرافيين والشياطين ومخالفاً لسنة الرسول ﷺ فهو من أولياء الشياطين ، وإن كان يطير في الهواء ويمشي على الماء ، وما أشبه ذلك من الخوارق الشيطانية التي يخدمون بها أولياءهم .

(٣) الشيطان يحمل هؤلاء في الهواء ، ويقطع بهم المسافات البعيدة ، ويخبرهم عن أشياء لا يعلمها الإنس ، يخبرهم بها وبوجودها وبأمكنتها ، هذه أحوال شيطانية ليست هي الكرامات التي هي لأولياء الله ﷺ ، وهذا مما التبس على الناس الآن . فهذا الكتاب في الحقيقة كتاب نفيس يكتب بماء الذهب ؛ لأنه بيّن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان غاية البيان .

فصل[١]

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من نفاق[٢] ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر »[٣] . (صحيح البخاري / ٣٤ - صحيح مسلم / ٥٨) .

---

(١) انتهى الآن ﷺ من بيان أولياء الله وأولياء الشيطان وبيان علاماتهم التي يُعرفون بها، وأن الأمر ليس بالدعاوى والهيلمات وإنما الأمر بالحقيقة ، بيَّن أولياء الله الخُلَّص وأعداء الله أولياء الشيطان الخُلَّص ، ثم ذكر الصنف الثالث وهم من يكون ولياً لله من جهة وولياً للشيطان من جهة ، وهو المؤمن العاصي الذي لم تصل معصيته إلى الكفر والشرك ؛ بل هي كبيرة من كبائر الذنوب دون الكفر والشرك ، فهذا ليس ولياً لله خالصاً ، وليس ولياً للشيطان خالصاً وإنما هو بين ذلك ، فيكون ولياً لله بقدر ما فيه من الإيمان وطاعة الله ورسوله . ويكون ولياً للشيطان بقدر ما فيه من معصية الله ورسوله .

(٢) المقصود بالشعبة من النفاق أي : النفاق العملي الذي قد يكون في بعض المؤمنين ، والذي خافه النبي ﷺ على أصحابه ، فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا : بلى ، فقال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل » (سنن ابن ماجه / ٤٢٠٤ ، وحسنه الألباني) هذا نفاق عملي ، نفاق أصغر ، وأما النفاق الأكبر فهو من الصنف الثاني وهم أولياء الشيطان .

(٣) « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً » يعني النفاق العملي ، لا يكون كافراً ، ومن =

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: « الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان »[1]

(صحيح البخاري/ ٩ - صحيح مسلم/ ٣٥)

كانت فيه خصلة واحدة منها ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها، فدل على أنه يكون في المؤمن إيمان، ويكون فيه نفاق.

« **إذا حدَّث كذب** »: والواجب على المسلم أن يصدق في أحاديثه، ولا يُعوِّد نفسه الكذب ويتساهل فيه. « **وإذا وعد أخلف** »: إذا صدر منه وعد لأحد فإنه لا يفي بالوعد، هذا نفاق، والواجب على المسلم أنه إذا وعد فإنه يفي بوعده ولا يتخلف فيضر الموعود، هذا من خصال النفاق. « **وإذا أؤتمن خان** »: إذا أؤتمن على سر، أو على عمل أو وظيفة أو وديعة أو معاملة خان - والعياذ بالله - والخيانة ليست من صفات المؤمن، المؤمن من صفاته الأمانة في القول والعمل، فيكون أميناً.

« **وإذا عاهد غدر** »: إذا عاهد ولي أمر المسلمين غدر ونكث الطاعة، فإذا عاهد أحداً من الخلق مؤمناً أو كافراً فإنه يجب عليه الوفاء بعهده، فالغدر في العهود هذا من النفاق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١] فيكون المؤمن عند عهده ووعده وصدقه وأمانته حتى يكون سالماً من النفاق العملي.

الشاهد من الحديث: أن المؤمن قد يكون فيه خصلة من النفاق، فيجتمع فيه إيمان ونفاق.

(١) قال النبي ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة » فهذا دليل على أن الإيمان يتفاضل، وأن بعضه أكمل من بعض، وليس هو شيء واحد كما يقوله =

فبيَّن النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها[١] .

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو من خيار المؤمنين : « إنك امرؤ فيك جاهلية ، فقال : يا رسول الله ! أعلى كبر سني ؟ قال : نعم »[٢] (صحيح البخاري / ٥٧٠٣ - صحيح مسلم / ١٦٦١) .

المرجئة ؛ بل الإيمان يتفاضل ، فقوله : « أعلاها » : هذا دليل على أنه له أعلى وأدنى . « أعلاها قول : لا إله إلا الله » وأدنى خصال الإيمان إماطة الأذى عن طريق المسلمين « والحياء شعبة من الإيمان » ؛ لأن الحياء يكف الإنسان عما لا يليق ، قال ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (صحيح البخاري / ٥٧٦٩) . الشاهد من الحديث : أن الإيمان يتفاوت منه ما هو أعلى ومنه ما هو أدنى ومنه ما هو متوسط وليس شيئاً واحداً ، فدل هذا على أن من الناس من يكون مؤمناً كامل الإيمان وهذا من الأولياء الخلَّص ، ومنهم من يكون ناقص الإيمان فهذا فيه نقص في إيمانه ، فيكون من جهة ولياً لله ، ومن جهة عدواً لله وولياً للشيطان .

(١) يعني في الحديث الأول : « أربع من كن فيه » .

(٢) هذا أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ومع هذا قال له النبي ﷺ : « إنك امرؤ فيك جاهلية » يعني خصلة من خصال الجاهلية ، فدل على أن المؤمن قد يكون فيه خصلة من خصال الجاهلية . السبب في هذا أن أبا ذر صار بينه وبين بلال المؤذن شيء من سوء التفاهم . فقال له أبو ذر : يا بن السوداء . يعيِّر بلالاً ، قال ﷺ : « أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » (انظر : فتح الباري لابن حجر ١٠ / ٤٦٨) ؛ لأن التعيير والطعن في النسب من خصال الجاهلية - كما يأتي - فهذا مع كمال إيمانه وسابقته للإسلام صارت فيه هذه الخصلة فكيف بغيره ممن هو ليس مثله ولا قريباً منه ؟!

وثبت في الصحيح عنه أنه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم »[1] (صحيح مسلم / ٩٣٤) .

---

(١) « أربع في أمتي من أمر الجاهلية » : الجاهلية الأولى الكاملة زالت - ولله الحمد - ببعثة النبي ﷺ ، لكن قد يبقى منها شيء في المسلمين في بعض الأفراد كما قال النبي ﷺ لأبي ذر ، وفي بعض القبائل ، وفي بعض الدول يبقى شيء من خصال الجاهلية .

الأولى : « **الفخر في الأحساب** » الحسب : هو المنصب ، إذا كان للإنسان منصب ومكانة عند الناس وجاه فلا يفتخر بهذا ؛ لأن هذا من أمور الجاهلية .

الثانية : « **والطعن في الأنساب** » : الأنساب : جمع نسب وهو ما ينتمي إليه الشخص من قبيلة أو من أسرة ، فلا يجوز لك أن تطعن في أنساب الناس ، قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ١٣] الشعوب : للعجم ، والقبائل : للعرب ، والطعن في الأنساب كأن تقول : فلان نسبه وضيع ، أو فلان ليس قبيلياً ، ولا يجوز هذا ، أما أن تعرف النسب من أجل أن تعرف أقاربك وقبيلتك فهذا لا بأس به ، وقد جاء في الحديث : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » (مسند أحمد / ٨٨٦٨ ، وإسناده حسن) فدراسة النسب ومعرفة الأنساب إذا كان القصد منها معرفة الأقارب والقبائل لا بأس بذلك ، أما إذا كان القصد منها الطعن في أنساب الناس والتنقص فهذا لا يجوز ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ، والنبي ﷺ قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى » (مسند أحمد / ٢٣٤٨٩ ، وإسناده صحيح) فهذا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ، لم يضر بلالاً وسلمان وصهيباً أن هذا =

حبشي وهذا فارسي وهذا رومي ؛ بل صاروا من سادات الصحابة وأكابر الصحابة ، ولم ينفع أبا لهب كونه هاشمياً وعماً للرسول ﷺ ، فالاعتماد ليس على النسب إنما الاعتماد على التقوى والإيمان بالله ورسوله ، وإنما يُعرف النسب للتواصل فقط والتعارف عند الحاجة .

الثالثة : « **والنياحة على الميت** » : والنياحة : رفع الصوت والجزع عند المصيبة وتعداد محاسن الميت ، وهي أن تقول : وا رأساه وا سيداه وا عضداه ، كما تقول النائحات في الجاهلية ، كانوا يستأجرون نائحات يعددن محاسن الميت ويجزعن ، ويضربن الخدود ويلطمن الوجوه ، ويشققن الثياب ويحلقن الرؤوس ، من باب الجزع على الميت ، فإذا لم يفعلوا هذا اعتبر الميت رخيصاً عندهم ، هذا من أمور الجاهلية ، والواجب الصبر عند المصائب والاحتساب وعدم الجزع ، أما كون الإنسان يحزن ويبكي هذا لا شيء فيه ، الرسول ﷺ حزن على ابنه إبراهيم وبكى ﷺ فالحزن لا يضر ، إنما الذي يضر التسخط من قضاء الله وقدره ، هذا هو النياحة ، وهذا لم ينعدم ولم ينقطع؛ بل يوجد الآن في المسلمين من يفعله .

الرابعة : « **والاستسقاء بالنجوم** » : نسبة المطر إلى النجوم كما هي عادة الجاهلية ، فيقولون : إذا طلع النجم الفلاني يحصل مطر ، وإذا غاب النجم الفلاني يحصل مطر ، فلا ينسبون المطر إلى الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ . وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ . لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ . وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٥ - ٨٢] تنسبون المطر إلى النجوم، وأنها بسبب النجوم ، ولهذا لما أمطرت السماء على الصحابة مع الرسول ﷺ في يوم الحديبية وصلى بهم النبي ﷺ الفجر ، ثم قال : « أتدرون ماذا

=

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » (صحيح البخاري / ٣٣ - صحيح مسلم / ٥٩) .

وفي صحيح مسلم : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم »(١) (صحيح مسلم / ٥٩) .

قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب » (صحيح مسلم / ٧١) ، ولا يجوز نسبة الأمطار للنجوم والكواكب والطوالع والغوارب ، كما هي عادة الجاهلية ، وإنما المطر هو بأمر الله ﷻ ، هو الذي ينزله إذا شاء ﷻ . ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ . ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨-٦٩] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] فنسبة المطر إلى الأفلاك أو النجوم أو المناخات هذا من أمور الجاهلية .

الشاهد من هذا : أن الإنسان قد تكون فيه خصلة من خصال الجاهلية ، إذا كان عنده واحدة من هذه الأمور وإن كان مسلماً .

(١) هذا الحديث سبق ، لكن في رواية مسلم « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » فدل على أنه يحدث من المسلم الذي يصلي ويصوم أن يكون فيه خصلة من النفاق .

وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال : « أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه »[1] (صحيح البخاري ١ / ١٨).

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾[2] [آل عمران : ١٦٦-١٦٧] ،

---

(١) ابن أبي مليكة تابعي جليل من علماء مكة يقول : أدركت هذا العدد من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ، يعني لا يُزكون أنفسهم ؛ لأن النبي ﷺ خافه على أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فدل على أنه قد يوجد شيء من النفاق في المسلم ، وينبغي له أن يحذر من هذا ولا يقول : أنا مسلم ويأمن من خصال النفاق ؛ بل يخاف منها ويحذر منها ويستعيذ منها ، كان النبي ﷺ يُسِرُّ إلى حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويسمي له المنافقين ، ولهذا يُسمي حذيفة أمين سرِّ النبي ﷺ ، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله يقول : « أسألك بالله هل عدَّني رسول الله ﷺ منافقاً ؟ » (انظر : مصنف ابن أبي شيبة / ٣٧٣٩٠ بنحوه) يخاف على نفسه من النفاق وهو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالإنسان لا يأمن على نفسه من النفاق وإذا لم يأمن على نفسه فإنه يحذر ويتجنب خصال النفاق .

والشاهد من هذا : أن المسلم قد يكون فيه خصلة من خصال النفاق فيكون من جهتها فيه موالاة للشيطان بقدر ما فيه . وفي هذا الأثر دليل على كمال إيمان الصحابة وأنهم لا يكملون أنفسهم على ما هم من القدر والمكانة في الإيمان ، لا يزكون أنفسهم؛ بل يخافون على أنفسهم من النفاق .

(٢) الله ﷻ لما أجرى ما جرى في وقعة أحد على المسلمين من النكبة والمصيبة بسبب المخالفة التي حصلت من بعضهم وهم الرماة الذين كانوا على الجبل أمرهم النبي

=

ﷺ أن لا يتركوه سواء انتصر المسلمون أو هزموا . بعض الرماة لما رأوا المسلمين انتصروا في أول المعركة وصاروا يجمعون الغنائم حاولوا النزول من الجبل وظنوا أن المعركة انتهت فذكّرهم قائدهم عبد الله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن الرسول قال : لا تتركوا الجبل لكنهم مع هذا نزلوا وتركوا الجبل فلما رأى المشركون الجبل قد (انكشف) ، انقضوا على المسلمين من خلفهم فداهموهم من جهة الجبل ، فصار المسلمون بين الكفار من أمامهم ومن خلف ظهورهم ، ثم دارت المعركة مرة أخرى ، وجرى على المسلمين ما جرى من النكبة واستشهد منهم سبعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحتى الرسول ﷺ جُرِح وهُشِم المغفر على رأسه وكُسرت رباعيته ﷺ ، كل هذا من جراء المعصية التي حصلت وشؤمها ، فما اقتصر ضررها على من فعلها ؛ بل نالت الأخيار . (انظر قصة غزوة أحد في « الفصول في السيرة » لابن كثير ص ١٤٥-١٥١) الحاصل أن الله ذكَّرهم بهذا قال : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ في غزوة أحد ﴿ ٱلْجَمْعَانِ ﴾ : جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بإذنه القدري ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾ فدل على أنه يكون في بعض المؤمنين نفاق ، أي : فليعلم المؤمنين أن الله أجرى هذا للاختبار ، ليتميز الصادق في إيمانه الخالص ممن فيه نفاق ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ : هذا محل الشاهد ، فدل على أنه يضعف الإيمان حتى يكون صاحبه أقرب إلى الكفر ، وفي الحديث : « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (صحيح مسلم / ٥٠) « فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (صحيح مسلم / ٤٩) فدل على أن الإيمان يكون فيه ضعيف وأضعف حتى يكون صاحبه أقرب للكفر ، وليس الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص كما تقوله المرجئة الضلّال ؛ بل هو يزيد وينقص .

فقد جعل هؤلاء إلى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مخلطون ، وكفرهم أقوى[(١)] ، وغيرهم يكون مخلطاً وإيمانه أقوى[(٢)] .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين[(٣)] المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى[(٤)] ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ ، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى[(٥)] ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب

---

(١) فعرف أنهم مخلطون يعني يخلطون الإيمان مع الكفر والنفاق ، وكفرهم أقوى من إيمانهم .

(٢) من المؤمنين من يكون إيمانه خالصاً ، ومنهم من يكون مخلطاً يعني فيه إيمان وفيه نفاق ، ثم هم يتفاوتون فبعضهم مخلط لكن إيمانه أقوى من النفاق ، وبعضهم العكس يكون مؤمناً ولكن نفاقه أقوى من إيمانه . الناس يتفاوتون في إيمانهم تفاوتاً عظيماً وليسوا على درجة واحدة .

(٣) المؤمنين : خبر (كان) و(هم) : هذا ضمير فصل . وفي بعض النسخ : (هم المؤمنون) فيكون (هم) : ضمير فصل مبتدأ ، و(المؤمنون) : خبر (هم) .

(٤) بحسب إيمانه وتقواه تكون ولايته لله خالصة أو مخلطة ، إيمانه أقوى أو نفاقه أقوى .

(٥) الناس متفاضلون في ولاية الله يعني في محبة الله ، هم يحبون الله والله يحبهم بقدر ما عندهم من الإيمان ، فمنهم من تكون ولايته تامة ، ومنهم من تكون وَلايته ناقصة ، وكلهم أولياء لله ﷻ . وهذا فيه رد على الخوارج الذين يكفرون أصحاب الكبائر ويخرجونهم من الإيمان وهذا مذهب باطل ، فأهل الكبائر معهم إيمان ولكن يكون =

تفاضلهم في الكفر والنفاق[(١)] ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[(٢)] [التوبة : ١٢٤-١٢٥] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾[(٣)] [التوبة : ٣٧] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ

إيمانهم ناقصاً وهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ، هذا أصل أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر ، وهو وسط بين الخوارج الذين يكفرونهم ، وبين المرجئة الذين يقولون : إيمانهم كامل ولا تضرهم المعاصي ، (لا يضر مع الإيمان معصية) ، يقولون كذا .

(١) وكذلك الكفار أعداء الله ليسوا على درجة واحدة ، بعضهم أخف من بعض في الكفر ، وعداوته لله أخف ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة : ٨٢] الكفار ليسوا على درجة واحدة في الكفر .

(٢) هذا فيه دليل على أن الكفر يتفاضل وأن الإيمان يتفاضل ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ دل على أن الإيمان يزيد ، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : شك ونفاق ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ أي : نجاسة إلى نجاستهم الكفرية ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ فدل على أن الكفر يزيد وينقص .

(٣) النسيء : هو تأخير الحج عن وقته . كانوا في الجاهلية يؤخرونه عن وقته حسب =

تَقْوَنٰهُمْ ﴾[١] [محمد : ١٧] ، وقال تعالى في المنافقين ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[٢] [البقرة : ١٠] ، فبيَّن ﷺ أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من وَلاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب كفره ونفاقه[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾[٤] [المدثر : ٣١] ، وقال تعالى :

أهوائهم ، هذا هو النسيء ، ويؤخرون الأشهر الحرم أيضاً عن وقتها ﴿ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ فدل على أن الكفر يزيد ، فهؤلاء لما غيروا أحكام الله صار هذا زيادة في كفرهم ، كفر على كفر - والعياذ بالله - .

(١) هذا دليل على زيادة الإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ فدل على أن الهداية تزيد ، والإيمان يزيد .

(٢) وهذا دليل على أن الكفر والنفاق يزيد ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : المنافقون ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ فدل على أن الكفر يزيد ، والنفاق يزيد ، ومرض القلب يزيد حتى يموت القلب .

(٣) هذه النتيجة من سياق الآيات السابقة ، دلت هذه الآيات على أن الرجل قد يكون فيه قسط من الإيمان وقسط من الكفر والنفاق ، لا يقال : إن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص ، وإنما الإيمان يزيد وينقص .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ لأن الله أخبر أن على النار تسعة عشر من الملائكة ،

=

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾(١) [الفتح : ٤] .

فقال بعض الكفار : أنا أكفيكم منهم كذا وكذا ، يظن أنهم مثل الآدميين ، يقول : النار ما عليها فقط إلا تسعة عشر ، أنا أكفيكم منهم كذا وكذا من العدد ، وأنتم تكفوني الباقي ونخرج من النار ؛ سخرية واستهزاءً ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المَلك لا يعلم قوته وغلظه وكبره إلا الله تعالى ، ليسوا مثل الآدميين ، بحيث إن الإنسان يتغلب عليهم ، الملك الواحد ما يستطيعه البشر كلهم ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ اختبار ﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ؛ لأنه وافق ما عندهم في التوراة ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ هذا محل الشاهد: أن الإيمان يزيد .

(١) قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ السكينة : الطمأنينة يوم أحد ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ فدل على أن المؤمن يزيد إيمانه .

فصل

وأولياء الله على طبقتين[١] : سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون[٢] ، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الإنسان) و(المطففين) ، وفي سورة (فاطر) . فإنه ﷺ ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها[٣] ، وذكر

---

(١) أولياء الله يتفاوتون : منهم المقربون ، ومنهم أصحاب اليمين ، ومنهم الظالمون لأنفسهم ، فأهل الإيمان يتفاوتون ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهؤلاء هم أصحاب المعاصي مع ما فيهم من الإيمان ، ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو الذي اقتصر على أداء الواجبات وتجنب المحرمات ، وقد يفعل بعض المكروهات ، وقد يترك بعض السنن ، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] هذه الطبقة العليا وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات من باب الاحتياط ، هؤلاء هم السابقون وجاء في مثل هذه الآية آيات يذكرها الشيخ - فانتبهوا لها - أن المؤمنين ليسوا على طبقة واحدة ؛ وأنهم يتفاوت جزاؤهم يوم القيامة بحسب ذلك .

(٢) أصحاب اليمين هم الأبرار .

(٣) قال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ هذه الأحداث يوم القيامة ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً ﴾ [الواقعة : ١-٧] يعني كنتم أيها الناس أصنافاً ثلاثة : الكفار ، والمؤمنون (المقتصدون الأبرار ، والسابقون) ﴿ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ هؤلاء هم الأبرار ،

=

القيامة الصغرى في آخرها ، فقال في أولها : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا . وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً . فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ . وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١-١٤] فهذا تقسيم الناس إذا قامت

أصحاب اليمين ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ هؤلاء هم الكفار أصحاب الشؤم والكفر . والتكرار من باب التفخيم ، ثم قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ فكانوا ثلاثة أصناف : كفار ، وأصحاب يمين ، والمقربون ، هذا في أول السورة ذكر القيامة الكبرى ثم في آخرها ذكر القيامة الصغرى ، وهي الموت ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ يعني الروح ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَآ ﴾ أي : الروح ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ هؤلاء هم السابقون المقربون ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ هؤلاء هم الأبرار ، يعني سالم يسلم من النار ومن الآفات ، لكنه ليس مثل الطبقة العليا ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ هؤلاء هم الكفار ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٨٣-٨٤] هكذا الناس عند الموت : إما أن يكون من المقربين ، وإما أن يكون من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من الكفار – والعياذ بالله – .

القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ أي : فهلا ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ . وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ . فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ . وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ . وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٨٣-٩٦] .

وقال تعالى في سورة الإنسان : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا[١] . إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا[٢] . إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا[٣] . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ[٤]

---

(١) ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ﴾ أي : هدينا الإنسان ، هديناه الهداية العامة : التي هي بيان الحق من الباطل ، والهدى من الضلال .

(٢) هذا صنف ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ فبين جزاء الكفور ، ويُبيِّن جزاء الشاكرين بعد ذلك .

(٣) الأبرار : هم أصحاب اليمين ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ ﴾ أي : من شراب الجنة ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ أي : خِلْطُها الكافور ، طيب الرائحة ، عذب المذاق .

(٤) ﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ : هؤلاء المقربون ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ فالمقربون يشربون خالصاً ليس ممزوجاً ، وأما الأبرار فيشربون ممزوجاً بالكافور .

يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا(١) . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ(٢) لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا(٣) . وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الآيات [الإنسان : ٣-١٢] .

وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ(٤) . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ(٥) . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ . يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ .

---

(١) هذه صفاتهم .

(٢) فذكر الأصناف الثلاثة : ذكر الكفار ، وذكر أصحاب اليمين ، وذكر عباد الله المقربين وأنهم يشربون من الرحيق المختوم خالصاً .

(٣) هذا جزاؤهم عند الله ﷻ .

(٤) هذا صنف ، والسجِّين : فِعِّيل صيغة مبالغة ، وهو السجن الضيق . وقيل : سِجِّين هي تحت الأرض السابعة – والعياذ بالله – .

(٥) الأبرار : هؤلاء هم المقتصدون .

خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ(١) . وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ . عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ(٢) ﴾ [المطففين: ٧-٢٨] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من السلف ، قالوا : « يمزج لأصحاب اليمين مزجاً ، ويشرب بها المقربون صِرفاً »(٣) (تفسير ابن كثير ٨/ ٣٥٣) ، **وهو كما قالوا ، فإنه تعالى قال : ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا ﴾ ، ولم يقل يشرب منها ، لأنه ضمَّن ذلك قوله : يشرب يعني يُروى بها ، فإن الشارب قد يشرب ولا يَروى ، فإذا قيل : يشربون منها ، لم يدل على الرِّي، فإذا قيل: يشربون بها ، كان المعنى يروون بها(٤) ، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها(٥) ، فلهذا يشربون منها صِرْفا ، بخلاف أصحاب اليمين فإنها**

---

(١) هؤلاء الأبرار .

(٢) هؤلاء هم المقربون ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ فالأولون يمزج لهم ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ وهناك قال : ﴿ مِسۡكٞ ﴾ وهنا قال : ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ : ﴿ بِهَا ﴾ يشربون خالصاً ليس ممزوجاً .

(٣) صِرْفاً : يعني خالصاً ، رحيقاً خالصاً .

(٤) فهم أوفر حظاً من أصحاب اليمين ، ومن الأبرار ، لأن الأبرار وأصحاب اليمين يشربون الرحيق مخلوطاً بالمسك ، وفي الآية الأخرى بالكافور . وأما المقربون فيشربونها صِرفاً خالصة ليس معها مِزَاج .

(٥) وهذا أيضاً فارق ، الأبرار يشربون منها : يعني قد لا يروون منها ، وأما المقربون =

مزجت لهم مزجا ، وهو كما قال تعالى في سورة الإنسان : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[١] [الإنسان : ٥-٦] .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة[٢] ، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر[٣] ، كما قال النبي ﷺ : « من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم

فيشربون بها : يعني يروون منها ، فرقٌ بين (يشربون منها) و(يشربون بها) ، انظر دقة الفهم ، ودقة الفقه في القرآن .

(١) فالقرآن يوافق بعضه بعضاً ولا يختلف .

(٢) في سورة (الواقعة) في أولها وآخرها ، وسورة (الإنسان) : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [الإنسان : ١] ، وفي سورة (فاطر) : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] ذكر أنهم ثلاث طبقات .

(٣) فجزاؤهم يكون على وفق أعمالهم ، فالسابقون الأولون يشربون الرحيق المختوم صِرْفاً ليس معه خلط لأنهم خلصوا أعمالهم ، وصارت كل حياتهم لله ﷻ ، وأصحاب اليمين المقتصدون يشربون من الممزوج بالكافور أو بالمسك ، يمزج لها كما مزجوا في الدنيا العمل بشيء من حظوظ النفس وراحتها في المباحات ، والظالم لنفسه هذا تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه بذنوبه ثم يدخله الجنة ، وقد يخرج من النار بعد ما يدخلها بشفاعة النبي ﷺ أو شفاعة غيره ، هؤلاء هم طبقات أولياء الله المؤمنين .

القيامة[١] ، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة[٢] ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة[٣] ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[٤] ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى

---

(١) هذا الجزاء من جنس العمل « من نفس » : يعني وسع . « عن مؤمن كربة » : يعني ضائقة ، وجد أخاه في ضائقة من دين أو غيره أو جوع أو غيره فنفَّس عنه هذه الكربة ، أو كان معرضاً لعقوبة أو جزاء فشفع له وخلصه ، هذا جزاؤه من جنس عمله ، أنه يوم القيامة ينفِّس الله عنه من كرب يوم القيامة « من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

(٢) والدائن الذي له دين على معسر إذا يسَّر عليه التسديد ولم يضيق عليه ، فإن الله ييسِّر له في الدنيا والآخرة جزاء على عمله ، فالجزاء من جنس العمل .

(٣) من رأى على مسلم خطأ أو زَلة - لأن الإنسان ليس بمعصوم يحصل منه أخطاء ، ويحصل منه بعض المعاصي - فإنه يستر عليه ولا ينشر خطأه في الناس ، مع مناصحته هذا يستر الله عليه في الدنيا والآخرة جزاء من جنس عمله ، فالإنسان له أخطاء إذا ستر على أخيه أخطاءه ستر الله عليه أخطاءه ، أما من فضح أخاه وشَّهر به ونشر أخطاءه ، فإن الله يفضحه وينشر أخطاءه في الناس ، وفي الحديث : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » (سنن أبي داود / ٤٨٨٠ ، وقال الألباني : حسن صحيح) فالستر مطلوب في هذا على أصحاب الأخطاء مع مناصحتهم .

(٤) كذلك « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ، فالمؤمن يعين أخاه المؤمن في دينه ودنياه ، يعينه على مصالحه ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] فمن أعان أخاه أعانه الله ، فالجزاء من جنس العمل .

الجنة[١] ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده[٢] ، ومن بطّأ به عمله لم يسرع

---

(١) هذا فيه الحث على طلب العلم : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » فالجزاء من جنس العمل ، فكما أنه سلك طريق التعلم رغبة في العلم النافع ؛ لينتفع وينفع فإن الله يسهل له بذلك طريقاً إلى الجنة ، فهذا فيه الحث على السعي في طلب العلم ، وعدم التكاسل وعدم الميل إلى الراحة ، وطلب العلم لاشك أنه فيه مشقة وتعب ، لكنه من الجهاد في سبيل الله ، يصبر الإنسان ولا يُنال العلم بالراحة ، إنما يُنال بالطلب والتعب ، وسهر الليالي ، والبحث والتنقيب ، وسؤال أهل العلم ، وحضور مجالس العلم وإن بعدت عنه ، فهذا من سلوك الطريق لطلب العلم .

(٢) هذا فيه فضل طلب العلم في المساجد ، في بيوت الله ﷻ ، هذا أفضل مكان لطلب العلم ؛ لأنه تحصل فيه هذه الفوائد : « نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة » ، وأعظم من ذلك أن الله يذكرهم فيمن عنده في الملأ الأعلى ، فهذا فيه فضل طلب العلم في المساجد التي هي بيوت الله وإحياء المساجد بذلك ؛ لينتفع من يرتادها، ولما في ذلك من عمارة المساجد بيوت الله ﷻ ، فأفضل مكان يطلب فيه العلم المساجد ، ولا مانع أن يطلب العلم في المدارس والمعاهد والكليات، أما طلب العلم في الأسراب والكهوف والاستراحات وغير ذلك من الأمكنة الخفية والمجهولة ، فهذا لا يجوز ؛ لأنه قد يشوبه شيء من الأفكار المنحرفة خصوصاً في هذا الزمان ، ويقصده دعاة الضلال ، فيجب الحذر من هذه الأمور ، أو من هذه الأمكنة =

به نسبه[١] » رواه مسلم في « صحيحه » (٢٦٩٩) .

المشبوهة ، فالذي يريد طلب العلم لا يذهب إليها ، وإنما يذهب إلى دور العلم في المساجد ، والمدارس ، والمعاهد ، والكليات ، هذه هي محل طلب العلم ، وأمور الدين ليس بها خفاء ، ولا يتخفى في هذه الأمكنة إلا إنسان عنده أفكار سيئة لا يريد أن يُطَّلع عليها ، أما العلم الشرعي فليس فيه شيء يُخفى عن الناس ، ولهذا روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : « إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة » (انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / للالكائي / ٢٥١) لأن أمور الدين واضحة - ولله الحمد - وليس فيها تخفي وأسرار ؛ بل هي تُعلن للناس ليستفيد منها الناس ، وتزول الشبهة عن الإنسان ، ولا يُتهم ، فهذا أمر يجب التنبه له خصوصاً في هذا الزمان .

(١) فالمدار على العمل الصالح ، وأما النسب فإنه لا يقدم الإنسان عند الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] والنبي ﷺ قال : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » فالنسب لا يقدمك عند الله تعالى ، ولو كنت من أشرف الناس نسباً ، شرف النسب لم ينفع أبا لهب عم النبي ﷺ ، أنزل الله فيه سورة تتلى إلى يوم القيامة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] ما نفعه نسبه وهو من أشراف بني هاشم وعم النبي ﷺ ، ولا ضر بلالاً وسلمان وصهيباً وخباباً وعمار بن ياسر وغيرهم من الموالي ، ما ضرهم أنهم موالي ، صاروا من سادات الصحابة والأولياء ، فهذا معنى قول النبي ﷺ : « من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه » فمن أخَّره عمله لم يقدمه نسبه ، وإن كان في نسب مشهور ، هذا لا ينفعه عند الله ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا

=

وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[(١)] قال الترمذي : حديث صحيح (سنن الترمذي / ١٩٢٤ ، وصححه الألباني) .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن ، يقول الله تعالى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته »[(٢)] (مسند أحمد / ١٦٨٦ ، وهو صحيح لغيره) ، وقال : « ومن

نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ . فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١-١٠٣] سواء كان لهم نسب أو لم يكن لهم نسب ، فلا ينفع عند الله إلا العمل يوم القيامة .

(١) هذا الحديث فيه أن الجزاء من جنس العمل ، الراحمون الذين يرحمون الناس ويلطفون بهم ويرفقون بهم ويطعمون الجائع ، ويكسون العاري ، ويتصدقون على المحتاجين فإن الله ، يرحمهم جزاء كما رحموا عباده « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وهو الله ، وهذا فيه إثبات العلو لله ﷻ ، وأنه في السماء .

(٢) هذا أيضاً فيه أن الجزاء من جنس العمل ، فمن وصل رحمه وصله الله ، ومن قطع رحمه قطعه الله ، والرحمن من أسماء الله وهو يتضمن الرحمة ، الرحمـٰن اسمه ، والرحمة صفته ﷻ . والرحم مشتقة من الرحمن يعني من اشتقاق الاسم ، فهذا فيه آكدية حق الرحم وهم القرابة ، ورحم الإنسان هم أقاربه من جهة أبيه أو من جهة أمه ، هؤلاء هم أرحامه قد جعل الله لهم حقاً بعد حق الوالدين ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا

=

وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله »[١] (سنن الترمذي / ١٩٢٤ ، وصححه الألباني) ، ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون ، وأصحاب يمين ، كما تقدم[٢] ، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل

تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء : ٣٦] ، فجعل حقهم في المرتبة الثالثة بعد حقه ﷻ وبعد حق الوالدين مما يدل على آكدية حق الرحم على قريبهم ، وقد توعد الله من قطع رحمه باللعن ، قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ . أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢-٢٣] ففي هذا الحديث أن من وصل رحمه وصله الله بالخير والنعمة والبركة في الدنيا والآخرة ، وأن من قطع رحمه بتَّه الله وقطعه الله ، وحرمه من الخير جزاء على عمله ، فالجزاء من جنس العمل ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

(١) « من وصلها » يعني الرحم « وصله الله » جزاء على عمله ، وأوصله إلى كل خير ، « ومن قطعها » أي : قطع رحمه ، « قطعه الله » قطعه الله من الخير جزاء من جنس العمل ، هذا كله من الشيخ رحمه الله استفاضة في أن جزاء أهل الجنة يوم القيامة بحسب أعمالهم فمنهم السابقون المقربون ، ومنهم المقتصدون ، ومنهم الظالمون لأنفسهم .

(٢) كما تقدم في سورة الواقعة وفي سورة الإنسان .

حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها »[١] .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون ما

---

(١) هذا سبق ، الحديث رواه البخاري ، وهو حديث قدسي : أن الله ﷻ قال : « من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » الله يثأر لأوليائه ، فمن آذاهم أو عاداهم فإن الله يحاربه بالعقوبة العاجلة والآجلة ، الظاهرة والخفية ، ثم قال : « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل » هذا عمل السابقين المقربين ، أنهم يتقربون إلى الله بالفرائض وبالنوافل ، وجزاؤهم أن الله يكون معهم يسددهم ويثبتهم ويوفقهم « حتى أحبه » يحبهم « فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » معناه أن الله تعالى معهم يسددهم ويوفقهم فلا يمشون إلا إلى الخير ولا يمشون إلى مجالس الشر ، ولا يأخذون ويعطون بأيديهم إلا ما فيه الخير ، ولا يسمعون إلا ما يرضي الله ﷻ من القرآن ، والذكر ، والتسبيح ، والتهليل ، لا يسمعون اللغو ، واللهو ، وقول الزور والغيبة والنميمة ، لا يسمعون بآذانهم إلا ما يرضي الله ؛ لأن الله وفقهم وحفظ أسماعهم ، وكذلك لا يبصرون إلا ما فيه رضا الله ﷻ من التفكر في ملكوت الله والنظر إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ، نظر التذكر والاعتبار ، فالله يصونهم في جوارحهم فيستعملونها في الخير بدل أن يستعملوها في الشر ، فالجزاء من جنس العمل ، لما تقربوا إلى الله بالفرائض والنوافل أحبهم الله وكان معهم ﷻ .

أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم[١] ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات[٢] .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات[٣] ، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً[٤] ، كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ، يعني

---

(١) هؤلاء المقتصدون وهم الأبرار وأصحاب اليمين ، اقتصروا على فعل الفرائض وترك المحرمات وقد يتركون النوافل أو يفعلون شيئاً من الأمور المكروهة أو يعطون أنفسهم شيئاً مما تشتهي من المباحات ، فهؤلاء لما أعطوا أنفسهم شيئاً مما يريحها ، فإن الله ﷻ يعطيهم يوم القيامة مثل أعمالهم ، فلما مزجوا أعمالهم مزج الله لهم الشراب يوم القيامة ، فالجزاء من جنس العمل .

(٢) يعني يعطون أنفسهم ما تشتهي من المباحات ، فهم جعلوا شيئاً لأنفسهم من حياتهم هذا مباح ، لا بأس به ؛ لكنه ينقص ثوابهم عند الله فلا يكونون مع السابقين المقربين .

(٣) هذه ميزتهم ، فجعلوا عملهم كله لله ﷻ ولم يجعلوا شيئاً لأنفسهم مثل ما فعل الأبرار والمقتصدون ، كانت حياتهم كلها لله .

(٤) آثروا ثواب الله ورضاه عنهم على شهوات أنفسهم وإن كانت مباحة ، وتركوها لأجل الله ، فنالوا المرتبة العليا ، مرتبة السابقين المقربين .

الحب المطلق[١] وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦-٧] أي : أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[٢] [النساء : ٦٩] .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ[٣] ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشربوا صِرفاً ،

---

(١) يحبهم الحب التام ، فالله يحب الأبرار ، ويحب الظالمين لأنفسهم بقدر ما معهم من الإيمان ، أما الحب التام فهو للسابقين المقربين ، والأبرار دونهم في ذلك ، والظالمون لأنفسهم دون الأبرار . طبقات .

(٢) السابقون المقربون أنعم الله عليهم الإنعام التام الذي ليس فيه نقص ، وأما من دونهم فالله أنعم عليهم أيضاً ، لكن مطلق الإنعام ، لا الإنعام المطلق ، فهناك فرق بينهما ، مطلق الإنعام يكون فيه نقص ، أما الإنعام المطلق فلا نقص فيه ، فالجزاء من جنس العمل ، وإلا فالأبرار المقتصدون أنعم الله عليهم بنعمة عظيمة ، كذلك الظالمون لأنفسهم أنعم الله عليهم بقدر ما معهم من الإيمان والهداية ، لكنه إنعام دون إنعام الأبرار ، وإنعام الأبرار دون إنعام المقربين .

(٣) يعني أنهم تقربوا إلى الله بترك المباحات ، فضلاً عن ترك المكروهات والمحرمات ، فصارت أعمالهم كلها لله ﷻ .

كما عملوا له صِرفا[١] .

والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم[٢] ، فلا يعاقبون عليه ، ولا يثابون عليه[٣] ، فلم يشربوا صِرفاً ؛ بل مُزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا[٤] .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى عبد رسول ، ونبي مَلِك[٥] ،

---

(١) شربوا يوم القيامة من شراب الجنة صرفاً ليس فيه خِلط ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٦] أي : المقربون ، في حين أنه ذكر الأبرار : ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان:٥] ممزوجة بالكافور وهو طيب الرائحة ، لكنه ليس مثل الرحيق الخالص .

(٢) تمتعوا بالمباحات ، أعطوا لنفوسهم شيئاً من الراحة في المباحات ، هذا لا يثابون عليه ولا يعاقبون عليه . المباح : ما تساوى طرفاه ، ليس فيه ثواب وليس فيه عقاب ، فلما أعطوا لأنفسهم شيئاً من الراحة ، فإن ذلك ينقص من ثوابهم يوم القيامة عن درجة المقربين .
ولهذا يقولون : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، المقربون لا يعطون لأنفسهم ما يعطيه الأبرار لأنفسهم .

(٣) لكن يكون جزاؤهم أنقص من جزاء المقربين .

(٤) مُزج لهم بالكافور ، مُزج لهم بالمسك .

(٥) الأنبياء منهم من هو عبد رسول ، ومنهم من هو نبي مَلِك ، والعبد الرسول أفضل من النبي المَلِك ، والرسل الملوك مثل : يوسف ، وداود ، وسليمان عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، فهؤلاء أنبياء وهم ملوك في نفس الأمر ، وقد خُير النبي ﷺ هل يريد أن يكون رسولاً مَلِكاً ؟ أو يريد أن يكون عبداً رسولاً ؟ فاختار أن يكون عبداً رسولاً .

وقد خيَّر الله سبحانه محمداً ﷺ ، بين أن يكون عبداً رسولاً ، وبين أن يكون نبياً مَلِكاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً[(١)] ، فالنبي المَلِك ، مثل داود وسليمان عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ ونحوهما ، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ . وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ . وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ . هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٥-٣٩] أي : أعط من شئت ، واحْرِم من شئت ، لا حساب عليك[(٢)] ، فالنبي المَلِك ، يفعل ما فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار ، من غير إثم عليه[(٣)] .

---

(١) تواضع لله ﷺ ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، فلا يعطى من الملك مثل ما أعطي إخوانه : يوسف وداود وسليمان عَلَيْهِمُالسَّلَامُ .

(٢) الله أعطى سليمان لما سأل ربه : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ أجاب الله دعوته وأعطاه الملك الذي لم يعطه لغيره ، سخَّر له الريح تحمله هو وجنوده إلى حيث شاء ، وسخر له الشياطين والعفاريت تعمل له ليل نهار ، وأعطاه من القوة والملك ما لم يعطه لغيره ﷺ مع النبوة ، وأباح له أن يعطي ويمسك من غير حساب ، من غير أن يحاسبه الله على ذلك ، لاشك أن هذا فيه فضل عظيم ، لكنه دون فضل العبد الرسول .

(٣) فكما أن المؤمنين طبقات بعضها أفضل من بعض ، فأيضاً الرسل والأنبياء بعضهم =

وأما العبد الرسول ، فلا يعطي أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطي من يشاء ، ويحرم من يشاء[(١)] ، بل رُوي عنه ﷺ أنه قال : « إني والله لا أعطي أحداً ، ولا أمنع أحداً ، إنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت » (صحيح البخاري / ٢٩٤٩) ، ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول[(٢)] ، كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[(٣)] [الأنفال : ١] وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ

أفضل من بعض ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فالله فضل بعض النبيين على بعض .

(١) النبي المَلِك أباح الله له أن يعطي من يشاء ويحرم من يشاء ﴿ فَٱمْنُنْ ﴾ يعني اعط ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ يعني لا حرج عليك في ذلك ، أما النبي العبد فليس كذلك ، لا يعطي من يشاء ولا يمنع من يشاء ، وإنما يعطي من أمره الله بإعطائه ويمنع من أمره الله بمنعه ؛ لأنه عبد ، وليس مَلِكاً .

(٢) ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية – كالفيء والغنيمة والأنفال وغير ذلك – إلى الله والرسول ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [الحشر : ٧] فيجعل المال لله وللرسول ولم يجعله للرسول فقط ، كما جعله لسليمان عليه السلام .

(٣) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ : الرسول لا يعطي ولا يُنفِّل أحداً إلا بأمر الله ﷻ .

عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[١] [الحشر : ٧] وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾[٢] [الأنفال : ٤١] .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله[٣] بحسب اجتهاد ولي الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : إنه يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه[٤] ، وقيل : على ثلاثة ،

---

(١) ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ : فالرسول لم ينفرد بالفيء وإنما هو لله وله ، فلا يتصرف فيه إلا بأمر الله فهو مُنفِّذ ، ولهذا جاء في الحديث : « إنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت » .

(٢) ﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ : المغانم ، كيف تصرف ؟ لابد من الرجوع إلى ما شرعه الله فيها ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ يعني من أموال الكفار في المعركة ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ لأنه يعطي بأمر الله ﴿ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

(٣) يعني أموال المغانم .

(٤) عملاً بالآية ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سهم الله والرسول سهم واحد ، ولذي القربى اثنين ، واليتامى ثلاثة ، والمساكين أربعة ، وابن السبيل خمسة ، فالخمس يُصرف على هذه المصارف الخمسة كما في الآية .

كقول أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي المَلِك[١] ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ[٢] ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بها أبيح له على ما أمره الله ، فهو من أولئك[٣] .

---

(١) ذِكْرُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمصرف الفيء والأموال هذا من باب الاستطراد كعادته ، وأما المقصود وصلب الموضوع فهو البحث في النبي المَلِك ، والعبد الرسول .

(٢) كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ عبيد رسل ، فهم أفضل من الأنبياء الملوك مثل : يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنه تولى على ملك مصر ، ومثل سليمان ، وأبوه داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ .

(٣) يعني من السابقين ، فالذي يستعمل حياته كلها لله يكون كل عمله عبادة وهم السابقون والأبرار المقتصدون عملهم عبادة ، وقد يكون فيه شيء غير عبادة مباح لا يثابون عليه ولا يعاقبون عليه ، فهم أنقص من السابقين .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة (فاطر)[١] في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ[٢] ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ . جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ[٣] . وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ

---

(١) ذكر الله في سورة فاطر أن هذه الأمة المحمدية ثلاث طبقات : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات ، وأخبر أنهم كلهم في الجنة ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ كلهم ، الظالم لنفسه يدخل الجنة ، قد يدخلها من أول وهلة ، وقد يعذب ثم يدخلها في النهاية فمآله إلى الجنة ، والمقتصدون والسابقون هؤلاء في الجنة لا تعذيب عليهم ولا يدخلون النار .

(٢) ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهو المؤمن الموحد الذي قد يفعل شيئاً من الكبائر التي دون الشرك فهذا ظالم لنفسه معرض نفسه للعذاب والوعيد إن لم يغفر الله له ، لكنه من أهل الجنة إما في البداية وإما في النهاية ، ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ الذي اقتصر على فعل الواجبات والفرائض وترك المحرمات ، وهم الأبرار وأصحاب اليمين ، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وهم المقربون .

(٣) في هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون أصحاب الكبائر ؛ لأن الله أخبر أنهم يدخلون الجنة ، والخوارج والمعتزلة يقولون : لا يدخلون الجنة . هم مخلدون في النار ، نسأل الله العافية من الضلال .

رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٢-٣٥] لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية ، هم أمة محمد ﷺ خاصة(١) ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ .

وأمة محمد ﷺ ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة ، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن(٢) ، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء(٣) ، وقسمهم إلى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق ، بخلاف الآيات التي في

---

(١) ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني القرآن ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ أي : اخترناهم ، كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هم هذه الأمة أورثها الله الكتاب وهو القرآن العظيم واصطفاهم : اختارهم على غيرهم من الأمم ، وكرمهم بذلك وشرَّفهم .

(٢) ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فورَّاث هذا الكتاب هم المؤمنون ، ولو كانوا لا يقرأون القرآن ، ليس خاصاً بحفاظ القرآن ؛ بل كل مؤمن من هذه الأمة فإنه ورث هذا الكتاب ويحصل على هذا الجزاء عند الله ﷻ ، فإن المؤمن من أهل القرآن وإن لم يحفظه .

(٣) فهو من الذين اصطفاهم الله ، وهو من هذه الأمة التي ورثت الكتاب .

(الواقعة)[١] (والمطففين)[٢] (والانفطار) فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة ، كافرهم ومؤمنهم[٣] ، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب المُصِرُّون عليها[٤] ، والمقتصد : المؤدي للفرائض ، المجتنب للمحارم ، والسابق للخيرات : هو المؤدي للفرائض ، والنوافل ، كما في تلك الآيات ، ومن تاب من ذنبه ، أي ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم

---

(١) فإنه لم يذكر في (الواقعة) إلا صنفين من المؤمنين : المقربون وأصحاب اليمين ، وذكر معهم أصحاب الشمال وهم الكفار ، وكذلك في سورة ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ ﴾ ذكر صنفين فقط : المقربون والأبرار ، وذكر الكفار معهم ، وفي سورة (الانفطار) : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ذكر الصنفين فقط . وأما في سورة (فاطر) فذكر الأصناف الثلاثة من هذه الأمة ، ثم ذكر بعدهم أهل النار - والعياذ بالله - ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ [فاطر: ٣٦] فذكر أربعة أصناف : ثلاثة من هذه الأمة ، وصنف الكفار صنف واحد - والعياذ بالله - .

(٢) أيضاً (المطففين) فيها ذكر المقربين والأبرار فقط .

(٣) سورة (الواقعة) وسورة (الإنسان) وسورة (المطففين) و(الانفطار) دخل فيها المؤمن والكافر من جميع الأمم ، لكن هذه الآية من سورة (فاطر) خاصة بالمؤمنين من هذه الأمة .

(٤) أما من تاب من الذنوب فهو كمن لا ذنب له ، حتى ولو فعل الشرك والكفر وتاب تاب الله عليه ، إنما هذا في أصحاب الذنوب التي دون الشرك ، ولم يتوبوا ، فهؤلاء تحت المشيئة .

يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ . وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ (١) ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ (٢) وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٦] .

وقوله : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [فاطر : ٣٣] ، مما يستدل به أهل السنة ، على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد(٣) ، وأما دخول كثير

---

(١) والذين إذا فعلوا فاحشة وتابوا منها ، صاروا في الجنة كأنهم لم يذنبوا ، ففيه فضل التوبة .

(٢) التائب من الذنب لا تنقص درجته عن السابقين والأبرار وأصحاب اليمين إذا حَسُن عمله لا ينقص ، ولا تُنقِصُه المعصية التي تاب منها ، كأنها لم تكن .

(٣) وفي هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون : إنه يُخَلَّدُ في النار ، من دخلها لا يخرج منها ، والأدلة من القرآن والسُّنَّة على أنَّ الموحِّد وإن دخل النار ، فإنه لا يُخَلَّدُ فيها ، ويخرج منها .

من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ[1] ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا ﷺ ، وشفاعة غيره ، فمن قال : إن أهل الكبائر مخلدون في النار ، وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوّله من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولإجماع سلف الأمة وأئمتها .

---

(١) هذا ردّ على المرجئة ، الذين يقولون : أصحاب الكبائر لا يدخلون النار أبداً ، هم في الجنّة ولا تضرهم الكبائر التي دون الشرك ، وهذا غرور وجهل ، فإنه تواترت الأدلة على أن أصحاب الكبائر قد يدخلون النار ويعذبون فيها ، وقد يبقون فيها مدة طويلة ، ويخرجون من النار متفحمين ، ثم تنبت أجسامهم وتحيا ، ثم يدخلون الجنة ، فهذا ردّ على المرجئة الذين يقولون : لا يضرّ مع الإيمان معصية ، والإيمان لا ينقص بالمعاصي ولا تضرُّهم ، هذا جهل ، وقول على الله بغير علم ، ومخالفة للأدلة .
فالخوارج والمرجئة على طرفي نقيض ، وأهل السُّنَّة متوسطون ولله الحمد في هذا ؛ فلا يقولون : إن المعصية لا تضرّ ، وأنّ العاصي صاحب الكبيرة كامل الإيمان كما تقوله المرجئة ، ولا يقولون : إنه ليس معه إيمانٌ أصلاً وهو كافر ، كما تقوله الخوارج ؛ بل يقولون : إنه مؤمن ناقص الإيمان .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١] [النساء: ٤٨، ١١٦] فأخبر الله تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يُراد بذلك التائب[٢]، كما يقوله من يقوله من المعتزلة؛ لأن الشرك يغفره الله لمن تاب[٣]، وما دون الشرك يغفره الله أيضاً للتائب، فلا تُعلَّق بالمشيئة، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] [الزمر: ٥٣]، فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له.

ففي آية التوبة، عمم وأطلق، وفي تلك الآية خصص وعلق[٥]،

---

(١) هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة.

(٢) التائب هذا كمن لا ذنب له، إنما الكلام في غير التائب، صاحب الكبيرة التي لم يتب منها، هذا محلُّ الدليل.

(٣) حتى الشرك والكفر؛ التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وليس خاصاً بصاحب الكبيرة.

(٤) ثم قال بعدها: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ أمر بالتوبة، فهو يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب.

(٥) ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، أما في آية التوبة ما استثنى، وما قال: من تاب تاب الله عليه إن شاء.

فخصَّ الشرك بأنه لا يغفره ، وعلَّق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك : التعطيل للخالق ، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل ذنب[١] ، ونبَّه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق[٢] ، أو يُجوِّز أن لا يُعذِّب بذنب[٣] ، فإنه لو كان كذلك ، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يُعلِّق ذلك بالمشيئة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل النفي والعفو العام .

---

(١) هذا ردّ على المرجئة ، أشدّ من الشرك : الجحود والتعطيل ، الذين ينكرون الربّ ﷻ .

(٢) يعني جحد الربّ ﷻ ، والقول بأنّ الأمر معلّق بالدهر أو بالطبيعة وليس هناك خالق - تعالى الله عمّا يقولون - وهم الدهرية والملاحدة .

(٣) أو يُجوِّز ألا يعذِّب بذنب ، كما هو قول المرجئة ، يقولون : لا يُعذِّب بذنب ما دام أنه مؤمن ، وإن صدرت منه ذنوب ، فهو لا يُعذِّب أبداً ، هذا ضلال .

(٤) ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، فالتوبة لم يعلقها الله بالمشيئة ، من تاب تاب الله عليه ، وإنما علَّق العفو بالمشيئة لمن لم يتب من المؤمنين .

فصل

وإذا كان أولياء الله ﷻ ، هم المؤمنون المتقون ، والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى ، فهم متفاضلون في وَلَاية الله بحسب ذلك[1] ، كما أنهم

(١) أولاً : الضابط في وليّ الله من هو ؟ بيّنه الله في قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] فمن جمع بين هذين الوصفين : الإيمان والتقوى ، فإنه وليٌّ لله ، ومن فقد الوصفين أو أحدهما فإنه عدوٌّ لله ، وهو من أولياء الشيطان ، هذا مقتضى ما دلّ عليه القرآن من تعريف الوليّ ، لا كما تصالح عليه المخرِّفون ، من أنّ الوليّ : هو الذي يظهر علي يده خارق من الخوارق المخالفة للواقع ، ويعتبرون هذا وليّاً ، فإذا كان يمشي على الماء أو يطير في الهواء ، أو يدخل النار ولا تحرقه بزعمهم ، فهذا وليٌّ لله ، دون نظرٍ إلى عمله هل عنده الوصفان أو لا ؟ هل هو مؤمن تقي أو لا ؟ فإن كان مؤمناً تقيّاً ؛ فهذا الذي يجري على يديه كرامة من كرامات الأولياء ، أما إذا كان فاقداً للوصفين أو أحدهما فهذا ليس وليّاً لله ، وهذا الخارق يعتبر خارقاً شيطانياً ، فإن الشياطين تحمله في الهواء وتطير به ، وتمشي به على الماء ، وتُخيِّل إلى الناس أنه يدخل في النار ولا تحرقه إلى آخره ، فهذه خوارق شيطانية ، تجري على يد عدوّ الله ، فلا يُغترّ بهذا الأمر ، قال الشيخ ﷺ : ثم إنّ أولياء الله يتفاوتون ، بعضهم أقرب إلى الله من بعض ، السابقون المقربون أقرب إلى الله من الأبرار وأصحاب اليمين ، وأصحاب اليمين والأبرار أقرب من الظالمين لأنفسهم من المؤمنين الذين عندهم إيمان ، لكن عندهم مخالفات لا تخرجهم من الدين ، فهم يتفاوتون في الوَلَاية لله ﷻ ، بتفاوت إيمانهم وتقواهم ، قوةً وضعفاً وتوسطاً .

لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك[١] .

وأصل الإيمان والتقوى : الإيمان برسل الله[٢] ، وجماع ذلك : الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ[٣] ، فالإيمان به يتضمن الإيمان

---

(١) كما أنّ أعداء الله وأولياء الشيطان يتفاوتون بعضهم أشدّ عداوة وكفراً من بعض ، بحسب ما يحصل منهم من الكفر والضلال ، فبعضهم أشدّ عداوة لله من بعض .

(٢) أساس الإيمان والتقوى : الإيمان بالرسل ، لأن من آمن بالرسل فقد آمن بالمرسِل وهو الله ﷻ ، وآمن بما معهم من الشرائع وما معهم من الكتب ، فالإيمان بالرسل يتضمن الإيمان بالله والإيمان بكتبه والإيمان بكل ما أخبروا به وما جاؤوا به عليهم الصلاة والسلام ، بخلاف من لم يؤمن بالرسل فإنه وإن ادّعى أنّه ولي لله فإنه من أولياء الشيطان ؛ لأن كفره بالرسل يتضمن كفره بما جاؤوا به ، وهذا فيه ردٌّ على من يدّعون الولاية وهم ليسوا من أتباع الرسل ، ويقولون : نحن عرفنا ووصلنا إلى الله ولسنا بحاجة إلى الرسل ، الرسل إنما هم للعوام ، أما نحن فخاصة ، ومنهم خاصة الخاصة كما يقولون ، فهؤلاء أعداء للرسل ، فكيف يكونون أولياء الله ﷻ ، وهم يقولون : لسنا بحاجة إلى الرسل ، نحن نعرف الله ونصل إليه بدون الرسل ؟!

(٣) من آمن بمحمد ﷺ فهو مؤمن بجميع الرسل ، لأنه هو خاتم المرسلين وهو المصدِّق للرسل ﷺ ، ومن كفر بهذا الرسول فهو كافر بالرسل ، كاليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بهذا الرسول ، هؤلاء كافرون بجميع الرسل ، حتى الرسل الذين يزعمون أنهم من أتباعهم وأنهم يؤمنون بهم ، هم كافرون بهم .

بجميع كتب الله ورسله[١] .

وأصل الكفر والنفاق : هو الكفر بالرسل ، وبما جاؤوا به ، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة[٢] ، فإن الله تعالى أخبر

---

(١) لأنه خاتم الرسل ، وكتابه مهيمن على الكتب السابقة ، وناسخٌ لها ، فهو الكتاب الخاتِم ، والكتاب الناسِخ لما قبله ، فمن لم يؤمن بهذا الرسول وهذا القرآن فهو كافرٌ بجميع الرسل ، وإن كان يزعم أنه مؤمن بهم ؛ لأن من جحد نبيّاً واحداً فهو جاحدٌ لجميع الرسل ، فكيف إذا كان هذا النبي الذي جحده هو أفضل الرسل وخاتم الرسل والمصدق للرسل ، وهذا يُفرِّق بين الله ورسله ، ومن فرَّق بين الله ورسله فآمن ببعض وكفر ببعض فهم الكافرون حقّاً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء : ١٥٠-١٥١] .

(٢) لأن الكفار على قسمين :

كفار في الظاهر والباطن ، وهم الذين لا يؤمنون بالرسل ، أو لا يؤمنون ببعضهم .

وكفار في الباطن دون الظاهر وهم المنافقون ، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، وهؤلاء شرٌّ من الكفار الذين أظهروا كفرهم ، لأن الذين أظهروا كفرهم عُرِفوا أنهم أعداءٌ لله ولرسوله ، فيعاملون معاملة الكفار ، أما هؤلاء فأبطنوا كفرهم وخادعوا ، فيغتر بهم من لا يعرف حقيقتهم ، وضرر المنافقين على الإسلام أشد من ضرر الكفار بكثير .

في كتابه ، أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة[١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا . رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٢] [النساء : ١٦٣-١٦٥] ، وقال تعالى عن

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، ولهذا يُعاتب الكفار يوم القيامة ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ يقولون للرسل : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٨-٩] يضللون الرسل - نسأل الله العافية - ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ اعترفوا ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] فهم يعترفون يوم القيامة بأنهم بلَّغتهم الرسل ، وأنه ليس لهم عذر ؛ لأن الله لا يظلم أحداً ، فلو كانت ما بلَّغتهم الرسل فإنها لا تكون قامت عليهم الحجة ، والله لا يُعذِّب إلا من بلغته الحجة ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فلذلك أهل الفترة ، وأطفال المشركين ، والذين لم تبلغهم الدعوة كانوا منقطعين عن العالم ولم يسمعوا بشيء ، فهؤلاء يُسمَّون أهل الفترة ، أمرهم إلى الله ﷻ يوم القيامة .

(٢) يجب الإيمان بجميع الرسل ، من أولهم إلى آخرهم ، من سمَّى الله منهم ومن لم يُسمِّ ، قد سمَّى الله منهم طائفة ، مثل ما في هذه الآية ، وآية ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ =

أهل النار : ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ . قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ (١) إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ (٢) ﴾ [الملك : ٨-٩] ،

قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ . وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ ﴾ [الأنعام : ٨٣-٨٤] إلى آخر الآيات ، هؤلاء سماهم الله ، فنؤمن بهم ونؤمن بمن لم يُسمِّ لنا ، ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾ [النساء : ١٦٤] وأول الرسل هو نوح عليه السلام ، هو أول رسول إلى أهل الأرض ، ولهذا قال : ﴿ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء : ١٦٣] ، لما عبدوا الأولياء والصالحين ونصبوا صورهم وعبدوها حدث الشرك من ذلك الوقت ، وأرسل الله نوحاً عليه السلام ، وهو أول رسول بعد حدوث الشرك في الأرض ، وكانوا من قبل على دين آدم عليه السلام ، كان فيهم أنبياء يعلمونهم ويرشدونهم ، وكانوا على التوحيد . والشاهد من الآية بيان الحكمة من إرسال الرسل ، ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء : ١٦٥] ، لئلا يحتجّ أحد يوم القيامة ويقول: أنا ما بلغني رسالة ، ولا بلغني دين ، فالله قطع معذرتهم بإرسال الرسل.

(١) فهذا فيه أنهم يعترفون أنها قامت عليهم الحجة ، وأنهم جاءهم النذير ، بلغهم لكنهم كذبوه ﴿ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا ﴾ ، وجحدوا الوحي من الله ﷻ : ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ ﴾ أيها الرسل ﴿ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ .

(٢) ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ﴾ : (إن) بمعنى : (ما) نافية ، أي : ما أنتم إلا في ضلال كبير ، فحصروا الضلالة على الرسل – والعياذ بالله – إن أنتم أي : ما أنتم إلا في ضلال ، ليس عندكم هدى .

فأخبر أنه كلما ألقي في النار فوج أقرُّوا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذَّب النذير[١] .

وقال تعالى في خطابه لإبليس : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢] [ص: ٨٥] فأخبر سبحانه أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه ، فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم[٣] ، فعُلِم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان[٤] ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له ، فإنه ممن لم يتبع

---

(١) ﴿ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ اعترفوا أنهم لا يسمعون ولا يعقلون من الرسل ، وأنهم صمُّوا آذانهم وأغلقوا عقولهم ، ولم يلتفتوا إلى ما جاء به الرسل ، وتكبروا عن ذلك ﴿ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ، قال الله ﷻ : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ لأن الله لا يظلم أحداً ، لا يعذبه بدون ذنب ﴿ فَسُحْقًا ﴾ ، أي : بُعداً ﴿ لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠-١١] .

(٢) هؤلاء أولياء إبليس ، الذين يتَّبعون إبليس هم أولياؤه ، ويكونون معه يوم القيامة في جهنم : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، فالنار دار إبليس ومن تبعه ، والجنة دار المتقين ، ودار الرسل وأتباعهم .

(٣) لم يدخلها غيرهم دخول خلود ، قد يدخلها من أتباع الرسل أصحاب المعاصي الكبائر ، لكنهم لا يُخلَّدون فيها .

(٤) إلا من تبع الشيطان اتباعاً كلياً فيدخلها دخولاً مؤبّداً ، أو تبعه بعض الاتباع فيدخلها بقدر ما حصل منه .

الشيطان ولم يكن مذنباً[١] ، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل[٢] .

---

(١) هناك طرف ثالث ليسوا من أتباع الشيطان وليسوا مؤمنين ، مثل الصغار الأطفال الذين لم يبلغوا التمييز ، ومثل أصحاب الفترة ، ومثل المجانين الذين ليس لهم عقول ، فهؤلاء صنف ثالث ، لم يحصل منهم كفر ولم يحصل منهم إيمان .

(٢) أما من لم تقم عليه الحجة ، كأصحاب الفترة ، والأطفال الذين لم يبلغوا سنّ التمييز والمجانين والبُلْه الذين ليس لهم عقول ، هؤلاء لا يدخلون النار ؛ لأنهم ليس لهم ذنب .

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً مجملاً ، وأما الإيمان المفصَّل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل[١] ولم يبلغه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به[٢] ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيماناً مجملاً ، فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مع إيمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى[٣] ، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه[٤] ، وما لم تقم عليه الحجة ، فإن الله تعالى لم يكلفه معرفته ،

---

(١) الإيمان بالرسل يتفاوت ، فإيمان العوام ، يختلف عن إيمان العلماء ، فالعلماء يعلمون تفاصيل ويعلمون ما لا يعلمه الجُهّال ، فيجب على العالِم أكثر مما يجب على الجاهل ، لأن العالِم يعلم التفصيل ، وأما الجاهل والعامي فإنه عنده علم مجمل ، فيؤمن بقدر علمه ، وأما العالم فقد تعلّم وعَرَف كثيراً مما جاءت به الرسل ، فهو أوسع دائرة وإيماناً من العامي ، والله ﷻ قال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، فخشيتهم أكثر من خشية الجهال ، وإن كان جُهَّال المؤمنين مؤمنين بالله ﷻ ، وعندهم خشية لله ، لكنها أقلّ من خشية العلماء .

(٢) فهو يؤمن بما بلغه ، ويؤمن بما جاءت به الرسل مما لم يبلغه ، لأنه لا أحد يحيط بالعلم ، لكنه يؤمن بما بلغه إيماناً مفصلاً ، ويؤمن بما لم يبلغه إيماناً مجملاً ، هكذا المؤمن .

(٣) إذا عمِل بعلمه مع الإخلاص لله فهو من أولياء الله .

(٤) كما سبق أن المؤمنين يتفاوتون في الوَلاية بعضهم أرفع من بعض ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ٩] .

والإيمان المفصل به[١] ، فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال وَلاية الله بحسب ما فاته من ذلك[٢] ، فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمل به ، فهو أكمل إيماناً ووَلاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ولم يعمل به ، وكلاهما ولي لله تعالى[٣] .

والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء الله المؤمنون المتقون هم في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم[٤] . قال الله ﷻ : ﴿ مَّن

(١) الذي لم تبلغه الحجة ، ولم تبلغه الرسالة ، فهذا لا يُكلَّف أن يؤمن بشيء لم يبلغه ، ولم يعرفه ، هذا يُعذر بجهله ، لكنه فيمن لا يُمكن زوال جهله ، لم يسمع شيئاً ، ولا عنده أحد يبلغه ، وعاش منقطعاً عن العالم .

(٢) وكذلك العوام الذين بلغهم الإسلام ، لكن لا يعرفون التفاصيل التي يعرفها العلماء، فالعلماء الذين يعملون بعلمهم ويخلصون لله أرفع درجة من العوام الذين لا يعلمون التفاصيل .

(٣) كلاهما ولي لله ، لأنهم مؤمنون متقون ، لكن تفاوتوا في الإيمان والتقوى ، فتفاوتوا في الدرجة عند الله ﷻ .

(٤) قال تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ، والجنة درجات كل درجة يسكنها أهلها الذين استحقوها ، فليسوا بمنزلة واحدة ، كما أنّ النار – والعياذ بالله – دركات بعضها تحت بعض ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ، فالجنة درجات ؛ لماذا صارت درجات ؟ لأن أعمال أهلها متفاوتة ، والله ﷻ لا يظلم أحداً ، فينزِّل كل واحد بما يستحق من عمله ، فهم يتفاوتون فيها بحسب أعمالهم .

كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا . كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(١) [الإسراء: ١٨-٢١] .

---

(١) اللهُ فاوت بين العباد في الدنيا ، في الأرزاق والإمكانيات والفقر والغنى ... إلخ ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ لا أحد يمنع عطاء الله ﷻ ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، فهو يعطي الناس في الدنيا ، ويفاوت بينهم ، وإن كانوا كفاراً ، فإذا كان لا يريد إلا الدنيا فإن الله يعطيه من الدنيا ما يريد ﷻ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥] ولذلك تجد عند الكفار من العلوم الدنيوية ومن الإمكانيات ومن المقدِرات ما ليس عند المؤمنين ؛ لأن المؤمنين على العكس يريدون الآخرة ، ولا يريدون الدنيا إلا بقدر ما يبلغهم للآخرة ، أما هؤلاء فيريدون الدنيا لذاتها ، ولا يريدون الآخرة ، فلذلك وإن وُفِّرت لهم الدنيا فإنهم يُحرمون يوم القيامة من الجنة ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٦] الله أعطاهم من الدنيا ووفّر لهم، ووفّى لهم مطلوبهم ، لكن لما لم يريدوا الآخرة لم يكن لهم فيها نصيب - والعياذ بالله - وماذا تنفعهم الدنيا ؟! أما من ﴿ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ ، لا تكفي الإرادة ؛ بل لابدّ من السعي بالعمل =

فبيَّن الله ﷻ ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظوراً من برٍّ ولا فاجر[١] ، ثم قال تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] ، فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتِها أكبر من درجات الدنيا[٢] ، وقد بيَّن تفاضل أنبيائه

الصالح ، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ شرطان : ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ : مصدِّقٌ بما عند الله ﷻ ، مصدِّقٌ بالآخرة والجزاء والجنة والنار ، ﴿ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ : يشكر الله لهم ذلك ﷻ ؛ لأن الله غفورٌ شكور ، يشكر لهم ، ولا يُضيع أعمالهم ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ : المؤمنين والكفار ، ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ، ثم قال ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

(١) يعني ليس ممنوعاً لا من البَرّ ولا من الفاجر ، فهو يعطي المؤمن والكافر في هذه الدنيا ، من الذي يرزق الكفار ويطعمهم ويسقيهم ، ويمكنهم من الرفاهية ، ومن هذه المخترعات ، هو الله ﷻ ، ومن الذي يمدّ المؤمنين بالإيمان واليقين والعمل الصالح ويرزقهم أيضاً من الدنيا من الطيبات ومن المال الطيب ؛ هو الله ﷻ ، هو الذي يرزق هؤلاء وهؤلاء في الدنيا ، ويتفاوتون في الدنيا ، والآخرة أكبر تفاوتاً ، وأكبر تفضيلاً .

(٢) ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، كما قال ﷺ (انظر : صحيح مسلم / ١٨٨٤) .

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كتفاضل سائر عباده المؤمنين(١) ، فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ (٢) مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ (٣) وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا

---

(١) تفاضل الأنبياء وتفاضل الصحابة ، وتفاضل سائر المؤمنين ، ليسوا على حدٍّ سواء في الإيمان ، ولا يكونون على حدٍّ سواء في الجزاء يوم القيامة في الدرجات ؛ لأن الله لا يظلم أحداً ، بل يتفضل أكثر من عمل الإنسان ، ويضاعف له .

(٢) الرسل عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون فيما بينهم ، ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ : مثل موسى عليه السلام ، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ فعند موسى ما ليس عند غيره من إخوانه من النبيين ، وعند عيسى ما ليس عند غيره من إخوانه من النبيين ، وعند محمد ﷺ ما ليس عند الجميع ، وإبراهيم عليه السلام عنده ما ليس عند غيره ، فالرسل يتفاضلون عليهم الصلاة والسلام ، ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ولكن لا يُتنقَّص المفضول ، ولا يجوز لأحد أن يتنقّص أحداً من الأنبياء وإن كان مفضولاً ، وغيره أفضل منه من إخوانه النبيين ، فلا يُتنقَّص من الأنبياء ، ولهذا قال ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متّى » فلا يجوز التفضيل من باب الافتخار واحتقار الآخر وانتقاصه .

(٣) ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ مثل موسى عليه السلام كلمه الله ، (الله) : مُكَلِّم و(مَنْ) : مُكَلَّم : مفعول ، ولهذا حاول الجهمي الجعد بن درهم تحريفها ، ودعا القارئ أبا عمرو بن العلاء ، وقال له : أريدك أن تقرأ هذه الآية (منهم من كلَّم اللهَ) يعني فيكون النبي هو الذي كلَّم الله ، لا أنّ الله الذي تكلم ، حتى يجحد أن الله يتكلم ، فقال له : هبني قرأتها هكذا ، ماذا تقول في قوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فعند ذلك انبهت الخبيث ، وانسد عليه الطريق . (انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١ / ١٧٧) .

عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[١] [البقرة : ٢٥٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٢] [الإسراء : ٥٥] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير[٣] ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن[٤] ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل[٥] ، فإن

---

(١) يعني بجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو روح القدس .

(٢) ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ ، وهو كتاب الزبور الذي يترنَّمُ به ، فإذا ترنم داود بالزبور خشعت الجبال والطيور ، فصرن يرددن معه ، يُرَجّعن معه لحُسْن صوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وهذه فضيلة خصت بداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

(٣) مما يدل على التفاضل هذا الحديث : « المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، فدل على أن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم ، فالقوي في إيمانه خير من الضعيف في إيمانه وفي كل خير ، المؤمن وإن كان إيمانه ضعيفاً ففيه خير ، فهو خير من الكافر والمنافق ، فلا يُحتقر الضعيف من المؤمنين ؛ لأنه أحب إلى الله من جميع الكفار .

(٤) هذا في فعل الأسباب ، وأن الإنسان لا يقول : أنا متوكل على الله ، ومؤمن بالله ويعطِّل الأسباب ، بل يعمل بالأسباب ، « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن » : تترك العمل ، وتترك الكسب ، وتقول : أنا متوكل على الله ، هذا لا يجوز .

(٥) طلب الرزق وفعل الأسباب هو من قدر الله ، لا يُعارض القدر ، فتقول : إن كان الله مقدراً لي شيئاً يأتيني ، لا يأتيك إلا إذا فعلت السبب ، وبالسبب قد يأتيك المطلوب =

لو تفتح عمل الشيطان » (صحيح مسلم / ٢٦٦٤) ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[1] (صحيح البخاري / ٦٩١٩ - صحيح مسلم / ١٧١٦) ، وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ[2] أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ

وقد لا يأتيك ، ولله الحكمة في ذلك ، قد يكون عدم حصوله لك أحسن لك ، فلا تجزع ولا تسخط ولا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان ، فيصبح الإنسان في قلق ، لماذا لم أفعل كذا؟ أنا الذي فرطت . لا تلم نفسك أو تلوم القدر ، كيف فعلت السبب ولم يحصل؟! ، تؤمن بالله ﷻ وتعلم أنه لو قُدِّر لحصل ، لكنه لم يُقدَّر .

الشاهد من الحديث هو أوله : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير » .

(١) فدل على أن الحكام يتفاضلون ، وهم العلماء ، يتفاضلون في طلب الحكم الشرعي من الأدلة ، فمنهم من يصيب الحكم الشرعي باجتهاده فيكون له أجران ، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، ومنهم من يجتهد ولا يصيب فيكون له أجر واحد ، أجر الاجتهاد . فدلّ على أن العلماء والفقهاء يتفاضلون ، وفيه الحثّ على الاجتهاد وطلب الحكم الشرعي من الأدلة .

(٢) الصحابة يتفاضلون ، فالذين آمنوا وأنفقوا قبل فتح مكة أفضل من الذين آمنوا وأنفقوا بعد فتح مكة ، ثم قال : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الذين آمنوا وأنفقوا بعد الفتح والذين آمنوا وأنفقوا قبل الفتح ، مثل قوله ﷺ : « وفي كل خير » .

ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[(١)] [الحديد : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[(٢)] . دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥-٩٦]

---

(١) فإذا كان الصحابة يتفاضلون ، فكذلك بقية المؤمنين . التفاضل إنما هو بالعمل لا بالنسب ، ولا بالشرف ولا بالحسب ، إنما هو بالعمل ، قال ﷺ : « من بطّأ به عمله لم يُسرع به نسبه » .

(٢) فالله فضّل المجاهدين في سبيله على القاعدين ، تفضيلين : تفضيل بدرجة وتفضيل بدرجات ، فالله فضّل المجاهدين على القاعدين أولي الضرر الذين لهم عذر ، لهم أجر ، ولهم نيتهم في الجهاد ، ولكن الذين باشروا الجهاد أفضل من الذين نووه بقلوبهم وعجزوا بأبدانهم ، لكنه ليس فضلاً كثيراً ، أفضل بدرجة فقط ، لأن هؤلاء إنما حبسهم العذر ، فلهم أجر من خرج وجاهد ، لكن من جاهد بنيته أقلّ درجة ممن جاهد بنيته وبمباشرته بنفسه للجهاد ، ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ القاعدون عن ماذا ؟ عن الجهاد ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ الذين لهم عذر ، ﴿ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الله لا يُقنّط أحداً ولا يُؤيّس أحداً ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ الذين ليس لهم عذر ، وهذا في الجهاد الذي هو فرض كفاية ؛ لأن الجهاد على قسمين : جهاد دفاع ، وهذا فرض عين على كل من يقدر عليه ، إذا حاصر العدو البلد ، وجهاد طلب ، وهذا فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، لكن =

وقال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (١) كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٢) لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

الذي قام به يرفعه الله درجات على الذي لم يقم به ، ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فهذا دليل على أن المجاهدين في سبيل الله يتفاوتون ، فمن قعد لعذرٍ فالمجاهد بنفسه والمباشر أفضل منه بدرجة ، ومن قعد من غير عذر جاز له ذلك ولكن يفضُل عليه الذي جاهد بدرجات كثيرة ، لا يعلمها إلا الله ﷻ ؛ لأنه لم يحددها .

(١) الأعمال تتفاضل أيضاً ، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام هذه أعمال صالحة ، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل منها ، لأن هناك من افتخر بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج وخدمة الحجاج وظنّ أنّ هذا يكفي ، الله ﷻ بيَّن أن هناك ما هو أعلى منه ، وهو الجهاد في سبيل الله ﷻ . و﴿ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ : توفير الماء لهم من زمزم ، والسقاية كانت لبعض بطون بني هاشم ، وكانت أعمال الحج موزعة على قريش ، منهم من يتولى سدانة الكعبة : أي : فتحها وإغلاقها والمحافظة عليها ، ومنهم من يتولى سقاية الحجاج : أي : توفير الماء للحجاج في المشاعر ، ومنهم من يتولى الرفادة : وهي إطعام المحتاجين من الحجاج ، فهذه أعمال جليلة ، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل منها ، فدل على أن الأعمال الصالحة تتفاضل .

(٢) فالذي يجاهد في سبيل الله أفضل من المعتكف في المسجد الحرام ، يا سبحان الله ! مع أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، لكن المجاهد في سبيل الله أفضل .

أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ . يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ (١) . خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (٢) ﴾ [التوبة : ١٩-٢٢] وقال تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٣) [الزمر : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ (٤) وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة : ١١] .

---

(١) فهذا دليل على أن الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج ، وإن كانت هذه أعمال صالحة وجليلة مع الإخلاص لله ﷻ ، لكن الجهاد في سبيل الله أفضل منها بكثير .

(٢) هذا للمجاهدين .

(٣) ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ القنوت هنا المراد به : طول قيام الليل ، ﴿ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ هل يستوي هو والمؤمن النائم ؟! لا يستوي ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ يعني : ساعات الليل ، ثم قال : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ : هذا دليل على أن العلماء أفضل من العوام من المؤمنين .

(٤) قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ ﴾ يعني مجالس الذكر ، وحِلَق الذكر ؛ لأنه قد يأتي من يريد الاستماع ولا يجد مكاناً ، فالله أمرهم أن يتفسَّحوا له ، أي : يفسحوا له مكاناً ، ويُمكِّنوه من حضور العلم ، ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ أي : مجالس طلب العلم ، ﴿ فَٱفۡسَحُواْ ﴾ لمن جاء

=

فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً ، لقوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] . وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم . يقول الله ﷻ فيه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين[١] ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين[٢] ، فمعلوم أن أحداً من الكفار

متأخراً ، ﴿ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل ، وسّعوا له في المجلس يوسّع الله لكم في الجنة ، وفي الدنيا أيضاً ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ ﴾ يعني : قوموا إلى الصلاة ؛ فقوموا ، ثم قال : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ هذا محل الشاهد ، فالمؤمنون يتفاوتون ، والعلماء يتفاوتون في الأجر ، فهذا دليل على أنّ الأعمال تتفاضل ، وأنّ المؤمنين يتفاوتون ويتفاضلون بالأعمال .

(١) سبق لنا أنّ المؤمنين درجات : منهم السابقون المقربون وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض والنوافل ، وينالون محبة الله ونصرته وتأييده ، ومنهم المقتصدون الأبرار الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات ، فهم يتفاوتون .

(٢) فالسابقون المقربون عندهم زيادة النوافل بعد الفرائض ، أما المقتصدون فعندهم الفرائض فقط ، وهي خيرٌ كثير .

والمنافقين لا يكون ولياً لله[١] ، وكذلك من لا يصح إيمانه[٢] وعباداته وإن قُدِّر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة[٣] ، وإن قيل : إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسولٌ[٤] ، فلا يكونون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين[٥] ، فمن لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله[٦] .

---

(١) لأن قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ يُخرج الكفار .

(٢) لا يصح إيمانه لأنه غير مكلف ، وليس لأن عنده ناقضاً من النواقض الذي يبطله ؛ بل لأنه غير مكلف ، ليس عنده شرط الصحة .

(٣) هذا الصنف الثالث ، الذي لا له ولا عليه ، وهو الطفل الصغير الذي لم يُميِّز ، والمجنون الذي ليس عنده عقل ، وكذلك الذي لم تبلغه الدعوة .

(٤) هؤلاء أصحاب الفترة ، واختلفوا في أصحاب الفترة ، وأطفال المشركين ، ومن لم تبلغه الدعوة ، فمنهم من توقّف وأوكل أمرهم إلى الله ، ومنهم من قال : يُرسَل إليهم رسول يوم القيامة يدعوهم إلى الله ، فمن آمن دخل الجنة ، ومن أبى دخل النار ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقيل : هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ يعني بين الجنة والنار ، ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ [الأعراف : ٤٦] هؤلاء هم أصحاب الفترة .

(٥) ولكن لا يعذبون ، هم ليسوا من أولياء الله ، لكنهم ليسوا كفاراً فلا يُعذبون ، لأنهم معذورون .

(٦) لا يكون من أولياء الله إلا من تقرَّب إليه ، « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ » ، وقال : « ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه » فلا يكون وليّاً لله من لم يتقرب إليه بالفرائض ، أو بالفرائض والنوافل .

وكذلك المجانين والأطفال ، فإن النبي ﷺ قال : « رُفع القلم عن ثلاثة[١] : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ » (سنن أبي داود / ٤٤٠٣ ، وصححه الألباني) ، وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء[٢] ، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم ، فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء[٣] ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات[٤] ؛ بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة[٥] ، فلا يصلح أن يكون بَزَّازاً ، ولا عطَّاراً ، ولا حدَّاداً ، ولا نجَّاراً[٦] ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه

---

(١) رُفع القلم يعني : التكليف .

(٢) لقوله ﷺ : « مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر » (مسند أحمد / ٦٧٥٦ ، وإسناده حسن) فدلّ على أنها تصح منهم العبادات ، ويؤجرون عليها ، وإن كانت غير واجبة عليهم .

(٣) لعدم النية ، فالنبي ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (صحيح البخاري / ١ - صحيح مسلم / ١٩٠٧) ، والمجنون ليس عنده نية ولا قصد .

(٤) لأنه غير مكلف ، مرفوع عنه القلم ، فليس له قصد في الأعمال لا الخير ولا الشر .

(٥) فإذا كان لا يصلح لأمور الدنيا ، ولا يولَّى على أمور الدنيا لعدم أهليته ، فكذلك أمور الآخرة .

(٦) يعني أصحاب حرف : فالبزَّاز : الذي يبيع البز ، والعطَّار : الذي يبيع العطر .

ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته[١]، ولا غير ذلك من أقواله، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي[٢]، ولا ثواب ولا عقاب[٣]، بخلاف الصبي المميز فإنه له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع[٤]، وفي مواضع فيها نزاع.

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان والتقوى ولا التقربُ إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون ولياً لله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله[٥] لاسيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها

---

(١) ولا يصح بيعه وشراؤه وزواجه وتزويجه وغير ذلك، لفقده العقل.

(٢) حتى الأقوال القبيحة إذا صدرت منه كالسبِّ والشَّتم، وألفاظ الكفر لا يؤاخذ عليها؛ لأنه ليس له قصد.

(٣) هذا من رحمة الله ﷻ وعدله ﷻ، فلا يُعذِّب إلا من بلغته الرسالة، وكان متأهلاً بالعقل.

(٤) ولذلك سمي مميزاً، لأنه يميز الصحيح من الفاسد، ويميز بين الضار والنافع، وليس مثل من دون التمييز أو مثل المجنون الذي لا يميز، فيُثاب على الذكر، وعلى التسبيح والتهليل والصلاة، وعلى العبادات، وتكون له نافلة.

(٥) لأن الثقلين من بني آدم والجن، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم يكون ولياً لله وهم المؤمنون المتقون.

٢ - وقسم يكون عدواً لله وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

٣ - وقسم لا يوصف بأنه ولي لله ولا عدو لله، وهم من ليس عندهم عقول كالمجانين،

=

منه[١] ، أو نوع من تصرف[٢] مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صُرِع[٣] ، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب - لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية[٤] كالكهان والسحرة وعبَّاد المشركين

والأطفال الذين ليس لهم عقول ، فهؤلاء لا يوصفون بأنهم أولياء ولا أنهم أعداء الله ﷻ ؛ لأن هناك من الناس من يعتقد أن المجانين أولياء الله ، وأنهم يُتَوَسَّلُ بهم وهم طائفة أو غالب الصوفية والقبوريون والمخرفون ، يعتقدون أن هؤلاء أولياء الله ، مع أنهم ليسوا أولياء ولا أعداء الله ﷻ ، لأنهم غير مكلفين ، وهذا القسم الثالث هو الذي يعنيه الشيخ الآن ، هذا رد على الخرافيين من الصوفية وغيرهم الذين يعتقدون أن المجانين أولياء الله يتوسلون بهم .

(١) يعني يعتقد أنه ولي لله ، إذا قيل له : ما دليلك على أنه ولي لله ؟ قال : أنه قد يحصل منه أمور غريبة ، تجري على يده كالمكاشفة وهي: الإخبار عن أشياء غائبة أو مستقبلة ، أو يشير إلى أحد ثم يصاب ، هذا خارق للعادة ، ويدل على أن هذا المجنون ولي لله ، ونقول : هذه الأمور لو جرت على يد العقلاء فإنها خوارق شيطانية ، ليست تدل على ولاية الله ، فكيف إذا جرت على يد من ليس عنده عقل ، فأولى أن لا يوصف بأنه ولي لله .

(٢) تصرف تصرفاً غريباً ويظن أن هذه كرامة ، ومن كان عنده كرامة فهو ولي ، نقول : لا ، هذه لا تعدو أن تكون من خوارق الشياطين يجرونها على أيدي هؤلاء ، ولو جرت على يد عاقل ما عُدّ من أولياء الله ما دام أنه ليس من المؤمنين المتقين ، فكيف إذا جرت على يد غير مكلف ؟!

(٣) هذا بسبب الشياطين لأجل أن تُلَبِّس به على الناس .

(٤) شيطانية ليست صادرة عنهم ، وإنما هي من الشياطين التي تلابسهم أو تخالطهم .

وأهل الكتاب[(١)] ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض وَلَاية الله[(٢)] ، فكيف إذا عُلِم منه ما يناقض ولاية الله[(٣)] ؟!

---

(١) هم كفار ومشركون ، تجري على أيديهم أشياء غريبة ، وهي من الشياطين وليست منهم ، إنما هي من الشياطين الذين لابسوهم وخالطوهم ، ليضلوا بهم الناس ، فليسوا أولياء لله ﷻ ، مجرد وجود الخارق لا يدل على أن هذا الشخص ولي لله حتى يُنظَر في عمله ، فإن كان من المؤمنين المتقين فهو ولي لله ، وهذه كرامة أجراها الله على يده ، أما إن كان فاجراً كافراً مشركاً فهذه خوارق شيطانية ، ولذلك المشركون عندهم الكهان ، وعندهم المنجمون ، وعندهم من هذه الأنواع ، مع أنهم مشركون .

(٢) فلا تُتخذ هذه الخوارق دليلاً على الولاية لله ، ما دام أنه غير تقي وغير مؤمن ، إنما هو مشرك أو كافر أو منافق ، فهذه خوارق شيطانية .

(٣) هؤلاء الذين يدَّعون أنهم من أولياء الله ، يظهر عليهم من الكفر والفجور الشيء الكثير ، وتضييع الفرائض ، وفعل الفواحش ، لكن يقول لهم الشيطان ، ويقولون : هؤلاء ليس عليهم تكليف ، هؤلاء وصلوا إلى الله ، ورُفِعَت عنهم التكاليف ، فهم أولياء لله ، الشيطان يُلَبِّس عليهم ، ويُزَيِّن لهم الحجج ، فنقول : هؤلاء أولياء للشيطان ، وليسوا أولياء للرحمن ، وهذه خوارق شيطانية تُلَبِّس بها الشياطين على الناس ، فلا يُغتَرّ بها ، ولا تدل على وَلاية الله ، وهم يعملون الشرك ، ويعملون الفواحش ويستبيحونها ، ويقولون : هؤلاء غير مكلفين ، ليس عليهم حلال ولا حرام ، كل شيء مباح لهم ؛ لأنهم وصلوا إلى الله ، والتكاليف إنما هي على العوام ، أما هؤلاء خاصة الخاصة ، تُرفَع عنهم التكاليف ولا يحرم عليهم شيء !! كذا يقولون .

مثل أن يُعلَم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً ؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة[١] ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٢] ، أو يقول : إن الأنبياء ضيَّقوا الطريق[٣] ، أو هم على قدوة العامة دون الخاصة[٤] ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يَدَّعي الوَلاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان[٥] ،

---

(١) يفرقون بين الشريعة والحقيقة ، الشريعة للعوام ، وأما الحقيقة فهي للخواص ، فعندهم شريعة وحقيقة ، هذه تقسيمات أهل الباطل ، لا فرق بين الشريعة والحقيقة عند أهل الحق ، هم يفرقون بينهما ، ويقولون : الشريعة للعوام ، أما الحقيقة فهي للخواص .

(٢) كما مر أنهم يقولون : لسنا بحاجة إلى الأنبياء ، الأنبياء إنما هم للعوام ، أما نحن فلسنا بحاجة لأننا نأخذ عن الله مباشرة ، عن طريق رؤسائهم ، الذين يزعمون أنهم يتصلون بالله ، ويأخذون عنه مباشرة ، وأنهم يجلسون مع الله ، ويَخْلُون معه ، فيأخذون عنه مباشرة ، فهم أفضل من الأنبياء الذين يأخذون من طريق الوحي ، من طريق جبريل عليه السلام ، كذا بلغ الكفر إلى هذا الحد بهؤلاء ، أمثال هؤلاء أولياء ؟!

(٣) (ضيقوا الطريق) يقولون : ما في طريق إلا من طريق الأنبياء ؟! مع أن الطريق إلى الله واسعة ، طريق الأنبياء ومن غيرهم ، بل من غيرهم أفضل .

(٤) أو الأنبياء إنما هم للعامة ، ما يعرفون الحقيقة ، ما لهم إلا الظواهر ، فالأنبياء جاءت لهم فقط ، وأما هؤلاء فليسوا بحاجة إلى الأنبياء – نسأل الله العافية – .

(٥) الكفر الأكبر لا يجتمع مع الإيمان ، والشرك الأكبر لا يجتمع مع التوحيد أبداً ، ضدان لا يجتمعان ، الله ﷻ شرط في الولي أن يكون مؤمناً تقياً ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ

=

فضلاً عن وَلاية الله ﷻ ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على وَلايتهم ، كان أضلَّ من اليهود والنصارى[(١)] ، وكذلك المجنون ،

أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] هؤلاء هم أولياء الله ، فمن لم يكن مؤمناً تقياً ، فليس هو من أولياء الله ، بل هو من أولياء الشيطان ، وإن ظهر على يديه خوارق ، فهي خوارق شيطانية وليست كرامات .

قال الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وأولياء الشيطان هم الكفار ، والمشركون ، والمنافقون ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥-٥٦] القرآن واضح في بيان الأولياء ، أولياء الله من أولياء الشيطان .

(١) فإن مجرد خرق العادة لا يدل على الوَلاية حتى يكون معه إيمان بالله وتقوى ، فإن كان معه كفر ونفاق وشرك فهو من أولياء الشيطان ، وهذا الخارق خارق شيطاني ، ليس هو من الكرامات ، فإن هؤلاء قد يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء ، ويدخلون النار ولا تحرقهم ، وليس هذا من صنيعهم ، وإنما هو من صنيع الشياطين ، يخبرون بأشياء بعيدة وغائبة ، هم لم يطلعوا عليها ، وإنما هي من اطلاع الشياطين ، ووحي الشياطين ، ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٣] ، الله وضَّح هذا تمام التوضيح ، لكن هؤلاء لا يعبؤون بالقرآن ، وإنما يقولون بأقوال شياطينهم وشيوخهم ، فهذا هو الحق عندهم ، أما آيات القرآن فهذه ظواهر تصلح للعوام !!

فإن كونه مجنوناً يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات[١] ، التي هي شرط في وَلَاية الله[٢] ، ومن كان يُجَنُّ أحياناً ويفيق أحياناً[٣] ، إذا كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم ، فهذا إذا جَنَّ لم يكن جنونه مانعاً من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته[٤] ،

---

(١) فترك الإيمان والتقوى قد يكون بسبب من العبد ، فهو العاقل الذي يدرك الأمور ، فيترك طاعة الله ، وطاعة رسوله ، ويكون من أولياء الشيطان باختياره ، وقد يكون تَرْكَ الواجبات ، أو وقع في شيء من المحرمات ، ليس باختياره ؛ لأنه مجنون ما عنده عقل ، ولا يميز بين طيب وخبيث ، وبين إيمان وكفر ، ما عنده أهلية ، فهذا لا يعد كافراً ، هذا الصنف المجنون والصغير لا يعد كافراً ، وإن فعل ما فعل ، وترك ما ترك؛ لأنه ليس عنده عقل ، والتكليف مناطه العقل .

(٢) فهو لا تصح منه العبادات التي هي شرط في وَلَاية الله ، « ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُه عليه ، وما يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل - يعني بعد الفرائض - حتَّى أُحبَّهُ » ، فالذي يتقرب إلى الله بالفرائض فقط هذا من الأبرار ، والذي يتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ، هذا من السابقين ومن المقربين .

(٣) الجنون على قسمين :

القسم الأول : جنون مطبق دائم ، هذا صاحبه لا يؤاخذ ، ولا يقال : إنه مؤمن ولا كافر .

القسم الثاني : جنون يأتي أحياناً ويذهب أحياناً ، فهذا في حال إفاقته وعبادته لله يكون ولياً لله ، وفي حال جنونه وذهاب عقله لا يوصف بأنه ولي لله ولا عدو لله .

(٤) لأن الله ﷻ لا يضيع عمل عامل ، فعمل الذي يُجن أحياناً لا يبطل بالجنون ، بل يحتسبه الله له ، ويجزيه عليه .

ويكون له من وَلاية الله بحسب ذلك[١] ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه ، فإن الله يثيبه ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه[٢] ، ولا يُحبطُه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه[٣] .

فعلى هذا ، فمن أظهر الوَلَاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم ؛ بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي لله[٤] ، فإن هذا إن لم يكن مجنوناً ؛ بل كان متولهاً من غير جنون[٥] ،

(١) يكون ولياً لله في حال إفاقته وتقواه وعمله الصالح ، وإذا جاءه الجنون ارتفع عنه التكليف ، فلا يؤاخذ ولا يكون ولياً لله في حال جنونه ، ولا يكون عدواً لله أيضاً .

(٢) إذا كان في أول حياته مؤمناً بالله ، مؤدياً للفرائض ، متجنباً لمحارم الله ، ثم جُنَّ في آخر عمره إلى أن مات ، فإن الله لا يضيع أعماله السابقة ، بل يحتسبها له ويجزيه عليها ؛ لأنه ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولا تبطل الأعمال إلا بالشرك ، ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨] لا تبطل إلا بالشرك والكفر والردة ، أما الجنون فإنه لا يبطل الأعمال .

(٣) فلا يُثاب ولا يُعاقب .

(٤) لم يكن لأحد من أهل العلم والبصيرة ؛ بل حتى ولا العوام الذين عندهم إيمان وعقيدة ، لا يقولون : إن هذا ولي الله ، وهو يفعل المحارم ويترك الفرائض ، إنما يقول هذا أهل التخريف وأهل الباطل .

(٥) متولّهاً : الوله : الحب ؛ لأن الحب درجات منها الوله .

أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى ؛ وهو لا يقوم بالفرائض ؛ بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر[١] ، وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً ، قد ارتفع عنه القلم[٢] ، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله ﷻ[٣] ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله[٤] ، ولكن إن كان له حالة في إفاقته كان فيها مؤمناً بالله متقياً له كان له من وَلَاية الله بحسب ذلك ، وإن كان

---

(١) الذي يعتقد أنه لا يلزمه اتباع الرسول ، وإنما هو يصل إلى الله من غير طريق الرسول ، هذا كافر ، قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فمجرد أنه يحب الله ، ويعبد الله بهواه وبما وضعه لنفسه من غير اتباع للرسول ، فهذا كافر ، ولو كان بزعمه أنه يعبد الله ، ويتقرب إلى الله ؛ لأن عمله غير صحيح ، قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فلا طريق إلى الله إلا باتباع الرسول ﷺ ، وفي هذا رد على هؤلاء الذين يقولون : لسنا بحاجة إلى اتباع الرسول ، نحن نعرف ونصل إلى الله بدون الرسول ، هذا لاشك أنه من أكفر الناس ، وأشد الناس ضلالاً .

(٢) هذا قد ارتفع عنه القلم ، ولا يقال : إنه كافر ولا مؤمن ، ولا ولي ولا عدو ، هذا غير مكلف .

(٣) هذا لا يَلحق بأهل الإيمان وأهل التقوى ، وإن كان غير مكلَّف ، مرفوع عنه القلم ، فإنه لا يلحق بعباد الله المؤمنين المتقين ويكون في منزلتهم ، لا يكون في منزلة أهل الإيمان وأهل العمل وأهل الجهاد في سبيل الله ﷻ .

(٤) هذا رد على الذين يتخذون المجانين والمجاذيب أولياء لله ﷻ .

له في حال إفاقته فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه[1] ، وجنونه لا يُحبِط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق[2] .

(١) هناك فرق بين مجنون المؤمنين ومجنون الكفار ، مجنون المؤمنين لا يبطل عمله الذي عمله قبل الجنون - كما سبق - ، مجنون الكفار إذا كان قبل جنونه كافراً بالله يفعل الفواحش والمحرمات والشرك ثم جُنّ ، فإنه في حال جنونه لا يؤاخذ ، لكن في حال إفاقته يؤاخذ على كفره وشركه بالله ﷻ .

(٢) لا يُكفِّر الله به ما يحصل في حال إفاقته من كفر ونفاق ؛ لأنه إنما ترك الكفر ؛ لأنه عجز عنه ، وأصابه ما أصابه ، فهو لا يزال كافراً ، ولا يُعتبر ما أصابه من الجنون مكفِّراً عنه الكفر الذي حصل منه ، والمعاصي السابقة .

فهذا المبحث مهم جداً ، وهو أن تعرف الرد على هؤلاء الذين يتخذون المجانين أولياء لله ﷻ ، فهؤلاء المجانين إما أن يكونوا مجانين مسلمين ، أو مجانين كفار .

ومجانين المسلمين على قسمين :

القسم الأول : مَن جنونه مُطْبِق في كل حياته وكل عمره ، هذا لا لَه ولا عليه .

القسم الثاني : من جنونه حادث وليس مُطْبِقاً ، لكنه يعبد الله في حال إفاقته وعقله ، ثم يصاب بالجنون ، فهذا يثاب على أعماله الصالحة التي عملها قبل الجنون ، فله من وَلاية الله بقدر ما عمل في حال إفاقته .

أما مجنون الكفار فهو على قسمين :

القسم الأول : إذا كان جنونه مُطْبقاً هذا مثل الأول ولو كان من الكفار ، ما يحاسب ؛ لأنه ما حصل منه كفر ولا شرك .

القسم الثاني : إذا كان في حال إفاقته يكفر بالله ، ويشرك بالله ، ويفعل الفواحش ، فهذا كافر ، ويعاقب على كفره وشركه في حال إفاقته ، ولا يكون جنونه مكفِّراً لما حصل منه .

فصل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات[١] ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما

---

(١) هذا مهم جداً ؛ لأن هؤلاء المخرفين يجعلون للأولياء علامات تميزهم في اللباس ، وفي المنزلة ، ويصنعون حولهم هالة من التقديس والتعظيم ، وأما أهل السنة وأهل الجماعة فليس لأولياء الله عندهم علامة ، أولياء الله قد لا يُعرَفون ؛ لأن ولي الله على الحقيقة لا يحب أنه يُعرَف ، ولا يلبس لباساً خاصاً ، أو يتميز بشيء ويقول للناس : أنا ولي ، وإذا فعل هذا فإنه رياء ينقص من ولايته أو يبطلها ، فليس له لباس خاص ، وليس له زي خاص ، كما يفعله المخرفون ؛ بل قد لا يُعرَف ، قال ﷺ : « رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبرّه » (صحيح مسلم / ٢٦٢٢) ؛ بل أخبر ﷺ إنه : « إن خطب لم يُنكح ، وإن شفع لم يُشَفَّع » (مسند الروياني / ١٠١٦) ، وهو من أولياء الله المتقين ، فهو لم يتميز ، ولم يُظهِر عمله ، هذا دليل على إخلاصه لله ﷻ ، أما الذي يُظهِر نفسه ، أو يُظهِرونه الناس ، ويعمل له هيلمة ، هذا ليس دليلاً على وَلايته لله ﷻ ، فليس الوَلاية بالعلامات ، إنما الوَلاية بالإيمان بالله ، والإيمان في القلب ، والأعمال التي يعملها لا يقصد بها الرفعة والرياء والسمعة ، إنما يقصد بها وجه الله ، صفته التواضع ، لا التكبر والعجب بنفسه ، هؤلاء هم أولياء الله ، وهذه فائدة عظيمة ، تبين أنه ليس لأولياء الله علامات يُعرفون بها ؛ بل ربما أنهم يخفون أنفسهم ويتواضعون ، ويعتبرون أنفسهم مقصرين في حق الله ﷻ ، لا يُعجبون بأعمالهم ولا بمظاهرهم ، ولهذا قال الرسول ﷺ : « إنَّ من عبادِ الله مَن لو أقسَم على الله لأبَرَّه » (صحيح البخاري / ٢٥٥٦ - صحيح مسلم / ١٦٧٥) ، هؤلاء هم الأولياء .

مباحاً[١] ، ولا بحلق شعر أو تقصيره[٢] ، أو ضفره[٣] ، إذا كان مباحاً ، كما قيل : كم من صِدِّيق في قِباء ، وكم من زنديق في عَباء[٤] ؛ بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ[٥] ، إذا لم يكونوا من أهل البدع

---

(١) بل هم يلبسون مثل ما يلبس الناس ، أو أقل مما يلبس الناس ، لا يلبسون العمائم والأكمام الواسعة أمثال هؤلاء الأولياء ، بل هم مثل الناس ، مندمجون بهم ، لا يُعرفون ، لكن قلوبهم عند الله ﷻ .

(٢) ولا بعلامة شعر ، يعني الولي يصير له شعر خاص ، أيضاً في جسمه هو كسائر الناس ، يعفي لحيته ، ويحفي شاربه ، ويعمل خصال الفطرة مثل الناس ، لا يتميز بشيء .

(٣) أو ضفر الشعر ، يعني جعله ضفائر ، بل هو مندمج مع الناس تماماً ، لا يتميز بعلامة .

(٤) (كم من صِدِّيق) الصِدِّيق هو : كثير الصدق ، عظيم الصدق . (في قِبَاء) : يعني لباس متواضع ، ما يميزه عن غيره . (وكم من زنديق في عَبَاء) يعني بلباس فخم ، ومظهر جميل ، لكنه زنديق ، فليست الولاية بالمظاهر ، وإنما الولاية تكون فيما بين العبد وبين ربه ﷻ ، لا يعلمها إلا الله سبحانه .

(٥) وأيضاً أولياء الله لا يكونون في فريق خاص من الناس ، يكونون في العلماء ، ويكونون في العوام ، ويكونون في التجار ، ويكونون في المزارعين ، لا يتميزون ، فلا يُقال : إن أولياء الله يقتصرون على عمل معين ؛ بل يندمجون مع الناس ، ويطلبون الرزق مثل الناس ، فيكونون مزارعين ، ويكونون مجاهدين في سبيل الله ، ويكونون علماء ، ويكونون عواماً من عوام أهل التوحيد ، ويكونون تجاراً . ليس معنى الولي أنه يترك التجارة ، ويعطونه الناس ، ويتقربون إليه بالأموال ؛ بل يعمل ، فداود ﷺ نبي الله ومَلِك أيضاً ، عنده من الأموال الشيء الكثير ، إنما يأكل من عمل

=

الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجّار والصُّنّاع والزُّرّاع . وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾(١) [المزمل : ٢٠] .

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : القُرَّاء : فيدخل فيهم

يده ﷺ ، يصنع الدروع ويبيع ، ويأكل من عمل يده ، لا يأخذ من بيت المال المتوفر عنده شيئاً ، هذا ولي الله ، ولهذا قال ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (صحيح البخاري / ١٩٦٦) ، مع أنه مَلِك ونبي .

(١) ذكر الله في هذه الآية أن من أولياء الله من هم يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، ويسافرون للتجارة ، ولا يتركون قيام الليل ؛ بل يقومون الليل ويقرؤون ما تيسر من القرآن ، ومنهم من يجاهد في سبيل الله ، ويقاتل الكفار لإعلاء كلمة الله ولا يترك العبادة وقيام الليل ، فهذا فيه أن أولياء الله لا يختصون بطائفة معينة ، يكونون مع المجاهدين ، ويكونون مع التجار الذين يضربون في الأرض ، يبتغون من فضل الله ، ومع العلماء ، ومع القرّاء .

العلماء والنسَّاك[1] .

ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء[2] ، واسم الصوفية هو

---

(١) القرّاء في عرف السلف هم العلماء ، وليس مجرد الذين يقرؤون القرآن فقط ، قال أحد الصحابة : « لم نكن نتجاوز عشر آيات حتى نتعلم معانيهن ، والعمل بهن ، قال : فتعلمنا العلم والعمل جميعاً » (البدع لابن وضاح/ ٢٥٥) ، هؤلاء القراء بالمعنى الصحيح ، أما الذي يقرأ القرآن فقط ، ويجيد القراءات السبع والعشر ، لكنه لا يعمل بالقرآن ، هذا ليس من أولياء الله ، فأولياء الله أو أهل القرآن هم الذين يتلونه حق تلاوته ، يعملون به ، ويتفقهون في معانيه ، ويتدبرونه . فالقراء يدخل فيهم العلماء الذين جمعوا بين القراءة والعلم ، ويدخل فيهم النسّاك يعني العبّاد ، وإن لم يقرؤوا القرآن ، فمن آمن بالله ، وآمن بالرسول ، وآمن بالقرآن ، فهو من أهل القرآن ولو لم يكن حافظاً له ، ومن كان يحفظ القرآن ، ولكنه لا يعمل به ، فليس هو من أهل القرآن .

(٢) درج السلف الصالح في القرون المفضلة ولم يحدث التصوف ، إنما حدث التصوف متأخراً ، والتصوف في الأصل : الاجتهاد في العبادة ، والزهد في الدنيا ، ولذلك يُسمون النُّسَّاك ، الذين تفرّغوا للعبادة وقراءة القرآن ، ولم يدخل فيهم بدع ولا شرك ، وإنما شَقوا عَلى أنفسهم في العبادة ، فهؤلاء سلكوا مسلكا شاقًا لم يؤمروا به ، وهذا من جنس رهبانية النصارى ، الله لم يأمرنا بالرهبانية ، والتشدد في العبادة ، لكن هؤلاء اجتهدوا فأخذوا هذا المنحى ، وكانوا في أولهم عبّاداً متقشّفين ، ومتزهّدين ، وإن لم يكن هذا مرغَّباً فيه ، لكنه لا ينقص أهله ، ثم تطور التصوف ، وهكذا البدع تتطور ، تطوَّر التصوف إلى أن خرجوا من الدين ، وصاروا ملاحدة : أهل وحدة الوجود ، وعبّاد القبور ، إلى آخره . تطوَّر التصوف في الأخير ، ثم جاء الشيخ بيَّن سبب تسميتهم بالصوفية ، وذكر الأقوال في ذلك ، ورجّح أن الصوفية نسبة إلى =

نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح[١] ، وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء[٢] .

وقيل : إلى صُوفَة بن أُدّ بن طابخة[٣] ، قبيلة من العرب كانوا يُعرَفون بالنسك[٤] ، وقيل : إلى أهل الصُّفَّة[٥] ، وقيل : نسبة إلى الصَّفاء[٦] ، وقيل :

الصوف ؛ لأنهم كانوا يلبسون الصوف ، من باب التخشّن والتزهّد ، فسموا بالصوفية ؛ لأن مظهرهم ليس الصوف ، لا يلبسون القطن والكتّان والأشياء الرقيقة ، وإنما يلبسون الخشن من باب التزهّد والتقشّف ، هذا هو الصحيح في تسميتهم .

(١) هذا مظهرهم .

(٢) وهذا غير صحيح ؛ لأنه لو كان من الصفوة لقيل : صفوي ، ولم يقل : صوفي ، هذا من جهة اللغة .

(٣) وقيل : إنه نسبة إلى رجل هو أول من أظهر التصوف ، اسمه صُوفَة ، فنُسِبُوا إليه .

(٤) بالنسك : يعني بالتزهّد والتقشّف .

(٥) وهذا باطل ، قيل : إن الصوفية نسبة إلى أهل الصُّفَّة الذين على عهد النبي ﷺ ، والذين مرَّ ذكرهم ، وأن المراد بأهل الصُّفَّة : فقراء الصحابة الذين ليس لهم بيوت ، ولا مأوى ، فالنبي ﷺ جعل لهم صُفَّة في المسجد يجتمعون فيها ، ويتصدق الناس عليهم ، ومنهم من يشتغل بالنهار ويكتسب ويأوي إلى الصُّفَّة ؛ لأنه ليس له منزل ، فسموا بأهل الصُّفَّة ، هؤلاء جعلوا الصوفية نسبة إلى أهل الصُّفَّة ، وهذا غلط ، بينهم وبين أهل الصُّفَّة فروق كبيرة .

(٦) أي : صفاء القلب ، ولو كان كذلك لقال : صفائي ، أو صفوي ، ولا يقال : صوفي ؛ لأن صوفي نسبة إلى الصوف ، هذا واضح لغةً .

إلى الصَّفوة[١] ، وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى[٢] ، وهذه أقوال ضعيفة[٣] ، فإنه لو كان كذلك لقيل : صُفِّي[٤] ، أو صفائي[٥] ، أو صفوي[٦] ، أو صَفّي[٧] ، ولم يقل صوفي[٨] ، وصار أيضاً اسم الفقراء ، يُعنَى به : أهل السلوك ، وهذا عُرفٌ حادث[٩] .

وقد تنازع الناس أيها أفضل : مسمى الصوفي أو مسمى الفقير ؟[١٠]

---

(١) وقيل : نسبة إلى الصف الأول في الصلاة ، وكل هذا ليس له أصل .

(٢) أو الصف المقدَّم يوم القيامة بين يدي الله ، وهذا تزكية لنفوسهم .

(٣) كلها أقوال ضعيفة ، والصحيح الأول ، أنه نسبة إلى الصوف ؛ لأنهم كانوا يلبسون الصوف من باب التخشّن في اللباس ، والزهد ، وعدم الترفُّه .

(٤) صُفِّي يعني إذا نُسِب للصُّفَّة يقال : صُفِّيٌّ .

(٥) أو صفائي إذا قيل : إنه نسبة إلى الصفاء .

(٦) أو صفوي إذا كان نسبة إلى الصفوة ، هذه الاشتقاقات اللغوية .

(٧) أو صَفّي إذا قيل : أنه نسبة إلى الصف الأول .

(٨) صوفي ظاهر أنه نسبة إلى الصوف .

(٩) أيضاً يسمون أنفسهم بالفقراء ، والفقر على قسمين :

القسم الأول : فقر بمعنى الحاجة وقلة ذات اليد .

والقسم الثاني : فقر إلى الله ﷻ ، وكل الناس فقراء إلى الله ، ولو عندهم المليارات والملايين ، هم فقراء إلى الله ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] فلو كان عنده أموال طائلة فهو فقير إلى الله ﷻ .

(١٠) بعضهم يقول : فقراء ، ولا يقول : صوفية ، والأمر سهل في هذا ، لكن الفقير قد =

ويتنازعون أيضاً أيها أفضل : الغني الشاكر أو الفقير الصابر ؟[١] ، وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجُنيْد وبين أبي العباس بن عطاء[٢] ، وقد رُوِيَ عن أحمد بن حنبل فيها روايتان[٣] ، والصواب في هذا كله ما قاله الله ﷻ حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٤] [الحجرات : ١٣] .

يكون معناه صحيح ؛ لأن الناس فقراء إلى الله ﷻ ، لكن صوفي ليس له معنى صحيح .

(١) هذه مسألة معروفة أيها أفضل : الغني الشاكر أو الفقير الصابر ؟ والإمام ابن القيم له كتاب في هذا اسمه « عدة الصابرين » ، بيّن ﷺ أن أفضلها أتقاهما لله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

(٢) الـجُنَيْد من قدماء الصوفية ، وكذلك الفُضَيْل بن عياض ، وكذلك بشر الحافي ، هؤلاء من النسّاك ، لكنهم لم يحصل لهم من الابتداع والشر ما حصل للمتأخرين ، اقتصروا على العبادة ، والاجتهاد في العبادة ، والزهد ، والتقشّف ، وكانوا متبعين للسنة .

والـجُنَيْد ، والفُضَيْل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم هؤلاء من أفاضل العبّاد ، وهم أهل سُنَّة ، وإن كانوا شقُّوا على أنفسهم ، لكنهم أهل سُنَّة .

(٣) يعني أن الغني الشاكر أفضل أو أن الفقير الصابر أفضل ، روايتان .

(٤) هذا الذي أشار إليه ابن القيم ، والشيخ هنا أشار إليه ، قال : الصحيح أن أفضلها هو من كان أتقى لله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ ، فكل بني آدم =

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ أنه سُئِل : « أي الناس أفضل ؟ قال : أتقاهم »[١] . قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله »[٢] . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . قال : « عن معادن العرب تسألوني ؟[٣] الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا »[٤] . (صحيح البخاري / ٣٢٠٣) **فدلَّ**

يرجعون إلى ذكر وأنثى ، آدم وحواء ، فهم في النسب سواء إلى آدم ، كلهم بنو آدم . جعلهم الله شعوباً وقبائل ، قالوا : والشعوب للعجم ، والقبائل للعرب ، من أجل أي شيء ؟ ما هي الحكمة ؟ ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ فدراسة النسب ، ومعرفة النسب من أجل التعارف ، وصلة الأرحام لا بأس به ، أما دراسة النسب ، ومعرفة النسب لأجل الافتخار ، فهذا لا يجوز ، « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » ، ولهذا جاء في الحديث أن الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية ، فالله لم يجعل الأنساب لأجل التفاخر ، وإنما جعلها لأجل معرفة النسب فقط ، وصلة الأرحام ، والتعارف .

(١) « قال : أتقاهم » ، كما في الآية : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ لكن الذين يسألون الرسول ﷺ لا يريدون هذا ، يريدون شيئاً آخر .

(٢) فهو نبي ، ابن نبي ، ابن نبي ، ابن نبي .

(٣) يعني تسألوني أيُّ العرب أفضل ؟ أيُّ قبائل العرب أفضل ؟ قالوا : نعم .

(٤) إذا أسلموا وفقهوا ، فهم خيار الناس .

الكتاب والسنة أنَّ أكرم الناس عند الله أتقاهم[١] ، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود ، إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب »[٢] .

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجلان : مؤمن تقي ، وفاجر شقي »[٣] . (سنن أبي داود/ ٥١١٦ ، بنحوه . وحسنه الألباني) . فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله ، فهو أكرم عند الله ، وإذا استويا في التقوى استويا في الدرجة[٤] .

---

(١) لأن الرسول ﷺ بدأ بالتقوى لما سألوه .

(٢) الأصل متساوون كلنا بنو آدم ، إنما التفاضل بالتقوى عند الله ﷻ ، أما الأنساب فإنها لا تقتضي ميزة على الناس .

(٣) الفخر بالآباء إنما هو من أمور الجاهلية ، والإنسان لا يفتخر بنسبه ، ويحتقر الناس .

(٤) فالعربي والعجمي من جهة الأصل سواء ، لكن قد يكون العجمي أفضل من العربي بالتقوى ، وقد يكون العربي أفضل من العجمي بالتقوى ، فينظر إلى سلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وإلى صُهَيْب الرومي ، وإلى الموالي في عهد النبي ﷺ ، الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والعلم ، وصاروا سادة المؤمنين ، من السابقين الأولين ، بلال كان من المهاجرين ، وسلمان كان بالمدينة لما هاجر النبي ﷺ ، مملوكاً ليهودي ، ثم اشتراه النبي ﷺ وأعتقه ، فلم يضرهم كون هذا فارسي ، وهذا حبشي ، ولم ينفع أبا جهل ، وأبا لهب أنهما قرشيان هاشميان ، لم ينفعهم نسبهم ، النبي ﷺ قال : « مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَـمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

ولفظ : الفقر في الشرع يراد به : الفقر من المال ، ويراد به : فقر المخلوق إلى خالقه[1] كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾[2] [التوبة : ٦٠] . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[3] [فاطر : ١٥] .

وقد مدح الله ﷻ في القرآن ، صنفين من الفقراء : أهل الصدقات وأهل الفيء ، فقال في الصنف الأول : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ

---

(١) للصوفية اصطلاح آخر غير التصوّف ، وهو أنهم يتَسَمَّوْن بالفقراء ، قال الشيخ : والفقر على قسمين : فقر من المال يستحق صاحبه الصدقات ، وفقر إلى الله ﷻ وهذا يعم جميع العباد . الفقر من المال هذا يكون في بعض الناس ، لكن الفقر إلى الله هذا يكون في جميع العباد . الأغنياء والفقراء والسلاطين والسوقة والعلماء والعوام والعرب والعجم ، كلهم فقراء إلى الله ، قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] ، وليس هذا خاصاً بالصوفية حتى يضعوه شعاراً لهم ، إنما هو عام لجميع الخلق ، كلهم فقراء إلى الله ﷻ .

(٢) هذا في النوع الأول ، وهو الفقر من المال ، الذي يستحق صاحبه الصدقات .

(٣) هذا النوع الثاني ، وهو الفقر إلى الله ﷻ ، وهذا عام في جميع الناس ، كل العباد فقراء إلى الله ﷻ ، ليس هذا خاصاً بطائفة دون طائفة .

إِلْحَافًا ﴾[(١)] [البقرة: ٢٧٣].

وقال في الصِّنف الثاني وهم أفضل الصِّنفين: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[(٢)] [الحشر: ٨].

---

(١) مدح الله صنفين من الفقراء في القرآن، أحدهما: أهل الصدقات، كما في آية البقرة، قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾، يعني: أهل الصدقات، ﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؛ يعني: حُبِسُوا، لا يستطيعون السفر لطلب الرزق، ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾، ومع هذا يتعفَّفون، ولا يُظهرون للناس فقرهم، ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ مدحهم الله ﷻ بهذه الصفات، نعم هؤلاء أهل الصدقات، ووضع الصدقات في هذا الصنف أفضل من وضعها في المتسولين، فالذين لا يسألون وهم فقراء أحق من الذين يَسألون، قال ﷺ: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن به، فيُتَصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»

(صحيح البخاري/ ١٤٠٩ - صحيح مسلم/ ١٠٣٩).

(٢) الصنف الثاني: فقراء المهاجرين، الذين تركوا أموالهم وأوطانهم، وفرّوا بدينهم إلى بلاد الإسلام، ويريدون الجهاد مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾، هذا قصدهم ﴿ يَبْتَغُونَ =

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً(١) ، كما قال النبي ﷺ : « المؤمن من أَمِنه الناس

فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ، هذا المقصد الأول ، والمقصد الثاني : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ ، ثم إن الله أثنى عليهم فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ فيُقدَّمون في الفيء ؛ وهو ما أفاء الله على رسوله من الغنائم في الجهاد في سبيل الله ، يُبدأ بالمهاجرين ، ثم من بعدهم الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] الطائفة الثالثة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار ، فهؤلاء لهم نصيب في الفيء ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] قال العلماء : فمن كان يبغض الصحابة فليس له حق من الفيء بنص هذه الآية ، من كان يبغض الصحابة ويجد في نفسه غلا عليهم ، فإنه لا يستحق من الفيء شيئاً .

(١) الهجرة في اللغة : هي الترك ، ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر : ٣] ، هي الترك ، ترك الشيء ، يُقَال ، هجره إذا تركه ، وأما الهجرة في الشرع : فهي على قسمين : عامة وخاصة .

فالهجرة العامة : هجر كل ما نهى الله عنه من المعاصي والسيئات وجميع المخالفات ، هذه هجرة ؛ بمعنى أنه ترك المعاصي وهجرها ، ولهذا قال ﷺ : « الـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، والْـمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ » (صحيح البخاري / ١٠ - صحيح مسلم / ٤٠) هذا عام ، ما نهى الله عنه من الشرك ، ما نهى الله عنه من المعاصي ، ما نهى الله عنه من الأذى ، وكلام السوء ، وغير ذلك .

=

على دمائهم وأموالهم(١) ، والمُسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده(٢) ،

والهجرة الخاصة : هي الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فراراً بالدين ، وهي من أفضل الأعمال كما يأتي ، وذكر ابن القيم ﷺ : أن الهجرة على نوعين : هجرة الأبدان ، وهجرة القلوب (انظر : الرسالة التبوكية ص١٦) .

هجرة الأبدان : من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ، وهذه تُفعل عند الحاجة إليها .

هجرة القلوب : من الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن البدعة إلى السنة ، هذه هجرة دائمة ، كل حياة العبد ينبغي أن يكون مهاجراً بقلبه .

فالمهاجرون جمعوا بين الهجرتين ؛ الهجرة العامة : وهي هجرة ما نهى الله عنه .

والهجرة الخاصة : وهي الهجرة بالدين من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام .

(١) ليس هذا هو تعريف الإيمان كله ، ولكن هذا من الإيمان « من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » ، أما من لا يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، فهذا إيمانه ناقص ، ليس بمؤمن الإيمان الكامل .

فالمؤمن الإيمان الكامل « من أمنه الناس على دمائهم » فلم يسفك دماً حراماً ، لا من المسلمين ولا من المعاهَدين والمستأمَنين ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء : ٣٣] نفس المؤمن ، ونفس المعاهد حرم الله قتلها ، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم ، وعلى « أموالهم » ؛ فلا يغش ولا يخون ولا يسرق ، وليست الخيانة في السرقة فقط ، وإنما الغش خيانة في البيع والشراء ، ولا يأمنه الناس على أموالهم ، ولا يأمنونه بالتعامل معه ، وهذا نقص في إيمانه أيضاً .

(٢) كذلك هذا الإسلام الكامل ، « من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده » ، فإن لم يسلم المسلمون من لسانه بالكلام عليهم ، وتنقصهم ، أو من يده بضربهم وقتلهم وغير =

والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه[١] ، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »[٢] (مسند أحمد / ٢٣٩٦٧ بنحوه ، وهو صحيح) .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » (انظر : « المغني عن حمل الأسفار » للحافظ العراقي ص ٨٨٢ ، وضعفه الألباني في « السلسلة الضعيفة » / ٢٤٦٠ ، وقال : منكر) ، **فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله[٣] .**

ذلك ، فهذا ليس بمسلم الإسلام الكامل ، وليس معناه أنه كافر ؛ بل معناه أنه ليس بمسلم الإسلام الكامل ؛ لأنه ترك خصلة من خصال الإسلام ، ففيه نقص .

(١) هذه الهجرة العامة .

(٢) هذا من الجهاد ، أن الإنسان يجاهد نفسه ، فأول ما تجاهد من الأعداء نفسك ؛ لأن الجهاد أقسام : جهاد النفس ، وهذا أول أنواع الجهاد ، ثم جهاد شياطين الإنس والجن ، ثم جهاد المنافقين والفسّاق ، ثم جهاد الكفار بالسلاح . ومن لم يجاهد نفسه ، لم يجاهد بقية أنواع الجهاد .

(٣) الجهاد الأكبر : جهاد الكفار بالسلاح ، وبذل النفس والمال في سبيل الله ﷻ ، فأفضل أنواع الجهاد جهاد الكفار في سبيل الله ﷻ ، أما أنه قال ﷺ لما رجعوا من غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الأصغر - وهو جهاد الكفار - إلى الجهاد الأكبر - وهو جهاد النفس - » ، فهذا لا أصل له ، وبعضهم يقول : إن هذا من كلام بعض العلماء ، وليس من كلام الرسول ﷺ ، وليس له سند يُعتَمَدُ عليه ، ولا هو في كتب معروفة ، إلا اللهم إذا كان ذُكِر في بعضها للتنبيه على سنده ، فالحاصل أن سنده =

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ؛ بل هو أفضل ما تطوّع به الإنسان[1] . قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] [النساء : ٩٥] .

لا يُحتَجُّ به ، ومتنه أيضاً غير صحيح ، وليس جهاد النفس أعظم من جهاد الكفار ؛ بل جهاد الكفار أعظم ؛ لأن الله أثنى على المجاهدين في القرآن ، وفضلهم على غيرهم ، فكيف يكون جهاداً أصغر ، والله عظَّم من شأنه ، وأثنى على أهله ، وحثَّ عليه .

(١) جهاد الكفار أعظم أنواع الجهاد ، وليس جهاد النفس ، وإلا يجلس كل واحد يجاهد من بيته ويقول : أنا أجاهد نفسي ، ولا أذهب للغزو ولا أعمل شيئاً ، كيف أذهب للجهاد الأصغر وأترك الأكبر ؟! وهذا ليس صحيحاً ، ويكون الصحابة قد أخطأوا أنهم ما قعدوا في بيوتهم يجاهدون أنفسهم ، وتركوا الجهاد في سبيل الله !!

(٢) الذين يقعدون عن الجهاد لا يخلون من إحدى حالتين :

الحالة الأولى : أن يكونوا معذورين ، يعني عندهم ضرر يمنعهم من الخروج للجهاد ، معذورون عن الخروج .

الحالة الثانية : من قعد عن الجهاد المستحب وهو لا عذر له ، فذكر الله الصنفين في هذه الآية ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾، يعني من ذوي الأعذار ﴿ دَرَجَةً ﴾ واحدة ، ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ الذين لا ضرر عليهم ﴿ أَجْرًا

=

قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٩-٢٢] .

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت عند النبي ﷺ فقال رجل : ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] (صحيح مسلم / ١٨٧٩) . وفي

عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥-٩٦] ، والجهاد كما هو معلوم ، منه ما هو فرض عين ، ومنه ما هو فرض كفاية ، والمراد هنا : ما هو فرض كفاية ، إذا قام به من يكفي ، بقي في حق سائر المؤمنين سُنَّة ، وهذه السُّنَّة من أفضل الأعمال .

(١) هذا سبب نزول الآية : أن هؤلاء النفر من الصحابة بعضهم فضَّل سقاية الحاج ، =

الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل عند الله ﷻ ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[1]

يعني إعداد الماء للحجاج ، وبعضهم فضَّل عمارة المسجد الحرام على الجهاد في سبيل الله ، فعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفقهه وعلمه فضَّل الجهاد في سبيل الله على عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج ، ولما ذُكر ذلك للنبي ﷺ أنزل الله هذه الآية : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فسمَّى من فضَّل عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج على الجهاد ظالماً ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فوضع الفضيلة في غير موضعها ، ثم قال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾: هذا رد على من قالوا : إن عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج أعظم درجة عند الله من الجهاد .

(١) هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] ، ثم سأله بعد ذلك ، فقال : « بر الوالدين » ، بر الوالدين بعد الصلاة لوقتها في الفضيلة ، قال : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » ، فدل هذا على عظمة الصلاة ، وعلى أنها تؤدى في وقتها الذي جعلها الله فيه ، ودل على فضل بر الوالدين ومكانته عند الله ﷻ ؛ لأن حقهما يأتي بعد حق الله ﷻ ، ثم الجهاد في سبيل الله ، فبر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله ، هل بعد هذا آكد ؟ والنبي

=

قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني . (صحيح البخاري / ٥٠٤ - صحيح مسلم / ٨٥) .

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه سئل : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور »(١) (صحيح البخاري / ٢٦ - صحيح مسلم / ٨٣) .

ﷺ جاءه رجل يريد أن يجاهد في سبيل الله ، قال له : « أحيٌّ والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » (صحيح البخاري / ٢٨٤٢ - صحيح مسلم / ٢٥٤٩) فالذين يخرجون الآن يجاهدون بزعمهم ويتركون والديهم ولا يستأذنونهم ويزعمون أن هذا أفضل من بر الوالدين ، وهذا من الجهل - والعياذ بالله - لأن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله ، لو كان هذا جهاداً في سبيل الله ، مع أنه لا تنطبق عليه ضوابط الجهاد في سبيل الله ، لكن لو فرضنا أنه جهاد في سبيل الله ، وتنطبق عليه ضوابط الجهاد فبرُّ الوالدين مقدَّم عليه .

(١) الأحاديث في فضائل الأعمال كثيرة ، وتتفاوت ، أحياناً يذكر النبي ﷺ هذا ، وأحياناً يذكر هذا ، مما يدل على أن فضائل الأعمال كثيرة - والحمد لله - ، وأن الله وسَّع الخير ، فأفضل الأعمال : إيمان بالله ، ثم جهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، ثم الحج المبرور ، فالحج المبرور من الجهاد في سبيل الله ، فليس كل حج ، ولكن الحج المبرور الذي تقبله الله من صاحبه وأداه صاحبه على الوجه المشروع خالصاً لوجه الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] فيكون خالصاً لوجه الله ، وصواباً على سنة رسول الله ، ولا يخالطه معصية ولا إثم ، هذا هو الحج المبرور .

وفي الصحيحين أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله قال : « لا تستطيعه - أو لا تطيقه - » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تفتر ؟ »[١] (صحيح البخاري / ٢٦٣٣ ، صحيح مسلم / ١٨٧٨) **وفي السنن عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ ، اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[٢]** (مسند أحمد / ٢٢٠٥٩ بنحوه ، وهو حسن) .

---

(١) هذا يدل على فضل الجهاد في سبيل الله ، وأن الذي يجاهد في سبيل الله أفضل من الصائم الذي لا يفطر ، وأفضل من القائم الذي لا يفتر ، فدل على أن الجهاد هو أفضل الأعمال ، فلا يستهان بالجهاد في سبيل الله ﷻ ، وغرض الشيخ من ذكر هذه الأعمال بيان صفات أولياء الرحمن : أن أولياء الرحمن هم أهل هذه الأعمال الجليلة ، وليست الولاية للرحمن مجرد دعوى ، أو شكليات ، أو هالات حول الشخص ، وإنما وَلَاية الله تقتضي هذه الأعمال الصالحة . هؤلاء هم أولياء الله ، وكل هذا داخل في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣] .

(٢) لما بعث الرسول ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن لفضله وعلمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أرسله داعياً إلى الله ومعلماً وقاضياً إلى جهة اليمن ، قال له هذه الوصية العظيمة ، أوصاه بثلاث كلمات : « اتق الله حيثما كنت » : لازم تقوى الله ، بامتثال أوامره ، وترك نواهيه ، أينما كنت ، سواء كنت في اليمن ، أو في الشام ، أو في مصر ، أو في البر ، أو في البحر ، أو في الجو ، أو كنت مع الناس ، أو خالياً ليس عندك أحد من الناس ، لازم تقوى الله ﷻ
=

حيثما كنت ، هذه هي التقوى الصحيحة ، أما الذي يتقي الله في مكان دون مكان ، أو مع الناس وإذا خلا اختلف وضعه ، فهذا لم يتق الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت » هذه واحدة وهي في حق الله تعالى . وفي حق نفسه « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » : الإنسان ليس معصوماً ، يقع منه أخطاء ومخالفات ، فعليه أن يتوب إلى الله ، وأن يتبع السيئة الحسنة تمحها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] مع التوبة تتبع بالطاعة ، وتحل محل المعصية طاعة ، من أجل أن الطاعة تمحو المعصية وتكفِّرها « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » هذا في ما بين العبد وبين نفسه أنه يراعيها ولا يتركها تعمل ما تشاء ، والثالثة : بينه وبين الناس « وخالق الناس بخلق حسن » : رحابة صدر ، واستقبال لهم ، وانبساط معهم ، ولين الجانب معهم ، هذا الخلق الحسن ، وهو صفة الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] سئلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت : « كان خلقه القرآن » (مسند الإمام احمد / ٢٤٦٠١ ، وهو حديث صحيح) ، يعني يمتثل القرآن الكريم ، ويعمل به ، هذا خلق الرسول ﷺ ، فالذي يدعو إلى الله يحتاج إلى الخُلق ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] فهذه الصفات يجب أن يتحلى بها الداعي إلى الله : أن يتقي الله حيثما كان ، وأن يتبع السيئة الحسنة تمحها ، وأن يخالق الناس بخلق حسن ، هذه من أعظم صفات الداعية إلى الله ﷻ . فهؤلاء هم أولياء الرحمن الذين يتصفون بهذه الصفات الثلاثة : يتقون الله حيثما كانوا ، ويتبعون السيئة الحسنة تمحها ، ولا يتركون الذنوب تحيط بهم وتهلكهم ، ويخالقون الناس بخلق حسن ، والله ﷻ قال : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

وقال ﷺ : « يا معاذ إني لأحبك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك »[1] (سنن أبي داود / ١٥٢٢ بنحوه ، وصححه الألباني) ، وقال ﷺ لمعاذ وهو رديفه : « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ » ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقهم عليه ألا

(١) قال لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً : « إني لأحبك » : هذا فيه فضل معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو أن الرسول ﷺ يحبه ، وهذه فضيلة عظيمة لمعاذ ، وفيه أن من أحب شخصاً لأجل دينه أنه يخبره بذلك ، فإن النبي ﷺ أخبر معاذاً أنه يحبه « فلا تدع في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » : هذا فيه دليل على أن من أحببته أنك توصيه بما ينفعه ، فإن النبي ﷺ لما أحب معاذاً أهدى إليه هذه الوصية العظيمة .

« دبر كل صلاة » : دبر الشيء يُفسر بتفسيرين : إما أنه آخره ، وإما أنه ما بعده ، فقوله : « دبر كل صلاة » يُحتمل أن المراد في آخر كل صلاة ، ويحتمل أن المراد بعد السلام من كل صلاة ، ولكن الاحتمال الأول أقوى لأن الدعاء في داخل العبادة أفضل من الدعاء خارج العبادة ، فالأفضل أن يأتي به في آخر الصلاة قبل السلام ، وإن قاله بعد السلام فلا بأس أيضاً ، ولكنه أقل من الأول .

« اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » : هذه صفات أولياء الله ﷻ ، التي من اتصف بها كان من أولياء الله .

يعذبهم »[1] (صحيح البخاري / ٥٦٢٢ - صحيح مسلم / ٤٨) .

---

(١) هذا الحديث الثالث مما قاله النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار » : يعني كان راكباً معه على حمار . ففيه جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك ، وفيه تواضع النبي ﷺ ، حيث إنه كان يركب على الحمار ، ويردف معه بعض أصحابه ، وفيه فضيلة لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث كان رديف النبي ﷺ ، وفيه الوصية والتعليم .

« أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد ، قلت : الله ورسوله أعلم » : فيه أن من سئل وليس عنده علم أنه لا يستعجل في الجواب ، ويسترشد من السائل ولا يتخرص .

« أتدري ما حق الله على العباد » : دل على أن الله له حق على عباده ، فهو أول الحقوق ، وأوجب الحقوق ، وآكد الحقوق ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، فهذا هو الذي خلقهم الله من أجله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] هذا حق الله على عباده ولا تكفي العبادة ؛ بل لابد أن يتجنب الشرك . بعض الناس يعبد الله لكنه مشرك بالله ﷻ ، فهذا لا تنفعه العبادة .

« أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ما قال : أن يعبدوه فقط ، بل ولا يشركوا به شيئاً ؛ لأن الشرك يبطل العبادة ، وحق الله على العباد هذا واجب ، وحق العباد على الله هذا ليس واجباً على الله ، وإنما هو حق تفضَّل الله به على عباده ؛ لأنه لا أحد يوجب على الله شيئاً ، أما الله فإنه يوجب على العباد ، فأوجب عليهم عبادته وتوحيده ، وتفضَّل سبحانه لمن عبده ولم يشرك به شيئاً أن لا يعذبه ، هذه بشرى عظيمة ، وفيها منقبة لمعاذ ، وهذه صفة أولياء الله ﷻ ، أنهم يعبدونه ولا يشركون به شيئاً ، وفيه فضل التوحيد وأنه يُكفِّر الله به الذنوب .

هذه ثلاثة أحاديث كلها لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكفى بهذا فضلاً لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال أيضاً لمعاذ : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله »[١] ، وقال : « يا معاذ ، ألا أخبرك بأبواب الخير[٢] ؟ الصوم جنة[٣] ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار[٤] ، وقيام الرجل

---

(١) هذا حديث رابع لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وفيه : « **رأس الأمر الإسلام** » : يعني أول شيء على العبد أن يسلم لله ﷻ ، ويدخل في دين الله ، وهو الإسلام « **وعموده الصلاة** » : عمود الإسلام الصلاة ، فهذا تشبيه للإسلام بالخيمة أو البيت من الشعر ؛ لأنه لا يقوم إلا على عمود ، وهذا شيء يعرفه الناس بالفطرة والتجربة ، فلو أنك أحضرت بيتاً أو خيمة من الشعر أو الأُدم وليس معك عمود فلن تنتفع به ، ولم تستظل به حتى يَكون معك عمود تقيمه عليه ، فالإسلام لا يقوم إلا على الصلاة ، والذي ليس له صلاة لا يقوم له دين ولا إسلام ، وهذا يدل على أن من ترك الصلاة متعمداً فإنه يكفر ؛ لأنه ليس معه عمود الإسلام .
« **وذروة سنامه** » : يعني أرفع الإسلام وأعلاه الجهاد في سبيل الله ، هذا فيه فضل الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وأنه أفضل أنواع الطاعات .

(٢) « **أبواب الخير** » : يعني أنواع الخير ، وأنواع العبادات زيادة على أركان الإسلام .

(٣) « **الصوم جنة** » : والجُنَّة ما يجتن به الإنسان ويتوقى به السلاح ، وهو التُرس الذي يكون بينه وبين سهام العدو أو الحصن الذي يتحصن به . الجُنَّة ما يقيك من سهام العدو ، « الصوم جنة » : بمعنى أنه يقيك من المعاصي ، فإذا صام الإنسان ابتعد عن المعاصي ، وأقبل على الطاعة ؛ لأن الصيام يحول بين العبد وبين شهواته ، ويشغله بطاعة الله ﷻ فهذا فيه فضل الصيام .

(٤) « **والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار** » : الصدقة على الفقراء والمساكين
=

في جوف الليل[١] ، ثم قرأ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] [السجدة : ١٦ ، ١٧] » .

والمحتاجين تطفيء الخطيئة ، يكفّر الله بها السيئات ، كما يطفيء الماء النار ، والخطيئة نوع من النار ، والصدقة تطفيء هذه النار ، ففيه فضل الصدقة على المحتاجين .

(١) « وقيام الرجل في جوف الليل » : كذلك التهجد في جوف الليل ، وهو الثلث الأخير من الليل ، أو وسط الليل ، وهو قيام داود ﷺ ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، يعني بعد القيام ، هذا جوف الليل ، فأفضل ما يكون القيام في جوف الليل الأوسط ؛ لأنه تنقطع الشواغل وينام الناس ؛ ولأنه أدل على الإخلاص لله وأبعد عن الرياء ؛ ولأنه يحضر فيه القلب : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل : ٦] وناشئة الليل : هي القيام بعد النوم ، وبعد الهجعة .

(٢) ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٥ ، ١٦] يقومون من المضاجع وهم يحبون النوم ويحبون الدفء إذا كان وقت برد ، ويحب الإنسان أن ينام مع زوجته ، لكن يتركون ذلك لله ﷻ ، ويتركون المضاجع مع محبتهم لها طمعاً فيما عند الله ﷻ ، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ : يقومون يدعون الله ﷻ خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، فهذا فيه دليل على الجمع بين الخوف والرجاء ، وأن الإنسان لا يعتمد على الخوف فقط ويترك الرجاء ، ولا يعتمد على الرجاء فقط ويترك الخوف ، وإنما يكون بين الخوف والرجاء ، هذه

=

ثم قال : « يا معاذ ، ألا أخبرك بمِلَاك ذلك كله ؟ قلت : بلى ، فقال : « أمسك عليك لسانك هذا » ، فأخذ بلسانه[(١)] ، قال : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »[(٢)] (سنن الترمذي / ٢٦١٦ ، وصححه الألباني) .

طريقة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : يتصدقون على المحتاجين ، فهم يجمعون بين هذه الخصال ، ومنها الصدقة من أموالهم على المحتاجين ، ثم ذكر جزاءهم فقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ : كما أنهم أخفوا عملهم عن الناس ، وقاموا في جوف الليل والناس نيام ، فإن الله أخفى جزاءهم بحيث لا يتصور أحد ما يُعطيهم الله ﷻ ، ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ : فالجزاء من جنس العمل ، فلما آثروا طاعة الله على نومهم وراحتهم ، وتصدقوا من أموالهم على الفقراء مع حبهم للمال ، فإن الله ﷻ ادخر لهم جزاء لا أحد يقدر على وصفه ولا يدركه أحد ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فهذه صفات أولياء الرحمن .

فإذا عملت هذه الأعمال فاحذر مما يحبطها ، واحذر مما يفسدها ، وأعظم ما يفسد الأعمال اللسان أقرب شيء إلى الإنسان ، يسب هذا ويشتم هذا ويغتاب هذا ، يسلط لسانه على الناس فتذهب هذه الأعمال . فعلى الإنسان أن يحبس لسانه عن الكلام السيء ، ويستعمله في ذكر الله ﷻ ، وإلا فإنه سيجني عليه لسانه .

(١) أخذ ﷺ بلسان نفسه ليوضح لمعاذ خطر اللسان .

(٢) استغرب معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به » لأن الإنسان يتساهل في الكلام ، دائماً يتكلم في الناس ، ويسب هذا ، ويمدح هذا ، ولا شغل له إلا الكلام في الناس ، فقال النبي ﷺ : « **ثكلتك أمك يا معاذ** » : هذه كلمة في الأصل دعاء

=

وتفسير هذا ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[1] (صحيح البخاري / ٥٦٧٢ - صحيح مسلم / ٤٧) فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه[2] ، والصمت عن

« ثكلتك أمك » : يعني فقدتك أمك هذا الأصل لكن الرسول ﷺ لا يريد هذا لمعاذ ، لا يدعو على معاذ ، وإنما هي كلمة تدور على الألسنة ، فقوله : « ثكلتك أمك يا معاذ » : هذا من باب الاستنكار على معاذ ، أنه ما تفطن للسان « وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » : التي صدرت من ألسنتهم بالسباب ، والغيبة ، والشتم ، والنميمة ، وغير ذلك ، وشهادة الزور ، وأعظم ذلك : الكفر والشرك بالكلام ، فالأمر خطير جداً ، وهذا اللسان خطره عظيم ، وأنتم تعلمون الذي قال لأخيه العاصي : والله لا يغفر الله لفلان ، قال الله ﷻ : « من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان ؟ فإني قد غفرت لفلان ، وأحبطت عملك » (صحيح مسلم / ٢٦٢١) قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » (سنن أبي داود / ٤٩٠١، وصححه الألباني) كلمة واحدة فالإنسان لا يتساهل بالكلام السيء .

(١) تفسير قول الرسول ﷺ لمعاذ : « أمسك عليك هذا » يفسره قوله : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً » مِنْ ذكر الله ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلاوة القرآن ، يتكلم بكلام خير أو ليصمت ، وإذا صمت وحبس لسانه سَلِم من الإثم ، فهو إما أن يتكلم بخير ، أو يصمت عن الشر .

(٢) التكلم بالخير خير من السكوت عن الخير ، يسكت عن الشر ويتكلم في الخير ، فالسكوت عن الشر خير من الكلام بالشر ، والكلام بالخير خير من السكوت عن الخير ، فالسكوت قد يكون خيراً ، وقد يكون نقصاً .

الشر خير من التكلم به[١] ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها[٢] ، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضاً[٣] ، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال : « ما هذا » ؟ فقالوا :

---

(١) الإنسان لا يؤمر أن يصمت دائماً ، فقول الرسول ﷺ : « أمسك عليك هذا » ليس معناه أنك تصمت دائماً ولا تتكلم بخير أو ما تتكلم بالأمور المباحة ، ليس هذا هو المقصود ، المقصود تمسكه عن الشر فقط ، فلا يؤخذ من حديث معاذ هذا أن الإنسان يصمت ولا يتكلم لا بخير ، ولا بشر ، ولا بمباح ، السكوت ليس عبادة ، وإنما السكوت عن الشر عبادة .

(٢) من زعم أن مراد الرسول ﷺ الصمت الدائم ، وأن الإنسان لا يتكلم ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : « أمسك عليك هذا » فهذا فهم خاطئ ، وبدعة . فالله أمرنا بذكره ، وأمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمرنا بالدعوة إلى الله ، وأمرنا أن نتكلم ، لكن بالخير .

(٣) الصمت الدائم من البدع ، فالذي يعتقد أنه عبادة ويقول : أريد أن أسلم من غوائل اللسان ، ولا يحرك لسانه بذكر ولا بشيء هذا بدعة ، هذا مثل الذي يترك المباح الطيب ويقول : هذا عبادة . يترك أكل اللحم ، ويترك أكل الفواكه ، ويترك اللباس الطيب الحسن ، ويقول هذا عبادة ؟! لا ، هذه مباحات أباحها الله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، فالذي يترك المباحات ، ويقول : هذه عبادة !! هذه بدعة ، ترك المباحات تعبداً لله ، هذا بدعة .

أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي ﷺ : « مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه »[(١)] (صحيح البخاري / ٦٧٠٤) .

وثبت في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رجالاً سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ ، فكأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأينا مثل رسول الله ﷺ ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الآخر : وأما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال ﷺ : « ما بال رجال يقول أحدهم : كذا وكذا ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[(٢)] (صحيح البخاري / ٤٧٧٦ - صحيح مسلم / ١٤٠١ بنحوه)

---

(١) هذا الرجل نذر أربعة أشياء : الأول : أنه يقف ولا يجلس . الثانية : أنه لا يستظل . الثالثة : أنه لا يتكلم . الرابعة : أنه يصوم . النبي ﷺ أقرَّه على واحدة وهي الصوم ، ونهاه عن البقية ، وهي الوقوف الدائم ، وعدم الاستظلال بالظل ، والصمت عن الكلام الدائم ، نهاه عن هذه الأمور فدل على أنها بدع ؛ لأن هذه الأمور بدع ، ولا يتقرب إلى الله بهذه الأشياء . وأما الصيام فهو طاعة ، وقد قال ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » الصيام طاعة يتمه ، ودل هذا الحديث على أن من نذر محرماً فإن نذره لا ينعقد ، وليس عليه الوفاء به ، ولا كفارة عليه ، قال ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » (صحيح البخاري / ٦٣١٨) .

(٢) هذا فيه أن من ترك المباحات تعبداً لله أنه مبتدع ، وأن هذا من الغلو في العبادة ،
=

أي : سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها[1] ، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾[2] [البقرة : ١٣٠] ؛ بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير

والمطلوب الوسط والاعتدال ، قال ﷺ : « أنا أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » دل على أن من ترك هذه الأشياء تقرباً إلى الله أنه مبتدع ، وليس عابداً لله ﷻ ، وأن الرسول بريء منه « فمن رغب عن سنتي فليس مني » هذه البراءة ، الرسول ﷺ بريء من هذا ، ففي هذا الحديث أنه لا يتعبد لله بترك المباحات ، وفيه أن دين الإسلام دين الوسط بين الغلو وبين الجفاء .

(١) لا خير من سنة الرسول ﷺ ، فالذي يرى أنه يأتي بعبادة أفضل من عبادة الرسول ﷺ هذا ضال - والعياذ بالله - وقد تبرأ الرسول ﷺ منه ، وهذا فيه رد على أهل البدع عموماً ، الذين يتركون سنة الرسول ﷺ ويأتون بعبادات من عندهم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، أن الرسول بريء منهم .وفي الحديث الآخر : « من أحدث في أمرنا هذا » أو « عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وفي الحديث الآخر : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين » (سنن أبي داود / ٤٦٠٧ ، وصححه الألباني) وفي الحديث الآخر : « فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » (صحيح مسلم / ٨٦٧) .

(٢) سنة الرسول ﷺ هي ملة إبراهيم ﷺ ، والله ﷻ قال : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ... ﴾ [البقرة : ١٣٠] هل أحد يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفهاء الذين لا عقول =

الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة[١] (صحيح مسلم / ٨٦٧) .

لهم ؟ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ يعني : لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه . يعني : يتصف بالسفه ، وهي خفة العقل والإدراك ؛ لأن ملة إبراهيم هي الملة الحنيفية الكاملة ، التي بُعث بها رسول الله ﷺ : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣] والرسول ﷺ قال : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » فهو راغب عن سنة الرسول ، وراغب عن سنة إبراهيم عليه السلام .

(١) ويقول : « إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها » في كل جمعة يقول هذا للناس ، من باب التحذير ، والحث لهم على التمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ .

فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ[1] ؛

---

(١) ولي الله كما بيَّنه الله في قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] ، فكل مؤمن تقي فهو وليٌّ لله ، وتقدم لنا أنه ليس لأولياء الله علامات يعرفون بها ، لا في الأزياء ، ولا في المعاملة مع الناس ، وإنما هم كسائر الناس ، لا يُعرفون ، ولا يجعلون لأنفسهم دعاية ، أو يلبسون لباساً لا يلبسه غيرهم ، أو يكون لهم أتباع وهالات حولهم ؛ بل كل ما خفي الولي كان هذا أكمل في وَلايته ؛ لأن الوَلاية إخلاص لله ﷻ ، فالذي يُحب أن يظهر ، وأن يُمدح ، هذا عمله رياء فلا يكون ولياً لله ﷻ ، فأولياء الله لا يحبون أن يظهروا ولا أن يمدحوا ، ولا أن تكون لهم منزلة خاصة بين الناس ؛ وهذا كما جاء في الحديث : « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، بمعنى : أنه ليس له جاه ولا يُعرف ، ومع هذا لو أقسم على الله لأبره ؛ لأنه وليٌّ لله ﷻ ، وهذا يدل على إخلاصه ، كما مر بكم في قصة أويس القرني ، الذي أخبر عنه النبي ﷺ ، وهو من وفد اليمن ، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه : « يأتي عليكم أويس بن عامر ، مع أمداد اليمن ، من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص ، فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » (صحيح مسلم/ ٢٥٤٢) ، فلما جاء مع وفد اليمن كان مختفياً حتى بحث عنه عمر ، فعثر عليه ، فطلب منه أن يدعو له ، ثم إن عمر قال له : ألا أكتب لك إلى أهل العراق قال : لا ، دعني مع عامة الناس ، فخرج على وجهه ، ولم يُعثر له على مكان بعد ذلك مختفياً ، هذه واحدة ، الثانية : ليس من شرط ولي الله أن يكون =

بل يجوز أن يَخفَى عليه بعض علم الشريعة[1] ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله

معصوماً لا يخطئ ؛ بل يقع منه الخطأ في الاجتهاد إلا الأنبياء ، الذين هم أئمة الأولياء ، فهؤلاء معصومون ، أما من عداهم من الأولياء ، فإنه عرضة للخطأ والصواب ، فلا يقال : إن الولي لا يخطئ ، وكل ما قاله فإنه حق ، ويؤخذ كأنه نبي ؟! لا ، هذا قول الصوفية مع رؤسائهم ، ومع مشايخهم ، يعتقدون لهم العصمة ، وأنهم لا يخطئون ، وأن المريد مع شيخه كالميت مع غاسله ، لا يمانع في شيء ، ولا يعترض في شيء ، يستسلم استسلاماً كاملاً ، هذه عقيدة الصوفية الضالة . فالولي يخطئ ويصيب ، ويعترف بالخطأ والصواب ، وسيأتيكم من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يبين هذا ، هذا رد على الذين يقولون إن الولي معصوم ، ولذلك كل ما يصدر عنه فإنه لا يعترض عليه ولا يعارض ، كما تقوله الصوفية في مشايخها أو القبورية في مشايخها ، فهذه مسألة مهمة جداً .

(١) يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، فيخطئ يُفتي بفتوى ، أو يقول قولاً ، وفي الشريعة ما يخالف هذا القول أو هذه الفتوى ؛ لأنه لم يطلع عليها ، هو ما تعمد المخالفة ، لكن لم يطلع عليها ، والله ﷻ يقول : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] فالولي لا يُعتقد في حقه العصمة ، غير الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ؛ لأن الله عصمهم ، فهم يخطئون ويصيبون ، ولكنهم يرجعون إلى الحق ويقبلون النصح ويشاورون العلماء ، كما كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - كما يأتي - إذا عرض الأمر ، يستشير الصحابة ، المهاجرين والأنصار ، وهو من خواص الأولياء .

عنه[١] ، ويجوز أن يَظُن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى[٢] ، وتكون من الشيطان لبَّسها عليه[٣] لنقص درجته[٤] ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى[٥] ، فإن الله ﷻ تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[٦] ، فقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ

---

(١) يجوز أن يشتبه عليه بعض الأمور الدينية ، فيظن أن هذا سنة وليس بسنة ، هذا صحيح وليس بصحيح ؛ لأنه بشر يخطئ ويصيب ، وليس معناه أنه إذا صار ولياً يخرج عن البشرية .

(٢) والولي الصادق لا يعتقد أن كل أمر خارق فهو كرامة ؛ بل إنه يخاف أن تكون من الشيطان ، فلا يغتر بما يظهر على يديه أنه كرامة ، ولا يجزم بهذا ، قد يكون هذا تغرير من الشيطان ليُلَبِّس عليه ، فهذا من صفات الأولياء أنهم لا يغترون بالكرامات ويترفعون بها ، وإنما يخفونها ولا يعتمدون عليها .

(٣) كما سبق لكم ، أن الخارق للعادة إذا جرى على يد مؤمن تقي ، فإنه كرامة ، وإذا جرى على يد فاجر شقي ، أنه خارق شيطاني وليس كرامة .

(٤) لينقِّص درجته ويَغرُّه بها . فالوليّ لا يغتر بالكرامة ، ولا تغره الكرامة .

(٥) وإن لم يخرج بخطئه من ولاية الله ، فهو ولي الله وإن أخطأ ؛ لأنه لم يتعمد الخطأ ، وقد قال ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » فهو مأجور غير مأثوم على الخطأ ، ويؤجر على الصواب مرتين .

(٦) كما في الحديث ، قال ﷺ : « إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان » ، كما قال =

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(1) [البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦] .

وقد ثبت في الصحيحين أن الله استجاب هذا الدعاء وقال : « قد فعلت »(2) .

تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ « وما استكرهوا عليه » (سنن ابن ماجه / ٢٠٤٣ ، وصححه الألباني) ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] فالولي إذا أخطأ أو نسي معفو عن خطئه ونسيانه ؛ لأنه ليس معصوماً .

(١) هذه الآيات من آخر سورة البقرة فيها صفات أولياء الله :

الصفة الأولى : أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله .

الصفة الثانية : أنهم أيضاً يؤمنون بما أنزل الله ، ولا يعتقدون أنهم يخرجون عن الشريعة ؛ لأنهم وصلوا إلى الله وليسوا بحاجة إلى الشريعة ، فهم يؤمنون بما أنزل الله ﷻ ، ويتبعونه ، ولا يعتقدون أنهم استغنوا عن الشريعة ، استغنوا عن ما أنزل الله .

الصفة الثالثة : أنهم يعترفون بالخطأ والنسيان ، ويطلبون من الله ﷻ أن يغفر لهم .

الصفة الرابعة : أنهم يقولون : سمعنا وأطعنا . فيسمعون لكلام الله وكلام رسوله ، ويتلقونها بالقبول ويطيعون الله ورسوله هذه صفات أولياء الله .

(٢) كل جملة يقول الله : « قد فعلت » ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله ﷻ :

=

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أنه قال : « لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشدَّ منه[1] ، فقال النبي

« قد فعلت » ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال الله : « قد فعلت » ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ ، قال الله : « قد فعلت » ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال الله : « قد فعلت » فاستجاب الله هذه الدعوات كما في الصحيحين ، هذه صفة أولياء الله تؤخذ من مثل هذه الآيات الكريمات ، فهم اعترفوا أنهم يخطئون وأنهم ينسون ، اعترفوا بهذا ولم يدَّعوا العصمة وأنهم لا يخطئون ولا ينسون .

(١) لما نزل قوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ شقَّ ذلك عليهم مشقة عظيمة ، أن الله سيحاسبهم عما في ضمائرهم وعما في نفوسهم هذا صعب جداً ، وجثوا على الركب ، وقالوا : كُلِّفنا من العمل ما نطيق فأطعنا ، لكن ما جاء في هذه الآية لا نطيقه ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ هذا لا نطيقه . فقال النبي ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو إسرائيل : سمعنا وعصينا ، قولوا : سمعنا وأطعنا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، فعند ذلك أنزل الله قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ، ثم نسخ الله هذه الآية بقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فتكون هذه الآية =

ﷺ : « قولوا : سمعنا وأطعنا وسلَّمنا » قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله ﷻ : « قد فعلت » ، وقال : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ، قال : « قد فعلت » ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال : « قد فعلت »[1] (صحيح مسلم / ١٢٦) ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[2] [الأحزاب : ٥] وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من

ناسخة لما قبلها ، بعدما أبدوا الاستعداد للقبول والإيمان بها وإن كان فيها مشقة عليهم ، الله ﷻ عفا عنهم ونسخها ، فقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ .

(١) ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ : الإصر : المشقة ، فإن الله عاقب بني إسرائيل فحمَّلهم المشقة عقوبة لهم ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٦٠] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦] ، فلما تعنَّتوا ، حمَّلهم الله ما لا يطيقون ، عقوبة لهم . فهذه الأمة لما أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا ، خفَّف الله عنهم .

(٢) ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ : الذي تتعمده =

حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً ، أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران[١] ، وإن أخطأ فله أجر »[٢] ، فلم يُؤَثِّم

القلوب فيه جناح ، لكن ما جاء خطأً أو نسياناً ، فإن الله لا يؤاخذ هذه الأمة عليه ، رحمة بها وتخفيفاً عنها ؛ لأنهم استسلموا وآمنوا ، ولم يعارضوا مثل ما عارض بنو إسرائيل ؛ قالوا : سمعنا وعصينا .

(١) دل على أن الحاكم يخطئ ، والمجتهد يخطئ ، ولكنه لم يتعمد الخطأ ، ولذلك عفا الله عنه ، وأعطاه أجراً على اجتهاده ، هذا من رحمة الله وفضله ، والمجتهد المراد به العالم الذي بلغ رتبة الاجتهاد ، ومع بلوغ رتبة الاجتهاد قد يخطئ ، ولكن الله عفا عنه ، وكتب له الأجر على اجتهاده ، أما من يقول : من حق كل أحد أن يجتهد : العامي والجاهل . هذا ضلال مبين - والعياذ بالله - الاجتهاد إنما هو من حق العلماء المتأهلين للاجتهاد : كالأئمة الأربعة ، ومن شاكلهم ، ممن توفر فيهم شروط الاجتهاد في استنباط الأحكام ، هذا هو أعلى درجات الاجتهاد . هناك اجتهاد أقل منه في الترجيح بين أقوال العلماء ، يعرضها على الدليل ، فيأخذ ما ترجح بالدليل ، هذا يسمونه الاجتهاد المذهبي وهو الاجتهاد بالترجيح ، والنوع الأول يُسمى الاجتهاد المطلق ، هذا لا يقوى عليه إلا فحول الأئمة ، الذين تتوفر فيهم شروط الاجتهاد ، أما الاجتهاد الجزئي ، والاجتهاد الترجيحي ، فهذا يقوى عليه من تمرَّس في طلب العلم ، وعرف الأقوال وأدلتها ، ولا يجتهد اجتهاداً من عنده مبتكراً وجديداً ؛ ولكن يتبع أقوال العلماء ، فيختار منها ما ترجح بالدليل ، هذا يسمى الاجتهاد المذهبي .

(٢) هذا الشاهد من الحديث : « وإن اجتهد فأخطأ » ، فدل على أن العالم المتبحر قد يخطئ ؛ لأنه لا أحد معصوم .

المجتهد المخطئ ؛ بل جعل له أجراً على اجتهاده[١] ، وجعل خطأه مغفوراً له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط ، لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله[٢] ، إلا أن يكون نبياً[٣] ؛ بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يُلقى إليه في قلبه[٤] ،

---

(١) والأول له أجران : أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة .

(٢) هذه النتيجة من البحث السابق من أول الفصل إلى الآن ، إذا كان الولي يخطئ أحياناً ، وليس معصوماً ، فلا يلزمنا أن نقبل كل ما يقوله ، ونعتقد له العصمة ؛ بل يجب أن نعرض أقواله على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة فهو مقبول ، وما خالفها فهو مردود ، ولا ينقِّص هذا من قدره ؛ لأنه مأجور ، كما في الحديث : « إذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » فهو مأجور ما نتنقصه ؛ لأنه بذل وسعه ولم يتعمد الخطأ ، فلا نتنقص المخطئ من أهل العلم ، ونتلمس لهم العثرات ، ونتكلم عنهم في المجالس ، أما إذا ما كان أهلاً للاجتهاد فإنه لا يجوز أن يدخل في الاجتهاد أصلاً ، وهو مخطئ على كل حال ، الذي ليس عنده المؤهلات للاجتهاد المطلق أو الاجتهاد المذهبي ، هذا مخطئ على كل حال ، ولو أصاب فهو مخطئ ؛ لأنه ليس عنده مؤهلات للاجتهاد ، كما قال النبي ﷺ : « من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » (السنن الكبرى للنسائي / ٨٠٣١) وأخطأ ، ولو أصاب ؛ لأنه ما أصاب نتيجة لأهليته ، وإنما أصاب مصادفة فقط ، وهو مخطئ أنه يجتهد ، أو يقول في القرآن بغير علم .

(٣) لأن الأنبياء معصومون .

(٤) الناس لا يقبلون كل ما يقوله قضية مسلمة ، حتى يُعرض على الدليل ، هو بنفسه أيضاً لا يعتمد على ما يُلقى في نفسه – من الأقوال أو الهواجس أو الأشياء – حتى =

إلا أن يكون موافقاً للشرع[١] ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ؛ بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه قَبِلَه ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه[٢] .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف[٣] : طرفان ووسط : فمنهم من

يعرضها على كتاب الله ، ولا يقول : هذه كرامات ، وهذه مكاشفات ، كما يقول أهل الضلال ؛ بل يعرض ما يُلهم وما يقعُ في روعه على الكتاب والسنة ، ولا يقبله مباشرة ؛ لأنه قد يكون من الشيطان ، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الملهم المحدَّث - كما يأتي - ما كان يقبل كل ما يأتيه حتى يعرضه على الكتاب والسنة .

(١) موافقاً للشرع ، وذلك بعرضه على الكتاب والسنة ، فإذا عَرَض لك خاطرة في حكم شرعي رأيت أنه واجب ، أو مستحب ، أو حرام ، أو مكروه ، أعرضه على الكتاب والسنة .

(٢) يعرض ما عرض له وعَنَّ في نفسه من الأفكار على الكتاب والسنة ، فإن وافق فهو حق وإن خالف فإنه يتركه ، وإن لم يتبين له أنه حق أو غير حق يتوقف .

(٣) الناس في هذا الباب مع الأولياء ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : يعتقد لهم العصمة وأن كل ما يقولونه فهو صواب ، وهذا غلو ومبالغة ، ومخالف للكتاب والسنة .

الصنف الثاني : لا يلقي لهم بالاً ولا يعتبرهم شيئاً ، وهذا مخالف للكتاب والسنة .

الصنف الثالث : توسط فيهم ، فيقول : ما وافق الكتاب والسنة من أقوال الأولياء فإنه حق ، وما خالف فإنه خطأ . لا يقول باطل وإنما خطأ ، وفرق بين الخطأ والباطل ، فالباطل يتعمده ويقصده ، وأما الخطأ فلا يتعمده .

إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله ، وافقه في كل ما يظن أنه حدَّث به قلبه عن ربه(١) ، وسلَّم إليه جميع ما يفعله(٢) ، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافقٍ للشرع ، أخرجه عن وَلاية الله بالكلية(٣) وإن كان مجتهداً مخطئاً(٤) ، وخيار الأمور أواسطها وهو أن لا يُجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق

(١) هذا قول الصوفية في مشايخهم ، الذين يقولون : إنهم أولياء وأقطاب و.. و.. إلخ .

(٢) لأنهم يقولون : إن الأولياء يتلقون عن الله ، ويأخذون عن الله ، وليس لهم حاجة إلى الكتاب والسنة ، وهذا غلو - والعياذ بالله - ، وهذا يكون أرفع من الأنبياء ، ولهذا يعتقدون أن الأولياء أرفع من الأنبياء .

(٣) هذا الطرف الثاني الذي يأخذ من خطأ العالم أنه خرج عن الشرع بالكلية ، وأنه ليس ولياً لله ، هذا غلو في التخطئة ؛ بل هو ولي لله ، وإن أخطأ فخطؤه مغفور ، كما في الحديث ، وكما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قال الله : « قد فعلت » ، فلا تزول عنه الوَلاية بسبب أنه أخطأ خطأً عن اجتهاد ، قد يخطئ وهو ولي .

(٤) إذا كان ما خالف فيه الشرع لم يتعمده ، وإنما اجتهد وظن أنه على صواب ، فهذا مخطئ ومأجور على اجتهاده ، ولا تزول عنه الوَلاية لله ﷻ ، فإن أولياء الله يخطئون عن اجتهاد ، أما إذا خالف شرع الله متعمداً ، فاستباح المحرمات متعمداً ، فهذا يخرج عن ولاية الله ﷻ . إذا تعمد الفجور ، وتعمد الفسق ، ويزعم أنه ولي الله وأنه ما يضره هذه الأفعال ، فهذا يخرج عن ولاية الله إلى ولاية الشيطان .

مع اجتهاده[١] . والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله[٢] ، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء[٣] ووافق قول آخرين ، لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف[٤] ويقول : هذا خالف الشرع[٥] .

---

(١) مع اجتهاده ، أما إذا كان متعمداً فيحكم عليه بالكفر والفسق ؛ لأن هذا ليس باجتهاد ، هذا تمرد .

(٢) الواجب على الناس جميعاً - الأولياء وغير الأولياء - أن يتبعوا ما أنزل الله ﷻ ، لا أحد يخرج عن ما أنزل الله ، كلهم عباد لله فيجب عليهم اتباع ما أنزل الله ، فلا أحد يدَّعي أنه خرج عن اتباع ما أنزل الله وصار ولياً لله ولا حرج عليه ، وأنه يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ؛ لأنه وليٌّ . هذا وليٌّ للشيطان وليس ولياً للرحمن .

(٣) الله ﷻ قال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ - أي : فيما اختلفوا فيه - ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، فأقسم على نفي الإيمان عمن لم يحكم رسول الله ﷺ في كل اختلاف .

(٤) إذا صار الخلاف بين العلماء متوازناً ، لم يظهر الدليل مع أحدهم ؛ بل كل منهم يحتمل أنه على دليل ومصيب ، فهنا لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، أما إذا كان الدليل ظهر مع أحد العلماء ، فيجب أخذ قول من ظهر معه الدليل ، لابد من الأمرين :

أولاً : أن لا يظهر الدليل مع أحد المختلفين ، كل يحتمل أنه هو المصيب ، فهذا لا مشاحة في الاجتهاد ، ولا يفرض قول أحد على أحد ؛ لأن كل منهم متساو مع الآخر .

ثانياً : أما إذا ظهر الدليل مع أحد الأقوال فيجب علينا أن نأخذ به ، سواء وافق أهواءنا أو خالفها .

(٥) لأنه ما خالف الشرع ؛ بل خالف قول عالم إلى عالم آخر متساو معه في عدم ظهور =

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: « قد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم »[(١)] (صحيح البخاري / ٣٤٨٦ - صحيح مسلم / ٢٣٩٨ بنحوه)، وروى الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر »[(٢)] (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل / ٦٧٦)، وفي حديث آخر أنه قال ﷺ: « إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »[(٣)] (مسند أحمد / ٢١٢٩٥، وإسناده صحيح). وفيه: « لو كان نبي بعدي لكان عمر » (سنن الترمذي / ٣٦٨٦، وحسنه الألباني).

وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: « ما كنا نبعد أن السكينة

الدليل على قوله، فكل واحد منهم يحتمل أنه هو المصيب، لعدم ظهور الدليل. هذه التي يقال: لا مشاحاة في الاجتهاد، أو لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وهي المسائل التي لم يظهر الدليل مع أحدها.

(١) هذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو مُحدَّث ومُلْهَم بشهادة الرسول ﷺ، وقد وافق القرآن في أشياء، قال قولاً فنزل القرآن بموافقته، بلغ إلى هذه المرتبة من العلم والمزية، ومع هذا عمر يخطئ أحياناً وسيأتي لكم أمثلة مما وقع له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واعترف هو بذلك، فلم يكن معصوماً، مع أنه من سادات أولياء الله ﷻ، وشهد له الرسول ﷺ بأنه مُحدَّث ومُلْهَم، ومع هذا ليس معصوماً، فكيف بغيره؟!

(٢) هذا ورد عن الرسول ﷺ، لكن هذا الحديث فيه كلام، ولكن الشيخ ساقه معتمداً عليه، بناءً على من قوّاه، ويشهد له أحاديث أخرى بأن عمر مُحدَّث في هذه الأمة.

(٣) شهادة من الرسول ﷺ لعمر، ومع هذا وقعت له أخطاء، فكيف بغيره؟!

تنطق على لسان عمر » (مسند أحمد / ٨٣٤ ، وإسناده قوي) ، ثبت هذا عنه من رواية الشعبي ، وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « ما كان عمر يقول في شيء : إني لأُراه كذا ، إلا كان كما يقول »[١] (سنن الترمذي / ٣٦٨٢ بمعناه ، وصححه الألباني) ، وعن قيس بن طارق قال : « كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه مَلَك » (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل / ٣٤١ ، وإسناده صحيح) .

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : « اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة »[٢] .

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنها تتجلى للمطيعين ، هي الأمور التي يكشفها الله ﷻ لهم ، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، فأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [٣] . فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[٤] . وقد ثبت في « الصحيحين » تعيين عمر بأنه مُحدَّث في هذه

---

(١) وسيأتيكم أمثلة من آراء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي نزل القرآن بموافقتها .

(٢) المطيعين لله ﷻ قد يلهمهم الله الصواب فيُقبل منهم ما لا يُقبل من غيرهم ، لكن لا يُدَّعى لهم العصمة ولكن هم أحرى من غيرهم بالصواب .

(٣) المخاطبات ، والمكاشفات ، والتحديث إنما يلقيه الملك على لسان عمر أو غيره ؛ بسبب إيمانه ، وقوة يقينه ، وقوة علمه .

(٤) أبو بكر صدِّيق ، وعمر مُحدَّث ، والصدِّيق أفضل من المحدَّث ، الصديق هو كثير =

الأمة ، فأيُّ محدَّث ومخاطب فُرض في أمة محمد ﷺ ، فعمر أفضل منه[١] ، ومع هذا فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ[٢] ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة[٣] ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن

الصدق ، فلا يصدر عنه كذب ، ولا يُكذِّب شيئاً مما جاء عن الله ورسوله ، ولا يقع في نفسه شيء مما فعله الرسول ﷺ ، هذا ما وصل إليه إلا أبو بكر ، كما يأتي في قصة الحديبية ، وفي وفاة الرسول ﷺ ، وفي قتال أهل الردة ، مانعي الزكاة ، هذه مواقف لأبي بكر لم يقفها غيره حتى الصحابة عندها حصل عندهم شيء من التردد إلا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فإنه ثبت ثبات الجبال ، وكانت العاقبة حميدة ، فعرفوا أن أبا بكر على الصواب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهو أفضل من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) ليس هذا قاصراً على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد يوجد في بعض المؤمنين شيء من هذا ، لكن عمر أفضل من جميع من وقع لهم شيء من هذه الأمور ، ومع هذا وقعت له أخطاء ، هذا غرض الشيخ رحمه الله ؛ أن الولي مهما بلغ فإنه ليس معصوماً .

(٢) هذا عمر مع ما أعطاه الله من المنزلة في العلم وانكشاف الأمور له ، ما كان يعتمد على ما يعرض له من التحديث أو من المكاشفة ؛ بل كان يعرض هذا على سنة الرسول ﷺ .

(٣) نزل القرآن بموافقة عمر في أمور ثلاثة :

الأمر الأول : في أسرى بدر ، لما أسر المسلمون سبعين أسيراً من صناديد المشركين ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على =

ذلك ، كما رجع يوم الحديبية[1] لما كان قد رأى محاربة المشركين ،

الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب ؟ » قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنَّا فنضرب أعناقهم ... إلى قوله : وأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٧ – ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم . (صحيح مسلم / ١٧٦٣) ، فجاء القرآن بموافقة عمر في أن الصواب أن يُقتلوا ، ولا تؤخذ منهم الفدية .

الأمر الثاني : أنه قال للرسول ﷺ : يا رسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، فأنزل الله ﷻ قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، (مسند أحمد / ١٥٧ ، وإسناده صحيح) .

الأمر الثالث : مسألة الحجاب ، أشار عمر على النبي ﷺ أن تحتجب أزواجه ، وقال : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، (مسند أحمد / ١٥٧ ، وإسناده صحيح) فوافق عمر ربه في هذه الأمور الثلاثة : في أسرى بدر ، وفي مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ؛ لأن النساء كانت تكشف وجوهها في أول الإسلام ، ثم نُسخ ذلك ، وأُمر النساء بالحجاب .

(١) يوم الحديبية هذا مما أخطأ فيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مع ما له من المنزلة أخطأ في هذا ؛ لأن الرسول ﷺ لما جاء معتمراً هو وأصحابه معهم الهدي في سنة ست من الهجرة ، صدَّهم المشركون عن المسجد الحرام ، وبقوا في الحديبية أياماً ، والمشركون يرسلون إليه الرسل للمفاوضة معه ، فتفاوضوا واصطلحوا على أن الرسول يرجع هذه السنة =

هو وأصحابه إلى المدينة ، وأن يعتمروا من العام القادم عمرة القضية ، شقَّ ذلك على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال : كيف نرجع ؟ ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال الرسول ﷺ : بلى ، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال الرسول ﷺ : بلى ، قال : ألست أخبرتنا أننا سندخل المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين ؟ قال : بلى ، ولكن هل قلت لك أنه هذه السنة ؟ لابد أن تدخلوا المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، ثم ذهب عمر إلى أبي بكر لما رأى الرسول عازماً على ما هو عليه ذهب إلى أبي بكر وقال له : الأمر ليس سهلاً علينا ، فقال أبو بكر : إنه رسول الله ، فاستمسك بغرزه ، هذا موقف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي امتاز به على عمر ، فعند ذلك سلَّم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فكانت النتيجة للمسلمين ، وسماها الله فتحاً ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] هذا صلح الحديبية ، أما فتح مكة فهو مذكور في سورة النصر ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] ، لكن ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ هذا صلح الحديبية صار فتحاً للمسلمين أظهر الله الإسلام وأذل الكفر ، وصار الناس في حرية ، الذين يريدون أن يسلموا يسلمون ولا أحد يعارضهم ، والذين يريدون الهجرة يهاجرون ولا أحد يعارضهم ، ووضعت الحرب أوزارها ، فصارت المصلحة والنتيجة للمسلمين ، فأدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أخطأ ، ولهذا قال : « أيها الناس اتهموا الرأي في الدين فلو رأيتني يوم أبي جندل ... » ، أبو جندل بن سهيل بن عمرو كان مسلماً صحابياً ، وهو في قبضة المشركين ، وقد فاوضوا الرسول ﷺ على أن من جاءه من المسلمين يرده على المشركين ، فرد أبا جندل ، وقال : سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ، شق ذلك على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لأنه لم يدرك العاقبة التي أرادها الله ﷻ « اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني أراد على

=

والحديث معروف في « البخاري » وغيره[١] ، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمئة ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على أن يرجع في ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على كثير من المسلمين ، وكان الله ورسوله ﷺ أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة . وكان عمر فيمن كره ذلك ، حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : « بلى » ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال له النبي ﷺ : « إني رسول الله ، وهو ناصري ، ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ، قال : « بلى » ، قال : « أفقلت لك : إنك تأتيه العام ؟ » قال : لا ، قال : « إنك آتيه ومطوف به »[٢] فذهب عمر إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له مثل ما قاله

أمر رسول الله ﷺ ما آلو عن الحق ، وذاك يوم أبي جندل » (المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي / للهيثمي / ٦٤ ، وإسناده حسن) أدرك خطأه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لما ظهرت النتائج العظيمة للمسلمين ، ورجع عن رأيه يوم الحديبية واستسلم وعرف النتيجة .

(١) هو يرى محاربة المشركين ، ولا يرى الرجوع ، والرسول ﷺ يرى الرجوع والصلح .

(٢) وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ
=

للنبي ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ[1] (صحيح البخاري / ٢٥٨١) . فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أعمالاً[2]. وكذلك لما مات النبي ﷺ ، أنكر عمر موته أولاً[3]،

ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ... ﴾ يعني قبل ذلك ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] ، وهو صلح الحديبية .

(١) أبو بكر لم يسمع كلام الرسول ﷺ لعمر ، ومع هذا قال عين الصواب ، قال : هو رسول الله ﷺ فوافق جواب الرسول ، وهو لم يسمعه .

(٢) يعني اعترف بخطئه ، وعمل أعمالاً تمسح أو تكفِّر هذا الشيء .

(٣) هذا الموقف الثاني : لما مات النبي ﷺ ، وكان أبو بكر بالسنح - ناحية من المدينة فيها نخل له - ، فلما مات النبي ﷺ هاج الناس واضطربوا ، وفيهم عمر يتوعدهم ، ويقول : الرسول ما مات ، وإنما ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، وسيأتي وسيقتل أناساً ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه ، فدخل على النبي ﷺ وهو مسجى ، فكشف الغطاء عن وجهه ، وعلم أنه قد مات ، فقبّله وبكى ، ثم خرج إلى الناس ، وعمر يهددهم ويخطب ، فقال : على رسلك يا عمر ، فنزل عمر من المنبر ، وصعد أبو بكر ، فقال : « ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، (صحيح البخاري / ٣٤٦٧) ، فعند ذلك علم عمر أن الرسول ﷺ قد =

فلما قال أبو بكر ، إنه مات رجع عمر عن ذلك[1] وكذلك في قتال مانعي الزكاة ، قال عمر لأبي بكر : كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ألم يقل : « إلا بحقها » فإن الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق[2] (صحيح البخاري / ١٣٣٥ - صحيح مسلم / ٢٠) **. ولهذا نظائر**

مات ، فأُسقِط بين يديه ، وجثا على الأرض لا يستطيع القيام ، لما تحقق أن الرسول ﷺ قد مات . هذا موقف أبي بكر ، وهو موقف الإيمان الذي لا يتزعزع . فعمر في هذا حصل منه تردد ، وأبو بكر ما حصل منه أي تردد ؛ بل ثبت ثبات الجبال على مصيبة ما نزل بالعالم مثلها ، هذه قوة الإيمان ، وشجاعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هذا مما يدل على أن أبا بكر أفضل الأمة .

(١) وعمر وليٌّ من سادة الأولياء ومع هذا أخطأ ، فدل على أن الولي يخطئ وليس معصوماً .

(٢) **الموقف الثالث** : الردة ، لما توفي الرسول ﷺ ، وارتد كثير من العرب ، ومنعوا الزكاة ، عَزَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتالهم ، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة : كيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والرسول ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إلـه إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم =

تبين تَقَدَّم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحدَّث ، فإن مرتبة الصدِّيق فوق مرتبة المحدَّث[1] ؛ لأن الصدِّيق يتلقَّى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والـمُحَدَّث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم[2] ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي ﷺ . ولهذا كان عمر

إلا بحقها » ؟ فقال أبو بكر : لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها ، والرسول قال : « إلا بحقها » وإن الزكاة من حق لا إلـٰه إلا الله ، والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فلما رأوا عزم أبي بكر عرفوا أنه على الحق فوافقوه ، وقاتلوا المرتدين ، وكانت النتيجة أن الله خذل المرتدين ، وثبَّت الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ .

هذه مواقف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، التي لم يقفها غيره ، وهي مواقف في الشدة أشد ما يكون من الكرب ، ومع هذا وقف وثبت ثبات الجبال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حينما تضعضع غيره .

ولهذا قالوا : لا أحد يخطئ ويستدل بدليل من القرآن والسنة إلا وفي ذلك الدليل ما يرد عليه ، فأبو بكر ردَّ عليهم بكلمة من هذا الدليل الذي معهم ، وهو قوله : « إلا بحقها » .

(١) فأبو بكر صدِّيق وعمر محدَّث ، والصدِّيق أفضل من المحدَّث ، يتضح هذا من مواقف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الشدائد العظيمة التي تتهاوى لها الجبال الرواسي .

(٢) هذا الفرق بين الصِّدّيق والمحدَّث ؛ لأن الصدِّيق لا يأتي بشيء من عنده أبداً ، إنما يتلقى عن الرسول ﷺ كل ما يقول ، أما المحدَّث يأخذ شيئاً مما يُحدَّث به في نفسه ، وهذا قد لا يكون صواباً ، وقلبه ليس بمعصوم ، قد يخطئ الإنسان إذا اعتمد على غير الكتاب والسنة .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشاور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور[(١)] ، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقررهم على منازعته ، ولا يقول لهم : أنا محدَّثٌ ملهَمٌ مُخاطب ، فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني[(٢)] ، فأيُّ أحد ادَّعى ، أو ادَّعى له أصحابه أنه ولي لله ، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطئون[(٣)] ، ومثل هذا من أضل الناس[(٤)] ، فعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه فيما

---

(١) مع ما أعطاه الله من الإلهام والإدراك ، ما كان يعتمد على رأيه ، وإنما يشاور الصحابة فيما يعرض من الأمور ، ويجمع المهاجرين والأنصار ويعرض عليهم المشكلة ، ويأخذ آراءهم في هذا ، ما قال : أنا الخليفة وأنا مُحدَّث ومُلْهم ، وشهد لي النبي ﷺ ، وأنا وافقت القرآن في أشياء ، لم يغتر بهذه الأمور ؛ بل كان يراجع .

(٢) لا يقول لهم هذا ، وإنما يشاورهم ويستعرض آراءهم ، وتعرض على الكتاب والسنة ، فيأخذ ما وافق الكتاب والسنة ، سواء كان رأيه أو رأي غيره .

(٣) هذه النتيجة ، أيُّ وليٍّ لله يرى أنه لا يراجع ، ولا أحد يعترض عليه ، هذا مخطئ ، الولي لله هو الذي يتهم نفسه ، ويتهم رأيه ، ويرجع إلى الكتاب والسنة ، يُسلِّم لله ولرسوله ، ولا يأخذ برأيه ، هذا هو ولي الله ﷻ ، وهذا هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) الذي يعتقد إن الولي معصوم ، وأنه يؤخذ عنه ، ولا يراجع الكتاب والسنة ، هذا من أضل الناس – والعياذ بالله – .

يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم[١] ، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به ؛ بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً ، وإن كان صاحبه من أولياء الله[٢] ، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً ، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] .

وهذا تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[٣]

---

(١) لأن الأنبياء معصومون لا يتطرق الشك إليهم أو الخطأ ، وإنما غيرهم عرضة للخطأ ، ولو كان أفضل الناس بعد الأنبياء كأبي بكر وعمر .

(٢) لا ينقص ذلك من ولايته لله ، وإن كان أخطأ ، فإنه لم يخطئ عن قصد ، وإنما أخطأ عن اجتهاد ، يبحث عن الحق ، لكنه لم يصل إليه فهو معذور ومأجور ، فلا ينقِّص ذلك من قدره أو يخرج بذلك عن ولاية الله ﷻ .

(٣) الله ﷻ قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ ، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر =

[آل عمران : ١٠٢] ، قال ابن مسعود وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ : « أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر »(١) (تفسير ابن أبي حاتم / ٣٩٠٨) .

أي : بحسب استطاعتكم ، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٢) [الأنعام : ١٥٢] .

وقد ذكر الله ﷻ الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، هذا صعب أن الإنسان يبلغ هذه المرتبة ، لكن فسرتها الآية الأخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ، فمن اتقى الله حسب استطاعته ، فقد اتقى الله حق تقاته ، فهذه الآية مفسرة .

(١) من يبلغ هذه المرتبة ؟!

(٢) وهذا كثير في القرآن ، أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يؤاخذها على ما لا تطيقه ؛ لأنه لم يكلفها بذلك . وهذا المبحث مبحث جليل ينبغي العناية به .

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1] [البقرة : ١٣٦] .

---

(١) السياق في قضية أخذ أقوال العلماء قضية مسلمة ، ولاسيما من يسمونهم الأولياء ؛ لأن الصوفية يقدِّسون الأولياء ، ويأخذون أقوالهم قضية مسلمة لا تقبل الشك والنقاش ، وهذا ضلال وكفر – والعياذ بالله – ؛ لأن الذين يجب أخذ أقوالهم من غير تردد هم الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، ومن عداهم فإنه لا يؤخذ من قوله إلا ما وافق قول الأنبياء ؛ لأن غير الأنبياء عرضة للخطأ ، وأما الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فإنهم معصومون ، لا يتطرق الشك إلى أقوالهم .

الصوفية ، وكذلك من قلَّدهم ممن يعظمون أئمتهم وقادتهم ، ويأخذون أقوالهم قضية مسلمة لا تقبل النقاش ؛ بل يبايعون على ذلك ، يبايعون على أخذ الطريقة والتسليم لشيخ الطريقة ، وأنه لا ينازع ولا يناقش ، ولا يشك في قوله ، وهذا من الضلال المبين ؛ لأن من عدا الأنبياء فإنه عرضة للخطأ والصواب .

وقد سبق أن الشيخ ﷺ ذكر من سادات الأولياء – كعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ – من حصل منه خطأ في بعض الاجتهادات أو بعض الأقوال ، فهم ليسوا معصومين ، فهذا هو السياق الذي ما زال الشيخ ﷺ فيه ، وذكر من الأدلة على قبول قول الأنبياء بدون تردد هذه الآية ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ، فهذا فيه أن قول الأنبياء يؤخذ ، ولا يناقش ، ولا يتردد فيه ، فمن لم يأخذ به أو تشكك فإنه ليس مؤمناً بالأنبياء .

=

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ : لأن الأنبياء لا يأتون بشيء من عندهم ، وإنما يأتون بما أُنزل عليهم من الله ﷻ ، ذكر هؤلاء بأسمائهم ، ثم أجمل ، فقال : ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ على سبيل العموم ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة : أنهم لا يفرقون بين الأنبياء ، فيؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض ، كحالة اليهود والنصارى ، وإنما يؤمنون بجميع الأنبياء ، ويؤمنون بجميع الكتب المنزلة من الله ﷻ ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٠-١٥٢] وآية آل عمران : ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

وهكذا في آخر سورة البقرة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، هذا أصل عظيم من أصول العقيدة : الإيمان بجميع الكتب ، والإيمان بجميع الرسل ، من غير تفريق بين كتاب وكتاب ، أو بين رسول ورسول .

وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(1) [البقرة : ١-٥] .

---

(١) مطلع سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ من هم ؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : يؤمنون بالغيب وهو ما لم يشاهدوه ، وإنها يعتمدون على الأخبار الصادقة ، مما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب من المغيَّبات ، يؤمنون بالغيب اعتماداً على البراهين والآيات الدالة ، وإن لم يشاهدوه ، يدخل في هذا : الإيمان بالله ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالأخبار السابقة - أخبار الأمم - والأخبار المستقبلة ، كل هذا يدخل في الإيمان بالغيب الذي لا يشاهدونه ، ولكن يعتمدون على الوحي المنزل ، وأخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام . ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : الصلوات الخمس المفروضة . ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : هذا إيتاء الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام .

ثم قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ : هذا محل الشاهد ، المتقون يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد ، وما أنزل من قبلك على الرسل ، لا يترددون في ذلك ، ولا يقدمون عليه شيئاً من أقوال الناس ، ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : الإيمان بالبعث ، هذه أركان الإسلام : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، هذا يتردد في =

وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ

القرآن كثير ، وهذه أصول الإيمان في هذه الستة : الإيمان بالله ، الإيمان بملائكته ، بكتبه ، برسله ، باليوم الآخر ، بالقدر خيره وشره .

ثم قال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي : الذين اتصفوا بهذه الصفات ﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ : ثابتون على الهدى ، متمكنون منه . ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ : الذين حازوا على الفلاح في الدنيا والآخرة ، ومن عداهم فليسوا على هدى ، وإنما هم على ضلال ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٦] ، وقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ .. ﴾ [البقرة : ٨] ذكر الكفار الأصليين ، وذكر المنافقين ، بعد أن ذكر المؤمنين ؛ لأن الناس على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : مؤمنون ظاهراً وباطناً ، وهم المذكورون في أول السورة : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ .

الصنف الثاني : كافرون ظاهراً وباطناً وهم الكفار الذين لا يؤمنون برسل ، ولا بكتب ، ولا بملائكة ، ولا بشيء كفار ظاهراً وباطناً .

الصنف الثالث : الذين آمنوا ظاهراً وهم في الباطن كفار ، وهم المنافقون ، وهؤلاء شر من الكفار الأصليين ؛ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا .

﴿وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[(١)] [البقرة : ١٧٧] ، وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، هو مما اتفق عليه أولياء الله ﷻ[(٢)] ، من

---

(١) قال تعالى : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ : هذا بمناسبة صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، وإصرار اليهود على قبلتهم إلى بيت المقدس ، وعدم قبولهم لقبلة الكعبة ، الله ﷻ يقول : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ، ومن الإيمان بالله الاستقبال للكعبة ؛ لأن الله أمر بذلك ، فالذي يؤمن بالله يمتثل أمره ويستقبل الكعبة ، هذا هو البر ، البر أن تتوجَّه حيث وجَّهك الله ، لا أن تتوجَّه حيث هواك وما تحب ، الله وجَّه إلى بيت المقدس في أول الأمر ، ثم وجَّه إلى الكعبة والأمر له ﷻ ، فاستقبال بيت المقدس في وقته طاعة لله ، واستقبال الكعبة في وقته طاعة لله ، الأمر لله ﷻ : ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا الركن الثاني - أي : الصلاة - من أركان الإسلام ، فتضمنت الآية أن البر هو في طاعة الله وقبول أمره حيث وجَّهك تتوجه ، وجَّهك إلى بيت المقدس تتوجَّه ، وجَّهك إلى الكعبة تتوجَّه ، ولا يكن في نفسك شيء أو حرج ؛ لأنك مطيع لله ﷻ .

(٢) أولياء الله هم المتقون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] ، هؤلاء هم أولياء الله ، وهم الذين

خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم[١] ؛ بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون مُفْرِطاً في الجهل[٢] .

وهذا كثير في كلام المشايخ[٣] ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني : « إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة »[٤] . (انظر : طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص ٧٦) .

يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه ، ولا يَتْبَعون أذواقهم ومواجيدهم وما اصطلحوا عليه من مصطلحات الصوفية وغيرهم ، ليسوا هؤلاء هم أولياء الله ، أولياء الله : الذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، هذا هو الضابط . فالولي هو المطيع لله ﷻ ولرسوله ﷺ ، ولو خالف ذلك هواه ورغبته ، هذا هو الضابط في ولي الله . ليس الضابط في ولي الله ما تقوله المبتدعة والصوفية : أنه هو الذي يفعل كذا وكذا ، الذي يجري على يديه كرامة وخوارق ، كل هذا ليس من ولاية الله ﷻ .

(١) من خالف هذا الأصل – وهو طاعة الله ﷻ ورسوله – ، فإنه ليس من أولياء الله ؛ بل هو من أولياء الشيطان ، والكتاب هو الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

(٢) (إما يكون كافراً) بأن يكون متعمداً للمخالفة ، متبعاً لهواه مع العلم ، فهذا كافر ، وإما أن يكون جاهلاً ، ما تعمد المخالفة بسبب جهله ، وهذا لا يقلّد ولا يتبَّع ، هذا ضال ومن أهل الضلال .

(٣) هذا الأصل كثير في كلام المشايخ الذين يتخذهم هؤلاء قادة ، من أمثال أبي سليمان الداراني والجنيد وغيره ، هؤلاء المشايخ يأمرون بهذا الأصل وهو اتباع الكتاب والسنة ، فالذين يخالفونهم ليسوا متبعين لهم ، وإن كانوا يدّعون الاتباع .

(٤) يقع في قلبه النكتة من نكت القوم ، يعني : من نكت الصوفية يقع خاطرة في قلبه ، =

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه(١) : « عِلمُنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا »(٢) ، أو قال : « لا يقتدى به » (انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤ / ٦٧)

وقال أبو عثمان النيسابوري(٣) : « من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالبدعة ؛ لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [النور : ٥٤] »(٤) .

(انظر : سير السلف الصالحين لأبي القاسم الأصبهاني ص ١٣٤٧ ، ليس فيه عبارة « في كلامه القديم ») .

لكنه لا يقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة ، مثل ما إن القاضي لا يقبل دعوى المدَّعي إلا بشاهدين ، كذلك الخاطرة لا يقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة ، فإن كان لها دليل من الكتاب والسنة فهي حق ، وإن خالفت الكتاب والسنة فهي باطل ، هذا هو الميزان .

(١) والجنيد أيضاً من أئمتهم الذين يقلدونهم وينتسبون إليهم ، مع أنه ﷺ على هذا المضمار ، يتبع الكتاب والسنة ، فلماذا لا يتبعونه في ذلك ، وهم يدَّعون أنهم من أتباعه ، وأنه شيخهم ؟!

(٢) هذا الجنيد من أئمة العباد والزهاد ، الذين يتخذهم الصوفية قادة لهم ، ويقول : علمنا مربوط بالكتاب والسنة فمن لم يأخذ بالقرآن ويكتب الحديث ، فليس على طريقتنا .

(٣) وهذا أيضاً من أئمة الزهاد والعباد ، الذي ينتسب إليه الصوفية ، وهو يخالفهم .

(٤) هذا النيسابوري يقول : « من أمَّر الكتاب والسنة على نفسه » أي : اتخذهما أميراً يأتمر بهما ويطيعهما ؛ لأن الأمير يُطاع ويُسمع له ، فمن أمَّر الكتاب والسنة على نفسه نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى نطق بالبدعة ، هذه حكمة عظيمة .

وقال أبو عمرو بن نُجَيد : « كل وَجْدٍ لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل »[(١)] . (وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ٢١٠ - منهاج السنة لابن تيمية ٥ / ٣٣١) .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه وليٌّ لله ، ويظن أن وليَّ الله يُقبل منه كل ما يقوله ، ويُسلِّم إليه كل ما يقوله[(٢)] ،

---

(١) « كل وَجْدٍ » : الوجد والذوق هذا من اصطلاحات الصوفية ، « لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » : مثل كلام الشيوخ الذين ذكرهم شيخ الإسلام قبلهم متفقة كلمتهم على هذا .

(٢) هذا من أغلاطهم أنهم يعتقدون أن ولي الله لا يُناقش ، وأنه يقبل منه كل قول ، حتى إنهم يقولون : إن المريد - يعني الطالب - عند شيخه مثل الميت عند المغسل ، يحركه كيف يشاء ، ليس له اختيار ، ولا يصير على حق إلا إذا قبل من الشيخ كل شيء ، حتى لو قال له : ادخل في النار ، يدخل في النار ، هذا من أصول الصوفية ، وهذا باطل ، وهذا ليس ولياً لله ، هذا وليٌّ للشيطان ، الذي يأمر بغير أمر الله ، وغير أمر رسوله ، هذا وليٌّ للشيطان وليس ولياً لله ، فهم يستسلمون لمشايخهم أصابوا أو أخطؤوا ولا يناقشونهم ، وهذا غلط كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ ، مهما كبر الإنسان في العلم والعبادة لا يؤخذ كلامه على إطلاقه ، حتى يعرض على الكتاب والسنة : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] . هذا معنى الوَلاية عندهم : أن الولي لا يناقش ، وأنه يقبل قوله على الإطلاق ؛ لأنه معصوم عندهم لا يخطئ ، وهذا ليس إلا للرسول ﷺ ، وأما غير الرسول مهما بلغ من العبادة والعلم ، فإنه ليس معصوماً ؛ وعرضة للخطأ ، إذاً ما الذي يُميِّز الخطأ من الصواب ؟ الكتاب والسنة ، فيعرض على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق ،

ويُسَلِّم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة[١] ، فيوافق ذلك الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله ﷺ الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر[٢] ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء[٣] ، فمن

وما خالف الكتاب والسنة فهو باطل . الله ﷻ يقول : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس : ٣٢] ، وليس هناك حق إلا ما دل عليه الكتاب والسنة إنه الحق ، وما عداه فهو ضلال .

(١) حتى لو قال له : ادخل في النار ، يدخل ولا ينازع ، حتى لا يخرج عن طاعة الوليّ ، ليس بلازم ، وليس من شروط الولي أنه يكون معصوماً ، وليس من شروط الولي أنه يُقبل كل ما يقوله ، هذا كذب ، فالولي عبد من عباد الله ، والولي الصادق أتبع الناس لكتاب الله وسنة رسوله ، ولا يرضى الولي الصادق أن يقدم قوله على قول الله ورسوله ، فإن رضي فليس ولياً لله .

(٢) الله إنما فرض على الخلق طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقال ﷻ : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور : ٥٤] ، فضمن الهداية لمن أطاع الرسول ﷺ ، قال : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] ، هذا للرسول وحده فقط ، وما عداه من العلماء والمشايخ والأولياء فإنهم لا يطاعون إلا فيما أطاعوا به الرسول ﷺ .

(٣) جعل الله الرسول هو الفارق بين أوليائه وبين أعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، =

اتبعه كان من أولياء الله المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين[١] ، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين[٢] ، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً : إلى البدعة والضلال ، وآخراً : إلى الكفر والنفاق[٣] ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا . يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[٤] [الفرقان : ٢٧-٢٩] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ

وبين السعداء والأشقياء ، الرسول هو الفارق ﷺ بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وما عداه فإنه عرضة للخطأ والصواب ، وليس معصوماً .

(١) من اتبع هذا الرسول فهو من جند الله المتقين وحزبه المفلحين .

(٢) ومن لم يتبعه فهو من أعداء الله ، وإن كان يقال : إنه ولي لله ، فليس ولياً لله .

(٣) مخالفة الرسول تجر أولاً : إلى الضلال والابتداع ، وثانياً : تجر إلى العواقب الوخيمة في الدار الآخرة ، فمن خالف الرسول ﷺ يتدرج من المعصية إلى البدعة ، ومن البدعة إلى الضلال والكفر .

(٤) من اتخذ مطاعاً غير الرسول ﷺ ، فإن هذه عاقبته ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ : هذا من الندم ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ : إذا دخل في النار يوم القيامة يقول هذه المقالة يعض على يديه ، ويقول : ﴿ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا . يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَّقَدْ أَضَلَّنِي ﴾ هذا الفلان ﴿ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ

=

يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ . وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ . رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾[1] [الأحزاب : ٦٦-٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ . إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ

وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ هذه العاقبة - والعياذ بالله - فيمن عصى الرسول وأطاع غيره ، ولو كان يزعم أنه ولي لله ، فإن هذه عاقبته .

(١) وهذه أيضاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا . خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا . يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ - والعياذ بالله - ﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ ﴾ يتمنون ﴿ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ عرفوا أن الذي أوقعهم في النار هو معصية الله ومعصية رسوله ، وقالوا : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ : أطاعوا العلماء والأمراء ، السادة هم الأمراء والكبراء هم العلماء ، كقوله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ ثم يدعون عليهم ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ ماذا يفيد هـذا ؟ لا يفيـد شيئـاً إلا التلاوم - والعياذ بالله - .

ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1] [البقرة : ١٦٥-١٦٧] .

---

(١) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ : الأنداد هم الشركاء لله ﷻ والشبهاء ، يشبهونهم بالله ﷻ ، ويجعلونهم أنداداً وعدلاء لله ﷻ ، هذه طريقة عُبَّاد الأصنام ، عُبَّاد القبور والأضرحة ، عُبَّاد الأشجار والأحجار ، كل من عبد غير الله ، فإنه إنما عبده لأنه يحبه ، فالكفار يحبون الأصنام ، ويحبون الأشجار والأحجار التي يعبدونها ، يحبون الأضرحة ، لولا أنهم يحبونها ما عبدوها ، لو كانوا يبغضونها ما عبدوها ، والمؤمنون يحبون الله ﷻ محبة خالصة ، ولذلك عبدوه وحده لا شريك له ، لا يحبون غيره محبة العبادة ، لأن محبة العبادة لا تجوز إلا لله ، وهي المحبة التي يكون معها ذل وانقياد وطاعة ، وهذه لا تكون إلا لله ﷻ ، أما المحبة التي ليس معها ذل ولا انقياد فهي محبة طبيعية ، كمحبة الإنسان لزوجته وأولاده ، ومحبته للمال ، هذه ليس معها ذل وانقياد ، وإنما هي محبة طبيعية ، فالكفار يحبون الأصنام فلذلك عبدوها ، والمؤمنون يحبون الله وحده فلذلك عبدوه وحده ، والنتيجة يوم القيامة : الذين يعبدون الأصنام ويعبدون من دون الله يتبرأ منهم من عبدوهم يوم القيامة ، فالذين عبدوا الملائكة وعبدوا الأنبياء والأولياء يتبرؤون منهم يوم القيامة في أحوج ما يكونون ، وقد بيَّن الله ﷻ هذا : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف ٥-٦] ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ . قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا . فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [الفرقان ١٧-١٩] ، المعبودون كذبوا عابديهم يوم القيامة ، يقولون : أبداً ما أمرناهم ولا رضينا أنهم يعبدوننا من دون الله ، ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ

=

وهؤلاء مشابهون للنصارى[(١)] ، الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ[(٢)] وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[(٣)] [التوبة : ٣١] .

وفي « المسند » وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه

الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي : رجوعاً إلى الدنيا ، هكذا يتمنون ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ -والعياذ بالله - هذا المآل وهذه العاقبة لمن أطاعوا غير الرسول ﷺ هذا مآلهم يوم القيامة ، ولذلك يقول قائلهم : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٧] .

(١) هؤلاء الذين يتخذون الأولياء والصالحين أولياء معبودين ، لا يناقشونهم في شيء ويطيعونهم طاعة عمياء ، هؤلاء لهم شبه بالنصارى ، الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم .

(٢) الأحبار : العلماء . والرهبان : هم العباد ، اتخذوهم أرباباً من دون الله ، لا يعني هذا أنهم سجدوا لهم ، وذبحوا لهم ؛ بل كما بيَّنه الرسول ﷺ أنهم أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرَّموا عليهم الحلال فحرَّموه ، هذه هي عبادتهم .

(٣) فدل على أنه لا يجوز طاعة العلماء والأمراء ؛ بل حتى الأنبياء ، لا يجوز أنهم يُتخذون أرباباً من دون الله ، فالنصارى اتخذوا المسيح رباً ، وقالوا : إنه ابن الله - تعالى الله عما يقولون - الربوبية خاصة لله ﷻ .

الآية ، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبي ﷺ : « أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم »[١] .

ولهذا قيل في مثل هؤلاء : إنما حُرِموا الوصول بتضييع الأصول[٢] ، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ ، فلابد من الإيمان بأن محمداً رسول الله إلى جميع الخلق ، إنسهم وجنهم ، وعربهم وعجمهم ، علمائهم وعُبَّادهم ، ملوكهم وسُوقَتهم[٣] ، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ

---

(١) أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال ، فالتحليل والتحريم حق لله ﷻ ، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم بدون دليل من الكتاب والسنة ، من حرَّم شيئاً أو أحل شيئاً بدون دليل من الكتاب والسنة ، فقد شارك الله في ربوبيته ؛ لأن هذا من حق الربوبية .

(٢) قيل في هؤلاء الذين أطاعوا الأحبار والرهبان والعباد والأولياء : حُرِموا الوصول ؛ لأنهم ضيعوا الأصول ؛ لأن الأصول هي طاعة الله ورسوله ، واتباع الكتاب والسنة ، هذه هي الأصول ، لما ضيعوها حُرموا الوصول إلى الله ﷻ . ولهذا من الحكمة كما يقولون : (من ضَيَّع الأصول حُرِم الوصول) .

(٣) لابد من الإيمان بأن الرسول ﷺ مبعوث إلى الجن والإنس والعرب والعجم ، مبعوث إلى الثقلين ، مبعوث إلى كل الناس : إلى الملوك ، والأمراء ، والصعاليك ، والعلماء ، والجهال ، فهو مرسل إلى الجميع ، تجب على الجميع طاعته ﷺ ، ويجب على الجميع امتثال أمره ، ليس لأحد أن يخرج عن طاعة الرسول ﷺ ، ويقول : إنه وصل إلى الله ، وليس بحاجة إلى الرسول ، كما تقوله الصوفية ، أو يدَّعي للولي أنه =

لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً[١] حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ

أعلم وأعرف ؛ لأنه صار من العارفين ، ويأخذ عن الله ، وليس بحاجة إلى الرسول ، كما يقوله غلاة الصوفية ، فلا يسع أحداً بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يطيعه ويتبعه ، حتى لو وُجد من الأنبياء أحد بعد بعثة الرسول ﷺ وجب عليه أن يتبعه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ أخذ الله الميثاق على الأنبياء ، فكيف بغيرهم ؟! أنه لو بُعث الرسول وأحد منهم حي - موسى ، أو عيسى ، أو أي رسول - أنه يتبع هذا الرسول ؛ لأن الرسالة صارت له ﷺ ؛ هو خاتم المرسلين ، فلا يسع أحداً إلا طاعته ﷺ ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ أي : عهدي ﴿ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] هكذا أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يتبعوا محمداً ﷺ لو بعث وأحد منهم حي ؛ لأن رسالته عامة للثقلين الجن والإنس والأنبياء وغيرهم ، لا يسع أحداً الخروج عن طاعته ﷺ ؟! فكيف يسع مشايخ الصوفية أنهم يخرجون عن طاعة الرسول ﷺ ؟! كيف يسع الأولياء أنهم يخرجون عن طاعة الرسول ﷺ إذا خرجوا فإنهم لا يكونون أولياء لله ، إنما يكونون أولياء للشيطان .

(١) (باطناً وظاهراً) لا يكفي المتابعة ظاهراً ، هذه طريقة المنافقين ، لابد أن يتابعهم باطناً وظاهراً ﷺ .

أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] [آل عمران : ٨١-٨٢] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه »[2] (تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧) ،

---

(١) ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد أخذ هذا العهد ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ أي : الخارجون عن طاعة الله ﷻ .

(٢) الله ﷻ أوجب طاعة هذا الرسول على جميع الناس - عربهم وعجمهم - ، ورسالته عامة للثقلين - الجن والإنس - ، وهذا مما خصه الله به دون غيره من الأنبياء ، فمن خصائصه ﷺ : أن الله تعالى جعل رسالته عامة ، بينما رسالات الأنبياء من قبله خاصة بأقوامهم ، والغرض من هذا : الرد على الذين يزعمون أن هناك من تجب طاعته غير الرسول ﷺ ، كالذين يتخذون مشايخهم وطرائقهم موصلة إلى الله من دون الرسول ﷺ ، كغلاة الصوفية ، فلا طريق إلى الله إلا باتباع هذا الرسول ﷺ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣١-٣٢] ، وكذلك من زعم أن اليهود والنصارى لا يلزمهم اتباع محمد ﷺ ، وإنما يبقون على اتباع موسى =

وقد قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ

وعيسى ، وهناك من يقول هذا القول ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم ، فيقولون : لا يتعين على الناس أنهم يتبعون محمداً ﷺ ؛ بل من اتبع موسى فهو على دين صحيح ، ومن اتبع عيسى في وقتنا الحاضر فهو على دين صحيح ، كلهم يصلون إلى الله .

والجواب عن هذا في القرآن : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨١-٨٣] ، يخاطب الرسل ﷺ : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ يعني محمداً ﷺ ، فإذا كان الأنبياء لو بُعث محمد ﷺ وأحد منهم حي وجب عليه اتباعه فكيف بغيرهم من رؤساء الصوفية وغيرهم ؟! والذين يقولون : إننا على دين موسى الآن ، أو دين عيسى كَذَبَة ؛ لأن دين موسى انتهى ببعثة محمد ﷺ ، ودين عيسى انتهى ببعثة محمد ﷺ ، لم يبق غير دين محمد ﷺ ، وهو الطريق الوحيد إلى الله ﷻ ، فمن لم يتبع هذا الرسول فهو كافر ، وإن كان يزعم أنه متبع لموسى أو لعيسى أو لشيخه أو غير ذلك ، فهو كافر بالله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣٢] فهذا أمر يجب اعتقاده ، وأنه لا دين إلا دين محمد ﷺ ، من بعد بعثته إلى أن تقوم الساعة ، ولا ينجو أحد إلا باتباعه ﷺ ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ... ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا . وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا . فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(1) [النساء : ٦٠-٦٥] .

---

(١) كذلك يجب أن يُحكَّم في النزاع والاختلاف بين الناس شرع محمد ﷺ ، الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإذا حصل خلاف بين الناس : إما في العقيدة – وهذا أولى وأحرى – وإما في الأموال والخصومات التي تقع بين الناس ، لابد من التحاكم إلى كتاب الله : القرآن ، وإلى سنة رسول الله ﷺ ، من حَكَّم غير شريعة الرسول ﷺ فهو كافر ، إذا كان يرى جواز ذلك ، أو أنه مخير ، أو أن هناك حُكم أحسن من حُكم الله ، أحسن من حُكم القرآن والسنة ، وأن القوانين الوضعية أحسن للناس في هذا الزمان ، فهذا كافر كفراً صريحاً مخرجاً من الملة – والعياذ بالله – ، فإذا حَكَّم غير الشرع المحمدي ، يرى أنه أحسن من الشرع المحمدي ، أو أنه مساوٍ له ، أو أنه مخير إن شاء حَكَّم الشرع المحمدي أو حَكَّم غيره ، فهذا كافر بالله الكفر الأكبر المخرج =

من الملة ، ففي هذه الآيات : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ سبب نزول هذه الآيات ، كما ذكر المفسرون : أنه حصلت خصومة بين رجل من المنافقين - الذين يتظاهرون بالإسلام - ، وبين يهودي ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد لعلمه أنه ﷺ لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي ، أو إلى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فأنزل الله هذه الآيات ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ (انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٨٩) ، والزعم معناه : الكذب ، فهم كاذبون في دعواهم الإيمان بمحمد ﷺ ، وإنما هو زَعْمٌ ، ﴿ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ أي : يدَّعون أنهم آمنوا ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ : وهو القرآن ، ﴿ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ : من الكتب السابقة ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ : هذا تناقض ، يزعمون أنهم آمنوا بمحمد ثم يتحاكمون إلى غيره ، هذا تناقض ، الذي يتحاكم إلى غير الرسول ليس مؤمناً به ، وإن كان يدَّعي ذلك . ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ والطاغوت : هو كل من حَكَم بغير ما أنزل الله ، أو بغير الإسلام ، فهو طاغوت ، سواء كان من اليهود ، أو من النصارى ، أو من غيرهم ، ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ : أمر الله بالكفر بالطاغوت ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] قدَّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ؛ لأن من شرط الإيمان بالله : الكفر بالطاغوت ، والشرط لابد أن يتقدم على المشروط ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾

=

أمرهم الله أن يكفروا بالطاغوت ، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إليه . ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ : إبليس لعنه الله ، وكذلك أتباع الشيطان ، من شياطين الإنس والجن ﴿ أَن يُضِلَّهُمْ ﴾ : أن يبعدهم عن الحق ، وعن الإسلام . ﴿ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ : لا نهاية لبُعده ، فالذي يُؤثر الحكم بالطاغوت على الحكم بالإسلام قد ضل ضلالاً بعيداً ، بعيداً عن الهدى ، بعيداً عن الإسلام ، بعيداً عن الإيمان بالله ، كل أنواع البعد ، ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ فأطاعوا الشيطان ، ولم يطيعوا أمر الله الذي أمرهم أن يكفروا بالطاغوت ، ومع هذا يدَّعون الإيمان ، وانظروا إلى قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ ﴾ : بمجرد أنه يريد التحاكم إلى الطاغوت فإنه يكفر بهذا ولو لم يفعل - والعياذ بالله - ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ : كيف حالهم إذا نزلت بهم عقوبة على فعلهم هذا ؟! وما أقرب العقوبة لمن فعل هذا !

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ : ما أردنا بتحكيم غيرك إلا الإحسان إلى الناس ، والتوفيق بينهم ، يقولون : قصدنا حسن ، ما قصدنا الكفر بك ، وإنما قصدنا أن نصلح بين الناس وأن نحسن إليهم بإنهاء النزاعات ، والعذر أقبح من الفعل . هل الإحسان والتوفيق يكون بغير الشرع ؟! فعذرهم هذا أقبح - والعياذ بالله - مما لو فعلوا ، الإحسان إلى الناس والتوفيق بين الناس إنما هو بشرع الله ﷺ لا بحكم الطاغوت ، ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ يؤكدون هذا بالحلف ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ . ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ : وإن تظاهروا واعتذروا ، فإن الله يعلم ما هو السبب الذي حملهم على تحكيم الطاغوت ، وإن قالوا : ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ، فإن الإنسان لو كان صادقاً في أنه ما أراد إلا الإحسان والتوفيق ، فليس هذا بمبرر أن يعدل عن الشرع إلى غيره ، فكيف وهو كاذب ؟!

=

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ وإن حلفوا بالله أنهم ما أرادوا إلا خيراً . ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تقبل عذرهم ﴿ وَعِظۡهُمۡ ﴾ : لا تعرض عنهم وتتركهم فقط ؛ بل لابد الإنكار عليهم والموعظة ، وبيان أنهم على ضلال ، وأنهم قد انحرفوا عن الحق ، أعرض عنهم لا تقبل عذرهم ، وعظهم بما فعلوا لعلهم يرجعون أو يتوبون ، فدل على من ارتكب خطأ ظاهراً أن لا يترك ؛ بل يجب موعظته ونصيحته ، لعله أن يرجع ، أو أن تقوم الحجة عليه ، فتبرأ الذمة بمناصحته ، ﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ : بينك وبينهم ، ﴿ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ : زاجراً ، ليس قولاً سهلاً ليناً ؛ بل قولاً بليغاً زاجراً ، يؤثر على السامع ؛ لأنهم ارتكبوا أمراً فظيعاً ، فلابد من التغليظ عليهم في القول ، ولكن يكون هذا سراً بينك وبينهم . ثم قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ : ففعلهم هذا معصية للرسول ﷺ ، مع أن الواجب أن يطاع الرسول ﷺ : ﴿ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾: أي : بإذن الله الشرعي وبإذن الله القدري ؛ لأن الرسول لا يأتي إلا بشرع الله ﷻ ، فهذا فيه أن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ، ولا يحكم إلا بما حكم الله به . ثم قال : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ : عرض الله عليهم التوبة والاستغفار ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم في مقالتهم السابقة أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وأيضاً اعتذارهم الكاذب ، لو أنهم مع هذه الجرائم الشنيعة رجعوا إلى الله ﷻ ، واستغفروه وطلبوا منك أن تستغفر لهم ؛ لأن الرسول ﷺ مجاب الدعوة ، واستغفاره مقبول عند الله ، ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ : الله يتوب على من تاب ولو كان جرمه شنيعاً وكبيراً ، فإن الله يغفر الذنوب ويقبل التوبة ممن تاب

=

إلى الله ، فلا يقنط المجرم من رحمة الله ، ويترك التوبة والاستغفار ، فقوله : ﴿ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا ﴾ : كثير التوبة ﴿ رَّحِيمًا ﴾ : لا يعاجل بالعقوبة ، فهذا فيه أن من وقع في ذنب – ولو كان عظيماً – أنه يتوب إلى الله ﷻ ، فالله يقبل التوبة عن عباده ، وأنه في عهد الرسول ﷺ يطلب منه أن يستغفر له أما بعد موته فلا يطلب الاستغفار من الرسول . بعض الجهال أو أهل الضلال يحتجون بهذه الآية ، أنهم يأتون عند قبر الرسول ﷺ ، ويطلبون منه الاستغفار ، يحتجون بهذه الآية مع أن الآية إنما تعني في حياة الرسول ﷺ لا بعد موته ؛ لأن الرسول ﷺ بعد موته لا يطلب منه شيء لا الاستغفار ولا غيره . والصحابة لما أجدبوا لم يطلبوا منه أن يدعو لهم ويستغفر لهم ، بل طلبوا من عمه العباس أن يدعو لهم بالاستسقاء ، وهم أعلم الأمة بتفسير القرآن ، ولو فهموا من الآية المجيء إلى قبر الرسول ، وطلب الدعاء والاستغفار منه ، لذهبوا إلى قبره ﷺ ، ولما عدلوا إلى العباس ، لماذا عدلوا عن الرسول إلى العباس ؟ لأن الرسول ميت والعباس حي ، فالميت لا يُطلب منه شيء أما الحي فيطلب منه ما يقدر عليه وهو الدعاء والاستغفار لغيره ، فالصحابة ما ذهبوا إلى قبر الرسول بعد موته ، إنما يذهبون عند قبر الرسول يسلمون عليه فقط ، إذا جاؤوا من سفر يأتون إلى قبر الرسول ويسلمون عليه وعلى صاحبيه ، كما يسلمون على الأموات بالمقابر ، فزيارة القبور للسلام عليهم مشروعة ، أما طلب الحوائج منهم فهذا لا يجوز ، وهو شرك بالله ﷻ ، أيضاً لفظ الآية يدل على أن الذهاب إلى قبره للاستغفار لا يجوز ، لماذا ؟ لأنه قال : ﴿ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ ، وإذ : ظرف لما مضى من الزمان ، ولم يقل : « إذا ظلموا أنفسهم » ؛ لأن (إذا) : ظرف لما يستقبل من الزمان ، ففرق بين « إذ » و« إذا » ولفظ الآية : ﴿ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ يعني فيما مضى ، لا في المستقبل بعد وفاة

=

الرسول ﷺ، ثم قال ﷻ في ختام الآيات - مقسماً بنفسه سبحانه - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : هم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، هذا رد عليهم ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ : ﴿ فِيمَا ﴾ : هذا عام في جميع الشجارات والاختلافات، كلها ترد إلى الله وإلى الرسول : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] ما نتحاكم بالشريعة في الأحوال الشخصية فقط، كما في كل البلاد الإسلامية إلا ما شاء الله، لا يحكّمون الشريعة إلا في الأحوال الشخصية، في المواريث والأنكحة، وأما المعاملات والعقائد فلا يحكمون الشريعة، ولا يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، هذا لا يكفي، ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ : في أي شيء شجر بينهم في العقائد، في الخصومات في الأموال، في جميع المنازعات، كلها ترد إلى الكتاب والسنة، لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. والشجار : هو الاختلاف والتنازع، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ : لا يكفي هذا أيضاً أنهم يحكمونك فيما شجر بينهم؛ بل لابد أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، فيرضون بحكم الله وحكم الرسول ﷺ ويقتنعون بذلك اقتناعاً تاماً، أما الذي يجد في نفسه كراهية لحكم الله وحكم رسوله، فهذا ليس بمؤمن : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩] ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ : بل يعتقدون أنه هو الحق، وأنهم مخطئون، لابد من هذا، فكيف إذا تكلموا وقالوا : ما نرضى بهذا، نريد حكماً غيره، هذا أشد - والعياذ بالله - إذا كان في نفوسهم لا يؤمنون إذا وجدوا شيئاً من الشك أو من الحرج في حكم الله وحكم رسوله، فكيف

=

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ، مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي لله ، فإنه بنى أمره على أنه ولي لله ، وإن ولي الله لا يُخالَف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله ، كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة[1] ، فكيف إذا لم يكن

إذا تكلموا أو كتبوا ، الأمر أشد . ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ : أيضاً لابد من التسليم والانقياد التام لحكم الله ورسوله ، وعدم الممانعة والمماطلة ، وتطويل الخصومة ؛ لأجل إبطال حق الخصم أو التباطؤ به ؛ بل لابد من التسليم والانقياد ، وإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم ، التي حكم الله ورسوله بها لهم ، من غير مماطلة وتباطؤ وإتعاب للخصم . الشاهد من الآيات : أنه لابد من تحكيم الرسول ﷺ في كل خلاف وفي كل نزاع ، والصدور عما حكم به الرسول ﷺ وقبول ذلك ، والتسليم له دون غيره من الناس ، لا أصحاب الطرق الصوفية ، ولا اليهود ، ولا النصارى ، ولا القوانين الوضعية ، ولا غير ذلك .

(١) هذا سبق وأعاده الشيخ ﷺ بعد الآيات أنه لا أحد يطاع بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، ولو كان من أولياء الله . الصحابة هم أعظم أولياء الله بعد الرسل ، ومع هذا من خالف قوله قول الله ورسوله عن اجتهاد منه ، واجتهاده خالف الصواب ، فإنه لا يؤخذ به ولو كان عمر بن الخطاب ، أو أبا بكر الصديق ، وغيرهم من الصحابة ، لا يؤخذ بقوله إذا خالف الكتاب والسنة ، ولو كان مجتهداً ؛ لأن الصحابة لا يتعمدون المخالفة ، لكن يجتهدون ، وهم ليسوا معصومين ، المجتهد يخطئ ويصيب - من الصحابة وغيرهم - فلا يقبل من خالف الحق من الصحابة ، فكيف بغيرهم ممن يدَّعون أنهم أولياء ؟! وأن الولي لا يُخالف أمره . أفضل الأولياء =

كذلك[١] ؟!

وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور[٢] ، أو بعض التصرفات الخارقة

هم الصحابة ، ومع هذا إذا خالف قولهم قول الرسول ﷺ عن اجتهاد منهم والتماس للحق ، لكن لم يصيبوه ، فإنه لا يجوز قبول قولهم ، ولهذا لما حصل خلاف في فسخ الحج إلى العمرة ، ومنع من ذلك أبو بكر وعمر ، أنه لا يجوز فسخ الحج إلى العمرة ، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر » (مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ٢١٥) ، يعني تأخذون برأي أبي بكر وعمر في عدم فسخ الحج إلى العمرة ، وتتركون قول رسول الله الذي أمر أصحابه لما طافوا وسعوا ، أن يتحللوا وأن يجعلوها عمرة ، ثم يحرموا بالحج بعد ذلك ، فيكونوا متمتعين ، فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ كائناً من كان .

(١) فكيف إذا لم يكن ولياً لله ، وإنما ولي الشيطان لا يطيع الله ولا يطيع الرسول ، كبعض الذين يدَّعون لهم أنهم أولياء لله ، وهم سحرة أو كهنة أو شياطين - كما يأتي - أنهم يدَّعون الولاية لأناس أعداء لله ولرسوله ، وعداوتهم ظاهرة لله وللرسول ، لا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة ، ولا يؤدون الزكاة ؛ لأنهم يزعمون أنهم خرجوا عن التكاليف ، ووصلوا إلى الله ، ويقولون : هؤلاء أولياء ، وهم يشاهدونهم يتركون الفرائض ، ويفعلون المحرمات ، ويقولون : هؤلاء ما عليهم تكاليف لأنهم وصلوا إلى الله ، والواقع أنهم ليس عليهم تكاليف ؛ لأنهم صاروا مجانين .

(٢) إذا قيل له : ما دليلك على أنه وليٌّ لله ؟ قال : لأنه يصدر عنه أشياء غريبة ، وعنده كرامات ، وسبق لنا أن هناك فرق بين الكرامة وبين الخوارق الشيطانية ، التي تجري

=

على أيدي السحرة والكهان والشياطين تجري عليهم خوارق ، ولكن لا يقال : إنها كرامات ، يقال : إنها خوارق شيطانية ، كالطيران في الهواء ، وأكل الجمر ، والمشي في النار ، والمشي على الماء ، هذه خوارق شيطانية ؛ لأن الشياطين تحملهم وتطير بهم ، وأيضاً هم كَذبة لا يأكلون الجمر ولا يمشون في النار ، وإنما يسحرون أعين الناس ، فيظهر للناس أنهم يأكلون النار ، وأنهم يطعنون أنفسهم بالسكاكين ، وهو كذب ، كالذين في عهد فرعون ، قال الله ﷻ : ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] فهذا السحر التخييلي ، وهو المسمى بالقُمرة ، فيتعاطون ذلك ، ويقول الجهال : هذه كرامات ، وهي ليست كرامات ، هذه خوارق شيطانية . والمكاشفة : هي أن يرى شيئاً لا يراه الناس ؛ لأنه يتعامل مع الشياطين ، والشياطين تخبره بأشياء لا يعلمها الناس ، وسبق معنا أن ولي الله الذي ذكره الله بقوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] ، هذا ولي الله : المؤمن التقي ، وأما الفاجر والفاسق والكافر ، فليس ولياً لله ، فإذا قالوا : هذا ولي ، نظرنا في عمله ، ولا ننظر للخوارق التي معه ، وإنما ننظر إلى عمله ، هل هو مستقيم على شرع الله وعلى طاعة الله ، ويتقي الله ، هذا ولي وما يجري على يده كرامة من الله ﷻ ، وأما إن كان كافراً وفاجراً وفاسقاً ، وتاركاً لفرائض الله ، ومرتكباً للزنا واللواط والفجور ، هذا ليس ولياً لله ، وإن كان معه خوارق ، نقول : هذه خوارق شيطانية ، ليست كرامات من الله ﷻ . الشياطين تتعامل معهم ، تطير بهم في الهواء ، وتقطع بهم المسافات البعيدة ، وتحملهم على الماء ، ولا يغوصون في الماء ، وتحملهم عن النار ، ولا يقعون في النار إذا مشوا ، ولكن يتظاهر أمام الناس بهذه الأمور ، هذه الأمور لا يُغتر بها ، وتؤخذ على علّاتها ، وعلى ظاهرها ، حتى يكون مستقيماً على طاعة الله ، فإذا كان مستقيماً على طاعة الله فما جرى

=

للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت[(١)] ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها[(٢)] ، أو يمشي على الماء أحياناً[(٣)] ، أو يملأ إبريقاً من الهواء[(٤)] ، أو يَنْطق بعض الأوقات من الغيب[(٥)] ، أو أن يختفي أحياناً عن أعين

عليه من الخوارق كرامات من الله ﷻ ، مثل ما حصل لأصحاب الكهف ، ومثل ما حصل لمريم ، ومثل ما حصل للخضر صاحب موسى ﷺ - على القول بأنه ولي وليس نبياً - من الخوارق ، فهذه كرامات من الله ﷻ .

(١) يكون مستعيناً بالشيطان ، والشيطان يخنق هذا الذي أشار إليه فيموت ، وأنتم لا ترون الشيطان وأعماله ، ويقولون : هذا ولي ، قتل هذا الشخص .

(٢) ومن يطير به هم الشياطين ؛ لأن الشياطين تطير في الجو ، تحمله معهم إذا عبدها وأطاعها ، وعصى الله ، وكفر بالله ، فإنهم يخدمونه ، وقد ذكر الله هذا : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] ، ثم قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] فيسلط الله الشياطين على هؤلاء لإضلالهم ، وإضلال غيرهم بهم أيضاً .

(٣) وهو لا يمشي على الماء حقيقة ، وإنما الشياطين تمشي به ، أو يخيل للناس أنه يمشي وهو ليس كذلك ، وهو جالس في مكان على الأرض أو واقف ، ويُري الناس أنه يمشي على الماء يُخَيِّل على أعينهم .

(٤) يأتي بإبريق فارغ ويضعه في الهواء فيمتلئ بالماء ، الشياطين تأتي بالماء وتصبه فيه وأنتم لا ترونهم .

(٥) يعني : يخبر عن بعض الأشياء من الغيب في بعض الأوقات ، مثل : يأتي فلان ، ويذهب =

الناس[١] ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه ، فقضى حاجته[٢] ، أو يخبر الناس بما سرق لهم[٣] ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور[٤] ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله[٥] ؛ بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته

فلان ، وفلان مات ، يخبرهم عن أشياء غائبة عنهم ؛ لأن الشياطين تخبره بذلك .

(١) يكون معهم ثم يختفي ، لا يعلمون أين ذهب ، الشياطين حملته ، أو غطته عن أعين الناس ، ويقولون : هذا ولي .

(٢) هذا - كما سبق - أن من يستغيثون بالأموات ، أو بالغائبين يتخيل الشيطان لهم في صورة الميت ، أو في صورة الغائب ، فإذا نادوا الميت أو الغائب تشكل الشيطان في صورته وأحضر لهم الذي يريدون ، ويقولون : هذا الغائب أو الميت وهو الشيطان يتصور لهم .

(٣) وهذه مصيبة ، يذهبون للكهنة إذا ضاع لهم شيء يسألونهم ويخبرونهم أين أموالهم ، ومن الذي سرقها ، ويقولون : هذا ولي من أولياء الله ، وهو ولي من أولياء الشيطان ؛ لأن الشيطان هو الذي يخبره عن الأشياء الغائبة والمسروقة ، أو يُحَضِّر الشيء البعيد ، ويأتي به بسرعة .

(٤) يخبرهم الشيطان عن غائبهم وهم جلوس ، فيقول لهم : فلان كذا ، وهو الآن مريض ، وهو الآن صحيح ، وهو الآن يمشي .

(٥) وليس في هذه الأمور شيء يدل على أن صاحبها وليّ ، حتى يكون مستقيماً على طاعة الله .

لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه[(١)] .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور[(٢)] ، وهذه الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد يكون عدواً لله[(٣)] ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين[(٤)] ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين[(٥)] ، فلا يجوز أن

---

(١) هذا هو الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وهو : اتباع الكتاب والسنة ، فإذا كان مؤمناً متبعاً للكتاب والسنة فما معه من الخوارق كرامات أجراها الله على يده ، وإن كان مخالفاً للكتاب والسنة فما معه من الخوارق خوارق شيطانية ، ليست كرامات من الله ﷻ ، (وموافقته لأمره ونهيه) هذا هو العلامة على أنه ولي لله . ليس العلامة كونه عنده خوارق ، العلامة المتابعة لرسول الله ﷺ .

(٢) الله يجري على أيدي أوليائه بعض الكرامات العظيمة التي لا تخطر ببال ، ولكنهم لا يغترون ويتكبرون بها ، ويدعون الناس إلى تعظيمهم ؛ بل يتواضعون .وولي الله لا تزيده الكرامات إلا تواضعاً لله ، وأيضاً يحرص على إخفائها ، وأن الناس لا يرونها ؛ لأنه يخاف الله ﷻ .

(٣) الكرامات وحدها لا تدل ؛ لأن صاحبها إما يكون ولياً لله إن كان مستقيماً على طاعته ، أو يكون عدواً لله إن كان عاصياً لله مخالفاً لأمره .

(٤) الآن الكفرة والملاحدة عندهم أشياء غريبة ، لكنها من الشيطان ، وليست من الرحمن .

(٥) كلها من الشياطين ، وليست هي كرامات من الله ﷻ ، الله سلط عليهم الشياطين ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] فتُظهر هذه الأشياء على =

يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة[(١)] ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة[(٢)] .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها[(٣)] ، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة[(٤)] ، بل يكون

أيديهم للغرور - والعياذ بالله - والتضليل ، وكل شيء هو بقضاء الله وقدره ، لكنه لا يجري إلا لحكمة عظيمة من الله ﷻ .

(١) بل يعتبر ولي الله بأعماله وأفعاله ومتابعته للكتاب والسنة ، لا بالخوارق فقط ، وإنما يعتبر بالإيمان والتقوى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] .

(٢) أولياء الله يعرفون بسيماهم ، النور على وجوههم ، والاستقامة على أفعالهم وأقوالهم ، والطمأنينة والأنس بذكر الله ﷻ ، هؤلاء هم أولياء الله ، أما أولياء الشيطان إذا ذكرت الله انقبضوا ؛ لأن الشياطين الذين معهم يحرقها ذكر الله ﷻ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

(٣) هذه الأمور المذكورة : الخوارق من المشي على الماء ، والمشي على النار ، وما أشبه ذلك ، هذه توجد مع أولياء الشيطان بكثرة وهم ليسوا أولياء الله ﷻ .

(٤) يقولون : هذا ولي ؛ لأنه ليس عليه تكاليف . التكاليف على العوام ، وهذا من الخواص ، هذا ولي من خاصة الخاصة ، وسقطت عنه التكاليف .

ملابساً للنجاسات ، معاشراً للكلاب[١] ، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل[٢] ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف ، قال النبي ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب »[٣] (مسند أحمد / ٦٣٢ ، وإسناده حسن لغيره) **وقال عن هذه الأخلية : « إن هذه**

---

(١) هؤلاء علاماتهم ظاهرة أنهم لا يتورعون عن الحرام والفواحش وترك الفرائض ، ولا يتطهرون من النجاسات ، ولا يتجنبون الكلاب التي هي من أخس الحيوانات ؛ بل يعاشرونها ، ويعيشون معها ، ويأنسون بها ، مع أن الرسول ﷺ نهى عن اقتناء الكلاب إلا للأمور المخصصة : كالحراسة ، حراسة الماشية أو حراسة الزرع ، أو للصيد ثلاثة أغراض فقط ، وما عدا ذلك لا تجوز مصاحبة الكلاب ؛ لأنها نجسة .

(٢) أولياء الله يأوون إلى المساجد ، وأولياء الشيطان يأوون إلى الحمامات ؛ لأن الحمامات مأوى للشياطين ، فأولياء الشياطين يأنسون بالحمامات ، ويجلسون في المراحيض ومحل قضاء الحاجة ؛ لأن الشياطين هذه أمكنتهم ، أما أولياء الله فأمكنتهم المساجد وبيوت الله ﷻ ، هؤلاء لا يتجهون إلى المساجد ولا يريدونها . والقمامون : الكنّاسون الذين يباشرون النجاسات .

(٣) « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب » : هذا فيه تجنب الحدث الأكبر ؛ لأنه نجاسة معنوية ، « ولا كلب » : لأن الكلب نجس العين ، فهؤلاء لا يتطهرون من الجنابة ، ولا يتوضؤون من الحدث ، ولا يغسلون النجاسة إذا أصابت أبدانهم أو ثيابهم ؛ بل يعتبرون هذا من التواضع ، ومن التقرب إلى الله ﷻ ، يعتبرونه عبادة ؛ لأن الشياطين تحب القاذروات ، وتحب النجاسات ، وتحب الحشوش ، فهو من أولياء الشياطين ، لأنه يألف هذه الأشياء .

الحشوش محتضرة » (سنن أبي داود / ٦ ، وصححه الألباني) أي : يحضرها الشيطان[١] ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »[٢] (صحيح مسلم / ٥٦٤ بنحوه) .

وقال : « إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً »[٣] (صحيح مسلم / ١٠١٥) وقال : « إن الله نظيف يحب النظافة »[٤] (سنن الترمذي / ٢٧٩٩ ، وضعفه الألباني) وقال : « خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والفأرة والغراب

---

(١) الحشوش : محل قضاء الحاجة ، جمع حش ، وهو مأوى الشيطان ، وكذلك وليُّ الشيطان يميل إليها ، ويجلس فيها .

(٢) الرسول ﷺ حث على الرائحة الطيبة وعلى الطيب ، حتى إنه نهى مَنْ أكل الثوم أو البصل وما فيه رائحة كريهة أن يقرب المسجد وهم يتقربون إلى الله بالروائح الخبيثة ، والخبيثتين يعني : الرديئتين ؛ لأن الخبيث يطلق ويراد به الشيء الرديء ، ويطلق ويراد به النجس الحرام .

(٣) إن الله طيب لا يقبل من الأقوال والأعمال والروائح إلا الشيء الطيب ، بخلاف الشياطين فإنها خبيثة ، ولا تقبل إلا الخبائث ، ولهذا كان الرسول ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء يقدم رجله اليسرى ، ويقول : « اللهم إني أعوذ بك من الخُبْثِ والخبائث » . (صحيح البخاري / ١٤٢ - صحيح مسلم / ٣٧٥) .

(٤) وجميل يحب الجمال ، الله ﷻ نظيف وجميل وطيب ، خلاف الشياطين فإنها خبيثة نجسة ووسخة .

والحِدأة والكلب العقور »[١] (صحيح البخاري / ١٧٣١ - صحيح مسلم / ١١٩٨) ، وفي رواية : « الحية والعقرب » (سنن أبي داود / ٩٢١ ، وصححه الألباني) .

وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب (صحيح البخاري / ٣١٤٥ - صحيح مسلم / ١٥٧٠) ، وقال : « من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً ، نقص من عمله كل يوم قيراط » (صحيح البخاري / ٢١٩٨ - صحيح مسلم / ١٥٧٦) ، وقال : « لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب » (صحيح مسلم / ٢١١٣) ، وقال : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب »[٢] (صحيح مسلم / ٢٨٠) .

---

(١) هذه الفواسق تُقتل لأنها تؤذي ، وهم يأكلونها ، يعتبرونها من الطيبات ، يأكلون الخنافس والعقارب ويعتبرونها من الطيبات ، والزنابير والذباب .
ومعنى فواسق : أي خارجات عن المألوف ؛ لأن الفسق هو الخروج ، وإلا ما عندها معاصي ، ولكن فواسق بمعنى أنهن خارجات عن المألوف في المخلوقات ؛ لأنها تؤذي .

(٢) والكفار الآن يأنسون مع الكلاب ويربونها ؛ بل إن الأثرياء منهم يوصون للكلاب بعد موتهم ؛ لأنهم من جند الشيطان ، والشيطان يحب الكلاب ، ويقلدهم بعض المنتسبين للإسلام فيجعل الكلب في بيته ويمشي معه ، ويركبه معه في السيارة ، يتشبه بالكفار ، حتى رؤساء الكفار وملوكهم معهم كلاب ؛ لأن كل شيء يميل إلى جنسه ، فلما كانت طبيعتهم طبيعة كلاب مالوا إلى الكلاب .

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ [١] الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ [٢] وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ [٣] فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٤] ﴾ [الأعراف : ١٥٦-١٥٧] .

---

(١) ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ﴾ : الله يكتب رحمته للذين يتبعون الرسول ، فالذين لا يتبعون الرسول لا يكتب الله لهم رحمته .

(٢) وهذا أيضاً محل الشاهد : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ : فصارت الطيبات حلالاً للمؤمنين ، والخبائث حراماً عليهم ، لكن الشياطين وأتباع الشياطين يتغذون بالخبائث ويألفونها .

(٣) لأن الله حمَّلهم إصراً وأغلالاً بسبب كفرهم ، فلو آمنوا بالرسول ﷺ لوضع الله عنهم هذه الآصار والأغلال . الآصار : هي التثقيل عليهم في الأوامر والنواهي والتشديد عليهم . **والأغلال** : هي الأشياء التي حرمها الله عليهم بعد أن كانت طيبة ومباحة ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٦٠] فالله حرم عليهم أشياء حلالاً عقوبة لهم ، تحريم عقوبة .

(٤) ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ آمنوا به وصدقوه ، ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ يعني وقروه =

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران ، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ، ولاسيما إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ، ويقدِّم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله »[(١)] (المعجم الكبير للطبراني / ٨٦٥٧ ، الشطر الأول بنحوه) .

واحترموه ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ ، لا يكفي أنه يعلم أنه رسول ، ويثني عليه ؛ بل لابد أن يتبعه ، وإلا فأبو طالب أثنى على الرسول ﷺ ، ومدحه ومدح دينه ، ولكن لما لم يتبعه مات على الكفر ، وصار من أهل النار – والعياذ بالله – ، لابد من الاتباع ، وهذا محل الشاهد ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ .

(١) من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : أن أولياء الرحمن يحبون القرآن ، =

وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله ﷻ[١] (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل / ٧٧٥) ، وقال ابن مسعود : « الذكر ينبت الإيمان في القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل »[٢] . (ذم الملاهي لابن أبي الدنيا / ٣٠) .

ويأنسون به ويتلونه ويتدبرونه ويتلذذون به ، ويتقربون إلى الله ﷻ بتلاوته وتدبره والعمل به ، ولا يصدُّون عنه ؛ بل هم دائماً مع القرآن ، وأما أولياء الشيطان فإنهم ينفرون من القرآن ، ويستبدلونه بالأغاني والأناشيد ، والدفوف والطبول ، وآلات اللهو ، كما هو معلوم عن الصوفية والمبتدعة ، أنهم مغرمون بالغناء وآلات اللهو ، فهذا من الفوارق بين أولياء الله وأولياء الشيطان ، فإذا رأيت الرجل يحب القرآن ويقبل عليه ، ويصغي إلى تلاوته ، فاعلم أنه من أولياء الله ، وإذا رأيت الرجل معرضاً عن كتاب الله ولا يحبه ولا يألفه ، ويصد عنه ، فاعلم أنه من أولياء الشيطان ، ولهذا يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله » هذه علامة واضحة .

(١) عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد يقول : « لو طهرت قلوبنا » ، وفي رواية : « لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله ﷻ » ، فلا تمل من كلام الله ؛ بل هي دائماً مرتبطة به لأنها تحبه ؛ لأنه من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فإذا رأيت في الإنسان مللاً من القرآن أو إعراضاً عن القرآن ، فاعلم أن قلبه فيه شيء من الخلل وعدم الطهارة .

(٢) فرق بين القرآن وبين الغناء ، القرآن كلام الله ﷻ ، والغناء كلام الشياطين ، شياطين الإنس والجن ، والقرآن ينبت الذكر في القلب ومحبة الرب سبحانه ، كما ينبت الماء =

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة ، فارقاً بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾(1) [الحديد : ٢٨] ، وقال تعالى :

البقل الذي هو الخضار والزروع ، فإن الماء إذا نزل على الأرض أنبتت ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] ، هذا مثل القرآن مع القلوب ، وأما الغناء فإنه ينبت النفاق ، والنفاق هو : إظهار الخير وإبطان الشر ، فالغناء ينبت النفاق : كراهية القرآن ، وكراهية الذكر ، وكراهية الدين ، فإذا رأيت من هو مغرم بالأغاني والمطربين فإن هذا ينبت في قلبه : النفاق ، وبغض القرآن ، وبغض المؤمنين ، والنفرة من أهل الخير ، هذا نبات الأغاني ، والمزامير ، وأصوات المطربين ، التي يميل إليها الفساق والصوفية ، فهؤلاء يتلذذون بالأغاني والطرب ، هو أنيسهم دائماً وأبداً في السيارات ، وفي البيوت وفي أي مكان ، تجد الأغاني مصاحبة لهم ، إما من البث الإذاعي ، وإما من التسجيلات التي يستصحبونها معهم ، فهذه علامة النفاق : بغض ذكر الله وبغض الإيمان ، وأهل الإيمان والنفرة منهم ، وهذا فيه التحذير من الأغاني التي استحوذت على كثير من الناس اليوم ، فصاروا مرتبطين بمواعيدها ، حتى إن منهم من لا يحضر الصلاة إذا كان ذلك في وقت بث الأغاني ، فيجلس عندها ، ويترك صلاة الجماعة ، أو يترك الصلاة في الوقت لئلا تفوته هذه الأغاني ، ويشجعون المغنيين والمطربين ، ويسمونهم أهل الفن وأهل الذوق ، ويمنحونهم الألقاب ، ويصورونهم بالصور التي تتخذ للذكريات .

(١) القلب يكون فيه نور . نور الإيمان الذي يفرق به بين الحق والباطل ، بين الهدى =

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(١) [الزخرف : ٥٢] .

والضلال ، بين الخير والشر ، بين الكفر والإيمان ، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٩] **والفرقان** : هو أن يُرزق الإنسان التمييز بين الأمور ، أمور الخير وأمور الشر ، وبين أهل الخير وأهل الشر ، ومن لم يكن عنده تمييز ، فإن هذا دليل على أن قلبه مظلم ، ليس فيه نور . ولهذا قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] فهذه الآية خطاب لأهل الكتاب ، الذين آمنوا بالرسل السابقين ، أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ ، ليحصلوا على الأجرين ، أجر الإيمان بالرسل السابقين ، وأجر الإيمان بمحمد ﷺ ، **هذه فائدة . والفائدة الثانية** : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ : نور في القلوب ونور القلوب هو الأصل ، وليس المراد به النور الحسي ، نور الشمس ونور الكهرباء ، هذا نعم مفيد وطيب ، لكن ليس هو المقصود ، المقصود نور القلب ، قد يكون الإنسان أعمى في بصره ، لكن الله نوَّر قلبه بالإيمان والعلم ، والله ﷻ قال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ، فكم من أعمى البصر ، لكنه مستنير القلب بالعلم والإيمان ، وكم من مبصر أعمى القلب - والعياذ بالله - ، فالعمدة على نور القلب ، وعلى بصيرة القلب ، فإذا اجتمعت بصيرة البصر وبصيرة القلب فهذه نعمة إلى نعمة .

(١) قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ - ممتناً عليه ، ومذكراً له بنعمته عليه - في آخر سورة =

الشورى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ : روح القلوب تحيا به القلوب ، كما أن البدن يحيا بروح الحياة الحسية . فالروح يطلق ويراد به : روح البدن ، وهي الحياة الحسية ، التي بها يتحرك ويمشي ويتحسس . والإطلاق الثاني : روح العلم والبصيرة ، وهذا هو المراد بهذه الآية : ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا ﴾ : وهو القرآن والسنة ، سماه الله روحاً ؛ لأنه تحيا به القلوب ، وهذا هو الروح الحقيقي ، ويطلق الروح ويراد به القوة ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ويطلق الروح ويراد به جبريل عليه السلام ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] والمراد هنا : الروح الذي هو الوحي المنزَّل على الرسول ﷺ ، فسماه الله روحاً ؛ لأن به حياة القلوب .

﴿ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ أي : من شرع الله ﷻ ، ثم قال : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ قبل البعثة ما كان الرسول ﷺ يعرف هذه الأمور ، ما كان يقرأ الكتاب ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ما كان الرسول ﷺ يدري ما الكتاب ﴿ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ ، يعني تفاصيل الإيمان ، وإلا فالإيمان موجود في قلبه ﷺ قبل البعثة ، ولهذا كان مفارقاً للمشركين ، وكان يعبد ربه على الحنيفية ملة إبراهيم ، لكن تفاصيل الإيمان إنما عرفها بعد البعثة ، ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ ؛ لأن الرسول ﷺ ما كان يقرأ ، عكس ما يقوله المشركون : إن القرآن أساطير الأولين اكتتبها ، وأنه أخذها عن بني إسرائيل ، فما كان يقرأ ﷺ ولا كان يكتب ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا ﴾ ، هذا محل الشاهد : جعلنا هذا الكتاب نوراً ، فالقرآن نور ﴿ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فالهداية بيد الله ، وهو أعلم بمن يستحقها ومن لا يستحقها ، فلا يعطيها

=

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »[1] ، قال الترمذي : حديث حسن (سنن الترمذي / ٣١٢٧) ،

إلا لمن يعلم أنه يستحقها ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القلم : ٧] ، فهو يعلم سبحانه مَنْ يقبل الهداية ومَنْ لا يقبلها ، ﴿ نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ ﴾ : هذه هداية التوفيق والإيمان ، وأما هداية الدلالة والإرشاد فإنها عامة للمؤمن والكافر وجميع الناس . القرآن هدى للناس بمعنى أنه مبين لطريق الحق من طريق الضلال ، أما الهداية الخاصة فإنما تكون لأهل الإيمان ، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ما الجمع بين هذه الآية ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الجمع : أن المراد به في هذه الآية هداية الدلالة والإرشاد والبيان ، وأما ﴿ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ فالمراد هداية التوفيق والإيمان ، هذه بيد الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٥٢-٥٣] أضافه إلى نفسه ﷻ تشريفاً له .

(١) من هداه الله إلى هذا القرآن وعمل به ، صار في قلبه نور الإيمان ونور العلم ، فهو ينظر بنور الله ﷻ ، ويميز بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين النافع والضار ، أما من حُرم هذا النور ، فإنه لا يميز بين الخير والشر ، ولا يميز بين أولياء الله وأعداء الله ، وتكون الأشياء عنده سواء .

فالفراسة : معناها التفرس في الشخص والتوقع منه ، ويكون عند المؤمن فراسة ؛

=

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره ، قال فيه : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولابد له منه »[(١)] .

لأنه ينظر بنور الله ، « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، فهو يميز بين أهل الخير وأهل الشر ، وأيضاً يعرف من يتوقع منه الخير ومن يتوقع منه الشر ، مجرد ما ينظر إلى الشخص يعرف هل هو من أهل الخير أو من أهل الشر ، ويعرف ويتوقع ما سيحصل منه في المستقبل ؛ لأنه ينظر بنور الله ، فيميز بين الناس ، ولا ينخدع بالمظاهر .

(١) هذا الحديث يفسر بعضه بعضاً ، ويوضح بعضه بعضاً ، بيّن ﷺ ما أوحاه الله إليه وما علَّمه به ، وهو هذا الحديث القدسي : « إن الله ﷻ قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ، هذا محل الشاهد : أن التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة يسبب محبة الله له ، كما أن معصية الله تسبب بغض الله للعبد ، والله يحب التوابين ، ويحب المتقين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المحسنين ، ويحب أهل الأعمال الصالحة الذين يتقربون إليه بالطاعات : الفرائض والنوافل ، هذا سبب محبة الله للعبد ، وولاية الله للعبد .

=

« فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » : ما معنى هذا ؟ فسره بقوله : « بي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي » بمعنى أنه لا يستعمل هذه الحواس وهذه الأعضاء إلا في طاعة الله ﷻ ، فلا يبصر ما يغضب الله ، وما حرَّم الله النظر إليه من النساء والعورات المحرمة ، ولا ينظر إلى الأفلام الخليعة والانترنت الفاسد ، لا ينظر إلى هذه الأشياء ، ينفر منها ، إنما ينظر ما ينفعه لأنه يبصر بالله ﷻ وتوفيقه « بي يبصر ، وبي يسمع » كذلك لا يستمع إلى الأغاني والمزامير والملاهي ، وإنما يستمع لذكر الله ، وإلى القرآن ، والتسبيح والتهليل ، فلا يسمع إلا ما يفيده ولا يستمع للغيبة والنميمة ، وقول الزور واللغو ، وإنما يستمع لما فيه خير ؛ لأنه يسمع بالله ﷻ ، وكذلك لا يأخذ ويعطي بيده إلا ما كان في طاعة الله ﷻ ، يأخذ ويعطي في الخير ، ويستعمل يده في الخير، ولا يستعملها في أذية الناس ، وظلم الناس ، وقتل الناس ، وضرب الناس بغير حق . ولا يمشي إلا إلى طاعة الله ، يمشي إلى طلب العلم إلى حلق الذكر ، إلى المحاضرات ، إلى الندوات المفيدة ، إلى الدروس ليتفقه في دين الله ، يمشي إلى المساجد لأداء الصلوات فيها والجلوس فيها ، ولا يمشي إلى المسارح ومحلات اللهو ، والتجمعات الفاسدة ؛ بل يكرهها وينفر منها ؛ لأن الله سدده في مشيه ، سدده في بطش يده ، سدده في سمعه ، سدده في بصره ، وليس معنى الحديث ما يقوله الحلولية : إن الله يحل في الإنسان – تعالى الله عن ذلك – ؛ لأن الحديث يفسر بعضه بعضاً وقد فسَّر الحديث الرسول ﷺ أو فسَّره الله ، والرسول يروي عن ربه ﷻ : « بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » ثم قال : « ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » لأن الله معه ﷻ يتولاه ، ثم قال : « وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن » هل الله يتردد ؟ فسره في قوله « يكره الموت وأكره مساءته »

=

فإذا كان العبد من هؤلاء فرَّق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(١) ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد ، والدرهم الزَّيْف(٢) .

معنى : تردد الله ، أي : كراهته لما يكرهه عبده كراهة طبيعية ، يكره الموت كراهة طبيعية ، والله يكره ما يكرهه عبده ، ولكن لابد له من الموت فمعنى « ترددت » أي : أكره ما يكرهه عبدي المؤمن .

(١) لأنه لابد أن الدنيا فيها أولياء للرحمن وأولياء للشيطان ، فليس كل من في الدنيا أولياء للرحمن ، ولا كلهم أولياء للشيطان ؛ بل فيها من هو ولي للرحمن ، ومن هو ولي للشيطان ، ولا يميز العبد بين الفريقين إلا بالإيمان ، ونور العلم ، ونور العبادة التي يجعلها الله في قلبه .

(٢) أما الذي يظن أن من كان عنده خوارق للعادة أنه وليٌّ لله مطلقاً ، هذا لا يميز بين الحق والباطل . الخوارق للعادة لا تدل على الوَلاية ، حتى يُرى ما عليه صاحبها ، فإن كان صاحبها على طاعة الله وعبادة الله ، فإنها كرامات أجراها الله على يده إكراماً له ، ولحاجته إليها أو حاجة غيره ، أما إن كان صاحب هذه الخوارق عاصياً لله مضيعاً لفرائضه مرتكباً لمحارم الله ، فهذا ولي من أولياء الشيطان ، وهذه الخوارق خوارق شيطانية وليست كرامات ، فلابد أن المسلم يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان بأعمالهم التي تصدر منهم ، ولا ينظر إلى مظاهرهم فقط ، لأن الله ﷻ قال : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ، هؤلاء هم أولياء الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ .

الصيارفة – صيارفة الذهب والفضة – ، إذا جيء لهم بالذهب أو الفضة ، عرفوا المعدن الصحيح الخالص من الذهب والفضة من المعدن المغشوش ، من حين أن

=

وكما يفرِّق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء[1] ، وكما يُفرِّق من يعرف الفروسية بين الشجاع وبين الجبان[2] ، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبيء الكذاب[3] .

فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم ، وبين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ، وطليحة

يسمع صوت النقد يعرف أنه مغشوش ، أو أنه صحيح ، بمجرد سماع صوته ، أو وضعه في المختبر ، هؤلاء الصيارفة يعرفون زَيْف النقود من غشها ، كذلك وليُّ الله يعرف أولياء الله من أعداء الله ، ويميز بينهم ، كما يميز الصيرفي .

(١) الخيل في ظاهرها سواء ، ولكن في مخبرها وصفاتها ومنافعها تختلف ، فلا يعرفها إلا الفرسان ، الذين مارسوها وميزوها ، أما الذي لا يعرف فكل الخيل عنده سواء .

(٢) وكذلك أكثر الناس يركبون الخيل ، لكن منهم الجبان الرعديد الذي لا تحمله أعضاؤه عند الفزع وعند الخوف ، ولو كان يركب الخيل يسقط ، ومنهم الفارس الشجاع ، الذي لا يبالي بلقاء العدو ، فما كل من يركب الخيل يكون فارساً ، ولا يميِّز هذا إلا الفرسان ، يعرفون الشجعان من الجبناء ، كل شيء له مَهَرة يعرفونه ويميزون هذا من هذا ، في كل فن .

(٣) كذلك النبوة ، كثير من يدَّعون النبوة ، وقد يأتون بخوارق ويقولون : هذه معجزات ، وهي - كما سبق - خوارق شيطانية ، وليست معجزات ، ولا يميز بين النبي الصادق من النبي المتنبيء الكاذب إلا أهل الإيمان ، وأهل العلم ، وأهل البصيرة ، الذين يعرفون علامات النبوة ، ودلائل النبوة من غيرها ، فالنبي له علامات ، وله معجزات ، وله دلائل تميِّزه عن الكذَّاب المتنبي .

الأسدي ، والحارث الدمشقي ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين[1] .

---

(١) يفرق بين أنبياء الله بعلامات النبوة التي تدل على صدقهم ، وبين المتنبئين الكذبة الذين يروِّجون على الناس ويدجِّلون على الناس ، وهؤلاء يفتضح أمرهم عما قريب ، أما الأنبياء فيبقى أثرهم ودلالاتهم ومعجزاتهم تبقى على مرِّ الدهور ، فيفرِّق وليُّ الله الذي استنار قلبه بالعلم والإيمان بين محمد وبين مسيلمة والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي ، الذين ادعوا النبوة بعد رسول الله ﷺ . ومسيلمة والأسود العنسي ادعيا النبوة في آخر حياة النبي ﷺ ، ولكن المؤمنين قتلوهم وبطل شرُّهم عن المسلمين ، فالكفرة المتنبؤن ينقطع شرهم عما قريب ، ويظهر كذبهم ، ويقطع الله دابرهم ، أما الأنبياء فتبقى آثارهم الصحيحة ، وإيمانهم ودينهم ، فرق بين هؤلاء وبين أنبياء الله إبراهيم وموسى ونوح ومحمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فرق بينهم وبين الكَذَبَة .

ومسيلمة هذا الذي ظهر في اليمامة وجَهَّز له أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالد بن الوليد في جيش المسلمين ، وحصل قتال شديد ، انتهى بقتل مسيلمة ، وإراحة المسلمين من شره ، وانقطع خبره وذكره والحمد لله .

وكذلك **الأسود العنسي** في اليمن دخل في الإسلام ثم ارتد وادعى النبوة ، واجتمع حوله من اجتمع ، وصار له شوكة ، فالنبي ﷺ أمر المؤمنين الذين حوله أن يقتلوه ، فقتلوه وأراح الله المسلمين من شره ، وانقطع خبره ، وانتهى أمره ، والحمد لله .

وطليحة الأسدي هذا أسلم ، ثم ارتد مع المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ ، وقاتله الصحابة حتى انهزم ، ثم إنه بعد ذلك مَنَّ الله عليه بالتوبة ، فتاب إلى الله ، ويقال : إنه قتل شهيداً في حروب فارس .

والحارث الدمشقي هذا على وقت عبد الملك بن مروان ، الحارث الأعور الدمشقي ، ادعى النبوة وطلبه عبد الملك حتى أمسكه ، وقتله وصلبه .

وباباه الرومي هذا لا نعرفه .

وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين، وأولياء الشيطان الضالين[1] .

(١) المؤمن يفرِّق بين الأنبياء والمتنبئين ؛ لأن الأنبياء لهم دلائل النبوة ، وعلامات النبوة عليهم ، بخلاف الكذَّابين ليس معهم دلائل ، وإنما هم ملَبِّسون على الناس ، وكذلك المؤمن يفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان . أولياء الله لهم علامات واضحة ، الذين آمنوا وكانوا يتقون هذه علاماتهم ، وأما أولياء الشيطان فهم الفجرة والكَذَبَة والعصاة الذين يتبعون شهواتهم ويضيعون الفرائض ويرتكبون الجرائم ، ومع هذا يزعمون أنهم أولياء الله وهم أعداء لله ﷻ ، لكن يصدقهم من ليس في قلبه نور ولا إيمان ، ويقول : هؤلاء أولياء لله ، والذين صدقوا هؤلاء كثير من الخلق وصاروا يعتقدون فيهم الوَلاية ويعبدونهم من دون الله ، ويذبحون لهم ، وينذرون لهم - والعياذ بالله - وحتى لو ثبت أنه ولي لله ، فإنه لا يُعبد ، ولا تجوز عبادته ، ولو كان هو يدعو إلى عبادة نفسه لم يكن ولياً لله ، وإنما هو وليٌّ للشيطان ، ولكن هناك من عباد الله ومن المؤمنين من ينكرون هذا ، وإنما عُبِدُوا بعد موتهم وبُني على قبورهم بعد موتهم ، فهؤلاء أولياء الله ، ولكن لا تجوز عبادتهم ، العبادة حق لله ﷻ .

فصل

والحقيقة حقيقة الدين، دين رب العالمين: هي ما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون(١).

---

(١) الحقيقة هي حقيقة الدين الذي عليه الأنبياء والمرسلون من أولهم إلى آخرهم، وهي حقيقة الإسلام؛ لأن الأنبياء وأتباعهم كلهم مسلمون، لأن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا دين الأنبياء جميعاً كلهم مسلمون، وأتباعهم مسلمون، وكل من اتبع نبياً من أنبياء الله فإنه مسلم، إلى أن خُتموا بمحمد ﷺ، فصار المسلم هو من اتبع محمداً ﷺ؛ لأن رسالته عامة؛ ولأن دينه باقٍ لا يُنسخ إلى أن تقوم الساعة، فلا يسع أحداً بعد بعثة محمد ﷺ إلا أن يتبعه ويؤمن به من اليهود والنصارى، وجميع الملل، ولا يسع أحداً أن يتبع نبياً من الأنبياء بعد بعثة محمد ﷺ، ولا يسع أحداً أن يتعلق بولي من الأولياء ويعبده من دون الله أو يتبعه، ولو ما عبده، لا يجوز له أن يتبعه إذا خالف رسول الله ﷺ، ولو كان ولياً، ولو كان عالماً، لا تجوز الطاعة إلا لله ولرسوله هذه هي الحقيقة. فالأنبياء وأتباعهم كلهم مسلمون؛ لأنهم يعبدون الله بما شرعه لهم، كل وقت بحسبه، تُنسَخ الشريعة وتأتي شريعة أخرى، ثم تُنسخ وتأتي شريعة أخرى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] إلى أن بُعث محمد ﷺ، فصارت شريعته الشريعة الباقية التي لا تُنسخ ولا تُبدَّل ولا تُغيَّر. وكل الأنبياء والمرسلون اتفقوا على توحيد الله، والنهي عن الشرك: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] كل الأنبياء يأمرون بعبادة الله وترك عبادة ما سواه، يأمرون بالتوحيد وينهون عن الشرك، هذا عليه جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويعبدون الله بشرائعهم التي شرعها لهم في أوقاتهم.

وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاجاً[(١)] .

فالشرعة : هي الشريعة . قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[(٢)] . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ

(١) ما دام أنه شرع لله ، فإن التمسك به عبادة لله إلى أن يُنسخ ، فإذا نُسخ يُترك العمل بالمنسوخ ، ويؤخذ بالناسخ ، فعبادة الله هي العمل بالشريعة في وقتها قبل أن تُنسخ ، فإذا نُسخت ينتقل إلى الناسخ ويترك المنسوخ ؛ لأن الأمر أمر الله ﷻ ؛ لقوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] شرعة : يعني شريعة الأنبياء لهم شرائع يختلف بعضها عن بعض ، ولكن ما دامت الشريعة لم تُنسخ ، فإنه يجب العمل بها ، والعمل بها عبادة لله ﷻ .

(٢) فأخبر أن الله جعل للأنبياء السابقين شرائع ، وجعل لمحمد ﷺ شريعة ، وأمره باتباعها ، هو ومن آمن به ، فمن لم يتبع شريعة محمد ﷺ فهو متبع لهواه ، قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] ، فالذي لا يتبع الرسول محمداً ﷺ يكون متبعاً لهواه ، وإن قال إنه متبع لموسى أو لعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فهو كذاب ؛ لأن موسى وعيسى وجميع الأنبياء حثُّوا على اتباع محمد ﷺ إذا بُعث ، حتى إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء أنفسهم - كما سبق - أنه إذا بعث محمد ﷺ ومنهم أحد حي ، لابد أن يتبع محمداً ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران : ٨١] ، أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يتبعوا محمداً ﷺ إذا بعث فكيف بغير الأنبياء ؟!

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ[١]﴾ [الجاثية : ١٨-١٩] والمنهاج : هو الطريق[٢] ، قال تعالى : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا . لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[٣] [الجن : ١٦-١٧] .

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه ، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي حقيقة دين الإسلام[٤] . وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا

---

(١) ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ : الظالمون بعضهم أولياء بعض ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٩] يسلط الله الظلمة بعضهم على بعض ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

أما المؤمنون فإن الله هو وليهم ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

(٢) الشريعة هي الملة . والمنهاج هو الطريق الذي يسير عليه الإنسان في دينه .

(٣) ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي : على الطريق الصحيح الموصل إلى الله ، لسقاهم الله المطر ، وأنزله عليهم في حينه وفي أوقاته ، ماء غدقا ، ولكن انحباس المطر ، إنما هو بذنوب بني آدم ، والشاهد من قوله : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي : على المنهج الرباني .

(٤) يقال لمورد الماء : شريعة . شريعة الماء يعني مورد الماء . وعبادة الله وحده لا شريك له هي حقيقة دين الإسلام ، الذي هو دين جميع الأنبياء ، ولهذا قال ﷺ : « الأنبياء إخوة لِعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » ، مثل الإخوة من الأب ، أمهاتهم مختلفة

=

يستسلم لغيره ، فمن استلم له ولغيره كان مشركاً[١] ، والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم لله ؛ بل استكبر عن عبادته ، كان ممن قال الله فيه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] ، ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] عام في كل زمان ومكان[٣] . فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون ، كلهم دينهم الإسلام ، الذي هو

وأبوهم واحد ، فدين الأنبياء واحد وهو الإسلام ، وإن اختلفت شرائعهم التي شرعها الله لهم ؛ لأن الله يشرع لكل أمة ما يناسبها في وقتها ، ثم ينسخ الله ذلك بما يناسب الوقت في المستقبل ، وهكذا إلى أن بعث الله محمداً ﷺ ، فشرع لهم دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ، وهو الصالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة .

(١) الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، لا يستسلم لغير الله ، فمن استسلم لله وحده فهو المسلم حقاً ، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك ، ومن لم يستسلم لله فهو ملحد ومستكبر .

(٢) الذي معناه التوحيد وإخلاص العبادة لله ، هذا دين جميع الأنبياء واتباعهم ، كلهم على إخلاص العبادة لله ، وتجنب الشرك بالله ﷻ ، وسيذكر الشيخ آيات من القرآن تدل على هذا .

(٣) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ الذي هو التوحيد وتجنب الشرك .

عبادة الله وحده لا شريك له .

قال الله تعالى عن نوح : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[(١)] [يونس : ٧١-٧٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ . إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[(٢)] [البقرة : ١٣٠-١٣٢] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾[(٣)] [يونس : ٨٤] .

وقال السحرة : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾[(٤)] [الأعراف:١٢٦].

---

(١) فهذا نوح أول الرسل عليهم الصلاة والسلام قال : ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فهو مسلم .

(٢) وهذا إبراهيم ﷺ مسلم : ﴿ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ ، فذرية إبراهيم ويعقوب مسلمون .

(٣) وهؤلاء قوم موسى عليه السلام الذين آمنوا به مسلمون .

(٤) السحرة الذين جاء بهم فرعون ليقابلوا معجزات موسى عليه السلام ، لما تبين لهم أن ما مع

=

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(١) [يوسف: ١٠١].

وقالت بلقيس: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾(٣) [المائدة: ٤٤].

موسى وهارون ليس سحراً، وإنما هو معجزة؛ لأنها لا صنع للبشر فيها، ليست سحراً فلما تبيَّن لهم هذا، قالوا ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾، لما هددهم فرعون بالقتل والصلب، ما بالوا بهذا ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧٢-٧٣]، فقتلهم ونفَّذ فيهم، ولكنهم ماتوا مسلمين تائبين.

(١) يوسف عليه السلام بعدما جرى عليه من المحن، وما أكرمه الله به في النهاية من الملك واجتماع الشمل، شكر الله على ذلك: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾، سأل الله حسن الخاتمة، وأن يتوفاه الله مسلماً، فدل على أن يوسف عليه السلام أيضاً مسلم.

(٢) بلقيس ملكة اليمن في ديار سبأ، كان لها مع سليمان عليه السلام قصة ذكرها الله في سورة النمل، انتهى أمرها بأنها لما رأت ما أعطى الله سليمان من النبوة والرسالة أعلنت إسلامها، فقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

(٣) قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾: التوراة هي الكتاب الذي أنزله =

وقال الحواريون : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١) [آل عمران : ٥٢] ، فدين الأنبياء واحد ، وإن تنوعت شرائعهم(٢) ، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد »(٣) (صحيح البخاري / ٣٢٥٩ - صحيح مسلم / ٢٣٦٥ ، بنحوه) ، وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ (٤) . وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ

الله على موسى عليه السلام ، وهو كتاب عظيم ، ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ : النبيون الذين جاءوا من بعد موسى عليه السلام يحكمون بالتوراة ، وهم أنبياء بني إسرائيل . ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ : دل على أن أنبياء بني إسرائيل يُسمون مسلمين . ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ : النبيون يحكمون بين اليهود بالتوراة .

(١) لما تطاول الكفار على عيسى عليه السلام وضايقوه ، قال : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ وهم تلاميذه وأتباعه ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٢-٥٣] فأتباع عيسى عليه السلام مسلمون .

(٢) (وإن تنوعت شرائعهم) : لأنها شرائع الله ، وأوامر الله ، فمن أطاع الله على وفق شريعة من الشرائع في وقتها قبل أن تُنسخ ، فإنه مسلم .

(٣) إخوة لعلات ، ديننا واحد ، وشرائعنا مختلفة .

(٤) ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ وهو التوحيد ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ أول الرسل ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ هؤلاء الخمسة من أولي العزم ، فدينهم واحد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وهو التوحيد وترك الشرك والابتعاد عنه .

أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ (١) . كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾(٢)

[الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٣) . فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٤) [المؤمنون : ٥١-٥٣] .

---

(١) هذا ما وصاهم الله به : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ وهو التوحيد ، وعبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ : العقيدة لا يجوز الاختلاف فيها ولا التفرق فيها ؛ لأن العقيدة واحدة ، وهي إفراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه .

(٢) المشرك ينفر من التوحيد ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥] وهذا في الحقيقة مشكلة ؛ لأن بعض الناس يكره ذكر التوحيد والدعوة إلى التوحيد ، ويقول : لا تُنفِّروا الناس بالتوحيد والعقيدة ، وهذا خطر عظيم ، لأن الذي يكره التوحيد هذا على خطر عظيم أن يكون من الكفار ، فلا يكره التوحيد من في قلبه إيمان .

(٣) الشاهد في قوله : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ فدين الأنبياء واحد ، وهم أمة واحدة ، كلهم على التوحيد والإيمان بالله ، فهم أمة واحدة من أولهم إلى آخرهم .

(٤) أمرهم الله أن يكونوا أمة واحدة على التوحيد والإيمان ، ولكنهم اختلفوا وتفرقوا ، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ : كُتباً ، كل واحد عنده كتب ومؤلفات تخالف ما عليه =

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أولياء الله تعالى ، على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[(١)] .

الآخر ، ويرد على الآخر ، ويُكَفِّر الآخر - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ، فهذا ما حذَّر الله منه : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ، هذه مشكلة أيضاً ، يمكن أن يقع الاختلاف ، لكن إذا حصل الاختلاف فإن الإنسان لا يجزم أنه على صواب ، وأن مُخالفه على خطأ ، ما يجزم بهذا ؛ بل يحتمل العكس ، يحتمل أن مخالفه هو المحق ، وأنه هو على خطأ ، أما إذا جزم أنه على حق وأن مخالفه مخطئ فهذه مصيبة ، لأنه لا يرجع ؛ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ .

(١) اتفق المسلمون من السلف الصالح وأئمة الهدى وسائر أهل السنة أن أفضل أولياء الله هم الأنبياء ، وأنهم أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، فلا أحد يساوي النبيين في منزلتهم عند الله ﷻ ؛ لأن النبوة لا يعدلها شيء من الفضائل ، ثم مِن بعد الأنبياء : الصدِّيقون ، جمع صدِّيق ، وهو الكثير الصدق ، الذي لا يصدر عنه كذب ، كما قال الرسول ﷺ : « وإن الرجل ليصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » (صحيح البخاري / ٥٧٤٣ - صحيح مسلم / ٢٦٠٧ - سنن أبي داود / ٤٩٨٩ ، واللفظ له) فالصدِّيق هو كثير الصدق ، الذي يقول الصدق ويتحراه فيما يبلغه ، وفيما يسمعه ، فلا يخبر إلا بما رآه صدقاً ، فهو يحب الصدق دائماً مع الله ، والصدق مع الخلق هذا هو الصدِّيق ، ثم من بعده الشهداء ، ثم من بعد الشهداء بقية المؤمنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ =

وقد رتَّب الله عباده السعداء المنعَم عليهم أربع مراتب ، فقال تعالى :
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] [النساء : ٦٩] .

وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] ، هذه مراتب أهل الفضل في هذه الأمة : الأنبياء ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون . وأما عند الصوفية فعندهم ينقسم الأولياء إلى خاتم الأولياء وغيره ، فعندهم أفضل الأولياء : خاتمهم ، فهو أفضل من بقية الأولياء ، ومنهم من يغلو فيقول : الأولياء أفضل من الأنبياء ، خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء - كما يأتي - ، هذه طريقة الصوفية ، أنهم يغلون في الأولياء ، حتى إن منهم من يفضلهم على الأنبياء - والعياذ بالله - ولهذا يقول شاعرهم :

مَقَـامُ النُّبـوةِ في بَـرْزَخٍ   فُوَيْقَ الرَّسولِ ودُونَ الوَلِيّ

(طبقات الشعراني ٢ / ٦٨)

فصار الولي عندهم فوق الرسول ، وهذا أعظم الضلال - والعياذ بالله - ؛ لأنهم يقولون : إن الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه النبي ، فيفضلون الولي ، فالنبي يأخذ بواسطة المَلَك ، وأما الولي فيأخذ مباشرة عن الله بدون واسطة ، فيزعمون لأوليائهم أنهم يجالسون الله ﷻ ، وأن الله يعطيهم من العلم مباشرة ، وهذا كله نتيجة - والعياذ بالله - الضلال ، واتباع الشيطان ، والإعراض عن الكتاب والسنة .

(١) ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ من هم المنعـم عليهـم ؟ ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أربع مراتب : الأنبياء ، ثم الصدِّيقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون ، هذه مراتب المؤمنين عند الله ﷻ .

وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر »[(١)] (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل / ١٣٥ وإسناده ضعيف) .

---

(١) هذا الحديث يدل على فضيلة أبي بكر ، وأنه أفضل الخلق بعد النبيين ، ولكن هذا الحديث فيه مقال ، ولكن أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبتت فضائله في نصوص كثيرة من القرآن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ [التوبة : ٤٠] فصاحبه هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ : الرسول وأبو بكر ، رفيقه في الهجرة ، ورفيقه بعد البعثة في مكة ، فكان ملازماً للرسول ﷺ من بعثته إلى أن توفاه الله ، وقال ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » (صحيح مسلم / ٢٣٨٣) ، فهذا يدل على فضله ، وأنه أفضل الصحابة .

ولما مرض ﷺ عهد إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فراجعته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أن يأمر عمر ؛ لأنه أرفع صوتاً من أبي بكر ، فغضب ﷺ عليها ، وقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » (صحيح البخاري / ٦٣٣ - صحيح مسلم / ٤١٨) ، فهذا دليل على فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومناقبه كثيرة ، فهي تعضد هذا الحديث ؛ لأن أبا بكر هو أفضل الخلق بعد النبيين ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] ، وأبو بكر من الصدِّيقين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والله ﷻ وصف أبا بكر بأنه من أولي الفضل ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النور : ٢٢] وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حلف أن لا ينفق على مسطح بن أُثاثة ، وكان قريباً له ، بسبب أنه تكلم مع الذين تكلموا في الإفك ، =

وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١) [آل عمران : ١١٠] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ . ﴿ يَأْتَلِ ﴾ : يعني يحلف ﴿ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فأثنى على مسطح بن أثاثة ؛ لأنه من المهاجرين في سبيل الله ، وإن كان حصل منه من الخطأ ما حصل ، لكن هذا لا يلغي فضيلته ، وأمر أبا بكر أن يعيد عليه النفقة . فالشاهد قوله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ ﴾ : وصف أبا بكر أنه من أولي الفضل ، وهذا وصف من الله ﷻ في كتابه لهذا الرجل العظيم ، يكفيك أنه لما مات النبي ﷺ ، وارتد كثير من العرب ، مَنِ الذي وقف في وجوه أهل الردة ، وثبَّت الله به الإسلام ؟ هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولما مات الرسول ﷺ وارتجف الصحابة ، وأصابتهم المصيبة حتى فقدوا توازنهم عند المصيبة ، إلا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقوة إيمانه ، فإنه ثبت وأخبرهم أن النبي ﷺ قد مات ، وقال : « ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت » ، فثبت في هذه الحادثة العظيمة ثبات الجبال ، وله مواقف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لم يقفها غيره من الصحابة فدل على فضله ، ولذلك كان الصحابة يعترفون له بالفضل ، ويقدمونه .

(١) فأفضل الأمم أمة محمد ﷺ ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ، ووصفهم الله بأنهم خير أمة أخرجت للناس في الأولين والآخرين ، وأفضل هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة أبو بكر ، ثم بقية الخلفاء الراشدين ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة .

ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[(١)] [فاطر : ٣٢] وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في « المسند » : « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله »[(٢)]

(مسند أحمد / ٢٠٠١٥ ، وإسناده حسن) .

وأفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول[(٣)] ، وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه ، أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (صحيح البخاري / ٢٥٠٨ - صحيح مسلم / ٢٥٣٥) ، **وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه . وفي الصحيحين أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل**

---

(١) ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ : يعني القرآن ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا ﴾ : فهذا فيه فضل هذه الأمة ، أن الله اصطفاهم ، فهي مصطفاة ومختارة من الله ﷻ .

(٢) وهذا الحديث يدل على فضل هذه الأمة ، وأن ذلك يظهر يوم القيامة إذا اجتمعت الأمم ، سبعون أمة ، هذه الأمة هم خيرها وأكرمها على الله ﷻ .

(٣) وأفضل أمة محمد ﷺ هم القرن الأول ، وهم الصحابة الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، وصحبوه وتعلموا منه ، وجاهدوا معه ، ثم من بعدهم القرن الثاني ، وهم جيل التابعين ، الذين تتلمذوا على صحابة رسول الله ﷺ ، ثم من بعدهم الجيل الثالث ، وهم أتباع التابعين الذين تعلموا على التابعين . هذه خير القرون ، « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » شهادة الرسول ﷺ للقرون المفضلة من هذه الأمة .

أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[١] (صحيح البخاري / ٣٤٧٠ - صحيح مسلم / ٢٥٤١) .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة[٢] . قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[٣] [الحديد / ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) وهذا الحديث فيه فضل الصحابة ، والنهي عن تنقُّصهم وسبهم : « لا تسبوا أصحابي » ، وهذا فيه تشريف لهم ، أن الرسول ﷺ سماهم أصحابه ، ونهى عن سبهم ، وبيَّن ﷺ ما لهم من الفضل ، فقال : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً » ، أنفقه في سبيل الله « ما بلغ مد أحدهم » ، وهو ربع الصاع الذي يتصدق به الصحابي « ولا نصيفة » ولا نصف المد أيضاً ، وكفى بذلك فضلاً لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(٢) السابقون الأولون أفضل من بقية الصحابة ، والسابقون الأولون : هم الذين أسلموا قبل الفتح ، وهم أفضل ممن أسلموا بعد الفتح - فتح مكة - والمراد به هنا صلح الحديبية ؛ لأن صلح الحديبية مُقدِمة لفتح مكة ، وسماه الله فتحاً ، فأنزل فيه سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] أي : صلح الحديبية ، وأما قوله سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] فالمراد به : فتح مكة .

(٣) ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : الذين أسلموا قبل الفتح ، والذين أسلموا بعد الفتح ، ولكن الذين أسلموا قبل الفتح أفضل ، والإسلام دين العدل ، وينزل الناس منازلهم .

﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[(١)] [التوبة : ١٠٠] .

والسابقون الأولون : الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والمراد بالفتح : صلح الحديبية فإنه كان أول فتح مكة[(٢)] ، وفيه أنزل الله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا . لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح : ١-٢] ،

---

(١) ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ : وهم الذين أسلموا قبل الفتح ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ : اتبعوا السابقين الأولين ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ يعني بإتقان ، أما من ينتسب إليهم وهو لم يتَّبعهم بإحسان ، هذا لا يحصل على هذا الفضل ؛ لأن هناك من ينتسب إلى السلف وهو لا يعرف منهج السلف ؛ بل يُلصق بالسلف ما لم يكن من منهجهم من الغلو ، والخروج على ولاة الأمور ، وغير ذلك ، فهذا لم يتبعهم بإحسان ، الذي يتبعهم بإحسان هو الذي عرف منهجهم واتبعه من غير غلو ، ومن غير تساهل وإضاعة ، ما كل مَنْ قال أنا من السلف ، أو أنا على منهج السلف يكون صحيحاً ، حتى يفهمه أولاً ، ثم يمشي عليه ثانياً ، ولا يتجاوزه بإفراط أو تفريط ، هذا هو الذي اتبعهم بإحسان .

(٢) صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة ، وهو في السنة السابعة من الهجرة ، وبعده غزا رسول الله ﷺ خيبر ، فتحها الله عليه ، ثم في السنة الثامنة فتح الله مكة لنبيه محمد ﷺ ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ . وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر : ١-٢] ، جاءت الوفود من القبائل إلى رسول الله ﷺ تبايعه ، وتعلن إسلامها بعد فتح مكة .

فقالوا : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟ قال : « نعم »[(١)] .

وأفضل السابقين الأولين : الخلفاء الأربعة[(٢)] ، وأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر[(٣)] ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ،

(١) مع أن صلح الحديبية لم يظهر لكثير من الصحابة أنه من مصلحة المسلمين ؛ بل كانوا متضايقين منه كعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره ، ويرون أن فيه هضماً للمسلمين ، وعزاً للكفار ، بينما الواقع خلاف ذلك ، فصار فتحاً مبيناً : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ؛ لأن الحرب وضعت أوزارها ، وارتفعت سلطة الكفار عن القبائل ، وصار من يريد الإسلام يسلم ولا يخاف ، وارتفعت يدهم عمن يريد الهجرة ، فكانوا ينطلقون من مكة مهاجرين آمنين ، بينما كانوا في الأول يخرجون مختفين ، وعلى خطر وعلى خوف ، فهو عظيم ، وأيضاً صار ممهداً لفتح مكة .

(٢) أفضل السابقين الأولين : الخلفاء الأربعة ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ، ثم أصحاب بدر ، ثم أصحاب بيعة الرضوان ، كلهم أهل فضائل ، فضائل إلى فضائل ، فما بالك بالذي جمع هذه الفضائل كلها ، جَمَعَ الأسبقية في الدخول في الإسلام ، وهاجر في سبيل الله ، وشهد بدراً ، وشهد فتح مكة ، وشهد المغازي مع رسول الله ﷺ كلها ، ماذا يكون فضله ؟!

(٣) هذا لا خلاف فيه بين أهل السنة : أن أفضل الصحابة ؛ بل أفضل الأمة : أبو بكر ، ثم عمر ، لا أحد ينازع في هذا من أهل السُّنَّة ، واختلفوا في الثالث : هل هو عثمان أو علي ؟ اختلفوا في هذا ، والراجح أنه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لأن الصحابة اختاروا عثمان ، حتى علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ممن اختار عثمان في أصحاب الشورى ، اختاروا عثمان ؛ لأنه الأفضل بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وأئمة الأمة وجماهيرها[١] ، وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في « منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية »[٢] .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء[٣] ، ولا يكون من بَعْدَ الصحابة أفضل من الصحابة[٤] .

وأفضل أولياء الله تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول ﷺ واتباعاً له[٥] ، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه ،

---

(١) لا يخالف فيه إلا أهل الضلال من الشيعة وغيرهم .

(٢) كتاب المنهاج في الرد على الحِلِّي الشيعي ، سمى كتابه : « منهاج الكرامة في الإمامة » فردَّ عليه شيخ الإسلام بـ« منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية » ، وهناك اسم آخر : « منهاج الاعتدال في الرد على أهل الرفض والاعتزال » ؛ لأنه رد على الشيعة والمعتزلة .

(٣) لكن الشيعة يقولون : عليّ هو أفضل بعد الرسول ، وأهل السنة يقولون : أبو بكر ، وكلاهما : أبو بكر وعلي من الخلفاء الأربعة .

(٤) هذه قاعدة : لا يكون من بَعْد الصحابة أفضل من الصحابة ، أبداً مهما بلغ من العلم والفضل ، فإنه لا يصل إلى مرتبة الصحابة ؛ لأن الصحابة يمتازون بصحبة الرسول ﷺ ، وهذه مرتبة لا ينالها غيرهم ، أما من جاء بعدهم ، وإن كان له فضل وعلم وعمل ، لكن يفقد صفة الصحبة للرسول ﷺ ، فهم أفضل القرون .

(٥) أفضل الأولياء أعظمهم معرفة لما جاء به الرسول ﷺ ، وأعظمهم اتباعاً له ، هذا هو أفضل الأولياء ، لا كما تقول الصوفية : أفضل الأولياء خاتم الأولياء ، وبعضهم يقول : خاتم الأولياء أفضل من الرسل .

وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكمل معرفة بما جاء به ، وعملاً به ، فهو أفضل أولياء الله[١] ، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، وأفضلها

---

(١) أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لازم النبي ﷺ من بعثته إلى وفاته ، وأنفق ماله في سبيل الله ، حتى إنه لا يدَّخر لنفسه شيئاً ؛ بل ينفق ماله وما وصل إليه من المال في سبيل الله ، ودخل معه الغار ، وهاجر معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولما توفي الرسول ﷺ حصل للمسلمين هذا الارتجاج بسبب عِظم المصيبة ، وثبت أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثبَّتهم على هذه المصيبة واحتساب الأجر وعدم الجزع ، وخطب فيهم ، حتى إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقرَّ له في هذا الموقف المخيف ، ثم لما ارتدَّت العرب هو الذي وقف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حتى ثبّت الله به الإسلام ، وكان الصحابة يلومونه ، يقولون : كيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إلـٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقال : والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الرسول ﷺ قال : « إذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، وإن الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها ، فبذلك وطّد الله الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، وهزم المرتدين والمنافقين وثبَّت الله الإسلام بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهذه مواقف عظيمة ، مواقف الجبال الرواسي عند الشدائد ، لم يقفها إلا أبو بكر ؛ لقوة إيمانه ، وصدق يقينه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصبره على المحن والمصائب .

وفي الحديبية استشكل الصحابة الصلح ، حتى إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب إلى أبي بكر ، وقال له : كيف نُعطي الدَّنيَّة في ديننا ؟ ، فقال أبو بكر : أليس هو رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : الزَم غرزَه ، ولا تخالفهُ . فهذا موقف أبي بكر أيضاً من صلح الحديبية ، لم يحصل عنده أي تردد ، أو أي إشكال ، لقوة إيمانه أنه رسول الله ﷺ ، وأنه لا يمكن أن يُقدِم على شيء إلا بأمر الله ﷻ ، فلا اعتراض أبداً ولا استشكال .

أصحاب محمد ﷺ ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه[١] .

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء[٢] ، قياساً على خاتم الأنبياء[٣] ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء[٤] ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي[٥] ، فإنه صَنَّف مصنَّفاً

---

(١) فضائل بعضها فوق بعض ، والله ﷻ يُعطي فضله من يشاء : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الرسل بعضهم أفضل من بعض ، فكيف بغيرهم ؟!

(٢) لما بيَّن منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الأولياء ، انتقل إلى بيان منهج الصوفية ، أهل الضلال في الأولياء ، فمنهم من يقول أن خاتم الأولياء وهو آخرهم أفضل من بقية الأولياء ، وإن كانوا أسبق منه ، وهذا ضلال ، وأشدّ من هذا من قالوا : إن خاتم الأولياء أفضل من الرسل ، هذا أشد في الكفر – والعياذ بالله – .

(٣) يقولون : كما أن خاتم الأنبياء محمد ﷺ أفضل ممن سبقه من الأنبياء ، فكذلك خاتم الأولياء أفضل ممن سبقه من الأولياء .

(٤) خاتم الأولياء هذا مُحدَثٌ ، العبَّاد والصوفية الأولون وأهل الزهادة والنُّسك ما تكلموا بهذا ، إنما تكلَّم بهذا المتأخرون من مشايخ الصوفية ، وابتكروا قضية خاتم الأولياء .

(٥) الحكيم الترمذي هذا عالمٌ من العلماء لكن عنده تصوُّف ، وعنده فلسفة أيضاً ، وله شطحات ، وهو مؤلف كتاب « نوادر الأصول » في الحديث ، فهو صوفي وعالم ، لكن دَاخَلَه شيء من الفلسفة ، ومن التصوُّف ، حتى صار حوله كلام في فضله وفي مكانته ، وهو الذي ابتكر هذه المسألة ، فجعل للأولياء خاتماً هو أفضلهم ، كما جعل الله للأنبياء خاتماً هو أفضلهم ، وهو محمدٌ ﷺ .

غلط فيه في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء[١] ، ومنهم من يدَّعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله[٢] ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته[٣] ، كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب « الفتوحات المكية » ، وكتاب « الفصوص »[٤] ، فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء

---

(١) لما وُجِدت هذه الوظيفة ، كل واحدٍ يدَّعيها وهي أصلها باطلة ، وخرافة ، لكن صار كل واحد يدَّعي أنه خاتم الأولياء ، من أجل أن يحوز على هذا الفضل المزعوم .
والأولياء أفضلهم أتقاهم لله ، وأقواهم إيماناً ، ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] ليست للمتقدم ولا للمتأخر ، وإنما هذا فضلٌ يؤتيه الله من يشاء .

(٢) هذا أعظم ضلالاً - والعياذ بالله - ؛ بل هذا كفرٌ بالله - نسأل الله العافية - ، ولكن الذي فتح هذا الباب هو الحكيم الترمذي ، فيدَّعون أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ؛ لأنهم يقولون : إنه يأخذ عن الله مباشرة ، بخلاف الأنبياء فإنهم يأخذون عن الله بواسطة المَلَك ، وأما الأولياء فإنهم يُجالسون الله ﷻ ، والله يُعلِّمهم ، فهم يتعلمون على الله ، انظر إلى الضلال أين يصل بالإنسان !!

(٣) حتى إنه يقول : إن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهة خاتم الأولياء ، لماذا ؟ لأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة ، فالأنبياء يستفيدون منه .

(٤) ابن عربي الطائي الحاتمي ، الذي وصل به الضلال والكفر إلى أن يقول بوحدة الوجود - والعياذ بالله - وأنه ليس هنالك انقسام خالق ومخلوق ؛ بل الوجود كله =

الله تعالى وأوليائه[١] ، كما يقال لمن قال : فخرَّ عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن[٢] .

وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة[٣] ، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف الأنبياء كلهم[٤] ؟! والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله

هو الله ، والذي يقول : هناك خالق ومخلوق ، هذا مشرك عند ابن عربي ، انتهى به الضلال إلى هذا الحدّ .

(١) قال مقالة لم يقلها أحد ممن سبقه ومن يأتي بعده ، وهو القول بأن الأولياء مشايخ للرسل ، وأن الرسل يأخذون منهم .

(٢) يقال : إنّ قارئاً يقرأ « فخر عليهم السقف من تحتهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » ، فقالت له امرأة أعرابية : انظر في القرآن ، السقف من فوق وليس من تحت ، فلا عقل ولا قرآن ، القرآن ليس هكذا ، وهو ليس عنده عقل يميّز أن السقف يكون من فوق وليس من أسفل ، فهذا مثل ابن عربي ، الذي يقول : إن الرسول يأخذ من الولي ، الأعلى يأخذ ممن تحته !!

(٣) الظاهر أسبق في الزمان ؛ لأن قوله : أفضل في الزمان غير واضح ، لكن الصواب الأنبياء أسبق في الزمان من الأولياء ، والأولياء جاءوا من بعدهم . فكيف يكون السابق يأخذ عن اللاحق ؟! السابق بقرون يأخذ عن اللاحق المتأخر ، هذا لا يقوله عقل ، هذا مثل من يقول : خرّ عليهم السقف من تحتهم .

(٤) الأنبياء أفضل من الأولياء ، فكيف بالرسل عليهم الصلاة والسلام ؟! الرسل أفضل من الأنبياء .

ممن يأتي بعدهم ، ويدَّعي أنه خاتم الأولياء[١] ، وليس آخر الأولياء أفضلهم[٢] ، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم[٣] ، فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ، كقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[٤] .

وكقوله : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، أن لا أفتح لأحد قبلك »[٥] .

---

(١) كيف أنّ الأولياء يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ؟! هل يُعقل أن يستفيد المتقدم من المتأخر بأزمان وقرون ؟! هذا لا يقوله عاقل .

(٢) هذه المسألة مُنَازع فيها أيضاً ، ليس خاتم الأولياء - على القول بوجوده ، مع أنه فرضي وليس بحقيقي - بأفضل ممن سبقه من الأولياء ، الذين سبقوه أفضل منه .

(٣) القياس هذا باطل ، يقولون : إن آخر الأولياء هو أفضلهم ، كما أن آخر الأنبياء - وهو محمد ﷺ - هو أفضلهم ، هذا قياس باطل ، فرقٌ كبير بين الولي والرسول ، فهو قياس مع الفارق .

(٤) قوله ﷺ : « أنا سيِّد ولد آدم » جميعاً وفيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم قال: « ولا فخر » ، يعني أنه لم يُخبِر بهذا من باب الافتخار ، وإنما هو من باب التحدُّث بنعمة الله ﷻ .

(٥) هذا يدل على أنه أفضل الخلق ﷺ ؛ لأنه أول من يستفتح باب الجنة ، ولم يؤذن للمَلَك الخازن للجنة أن يفتح لأحد قبل محمد ﷺ ، فهذا دليل على فضله ﷺ ، وهذا ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة لا بالادِّعاء ، كما تقوله الصوفية لخاتم الأولياء .

وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم(١) ، فكان أحقهم بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾(٢) [البقرة : ٢٥٣] إلى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتيه الوحي من الله ، لاسيما محمد ﷺ(٣) ، لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره(٤) ،

---

(١) حتى تجاوز السبع الطباق من السماء ليلة المعراج ، وهذه مرتبة لم يصلها النبيون ؛ لأن الأنبياء في السماوات ، كلما يأتي على سماء يمر على من فيها من الأنبياء ، حتى جاوز السموات السبع ، فصار فوق الأنبياء .

(٢) ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الله يُفضِّل بعض الخلق على بعض ، الرسل وغيرهم ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ وهو موسى عليه السلام ، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ كما رفع محمداً ﷺ ، ولكن كما سبق هذا إنما يُذكر من باب البيان والشكر لله ، ولا يُذكر من باب المفاخرة وتنقّص المفضول ، ولهذا قال ﷺ : « لا تفضلوا بين أنبياء الله » يعني مفاضلة فخر ، وقال : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متَّى » مفاضلة فخر .

(٣) وميزة الأنبياء على غيرهم أنهم يأتيهم الوحي من الله ﷻ ، وأما غيرهم فلا يُوحى إليه ، لا يُوحى إلا إلى الأنبياء ، فهم أفضل الخلق ؛ لاختصاصهم بتلقي الوحي من الله ﷻ .

(٤) فالأنبياء لا يحتاجون في نبوّاتهم إلى غيرهم ، كما تقوله الصوفية من أنهم محتاجون إلى خاتم الأولياء وأنهم يستفيدون منهم ، الرسل لا يحتاجون إلى غيرهم من الخلق ، لأن الله أغناهم بالوحي المنزَّل عليهم ، وأكملهم في ذلك نبينا محمد ﷺ ، فإن الله جعل شريعته ناسخة للشرائع قبلها ، وأمر جميع أهل الأرض من الجنِّ والإنس باتباعه وحده .

فلم تحتج شريعته إلى سابق ، ولا إلى لاحق[١] ، بخلاف المسيح عليه السلام أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة[٢] ، وجاء المسيح فكمّلها[٣] ، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح ، كالتوراة والزبور ، وتمام الأربع وعشرين نبوة[٤] ، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى مُحدَّثين[٥] ، بخلاف أمة محمد ﷺ ، فإن الله أغناهم به ، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ، ولا

---

(١) شريعته ناسخة لما قبلها ، لم تحتج إلى سابق من شرائع الأنبياء ، ولا لاحق من خاتم الأولياء ، كما يقولون .

(٢) المسيح عليه السلام رسول من الرسل ، ولكنه لم ينزل عليه كتاب شريعة مستقل ، وإنما كان يحكم بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ، إلا أنه نَسَخَ شيئاً من التوراة ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران :٥٠] ، وأما في الجملة فإنه متّبعٌ للتوراة التي أنزلها الله على موسى ، وكل أنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] النبيون من بني إسرائيل يحكمون بها .

(٣) إنَّما جاء بمكمِّلات فقط ، وأما الأصل فهو التوراة .

(٤) كان بنو إسرائيل محتاجين إلى التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ، محتاجين إلى الأنبياء السابقين ، بخلاف محمد ﷺ فإن الله أعطاه شريعة كاملة ، لا تحتاج إلى ما سبق ولا إلى شيءٍ يأتي .

(٥) مُحَدَّثِين : يعني ملهمين ، محتاجين إلى مُلهمين ؛ لأن المحَدَّث هو الملهَم .

إلى محدَّث[١] ؛ بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرَّقه في غيره من الأنبياء[٢] ، فكان ما فضَّله الله به من الله ، بما أنزله إليه ، وأرسله إليه ، لا بتوسط بشر[٣] .

---

(١) أمة محمد أغناهم الله برسول الله ﷺ ، وما أنزله الله عليه ، فليسوا بحاجة إلى الأنبياء السابقين ، وليسوا بحاجة إلى المحدَّثين الملهمين ؛ لأن الشريعة كاملة من كل وجه ، لم يحتاجوا بعده ﷺ إلى نبي ، إلى أن تقوم الساعة ؛ لأن شريعته كافية شاملة ، فليسوا بحاجة إلى نبي بعد الرسول ، فمن جاء يدَّعي النبوة فهو كاذب وكافر ، ومن صدَّق المتنبئين بعد الرسول ﷺ فهو كافر ؛ لأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين ، وهذا بنصّ القرآن والسُّنَّة ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وقال ﷺ : « أنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي » ، أما الأولياء فإنهم لم يُختموا إلى أن تقوم الساعة ، وكل من أطاع الله ورسوله واتقى الله ، فإنه وليٌّ لله ﷻ .

(٢) نبينا محمد ﷺ جمع الله له من الفضائل والعلوم والمعارف ، ما فرَّقه في الأنبياء السابقين ، هذه الشريعة مشتملةٌ على كل ما تحتاجه البشرية ، في كل زمان ومكان ؛ لأن الله شهد لها بالكمال ، قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] والكامل لا يحتاج إلى غيره ، لا من السابق ولا من اللاحق .

(٣) الفضل الذي آتاه الله رسوله ﷺ هو من الله ، ليس بواسطة بشر ، فهذا ردٌّ على الذين يقولون : إنّ الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء ، ويحتاجون إليهم ؛ لأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله مباشرة – تعالى الله عمَّا يقولون – .

وهذا بخلاف الأولياء ، فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ ، لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ[١] ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد ﷺ[٢] ، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه ، لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه[٣] . ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهو كافر ملحد[٤] ، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد في علم

---

(١) لا يكون ولياً لله بعد بعثة محمد ﷺ إلا من اتَّبعه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [المائدة : ٩٢] ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢] ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

(٢) ما حصل للولي فإنما هو بواسطة محمد ﷺ ، لأن ذلك باتِّباعه ، والاقتداء به ، لا العكس ، لا أن محمداً يأخذ عن خاتم الأولياء .

(٣) كذلك الأولياء قبل بعثة محمد ﷺ ، إنما كانوا أولياء باتباعهم للرسل الذين هم في زمانهم ، فمن خالف الرسل فليس ولياً لله ؛ بل هو ولي للشيطان ، ولا طريق إلى الله ﷻ إلا عن طريق الرسل ، واتِّباع الرسل ، وليس هناك طريقاً آخر غير طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فمن زعم أنه يصل إلى الله بدون طريقة الرسل ، فإنه كافر وضال .

(٤) بلا شك ؛ كافر ملحد ، هؤلاء الصوفية الذين يقولون : إنّ الناس بحاجة إلى خاتم الأولياء حتى الرسل بحاجة إلى خاتم الأولياء ، هذا أعظم الكفر والإلحاد – والعياذ

=

الظاهر ، دون علم الباطن(١) ، أو في علم الشريعة ، دون علم الحقيقة ، فهو شرٌّ من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب(٢) ، فإن أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : إن محمداً بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر(٣) ،

بالله - ؛ لأن الولي ما صار ولياً إلا باتباعه للرسول ﷺ ، فمن لم يتّبع الرسول فليس ولياً لله ، إنما هو ولي للشيطان .

(١) منهم من يقول : أنا محتاج إلى الرسول في علم الظاهر فقط ، أما علم الباطن ، علم القلوب ، فهذا لا أحتاج إلى محمد ، أنا آخذه عن الله مباشرة ، فهذا أعظم الكفر أيضاً ، فإننا بحاجة إلى محمد ﷺ في علم الظاهر وعلم الباطن ، فلا تهتدي القلوب ولا تؤمن القلوب إلا باتباع النبي ﷺ ، ولا يُسلم الإنسان في الظاهر إلا باتباع الرسول ﷺ .

(٢) الذين يقولون : نحن لا نحتاج إلى الرسول في علم الباطن ، وإنما نحتاجه في علم الظاهر ، فهذا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، وهو أشدّ كفراً من اليهود والنصارى الذين يعترفون بأن محمداً رسول ، ولكنهم يقولون : إنه رسول إلى العرب فقط ، وليس رسولاً إلى اليهود والنصارى ، فهذا من أعظم الكفر ؛ لأن رسالة محمد ﷺ عامة للثقلين الجن والإنس ، وأشدّ منه كفراً من يقول : أنا أؤمن بما جاء به في الظاهر ، وأما الباطن فأنا أصل إلى الله بدون الرسول .

(٣) الرسول جاء بعلم الظاهر وعلم الباطن ، أما من يقول : إنه جاء بعلم الظاهر فقط فهذا يؤمن ببعض الكتاب - وهو الظاهر - ويكفر ببعض - وهو الباطن - فهو
=

وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الإيمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة(١) . فإذا ادعى المدَّعي ، أن محمداً ﷺ ، إنما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الإيمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادَّعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ﷺ دون البعض الآخر(٢) ، وهذا شر ممن يقول : أو من ببعض ،

كافر ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١] ضروري أن تعرفوا هذه الأمور ؛ لأن هؤلاء استفحل أمرهم في هذا الزمان وصاروا يُمثِّلون المسلمين والإسلام عند كثير من الناس ، وعند كثير من الدول ، فلابد من معرفة حقيقتهم .

(١) إيمان القلوب أشرف من الإيمان الظاهر ، والإسلام الظاهر ، إذا لم يكن في القلب إيمان ، حتى لو أن الإنسان صلى وصام ، لا تنفعه أعماله حتى يكون مؤمناً ظاهراً وباطناً .

(٢) هذا في الرد على غُلاة الصوفية ، التصوُّف - كما هو معلوم - نشأ في بداية أمره يُراد به الاجتهاد في العبادة والتّقشُّف وإظهار الزهد ، وهذا في حدِّ ذاته ليس بمحمود ؛ لأنه من التَّشدد في دين الله ، ومن المشقة على النفوس ، ولما أراد نفرٌ من أصحاب رسول ﷺ أن يشددوا على أنفسهم في الصلاة والصيام والتّبتُّل رد عليهم ﷺ ، وغضب غضباً شديداً ، وقال : « أما أنا فأصلي وأنام ، وأصوم وأُفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » الدين دين الوسط والاعتدال ؛ لأن الوسطية والاعتدال يستمر معها الإنسان ويرتاح معها ، أما التشدد فإنه يشق على الإنسان ثم ينفر ، ويترك المضي في العبادة ؛ لأنه بشر لا يستطيع أن يصمد أمام المشقة

=

طويلاً ، المطلوب من المسلم الاستمرار على العبادة ، وفي الحديث : « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ » (صحيح مسلم/ ٢٨١٨) والرسول ﷺ وصف المتشدد الغالي في العبادة بالمنبتّ ، الذي انقطع في أثناء السفر ، حمل على راحلته ، وشدد عليها في السير ، حتى انقطعت ، فبقي في منتصف الطريق ، أو في أول الطريق ، فهو لا ظهراً أبقى ، ولا مسافةً قطع ، قال ﷺ : « فإن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى » (السنن الكبرى للبيهقي/ ٤٧٤٣ ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير/ ٢٠٢٢) ، فهذه صفة المتشدد في الدين ، هذا من ناحية ، هذا محظور عظيم ، والمحظور الثاني أشد ، وهو أنه إذا فتح لنفسه هذا الباب ، وعمل عملاً ليس عليه هدي الرسول ﷺ ، فإن هذا يجرُّه إلى الإلحاد في دين الله ، كما حصل لمتأخري الصوفية ، فإن تصوّفهم آل بهم إلى الإلحاد - كما ستسمعون الآن من طريقتهم - حتى قالوا : إن الولي خير من النبي ، وهل هناك أفضل من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ هم يقولون : الأولياء - يعني الأولياء من الصوفية - أفضل من الأنبياء ، لماذا ؟ لأنهم يأخذون عن الله مباشرة ، فهل هناك أحد يأخذ عن الله مباشرة من البشر ؟! لا أحد يأخذ إلا بالوحي المنزَّل ، أو الكلام المسموع من وراء حجاب كموسى عليه السلام ، أما أن يأخذ عن الله مباشرة ، أو كما يزعمون أنه يُجالس الله - تعالى الله عن ذلك - ويقولون : إن الأنبياء يأخذون من الأولياء ؛ لأن الأولياء يأخذون عن الله مباشرة ، والأنبياء يأخذون عن الأولياء ، انظر كيف بلغ بهم الخروج عن دين الله ﷻ !! كله أصله من البدعة ، البدعة تجر إلى شرّ ، لكن قد يكون هذا الشر قليلاً ، وقد يكون كثيراً ، فالبدعة لا خير فيها ، ولذلك حذَّر منها النبي ﷺ غاية التحذير ، فهم يقولون : إن الأولياء أفضل من الأنبياء ، وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ، لأن الأولياء يأخذون عن الله ، ويقصدون بالأولياء : الصوفية ، بلغ بهم الوقاحة والجرأة إلى هذا الحد ، والسبب في هذا هو فتح باب البدعة ، والخروج عما شرعه الرسول ﷺ ، ويقولون : إن النبي يأخذ من علم الظاهر ، وأما الأولياء يأخذون من علم الباطن ، فهم يعلمون شيئاً لا

=

ولا يدَّعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين[١] .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الوَلاية أفضل من النبوة[٢] ، ويُلَبِّسون على الناس ، فيقولون : وَلايته أفضل من نبوته ، وينشدون :

مَقَامُ النُّبـوَةِ في بَرْزَخٍ فُويقَ الرَّسُولِ ودَون الوَلِيّ[٣]

يعلمه النبي ، لأن الأنبياء إنها يأخذون بالأمور الظاهرة ، ويأمرون الناس بالأمور الظاهرة ، وأما الأولياء فهم يعرفون الحقائق والأمور الباطنة ، وهم يتبعون الأنبياء في بعض الأمور ، فيكونون ممن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، كيف تطيع النبي في بعض الأمور وتخالفه في الأمر الآخر ، تفترق عنه وتزعم أنك خيرٌ منه ، هذا من الإيمان بالبعض ، بل هذا أشد من كفر اليهود ، الذين قال الله فيهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] ، تهديدات - والعياذ بالله - على من يؤمن ببعض ما جاء به الرسول ويكفر بالبعض الآخر ، فهم يقولون : نطيع الرسول في أمر الظاهر ، ولا نطيعه في أمر الباطن ، الرسول جاء بالأمر الظاهر والباطن ﷺ ، هم يقولون : لا ، نحن لا نطيع الرسول في الأمر الباطن ، إنها نطيعه في الأمر الظاهر فقط ، فهذا إيهان ببعض الكتاب وكفر ببعض .

(١) اليهود على أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، ما ادَّعوا أنّ الذي يؤمنون به أدنى القسمين ، أما الصوفية فيدَّعون أنّ هذا أدنى القسمين ، وأن هذا من الظاهر فقط وهو أدنى من الباطن .

(٢) الولي أفضل من النبي ، والوَلاية أفضل من النبوة ؛ لأن الولي يأخذ عن الله مباشرة .

(٣) (مقام النبوة في برزخٍ) البرزخ هو : الحاجز بين الشيئين ، (فويق الرسول ودون الولي) فالنبي أفضل من الرسول عندهم ، ولكنه مع فضله هو دون الولي ، فالولي أفضل من النبي ومن الرسول ، فهل بعد هذا الضلال ضلال ؟! وهذا البيت لابن عربي .

ويقولون : نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم[١] ، فإن وَلاية محمد ﷺ لم يماثله فيها أحد ، لا إبراهيم ولا موسى ، فضلاً عن أن يماثله هؤلاء الملحدون[٢] . وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي[٣] ، ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة

---

(١) يقولون : الرسول له ولاية وله رسالة ، والولاية أفضل من الرسالة ، فنحن شاركناه في الوَلاية ، وإن اختصّ عنا بالرسالة ، فالوَلَاية أفضل من الرسالة .

(٢) نبينا محمد ﷺ ، هو خاتم النبيين ، وبعثه الله إلى الناس كافة ، وخصّه بخصائص ليست لغيره ، فهو أفضل النبيين ﷺ ، من شكّ في هذا فهو كافر ، من فضّل أحداً على محمد ﷺ فهو كافر ، لو فضّل نبياً من الأنبياء على محمد صار كافراً ، فكيف بالذي يُفضِّل الصوفي على محمد ﷺ ، هذا أعظم الكفر وأعظم الضلال .

(٣) الرسالة أعلى شيء ، بعدها النبوة ، ثم بعدها الوَلاية ، لأن الرسول هو من أوحي إليه بشرع وأُمِر بتبليغه ، وأما النبي فهو من بُعِث بشريعة من قبله ، كأنبياء بني إسرائيل بُعِثوا بالتوراة التي أُنزلت على موسى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] يحكم بها النبيون الذي جاؤوا من بعده ، فالرسول أفضل من النبي ، والنبي أفضل من الولي ، هذا بالإجماع ، فلا أحد يساوي النبي في فضله ، ولا أحد أفضل منه إلا الرسول ، هم يقولون بالعكس ، يقولون : نحن أفضل من الأنبياء ، والأنبياء أفضل من الرسل ، فهم جعلوا أنفسهم في الدرجة العليا ، وجعلوا الرسول أسفل شيء ، الولي ثم النبي ثم الرسول . وقوله : (وكل رسول نبي ولي) هذه قاعدة ، وهي : الرسالة أعم من النبوة ، فكل رسول فهو نبي ، وليس كل نبي رسولاً .

لوَلايته[١] ، وإذا قدَّروا مجرد إنباء الله إياه بـدون وَلايتـه لله ، فهـذا تقـدير ممتنع[٢] ، فإنه حال إنبائه إياه ، ممتنع أن يكـون إلا وليـاً لله[٣] ، ولا تكـون مجردة عن وَلايته[٤] ، ولو قُدِّرت مجردة ، لم يكن أحد ممـاثلاً للرسـول ﷺ في ولايته[٥] .

---

(١) اجتمع له ﷺ الرسالة والنبوة والوَلاية ، فهل يكون صوفي خبيث أفضل من الرسول ﷺ ؟!

(٢) ممتنع أن الله يرسل من ليس ولياً له ، هل يقول هذا عاقل ؟ أنّ الله يرسل من ليس ولياً له ، الصوفية يلزم على كلامهم هذا ، أن الله أرسل من ليس من أوليائه ؛ لأن أولياء الله هم الصوفية عندهم .

(٣) الله ﷻ لا يرسل إلا من هو من أوليائه ، لا يرسل من هو من أعدائه .

(٤) ليس هناك نبوة مجردة عن الولاية ، الرسالة متضمنة للنبوة - كل رسول نبي - والنبوة متضمنة للولاية - كل نبي فهو ولي - ولا عكس ، ليس كل ولي يكون رسولاً أو نبياً ، حَسْبُ الولي فضلاً وشرفاً أن يكون متَّبِعاً للرسول ﷺ ، ولا يكون ولياً بدون ذلك ، لو كان لا يتّبع الرسول كان عدواً وليس وليّاً .

(٥) هو أكمل الأولياء ولاية لله ﷺ ، فهو خيرته من خلقه ، وخاتم أنبيائه ، وأفضل رسله ، ويظهر فضله يوم القيامة في الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود حينما يتأخر أولو العزم عن الشفاعة ويُقدِم عليها هو ﷺ .

وهؤلاء قد يقولون ، كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربي[١] : إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول[٢] (انظر : فصوص الحكم لابن عربي ١ / ٦٣) **، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة[٣]، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا: إن الأفلاك قديمة أزلية ، لها علة تتشبه بها[٤] ، كما يقوله أرسطو وأتباعه[٥] .**

---

(١) ابن عربي له كتب في الإلحاد ، منها كتاب « فصوص الحكم » ، ومع الأسف هو مطبوع ومحقق ، وقد يباع في بعض مكتباتنا ومعارضنا مع أنه إلحاد ، وله كتاب « الفتوحات المكية » ، سماه فتوحات يعني أن الله فتح عليه بها وهو في مكة ، لأنه ألَّف هذا الكتاب في مكة ، فسماه « الفتوحات المكية » .

(٢) الرسول والنبي يأخذان عن المَلَك ، وهم لا يحتاجون إلى المَلك يأخذون من المعدن الأصلي ، فهم بهذا صاروا أفضل من الرسول ومن النبي ، انظر كيف الشيطان يصل بهم إلى هذا الحدّ!! ولهم كلام يأتي في العقل ، وأن الصوفية في النهاية اعتنقوا الفلسفة ، ودخلت عليهم فلسفة اليونان الملحدة ، ومنهم من دخلت عليهم البرهمية الهندية من الصوفية .

(٣) أخذوا الفلسفة وسموها مكاشفة ، ولم يسموها فلسفة ، وأن أسراراً ظهرت لهم ، وهم سرقوها من الفلاسفة السابقين ، ونسبوها إلى أنفسهم ، وقالوا : إنها مكاشفات تحصل لنا بسبب الوَلاية ، واطِّلاعاً لم يطَّلِع عليه غيرنا .

(٤) الفلاسفة القدامى من اليونان لا يؤمنون بالله ، ولا أنه هو الخالق ، وإنما يقولون : إن الأفلاك هي التي تُحدِث الأشياء ، والأفلاك قديمة ليست محدثة ، فهم يقولون : بقِدم العالم .

(٥) أرسطو من قادة الفلاسفة اليونانيين ، وهو ملحد .

أو لها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله[١] ، ولا يقولون : إنها لرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام[٢] ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته[٣] ، ولا يعلم الجزئيات[٤] ؛ بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها[٥] ، كما يقوله ابن سينا ، وحقيقة هذا القول : إنكار علمه

---

(١) ابن سينا الذي يسمونه الرئيس ، أبو علي ابن سينا ، وهو أصله من الإسماعيلية ، ودخل في الفلسفة ، وصار ملحداً ، وزاد إلحاداً إلى إلحاد ، وأبوه كان يهودياً .

(٢) الله ﷻ أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام بما فيها الأفلاك ، وهي مجاري الكواكب : الشمس والقمر والنجوم ، فهي محدثة ومخلوقة ، وهم ينسبون الحوادث إلى النجوم ، وهذا نوعٌ من التنجيم ، والتنجيم أصله مأخوذ عن الفلاسفة ، فالله أخبر أنه خلق السموات والأرض بما فيها الأفلاك ، فدلّ على أن السموات والأرض محدثة ليست قديمة ، وأن الأفلاك محدثة ليست قديمة ، كما تقوله الفلاسفة .

(٣) أي : إنما توجد الأشياء ضرورة من طبيعة الأفلاك ، وليس لها رب يحدثها ويوجدها ويحييها ، ولا يؤمنون بالرب ﷻ ، ولا يؤمنون بالرسل ، وإنما يعتمدون على فلسفاتهم وأفكارهم .

(٤) وينفون عن الله علم الغيب ، وأنه لا يعلم الجزئيات التي تحدث في هذا الكون من الحوادث والمخلوقات المتجددة ، ولا يؤمنون بهذا كله ، وهذا مذهب الفلاسفة ، وغرض الشيخ أن يبيِّن من أين أخذ الصوفية هذا الإلحاد ، وأنهم أخذوها من هؤلاء الفلاسفة .

(٥) يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات ، كله ضلال ، فالله يعلم كل شيء سبحانه ، ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي[١] ، الأفلاك كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ، فمن لم يعلم إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات[٢] ، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان[٣] .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في « رد تعارض العقل والنقل » وغيره[٤] ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود

---

(١) الكليات لا وجود لها في الخارج ، إنما هي في الأذهان تخيلات ، أما الجزئيات فهي التي توجد في الخارج ، المواليد والنبات والحوادث هذه توجد في الخارج ويشاهدها الناس ، والكليات إنما هي خيالات في الأذهان لا في الأعيان ، هم يقولون : إن الله لا يعلم الجزئيات ، وإنما يعلم الكليات .

(٢) لأن الموجودات كلها جزئيات ، وأما الكليات فإنما هي تخيل في الذهن .

(٣) الكليات لا وجود لها في الخارج ، إنما هي خيال في الأذهان ، بخلاف الجزئيات فإنها تُشاهد وتوجد .

(٤) الشيخ ﷺ بسط الكلام في هذا في كتبه الأخرى ، التي نازل فيها الفلاسفة والملاحدة ، مثل كتاب « درء تعارض العقل والنقل » وهو كتاب جيد ، ويعتبرونه أقوى كتبه وأعظمها ، كتاب العقل والنقل ، يقول ابن القيم ﷺ :

وَاقْرَأْ كِتَابَ العَقْلِ والنَّقْلِ الَّذِي ... مَا فِي الوُجودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِ

(الكافية الشافية ص ١٩٧)

يعني : ليس له نظير في مؤلفات أهل العلم ، لأنه فصَّل فيه ، وغاص على أسرار ، وبينها وكشفها في هذا الكتاب ، لا أحد تناول هذه الأمور وبيَّنها ، مثل ما تناولها في كتاب العقل والنقل .

والنصارى[(١)] ؛ بل ومشركي العرب[(٢)] ، فإن جميع هؤلاء يقولون : إن الله خلق السماوات والأرض ، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته[(٣)] ، وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان[(٤)] ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ[(٥)] ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالإلهيات منهم بكثير[(٦)] ، ولكن

---

(١) اليهود والنصارى يؤمنون بأن الله خلق السموات والأرض ، يؤمنون بالرسل عموماً إيماناً مجملاً ، ويؤمنون باليوم الآخر ، ويؤمنون بالملائكة ، أما هؤلاء لا يؤمنون بشيء إلا ما يتخيلونه هم ، وكذلك من اتّبعهم من الصوفية ، كفره أعظم من كفر اليهود والنصارى .

(٢) لأن مشركي العرب يؤمنون بتوحيد الربوبية ، وهذا موجود في القرآن ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] الفلاسفة لا يقولون هذا ، يقولون : السماوات والأرض إنما هي قديمة غير مخلوقة .

(٣) مشركو العرب يرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، يؤمنون بتوحيد الربوبية ، وإنما خالفوا في توحيد الألوهية ، فعبدوا مع الله غيره .

(٤) في المتن « من المتفلسفة واليونان » والصواب بدون واو .

(٥) إنما يعرفون أمور الطبيعة ، لا يعرفون الأمور الإلهيات ، ولا يؤمنون بربّ .

(٦) اليهود والنصارى عندهم علم ، ولذلك سماهم الله أهل الكتاب ، وعندهم إيمان في
=

متأخروهم كابن سينا أرادوا أن يلفقوا بين كلام هؤلاء وبين ما جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[(١)] ، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة ، وركَّبوا مذهباً قد يعتزي إليه متفلسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع . وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم قد بهر العالم ، واعترفوا بأن الناموس الذي بُعث به محمد ﷺ ، أعظم ناموس طرق العالم[(٢)] ، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان[(٣)] ، الذين هم أبعد الخلق عن

الجملة ، لكن هؤلاء لا علم ولا إيمان . واليهود والنصارى قبل النسخ والتبديل كانوا على الإيمان ، واتباع موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وإنما كفروا بعد النسخ والتبديل .

(١) ابن سينا من الفلاسفة ، وهو ينتسب إلى الإسلام ، ولما رأى القرآن والسنة ، وأنهم لا يتوافقون مع قول الفلاسفة أراد أن يلفِّق بين قول الفلاسفة وبين ما يدل عليه القرآن والسنة ، فألبس الفلسفة ثوباً من التدين ، وزعم أنها لا تخالف القرآن ، وهذا تزييف على الناس ، وجَمْع بين النقيضين والضدين ، وهذا من التلبيس على الناس .

(٢) الناموس هو الشرع والوحي .

(٣) اليونان ينكرون الملائكة ، وينكرون الجن ، وينكرون علم الغيب ، ولكن ابن سينا وأضرابه لما رأوا أن الرسل جاءوا بذكر الملائكة وذكر الجن ، أرادوا أن يمرروا الفلسفة على المسلمين فكسوها شيئاً من التزوير ، وقالوا : إنها لا تخالف ما جاءت به =

معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[١] ، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها : المُجَرَّدات ، والمفارقات[٢] .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك : المفارقات ؛ لمفارقتها المادة ، وتجرُّدها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فَلَك نفساً ، وأكثرهم جعلوها أعراضاً ، وبعضهم جعلها جواهر[٣] .

وهذه المجرَّدات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان ، لا في الأعيان[٤] ، كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً مجردة ،

الرسل ، وسموا الملائكة باسم ، وكذا وكذا ، وأحدثوا أشياء ، يرمون بها الفلسفة القديمة ، ليدرِّجوها ، ويدخلوها على الناس ؛ لأنه يعز عليهم أن ينكشف عوارها وبطلانها .

(١) وهكذا طريقة أهل الضلال ، إذا رأوا أن الدليل عكس ما يقولون ذهبوا يؤولون الدليل ويصرفونه ويحرفونه حتى يوافق ما يقولون ، هذا الذي صنعه ابن سينا .

(٢) الفلاسفة لا يثبتون الملائكة ، يثبتون العقول العشرة التي تُصرِّف الكون ، وتتحكم في الكون .

(٣) بعضهم جعلها أعراضاً ، ويقول : الأفلاك لا وجود لها في الخارج ، وإنما هي أعراض ، والعَرَض هو : ما يقوم بغيره ، وهو ما يعرض ويزول ، مثل : السواد والبياض ، والألوان التي لا تقوم بنفسها ، وإنما تقوم بغيرها ، وأما الجواهر فهي الأجرام المركبة ، التي يتركب منها الجسم ، ويتركب منها الموجود ، وهي الجزئيات ، التي تتركب منها الأجسام ، ويسمونها الجواهر الفردة .

(٤) الجوهر والعَرَض ، كلها تخيلات من عندهم ، لا وجود لها .

وكما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة[١] ، ومدة وخلاء مجردين ، وقد اعترف حذاقهم ، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، وزعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة[٢] ، من اتصف بها فهو نبي :

الأول : أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوة القدسية ، ينال بها من العلم بلا تعلم[٣] .

الثاني : أن يكون له قوة تخيُّليَّة[٤] ، تخيل له ما يعقل في نفسه ، بحيث

---

(١) الهيولى هي المادة ، والصورة هي المتركّب من هذه المادة ، نحن لا شأن لنا في هذه الأمور ، لكن الشيخ يريد أن يبيِّن من أين أخذ الصوفية هذا الكلام الخبيث ، أنهم أخذوه من الفلاسفة ، والفلاسفة هذا مذهبهم .

(٢) عندهم أنّ النبوة تُكتسب ، ليست اصطفاء من الله ﷻ ، وإنما هي تُكتسب بصفاتٍ توجد في الإنسان ، ثلاث صفات ، كما يأتي .

(٣) ينال بها العلم بقوته القدسية بلا تعلُّم ، فهل يُمكن أن يوجد علم بلا تعلم في المخلوقين ؟!

(٤) تخيلية ، أي : يخيّل للناس أشياء لا حقيقة لها ، يقول لهم : هناك جنة ونار وبعث ونشور ، هذه أشياء يتخيلها لا حقيقة لها ، لكن من أجل مصلحة الناس ، أنهم يرتدعون عن بعض الأمور غير المناسبة ، فإذا ذُكرت لهم النار تركوا هذه الأشياء غير المناسبة ، وإذا ذُكرت لهم الجنة يجدّون في الأمور النافعة ، وإلا مالها حقيقة ، إنما هي خيالات هذا قول الفلاسفة .

يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم ويسمعه ، ولا يكون لها وجود في الخارج[١] ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى .

الثالث : أن يكون له قوة فعالة ، يؤثر بها في هيولى العالم ، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هي قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصا حيَّة ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فإنهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ، وبيّنا أن كلامهم هذا أفسد الكلام ، وأن هذا الذي جعلوه من الخصائص يحصل ما هو أعظم منه لآحاد العامة ، وأتباع الأنبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون ، أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] وليسوا عشرة[٢] ، وليسوا أعراضاً ، لاسيما

---

(١) ليس هناك مَلَك في الخارج وليس هناك وحي ، وإنما هذا شيء لصفاء ذهنه ، وقوته على التخيل ، صار يتصور ، أو يُعرض له صور في نفسه وأصوات ، فالصور هي الملائكة بزعمهم ، والأصوات هي الوحي ، فكله ما جاء من الله ﷺ ، وإنما هذا شيء في نفسه وتخيله .

(٢) وليست العقول العشرة التي يقولون ، وإنما لا يعلم عددهم إلا الله ، وليست قوى =

وهؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعال العاشر ، ربُّ كل ما تحت فَلَكِ القمر .

وهذا كله يُعلَم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مُبدِع لكل ما سوى الله[1] . وهؤلاء يزعمون أنه العقل المذكور في حديث يروى : « إن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب »[2] ويسمونه أيضاً

نفسانية ، أو هواجس نفسانية ، كما يقول الفلاسفة : إن الهواجس النفسانية إن كانت طيبة فهي ملائكة ، وإذا كانت خبيثة فهي شياطين ، وليس هناك في الخارج لا ملائكة ولا شياطين ، وإنما هي أشياء نفسية فقط .

(١) الملائكة لا تخلق شيئاً ، هم مخلوقون ، وعباد لله ﷻ : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] ، إنما ينفذون أوامر الله ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] هؤلاء هم الملائكة وهم رسل ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ﴾ [فاطر : ١] فهم رسل وخلق من خلق الله ، ولهم وجود ، يُشاهدون ويُرون .

(٢) الفلاسفة المنتسبون للإسلام الذين يريدون أن يروجوا الفلسفة القديمة أخذوا هذا الحديث الموضوع المكذوب على الرسول ﷺ ، أن أول ما خلق الله العقل ، فهذا كذب ، أول ما خلق الله القلم ، والقلم مسبوق بالعرش على الصحيح ، فليس هو أول ما خلق الله .

القلم[١] ، لما روي « إن أول ما خلق الله القلم »[٢] ، الحديث رواه الترمذي[٣] (٢١٥٥ ، وصححه الألباني) .

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البُستي[٤] ، والدارقطني ، وابن الجوزي ، وغيرهم[٥] .

وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها[٦] ، ومع هذا

---

(١) هذا من التحريف ، القلم غير العقل ، القلم كائنٌ خلقه الله ، وقال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن ، فهو مخلوق لله ﷻ ، وليس هو العقل ، يوجد فرق بين العقل والقلم ، لكن هؤلاء يخلطون ويُلبِّسون على الناس ، ويتلمسون ما يبرر باطلهم ، ولو من الأحاديث المكذوبة والموضوعة ، كهذا الحديث .

(٢) ويقولون المراد بالقلم : العقل ، نعم أول ما خلق الله القلم ، كما في الحديث ، لكن ليس هو العقل .

(٣) الحديث صحيح ، لكنه ليس العقل .

(٤) أبو حاتم البستي هو ابن حبان ، صاحب الصحيح .

(٥) هؤلاء الأئمة رووا أن هذا الحديث مكذوب موضوع على رسول الله ﷺ ، والحمد لله أنّ قيّض للسنّة فرساناً يحرسونها من هؤلاء الوضاعين والكذابين ، ردّ الله كيدهم في نحورهم والحمد لله ، لا أحد يجرؤ على الكذب على رسول الله إلا ويقيّض الله له من يفضحه .

(٦) هذا الحديث ليس في كتب الحديث ، فلو كان حديثاً عن الرسول ﷺ لما أهمله أئمة الحديث والرواة .

فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم ، فإن لفظه « أول ما خلق الله تعالى العقل قال له .. » ويروى : « لما خلق الله العقل قال له .. » ، فمعنى الحديث : أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، ليس معناه أنه أول المخلوقات[(١)] (وأولَ)[(٢)] منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لما) وتمام الحديث : « ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك » فهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره[(٣)] ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض ، وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟! وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان[(٤)] ، فإن

---

(١) لو صحّ « أول ما خلق الله العقل قال له : أقبل ، ثم قال له : أدبر » ، فالأولية ليست أنه أول المخلوقات ، وإنما الأولية أنه من أول ما خلقه الله كلّمه ، مثل ما قال في القلم : « أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب » ، فالأولية إنما هي في تكليم الله له ، لا أنه هو أول المخلوقات (فأولَ) منصوب على الظرفية ، قال له أولَ ما خلقه : أقبل ، وقال للقلم أولَ ما خلقه : اكتب ، فهي أولية نسبية ، ليست أولية مطلقة ، كما يقولون .

(٢) (أولَ) بالفتح ، أما لو كان (أولُ) بالرفع فهو مبتدأ وصار يوهم ما يقولون .

(٣) كذبهم صار عليهم ، لأن قوله : « ما خلقت خلقاً أكرم علي منك » يقتضي أنه خلق خلقاً قبله ، لكن هو أفضل ، هذا على التنزُّل أن هذا حديث ، وإلا هو باطل ، لكن هو يريد أن يرد عليهم من كذبهم .

(٤) العقل موجود ، والعقل مخلوق ، ما فيه شك أن هناك عقل ، وأنه مخلوق ، لكن ليس =

العقل في لغة المسلمين مصدر عَقَل يَعْقِل عَقْلاً ، كما في القرآن : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1] [الملك : ١٠] وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] [الرعد : ٤] وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ[3] أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الحج : ٤٦] .

هو العقل الذي يريده الفلاسفة ، وإنما هو العقل الذي خلقه الله وأودعه في الإنسان ، يميز به بين الضار والنافع ، والحق والباطل ، ويتصرف به ، العقل نعمة من الله ﷻ ، ولذلك إذا فقد الإنسان العقل صار أخس من البهائم ، فالعقل نعمة ، وهو مخلوق لاشك ، وموجود ، لكنه ليس العقل الذي قاله الفلاسفة وأنه هو المبدع للكون ، وأنه هو الذي خلق الكون ، وأن وأن ... إلخ .

(١) العقل يُطلق على العقل الذي يتصور به الإنسان الأشياء ، وهو صفة أودعها الله فيه ، ويُطلق العقل على التعقُّل وفهم الأشياء ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ [الفرقان : ٤٤] ، يعني : لا يفهمون ، وإلا هم عقلاء ليسوا مجانين ، لكن لا يعقلون يعني : لا يفهمون الأشياء على حقيقتها ، يعقل عن الله : يعني يفهم عن الله ، ﴿ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ يعني : من بعد ما فهموه ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] .

(٢) يعقلون يعني : يفهمون عن الله ﷻ ويدركون المراد من الآيات والأحاديث .

(٣) ﴿ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ أي : يفهمون بها ، ليس معناه أنهم إذا ساروا في الأرض خُلِقت لهم قلوب ، القلوب مخلوقة فيهم ، موجودة ، لكنهم لا يعقلون بها .

ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها[(١)] ، وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل[(٢)] ، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن[(٣)] ، وعالَم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد[(٤)] : عالَم الأجسام ، وأما العقول والنفوس : فيسميها عالَم

---

(١) يراد بالعقل شيئان : الغريزة التي في الإنسان ، التي تميز بينه وبين الحيوانات ، وبينه وبين المجانين ، ويطلق العقل على التعقل ، والفهم ، والإدراك .

(٢) العقل ليس شيئاً يرى ؛ بل هو شيء يودعه الله في الإنسان من أسراره ﷻ مثل الروح ، لا يُرى ولا يشاهد ، ولا تفرق بين العاقل والمجنون إلا من خلال التصرفات ، أما لو مررت على عاقل ومجنون وهما ساكتان لا تميز بينهما ؛ لأن العقل لا يُرى ، سرٌّ أودعه الله في هذا الإنسان ، أما الفلاسفة يقولون : العقل شيء مخلوق وموجود في الخارج ، له جسم ويدبر ، ويأمر وينهى ، وهذا كذب ؛ العقل ليس موجوداً في الخارج يراه الناس ، وإنما هو شيء سري لا يعلمه إلا الله ، مثل الروح التي في الإنسان والحيوان .
والجوهر : يعني الجسم .

(٣) أن العقل شيءٌ قائمٌ بنفسه ، وأنه جوهر وليس عرضاً ، وإنما هو جوهر ، كما يقولون ، هذا كذب ، من الذي رأى العقل ؟ هل أحد منكم رأى العقل ؟ لا يُرى العقل ، سِرٌّ مودعٌ في هذا الإنسان ، مثل الروح من الذي رآها ؟ تخرج وتدخل ، وتصعد وتنزل ، ولكن أنت لا تراها ، فالله ﷻ له مخلوقات لا يعلمها إلا هو .

(٤) أبو حامد الغزالي ؒ تأثر بالفلاسفة ، وصار عنده بعض الشطحات ، خصوصاً في كتابه « إحياء علوم الدين » فيه شطحات ، جاءته من الفلاسفة ، ولو سلم من الفلاسفة ، فهو عالمٌ جليل ، لكنه ابتُلِيَ بالدخول في الفلسفة ، حتى قال تلميذه الإمام
=

الأمر[١] ، وقد يسمي العقل : عالم الجبروت ، والنفوس : عالم الملكوت ، والأجسام : عالم المُلك[٢] ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ، ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الـمُلْك والملكوت والجبروت موافق لهذا[٣] ، وليس الأمر كذلك . وهؤلاء يلبِّسون على المسلمين تلبيساً كثيراً كإطلاقهم : أن الفَلَك مُحْدَث ، أي : معلول ، مع أنه قديم عندهم[٤] .

والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، ليس في لغة العرب ، ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي : محدثاً[٥] ، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء ، وكل مخلوق فهو مُحدَث ، وكل مُحدَث كائن بعد أن لم يكن[٦] ،

ابن العربي : « شيخنا أبو حامد ، بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع » (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ / ٣٢٧) .

(١) يسمي النفوس والعقول أنه عالم يُشاهد ويُرى ، وهذا عند الفلاسفة ، هو يحكي قول الفلاسفة .

(٢) وهذا كله خطأ .

(٣) يعني لقول الفلاسفة الذي ذكره أبو حامد الغزالي .

(٤) يقولون : الفَلَك محدث ويقولون : قديم ، فيتناقضون .

(٥) إنما يقولون : مُحدَث من باب التلبيس على الناس ، يقولون : إن العالم مُحدث ، وأن المخلوقات كلها مُحدثة ، وليس فيها شيءٌ قديم .

(٦) فليس هناك شيء قديم ؛ بل كل شيء من الخلق فهو مُحدَث ، وكائن بعد أن لم يكن =

لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة ، لم يعرفوا بها ما أخبرت به الرسل[١] ، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للإسلام نصروا ، ولا للأعداء كسروا ، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة[٢] ، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة[٣] ، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، وكل شيء فهو مخلوق ، والمخلوق موجودٌ بعد أن لم يكن .

(١) أراد الجهمية والمعتزلة أن يناظروا الفلاسفة ، لكنهم ليس عندهم علمٌ يناظرون به ؛ لأنهم يعتمدون على علم المنطق والجدل ، فلم يحسنوا الرد عليهم ، فانتصر الفلاسفة عليهم ؛ لأنهم لم يتسلحوا بالكتاب والسنة ؛ وإنما تسلَّحوا بعلم المنطق والجدل ، والفلاسفة أقوى منهم في هذه الأمور ، فردوا عليهم ، وهكذا من يتعرض للرد على أهل الباطل وهو ليس عنده علم ، فإن أهل الباطل ينتصرون عليه ، فلا يجوز الرد إلا بعلم . وأهل الكلام هم أهل علم المنطق ، الذين اعتمدوا على العقل والمنطق والجدليات .

(٢) هؤلاء الجهمية والمعتزلة لا للإسلام نصروا ولا للباطل كسروا ؛ لأنهم ليس عندهم علم ولم يردوا بعلم منزَّل من الله ﷻ ، وشارك الجهمية والمعتزلة الفلاسفة في بعض قضاياهم الفاسدة .

(٣) المعقولات الصحيحة نازعوهم فيها ؛ والمعقولات الباطلة أقروها ؛ لجهلهم وعدم علمهم ، وهكذا كل من لم يتسلح بالكتاب والسنة عن فهمٍ وإدراكٍ ، فإنه يصير إلى هذا المصير الذي صار إليه الجهمية والمعتزلة مع الفلاسفة .

أولئك[١] ، كما قد بسط في غير هذا الموضع[٢] .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل عليه السلام هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ[٣] ، والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة[٤] ، وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربي صاحب « الفتوحات » و« الفصوص » ، فقال : إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الـمَلَك الذي يوحي به إلى الرسول ، وأن المعدن عنده هو العقل، والـمَلَك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق

---

(١) ليس عندهم دليل من الكتاب والسنة وعلم الرسول ﷺ ، وليس عندهم معقولات سليمة ، فلذلك انهزموا أمام العدو ؛ لأنه ليس معهم سلاح يقاومون به . والعلوم السمعية : هي الكتاب والسنة .

(٢) الشيخ رحمه الله يُحيلكم على أشياء كتبها في غير هذا الموضوع ، من مؤلفاته مثل : « العقل والنقل » ، و« نقض المنطق » .

(٣) كما سبق أن المَلَك عندهم خيال يتخيله النبي ﷺ ، ويسمعه يكلمه ويظن أن هذا شيء موجود في الخارج ، وإنما هو في ذهنه فقط ، عندهم أن الملائكة هي الهواجس التي تأتي في خاطر الإنسان .

(٤) الملاحدة من الصوفية الذين شاركوا الملاحدة من الفلاسفة .

النبي ، ولو كان خاصة النبي ما ذكروه ، لم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين ؟! والنبوة أمر وراء ذلك ، فإن ابن عربي[1] وأمثاله ، وإن ادعوا أنهم من الصوفية ، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم ، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة[2] ، كالفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهم ، رضوان الله عليهم أجمعين[3] .

---

(١) فرق بين ابن العربي بالألف واللام ، وابن عربي بدون ، ابن عربي هذا هو الملحد الطائي الصوفي الخبيث ، وأما ابن العربي فهذا إمام من أئمة المالكية ، له تفسير ، وله شرح الترمذي : « تحفة الأحوذي » ، وله مؤلفات قيمة ومفيدة .

(٢) لأن الصوفية – كما سبق – على قسمين : صوفية بمعنى الزهاد والعباد ، لكنهم لم يخرجوا عن الكتاب والسنة ، مثل الفضيل بن عياض ، والجنيد ، وبشر الحافي ، وإبراهيم بن أدهم ، هؤلاء صوفية معتدلة ، وهم يصدرون عن الوحي ، غاية ما عندهم الزهد والعبادة الكثيرة ، أما الصوفية المتأخرة فهم ملاحدة ، ففرق بين هذا وهذا . بعض الناس يلبِّس يقول : الصوفية حق ، ويلبِّس على الناس بالمتصوفة الأوائل ، ويريد أن المتأخرين مثل الأوائل ، وهذا غلط .

(٣) هؤلاء علماء ، هم صوفية ، لكنهم علماء بالكتاب والسنة ، ويتبعون الكتاب والسنة . الحاصل أنه لا يلبس بالصوفية الطيبين على الصوفية الملاحدة ، ويُقال : التصوف فيه =

والله ﷻ قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء[١]، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

خير، انظروا إلى الجنيد، وانظروا إلى الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، نقول: هذا غير موجود عند متصوفة العصر، الذي يقول: أنا أجلس مع الله وآخذ عنه، يأمرني، وينهاني، وآتى بالعلم لكم من عند الله، هذا مثل الجنيد، ومثل الفضيل بن عياض؟!

(١) تقدم أن الشيخ ﷺ ذكر عن الفلاسفة أنهم يقولون: إن الملائكة لا حقيقة لها في الوجود، وإنما هي خيالات يتخيلها الناس، وهي القوى الذهنية، تخيلها النبي أنها جاءت إليه، وأنها حدثته، والشياطين كذلك إنما هي القوى الشريرة، التي تحضر في ذهن الإنسان، هكذا قول الفلاسفة في الملائكة والشياطين؛ لأنهم لا يؤمنون بالغيب، ويفسرون الأشياء بأفهامهم، فالشيخ يرد عليهم، ويقول: الملائكة خَلْقٌ من خَلْقِ الله، لهم وجود في الكون ولهم صفات في القرآن وصفهم الله ﷻ، فهم ليسوا قوىً ذهنية أو أفكاراً، وإنما هي مخلوقات، كما أن الله خلق بني آدم، خلق الجن، والشياطين، وخلق الملائكة، عوالم خلقها الله ﷻ، عالم الملائكة، وعالم الشياطين، وعالم الإنس، وعالم الجن، وعوالم كثيرة، لا يعلمها إلا الله ﷻ، الله وصف الملائكة بأنهم عباد، وأنهم عنده سبحانه في السماوات، وأنهم يتنزلون بأمره إلى الأرض، منهم من ينزل بالوحي، ومنهم من ينزل بإحصاء أعمال بني آدم وكتابتها، ومنهم أصناف، ولهم أوصاف، وهم عالمٌ من عالم الغيب لا يعلمهم إلا الله ﷻ.

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ . وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] [الأنبياء : ٢٦-٢٩] ،

---

(١) تباين قول هؤلاء : يعني قول الفلاسفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ : النصارى يقولون : إن المسيح عيسى ابن الله ، ومشركو العرب يقولون : الملائكة بنات الله ، نسبوا له البنين والبنات ﷻ ، والفلاسفة يقولون : الملائكة قوىً ذهنية ونفسية ، هذه هي أقوالهم في الملائكة ، الله ﷻ رد على المشركين والنصارى ، قال سبحانه : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩] ، وهذه الآية : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] ، قالوا : أي المشركون والنصارى ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ ، فمنهم من يقول : المسيح ، ومنهم من يقول : الملائكة بنات الله ، والولد يشمل الذكر والأنثى ، قال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ : نزَّه نفسه عن ذلك ، لأن الولد جزء من الوالد ، ويُشبهه ، والله لا شبيه له ، والوالد يكون محتاجاً إلى الولد ، والله غني عن خلقه ﷻ ، فنزّه نفسه عن اتخاذ الولد ، ووصف الملائكة بأنهم ليسوا بنات الله ، وإنما هم ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ ، عباد من عباد الله ، مكرمون : كرَّمهم الله في طاعته ، وجعلهم في السماء ، وأعطاهم صفات ليست لغيرهم ، ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ : خائفون ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧-٢٩] ، فنزّه الملائكة عن كل أقوال المشركين والفلاسفة ، وأعطاهم أوصافاً عظيمة .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾(١) [النجم : ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم

---

(١) ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ : ﴿ وَكَم ﴾ : يعني كثير ، لأن (كم) تأتي خبرية ، وهي هنا خبرية . وتأتي استفهامية : كم عندك من الكتب ؟ مثلاً ، ويقال لها : استفهامية ، فالملائكة في السماوات ، تنزل إلى الأرض بأمره ﷺ : ﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ إلا بإذن الله ، ورضاه عن المشفوع ، كثيرٌ من الأنبياء والأولياء والصالحين لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه ، بشرطين : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، هذا فيه شرط الإذن من الله في الشفاعة و﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ هذا فيه شرط الرضى والإذن ، ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ : عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل الإيمان ، فالشفاعة تنفع المؤمنين ، المستحقين للعذاب ، يُشفعُ فيهم ، فيسلمون من العذاب ، وأما الكفار فلا تنفعهم الشفاعة ، قال الله ﷻ : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] ، ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] ، هذه شروط الشفاعة ، والشاهد فيه : وصف الملائكة بأنهم في السماء ، وأنهم كثيرون ، وأنهم متأدبون مع الله : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ ، ﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[1] [سبأ : ٢٢-٢٣] ، وقال

---

(١) ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ : وفيهم الملائكة ؛ لأن الملائكة عُبدوا واتُّخِذوا شركاء مع الله ﷻ ، فهناك من يعبد الملائكة ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ : يعني وزن ذرة أصغر شيء ، ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ : لا يملكون استقلالاً ، ولا يملكون بالاشتراك ، ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ ما لله ﷻ منهم من معين ، لا يحتاج إلى أن يعينه أحد ﷻ ، ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ قالوا : هذه الآية قطعت عروق الشرك من أصلها ؛ لأن المدعو من دون الله : إما أن يكون مالكاً لما يُطلبُ منه ، أو يكون شريكاً للمالك ، أو يكون قريباً من المالِك بوزارة أو باستشارة - كما عند الملوك من المستشارين والوُجهاء - ، أو آخر شيء يكون شفيعاً ، يشفع لصاحب الطلب عند الله ، فنفى هذه الأمور كلها ، لا أحد يملك شيئاً من السماوات والأرض ، ولا أحد يشارك الله ﷻ في السماوات والأرض ، ولا أحد يكون ولياً لله وظهيراً له يشيرُ عليهِ ، ويؤثّـرُ عليه ، لأنه ليس بحاجة إلى الأعوان ، ليس له وليٌّ من الذل ، الناس يتخذون أولياء لأنهم يحتاجون إليهم ، الله لا حاجة له ، لكن له أولياء بمعنى : محبوبين يحبهم ويحبونه ، من الوَلاية ، هذا موجود ، ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ ما بقي إلا الشفاعة ، هذه أيضاً لا تحصل إلا بإذنه ، بخلاف الملوك والسلاطين في الدنيا ، فإن الشفعاء يشفعون عندهم ولو لم يأذنوا ، وأما الله ﷻ فلا أحد يجرؤ أن يشفع عنده إلا بإذنه ، إذاً ما بقي للمشركين تعلُّق ولا برهان ولا حُجة فيمن يدعونهم ، ليسوا مالكين ، وليسوا شركاء ، وليسوا وزراء لله ﷻ ، والشفاعة لا تكون إلا بإذن الله ، بخلاف المخلوقين فإنها تحصل عندهم الشفاعة ،

تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[1] [الأنبياء : ١٩-٢٠] .

ولو لم يأذنوا ، ولو لم يرضوا ، لكنهم يضطرون إلى قبول الشفاعة ؛ لأنهم محتاجون إلى الشفيع هذا ، فهذه أبطلت الشرك من أصله . والشاهد منها أن الملائكة من جملة من يدعوهم المشركون ، وهم لا يملكون شيئاً ، ولا يشاركون الله ، وليسوا وزراء ، وأعواناً لله ﷻ ، ولا يشفعون عنده إلا بإذنه .

(١) وهذه الآية أيضاً ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ : كل ما في السماوات وما في الأرض فهو ملكٌ لله ، لا أحد يملك مع الله شيئاً ، إلا من ملَّكه الله ملكاً مؤقتاً ، ثم ينزع منه الملك ويعطي لغيره ، لا أحد يستمر في هذه الدنيا يملك ، يؤخذ منه الملك ويعطى لغيره من السلاطين والأمراء ، ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ من المخلوقات ، فإذا كانوا مملوكين لله تعالى فكيف يُدعون مع الله ﷻ ؟! ثم قال : ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ : يعني الملائكة ؛ لأنهم عند الله في السماء ، عندية إكرام وتقريب من الله ﷻ ، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ : مع أن لهم مكانة مرتفعة عند الله ﷻ ، ومع هذا ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ هم عِباد فكيف يُدعون مع الله ، وهم عباد ؟! ﴿ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ : لا يفترون ، ولا يملون من تواصل العبادة ، فهم دائماً يعبدون الله ﷻ : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ لو قُدِّر أن أحداً من الملائكة - وحاشاهم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ - قال : إني إلـه ، لعذبه الله أشد العذاب ، لأنه منازعٌ لله ﷻ ، ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] هذا ظلمٌ ؛ لأن الشرك هو أعظم الظلم ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان : ١٣] ، =

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر[١] ، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً[٢] ، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة

هذه أوصاف الملائكة ، وهذه الأوصاف تدل على أن الملائكة ذوات موجودة ، ليست أفكاراً ذهنية أو قوىً كما يقوله الزنادقة .

(١) الملائكة أيضاً مما يدل على أنهم موجودون ، وأنهم ليسوا أفكاراً وقوىً ذهنية ، وإنما هم ذوات مخلوقة ، في الحديث : « خُلقت الملائكة من نور » (صحيح مسلم / ٢٩٩٦) جاؤوا إلى إبراهيم يتشكلون في صور ؛ لأن البشر لا يطيقون رؤيتهم على صورهم وخِلْقتهم ، فيأتون إلى البشر في صور مألوفة عند الناس ، صور أشخاص ، الله أعطاهم القدرة على التشكل ، فجاؤوا إلى إبراهيم في صورة أضياف ، لما أنزلهم الله لإهلاك قوم لوط ، مروا على إبراهيم في صورة أضياف ، فظن إبراهيم أنهم أضياف فأعد لهم القِرى ، جاء بعجلٍ حنيذ مشوي ليأكلوا ؛ لأنه كريم عليه السلام ، كان يضيف الأضياف ويُقريهم ، فبادر عليه السلام لهم بالقِرى ، لكن لما رآهم لا يأكلون خاف منهم ، لأن الإنسان إذا لم يأكل من طعامك تخاف أنه يريدك بسوء ، أما إذا أكل فإنك تأمنه ، فلما رآهم لا يأكلون أوجس منهم خيفة ، فطمأنوه وأخبروه بمهمتهم : ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات : ٣٢-٣٣] إلى آخر الآيات ، الشاهد منها أن الملائكة يأتون في صور بشر ، ولو كانوا أفكاراً أو قوىً نفسية ما أتوا في صور بشر .

(٢) وكذلك الملك وهو جبريل عليه السلام جاء إلى مريم وهي قد انعزلت عن قومها واتخذت من دونهم حجاباً ، وتفرغت لعبادة ربها ، واحتجبت عن الناس ، جاءها الملك في صورة إنسان ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

=

دحية الكلبي ، وفي صورة أعرابي[1] ، ويراهم الناس كذلك ، وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[2] [التكوير : ٢٠-٢١] .

[مريم : ١٧] ما جاءها بصورة جبريل ؛ لأنها لا تطيق رؤيته ، بل جاءها في صورة بشر سوي متكامل الأعضاء ، متكامل الخلقة ، من أجل أن تأنس معه ، ولا تنفر ، ثم إنه قال لها ما قال وانتهى الأمر بأن نفخ فيها من الروح التي يحملها من الله ﷻ ، فحملت بعيسى عليه السلام ، فهذه الأفكار والقوى النفسية تأتي كذا ؟! هذا دليل على أن الملائكة ذوات ، ولهم وجودٌ في الخارج ، وليس في الأذهان فقط .

(١) كذلك كان يأتي إلى نبينا ﷺ في صورة رجل في الغالب ، وعنده أصحابه يرون الرجل ، ولا يعلمون من هو ، يأتي ويكلم الرسول ﷺ وهم يسمعون ، ويخرج على أنه رجل ؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته ، ولم يره الرسول ﷺ على صورته الملكية إلا مرتين ، مرة في الأرض رآه في الأفق المبين يعني في الجو على صورته ، ورآه في ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، وما عدا هاتين المرتين يأتيه في صورة رجل .

(في صورة دحية الكلبي) : يتصور في صورة دحية الكلبي ، كان رجلاً حسن الصورة ، جميل المنظر ، وهو صحابي جليل رضي الله عنه .

(وفي صورة أعرابي) : وأحياناً يأتي في صورة أعرابي لا يعرفونه ، إذا جاء في صورة دحية ، ظنوا أنه دحية ، لكن أحياناً يأتي في صورة أعرابي ولا يعرفونه ، كما في حديث جبريل : « كنا جلوساً عند النبي ﷺ فدخل علينا رجل ... » إلخ . (صحيح مسلم/ ٨) .

(٢) وصفه في آخر سورة التكوير : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٣-٢٤] فوصف جبريل بأن الرسول ﷺ رآه بالأفق المبين ، ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ [التكوير :
=

وأن محمداً ﷺ ﴿ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ووصفه بأنه ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ . أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ . إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[1] [النجم : ٥-١٨] .

١٩] يعني القرآن نزل به جبريل ، على الرسول ﷺ فهو قوله يعني : أنه بلَّغه إلى الرسول ﷺ ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني جبريل ، رســول بين الله وبين محمــد ﷺ ، ﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ قوة جبريل هائلة ﵇ ، حتى أنه حمل قُرى قوم لوط على طرف جناحه ، فقوته هائلة ، ولما صاح في ثمود هلكوا عن آخرهم ، صاعقة ! فأهلكهم عن آخرهم، فقوته لا توصف في شدتها ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ ، ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ أن جبريل عند ذي العرش ، قريب من الله ﷻ ، ﴿ مَكِينٍ ﴾ أن له مكانة عند الله ، كلها أوصاف مدح جبريل ، ﴿ مُّطَاعٍ ﴾ : تطيعه الملائكة ، ﴿ ثَمَّ ﴾ أي : هناك في السماء ، ﴿ أَمِينٍ ﴾ : أمين على الوحي لا يزيد فيه ولا ينقص ، بل يبلغه كما تحمله عن الله ﷻ ، فهو أمين الوحي ﵇ .

(١) ﴿ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ وهو في مكة في بطحاء مكة رفع رأسه فرآه في الأفق المبين ، ووصفه بأنه ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ في سورة النجم ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ يعني جبريل ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ المرة : الهيئة الحسنة ، ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ يعني ارتفع ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا ﴾ دنا جبريل من محمد ﷺ ﴿ فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ أي :

=

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين (صحيح البخاري / ٣٠٦٣ - صحيح مسلم / ١٧٧)، يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى، والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى، ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح القدس[1]، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم

عبد الله وهو محمد ﷺ ﴿ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾، ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ . عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾: ليلة المعراج، هذه المرة الثانية، والشاهد من هذا: أن جبريل يُرى في الخارج، وليس هو في الذهن، وإنما يُرى في الخارج ويأتي ويذهب ويدخل ويخرج، والملائكة جاؤوا إبراهيم، دخلوا وخرجوا، يعني ليسوا بصور ذهنية أو تخيلات كما تقوله الفلاسفة. ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾: قُرب جبريل من محمد ﷺ في الأُفق، لما عُرج بالرسول ﷺ ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾: أوحى الله إلى محمد بواسطة جبريل ما أوحى من كلامه ﷺ. ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾: الرسول ﷺ إنما أخبر عما رأى، ولم يكذب في قوله ﷺ، ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾: تجادلونه وتوهّمونه، ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ ﴾: ما زاغ بصر محمد ﷺ ولا انحرف، ﴿وَمَا طَغَىٰ ﴾ يعني ما تعدى المكان المخصص له ﷺ، فهو لم ينحرف ولم يتعد.

(١) ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ . عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] فسماه الروح من الروح القوي ﴿ ٱلۡأَمِينُ ﴾ على ما يؤتمن عليه، وهو الوحي، لا يزيد في الوحي ولا ينقص، ولا تقربه الشياطين، فوصفه بأنه الروح الأمين كما في

-

مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر(١) قائم بنفسه(٢) ، ليس خيالاً في نفس النبي ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدَّعون ولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء(٣) . وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان ،

سورة الشعراء ، ووصفه بأنه روح القُدُس يعني الطُّهْر ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] ، وهذا يدل على أن الملائكة لهم ذوات ولهم وجودٌ يُرى ويُشاهد ، رآه محمد ﷺ على صورته ، ورآه الناس في صورته التي ظهر عليهم بها ، فلو كان قوىً نفسانية لما ظهر ، ولما تكلم أيضاً ، ويُخاطب ، « أخبرني عن الإسلام ، أخبرني عن الإيمان ، أخبرني عن الإحسان ... » إلى آخر الحديث ، هل هذا قوىً نفسانية ؟! الصحابة يسمعون هذا ويرون الشخص .

(١) الجوهر : المراد به ما يقابل العَرَض ، لأن الأشياء إما جوهر وإما عرض ، فالجوهر : هو الجسم الذي يُرى ويُشاهد ، وأما العَرَض : فهو الذي يقومُ بغيره ، وليس له جسم ، كالألوان : البياض ، والسواد ، والحمرة ، هذه تسمى بالعروض ، جمع عرض أي : الذي يعرض ويزول ، فالعَرَض : هو الذي لا يقومُ بنفسه وإنما بغيره ، وأما الجوهر : فهو الذي يقومُ بنفسه .

(٢) قائم بنفسه : وليس هو عرضاً يقومُ بغيره ، مثل الأفكار التي تكون في الذهن ، هذه عروض جمع عَرَض ، تعرض وتزول ، الأفكار والهواجس هذه عوارض ، ليس لها جسم ، وليس لها ذوات .

(٣) ليس خيالاً في نفس النبي ﷺ ، كما تقوله الفلاسفة ، وهم مع كذبهم وفجورهم يدَّعون أنهم أولياء الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء ، وأنهم أدركوا أسرار الكون ، وأنهم ... وأنهم ... ، إعجاب أعجبوا بأنفسهم ، ولم يشعروا أنهم خلق عاجز قاصر ،

=

بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق(١) .

وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميِّزوا بين الواحد بالعين والواحد

لا يعلمون إلا ما علَّمهم الله ﷺ ، فهم يدَّعون لأنفسهم الكمال ، ويدَّعون لأنفسهم العلم والاطلاع وإدراك الحقائق ، وأنهم ... وأنهم ... ؛ لأن الأنبياء يأخذون بالواسطة عن الله ، وهم يأخذون عن الله مباشرة ، فهم أفضل من الأنبياء بزعمهم ، الأنبياء إنما يأخذون عن غيرهم ، وهم يأخذون بدون واسطة ، يدركون الأشياء ، أُعجبوا بأنفسهم إلى هذا الحد ، فصاروا يفضلون أنفسهم على الأنبياء ، ويقولون : إن الولي - يعنون أنفسهم - أفضل من النبي .

مَقَـامُ النُّبـوَّةِ في بَـرْزَخٍ   فُويقَ الرَّسُولِ ودُونَ الوَلِيّ

هذا من شعرهم ، قبحهم الله .

(١) ينكرون أركان الإيمان : الإيمان بالله ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالرسل ؛ لأنهم يدَّعون أنهم أفضل من الرسل ، وأفضل من الأنبياء ، وأيضاً اليوم الآخر لا يؤمنون به ، يؤولونه على ما يريدون ؛ وانتهى بهم الأمر إلى القول بوحدة الوجود ، وأن الكون ليس فيه انقسام بين خالق ومخلوق ؛ بل هو الله كله ، ويقولون : التوحيد هو : أن لا تقسم الكون إلى خالق ومخلوق ، بل تجعل الكون كله هو الله ، فما عبدت من أي شيء فأنت عبدت الله ، الذين يعبدون الأصنام والأوثان ، والجن والإنس ، يعبدون الله ؛ لأن الله هو الوجود المطلق - سبحانه عما يقولون - فلذلك يُسمَّون بأهل وحدة الوجود ؛ لأن الوجود لا ينقسم إلى ربٍ ومخلوق ، كله هو الرب ، وهذا هو التوحيد عندهم ، والذي يُقسِّم الوجود إلى خالق ومخلوق يسمونه مشركاً .

بالنوع ، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود[١] ، كما تشترك الأناسي في مسمى الإنسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان ، ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركاً كلياً إلا في الذهن[٢] ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس[٣] ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الإنسان ، فوجود الخالق ﷻ ليس هو كوجود مخلوقاته ، وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطَّل الصانع[٤] ، فإنه لم يكن منكراً

---

(١) الموجودات كلها تشترك في مسمى الوجود ؛ لأنها موجودة ، وهذا في الذهن ، أما في الخارج فتنقسم إلى أقسام : خالق ومخلوق ، والمخلوقات تنقسم إلى : عوالم وأصناف ، هم لا يرون فيه تعدد ولا انقسام .

(٢) كل الأشياء موجودة ، لكن الله ﷻ له وجودٌ خاصٌ به ، والمخلوقات لها وجودٌ خاصٌ بها ، وإن كانت كلها تشترك في اسم الوجود ، فهذا في الذهن .

(٣) الآدميون والبهائم كلها تشترك في اسم الوجود ، فكل منها موجود ، لكنها تنقسم هذا فرس ، وهذا حمار ، وهذا بعير ، وهذا شاة ، وهذا كلب ، وهذا أسد ، المهم متفاوتة ... وهذا إنسان ، وهذا مَلَك ، وهذا جني ، متفاوتة في وجودها ، فالكون منقسم إلى أقسام - ما عدا الله ﷻ - فإنها أقسام ، مخلوقات في العالم العلوي والسفلي، وهم يقولون : لا ، ليس فيه انقسام ، كله هو الله .

(٤) وحقيقة قولهم أنه ليس هناك رب ، مثل قول فرعون الذي عطَّل الصانع : أي جحد الخالق ﷻ ، فقال : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] هذا مذهب الفلاسفة تماماً ، جحود الخالق ﷻ ، لكن يقولون : فرعون =

هذا الموجود المشهود ، ولكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه[(١)] ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا الله[(٢)] ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكم ، صاحب السيف - وإن جار في العرف الناموسي - لذلك قال : ﴿ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[(٣)] [النازعات : ٢٤]

صار مشركاً ؛ لأنه قسَّم ، قال ﴿ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، مع أن كل الموجود هو الرب ، فأنكر عليه موسى عليه السلام هذا التقسيم بزعمهم ، ولو أنه قال : إن الوجود كله واحد صار موحداً ، ولم يُنكِر عليه ، فجعلوا موسى عليه السلام من أهل وحدة الوجود ، وهذا قول ابن عربي ، وقول أتباعه من فلاسفة الصوفيين ، كابن الفارض ، والعفيف التلمساني ، وغيرهم ، هذا قولهم ، وحدة الوجود .

(١) زعموا أن الكون كله هو الله ، فصاروا أضل من فرعون ؛ لأن فرعون ما ادعى أن الكون كله هو الله ؛ بل قال : ﴿ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، فميَّز نفسه عنهم ، وهم لا يميِّزون بين خالقٍ ومخلوق ، وبين ربٍ وعبد .

(٢) هذا نتيجة القول بوحدة الوجود ، أن كل من عبد شيئاً فإنما عبد الله ؛ لأن الكون كله هو الله ، فالإنسان ، والحيوان ، والصنم ، والحجر ، والشجر ، هو الله بزعمهم - تعالى الله عما يقولون - .

(٣) هو أخطأ عندهم من هذه الناحية ، أنه قال : ﴿ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ مع أن الكون كله هو الرب ، لا يختص بفرعون ، لكن لما صار عنده قوة وأُعجب بنفسه ادعى أنه هو الرب .

أي : وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له بذلك ، وقالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه : ٧٢] ، قالوا : فصح قول فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾[١] [النازعات : ٢٤] ، وكان فرعون عين الحق[٢] ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر[٣] ، فجعلوا أهل النار

---

(١) انظر تحريفهم للقرآن . السحرة تابوا إلى الله ، وخرُّوا سجداً لما ظهرت لهم معجزة موسى وبرهان موسى ﷺ وصدقه ، تابوا إلى الله ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٠-١٢٢] ، ولما هددهم فرعون بالقتل والصلب ، قالوا: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ٧٢-٧٣] أنت تقتلنا في هذه الدنيا وتصلبنا ، لكن مآلنا إلى الله ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٥] ، فهذا الكلام منهم ، أنهم مؤمنون بالله ﷻ ، وبما قاله موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، لكن الفلاسفة يقولون : لا ، لما عرفوا أن فرعون صادق قالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ لأنك أنت الرب . ففوضوا إليه الأمر ، وهذا تحريف لكلام الله ﷻ .

(٢) لما قالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ ، معناه أنهم صدَّقوا أنه هو ربهم الأعلى – تعالى الله عما يقولون – .

(٣) الشيخ يريد أن يبيِّن كفرهم بأركان الإيمان ، فانتهى من كلامهم في الإيمان بالله ، =

يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة[(١)] ، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله[(٢)] . مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة[(٣)] . من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء ، وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم[(٤)] ، وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لوَلاية الله ، وهم أعظم الناس وَلاية

وأنهم يرون أن الله هو الكون كله ، كذلك أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، وقالوا : إن اليوم الآخر عبارة عن أحوالٍ تتغير فقط ، ليس عندهم أن اليوم الآخر بعث للناس من القبور ، وجزاء وحساب ، وجنة ونار .

(١) أهل النار يتنعمون بالنار ، ولا تؤلمهم ، ولا توجعهم ، يتنعمون بها ، كما يتنعم أهل الجنة بالنعيم عندهم .

(٢) هذه حقيقة الفلاسفة ، أنهم كافرون بالله ، وكافرون بالملائكة ، لأنهم يقولون : لا يوجد ملائكة ، ولا يوجد رب ، والكون كله هو الله ، وليس فيه رب مستقل ، وكافرون باليوم الآخر ؛ لأنهم يقولون : لا يوجد جنة ولا نار ، كلهم سواء في النعيم ، وأهل النار يتنعمون ، ولا يوجد عذاب .

(٣) يدَّعون لأنفسهم أنهم أكمل الناس إيماناً وعقولاً ، وأنهم انتهى بهم الأمر إلى التوحيد ، وهو الوَحْدة ، الذي لا يقول بوَحْدة الوجود مشرك ، والذي يقول بوحدة الوجود هذا هو الموحِّد عندهم .

(٤) يعني هم الذين يُدِلُّون الأنبياء ؛ لأنهم أعرف من الأنبياء .

للشيطان ، نبَّهنا على ذلك[١] .

ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو في الحالات الشيطانية[٢] ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » : (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هي أرض الخيال[٣] ، فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فإن الشيطان يخيل للإنسان الأمور بخلاف ما هي عليه[٤] ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ[٥] . حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ

---

(١) رَحِمَهُ اللهُ لما كان الكتاب في بيان الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وأن هؤلاءِ يدعون أنهم أولياء الله ، وأخص أولياء الله ، بيَّن رَحِمَهُ اللهُ أنهم أولياء للشيطان ، وليسوا أولياء لله فأكذبهم ، ودحض أقوالهم وشبههم .

(٢) لابد من بيان ضلالهم ؛ لأنه موجود ، وكتبهم موجودة ، هذا موجود في كتب ابن عربي ، في « الفتوحات المكية » كما يسميها ، وفي « فصوص الحكم » ، وهي تطبع الآن وتحقق وتنشر للناس ، وتباع في المعارض ، على أن ابن عربي في أرقى درجات العلم والإدراك ، فيُخشى أن هذا يلتبس على الجُهَّال ، فلذلك الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وضَّح هذا الأمر ، وبيَّنه .

(٣) صاحب « الفتوحات المكية » هو ابن عربي الحاتمي الطائي ، الملحد .

(٤) كل الخيالات عندهم ليس لها حقائق ولا ثبوت ، وإنما هي ضلالات وكفريات ، يدَّعي أنها أكمل درجات العلم والإدراك .

(٥) وهؤلاء هم أولياء الشيطان ؛ لأنهم أعرضوا عن ذكر الرحمن ، فتولاهم الشيطان ، =

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (١) ﴾ [الزخرف : ٣٦-٣٩] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

ودخل بهم في هذه المهاوي المهلكة ، والضلالات والظلمات - والعياذ بالله - ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ يعني يعمى بصره عن ذكر الرحمن ، ولم ينظر فيه ﴿ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾ عقوبةً له ، فمن أعرض عن الله ، وعن محمد رسول الله ﷺ ، تولاه الشيطان ، ﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ لا يُفارقه ، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الشياطين يصدون هؤلاء ، ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ وهذا من تمام العقوبة ، الإنسان إذا أخطأ وصار يشك أنه أخطأ ، يمكن أن يراجع نفسه ، ويتوب ، هذا أخف من الذي يرى أنه على حق ، لأن الذي يرى أنه على حق لا يرجع ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ أي : الشياطين ، ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ من أجل أن يستحكم الضلال عليهم ، نسأل الله العافية .

(١) فإذا جاء يوم القيامة يقول هذا الإنسان للشيطان الذي أضله في الدنيا : ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ بُعد المشرق والمغرب ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ يوم القيامة ﴿ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ في العادة أن الناس إذا صار الضرر على الجميع يخف ، يقول : ما دام أن الناس كذا ، فأنا من عرضهم ، ويخف عليه الألم ، لكن في الآخرة لا ، كلٌ يرى أن العذاب كله عليه ، دون غيره ، ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ، ما يخفف عنكم هذا يوم القيامة .

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(١)

[النساء : ١١٦-١٢٠] .

---

(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ ﴾ : الشرك لا يغفر إلا بالتوبة ، والدخول في الإسلام ، بخلاف الذنوب التي دون الشرك ، فإنها رجاء المغفرة ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ من الذنوب التي دون الشرك ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ، وفي الآية الأخرى : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ ، فالله ﷻ أخبر عن هؤلاء ، ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ من دون الله ﴿ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ لأنهم يقولون : الملائكة بنات الله ، فهم يعبدون الإناث بزعمهم ، وأيضاً أسماء الأصنام كلها إناث : اللات ، العُزى ، مناة ، ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا . لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا . وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا . أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا . وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١١٧-١٢٢] فهذا مآلهم - والعياذ بالله - أنهم لما تركوا القرآن ، وتركوا اتباع الرسول ﷺ ، وذهبوا مع أفكارهم وعقولهم ، تولاهم الشيطان ، يسول لهم ، ويُملي لهم ، ويزين لهم الأمور ، فصار مآلهم هذا المآل القبيح ، هؤلاء أولياء الشيطان ، انظروا أين ينتهون ، هذا الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، في الدنيا والآخرة، فكيف يُقال : إن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان سواء ؟! ليسوا سواء .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]

---

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله فيما سبق أن غلاة الصوفية والفلاسفة وقعوا فيما وقعوا فيه من الإلحاد والكفر ، أن ذلك بسبب مخالفتهم للرسل ، ولما خالفوا الرسل ، خالفوا الكتب الإلهية سلط الله عليهم الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧] ، هذا نتيجة إعراضهم عن الرسل والكتب ، وأخذهم بأهوائهم وعقولهم ، سلط الله عليهم الشيطان فأضلهم وقادهم وأغواهم ، ثم ذكر هنا أن الشيطان الذي أغواهم في الدنيا وقادهم إلى الإلحاد والكفر أنه يتبرأ منهم يوم القيامة ، إذا دخل هو وإياهم النار ، فإنه يتبرأ منهم : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ وحاسب الله الخلائق ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ بيّن لهم أنه هو الذي أخلفهم عن وعد الله ﷻ بسبب ذنوبهم وإعراضهم ، والشيطان إنما يتسلط على هؤلاء وأمثالهم ، أما العباد المُخلصون فإنه لا سلطان له عليهم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] ، والشيطان قال : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠] الذين أخلصوا لله ﷻ فهو يصرح بهذا في النار ، من أجل أن يحسرهم ، ويزيدهم من الحسرة والندامة – والعياذ بالله – ثم إنه بيّن لهم أنه ما أجبرهم ولا له عليهم سلطة إجبارية ، وإنما هم =

الذين اتبعوه باختيارهم ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ يعني من حجة ، ومن إجبار أو قهر ﴿ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ : لا تلوموني على ما فعلت بكم؛ لأنني لم أجبركم ؛ بل لوموا أنفسكم ؛ حيث إنكم انقدتم لي بدون إجبار وبدون سلطة ، ثم قال : ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي : بمغيثكم مما أنتم فيه ، ومنجيكم مما أنتم فيه ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي : وما أنتم بمنقذي ومناصري مما أنا فيه ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ كفر بما فعلوه في الدنيا بسببه ، فكفر بهذا ، قطع العلاقة بينه وبينهم ، هذا مصيرهم يوم القيامة ، وهذا مصير كل من أعرض عن الكتاب والسنة واتبع الشيطان ، ومنهم الصوفية الذين تركوا الكتاب والسنة ، وذهبوا مع الشيطان فيكون مصيرهم هذا ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ : هذه عاقبة من اتبع الرسل جنات تجري من تحتها الأنهار ، وأيضاً خالدين فيها ، لا يخافون أن تؤخذ منهم ، أو يؤخذون منها ، هي لهم دائماً ، هذه نتيجة الإيمان بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر ، ولكن هذا يحتاج إلى صبر وثبات ، ويحتاج إلى علم ومعرفة ، لا يأتي عفواً كذا ، بدون تعب وبدون معرفة ، وبدون ثبات وصبر ، ولهذا تقول الملائكة : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ ما نالوا هذا الشيء بالعفو والسهولة ، وإنما قاسوا وصبروا ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] فالحاصل أن هذا مصير هؤلاء وأمثالهم ممن خالفوا الرسل ، وخالفوا الكتب ، وأخذوا بعقولهم وأهوائهم ، وقادتهم الشياطين ، شياطين الإنس والجن إلى هذا المصير المؤلم الذي لا نجاة لهم منه يوم القيامة .

[إبراهيم : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] [الأنفال : ٤٨] ، وقد رُوي عن النبي ﷺ في الحديث

---

(١) وهذا موقف من مواقف الشيطان مع بني آدم ، وهو موقفه مع الكفار والمشركين يوم بدر ، ظهر لهم في صورة سيد من سادات العرب ، وقال : ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ ومن عادات العرب الجوار ، أنهم يستجيرون بالأقوياء وبالرؤساء ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ لا تخافوا فأوردهم وعزّمهم على القتال وغرر بهم على القتال ﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ هذا غرور - والعياذ بالله - ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ لا أحد يصل إليكم ، فلما التحم القتال والتقى الصفان وتراءى الجمعان - جَمْعُ المسلمين وجَمْعُ الكفار - هرب الشيطان وتركهم . ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ ﴾ أي : رجع على عقبيه وهو يقول : إني جار لكم ، ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ ﴾ لما ورَّطهم رجع عنهم وقال : إني بريء منكم ، والسبب : ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، أي : رأى الملائكة مع الرسول ﷺ وأصحابه ، والشياطين لا تجتمع مع الملائكة أبداً ، فلما رأى الملائكة هرب ، وقال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ هذا موقف الشيطان من أوليائه في الدنيا في وقعة بدر ، وموقفه منهم في الآخرة كما في الآية السابقة .

الصحيح أنه « رأى جبريل عليه السلام يَزَعُ الملائكة »[١] (موطأ مالك / ١٤٦١وهو مرسل) ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم[٢] ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣] [الأنفال : ١٢] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ : أن الشيطان رأى جبريل عليه السلام يَزَعُ الملائكة ، يعني يسوق الملائكة إلى مشاركة الصحابة في القتال .

(٢) والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم ؛ لأنهم لا يجتمعون مع الملائكة .

(٣) هذا في وقعة بدر ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ : معية نصرة وتأييد ، ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فالملائكة تنزل لتثبيت المؤمنين وتأييدهم ، لا أنها تقاتل ، لكنها تؤيد وتساعد المسلمين على أعدائهم . ورُوي أنهم في بدر قاتلوا مع الصحابة ، ولكن الغالب أنهم ينزلون لتقوية المسلمين ، وتطمين المسلمين ، وإنزال السكينة عليهم ، وطرد الشياطين عنهم : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ الملائكة الذين نزلوا إلى بدر ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ الله ﷻ ألقى في قلوب المؤمنين الثبات وإن كانوا قليلين ، وألقى في قلوب الكفار الرعب وإن كانوا مِثْلَي المؤمنين في العدد والعُدَّة ، لكن ما نفعتهم قوتهم ، وأنزل الله في قلوبهم الرعب ، وأنزل في قلوب المؤمنين القوة والشجاعة والثبات ؛ لأن معهم الملائكة ، حتى نصرهم الله في بدر .

﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾(١) [الأحزاب : ٩] .

---

(١) هذا في غزوة الأحزاب التي تسمى غزوة الخندق ؛ لأن النبي ﷺ حفر حول المدينة خندقاً يمنع الكفار من دخولها ، وتسمى غزوة الأحزاب ؛ لأن المشركين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ ، وجاؤوا يريدون القضاء عليه وعلى أصحابه في جموع وجنود كثيرة ، ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يعني بالنصر ﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ جنود الكفار ، وليس قريشاً فقط ، معهم من قبائل العرب الكثيرة ولذلك سموا بالأحزاب . ﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ لما طال الحصار على المسلمين أنزل الله عليهم في ليلة من الليالي ريحاً شديدة ، قلَّعت خيامهم ، وحصبتهم بالحصباء ، ووقع الرعب في قلوبهم ، فانهزموا ، ونزلت الملائكة أيضاً مع الريح ، فألقت الرعب في قلوب الكفار فانهزموا مسرعين ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ۝ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم ﴾ [الأحزاب : ٢٥-٢٦] مَنْ هم الذين ظاهروهم وأعانوهم ؟ يعني يهود بني قريظة ، خانوا الرسول ﷺ ونقضوا العهد ؛ لأنهم عاهدوا الرسول ﷺ على أنهم إذا غُزيت المدينة أنهم يقاتلون معه ، فلما جاءت الأحزاب نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ [الأحزاب : ١٠] ، فغزاهم رسول الله ﷺ بعد هزيمة المشركين ، وحاصرهم حتى نزلوا من حصونهم ، وحكم فيهم سعد بن معاذ - لأنهم طلبوا تحكيمه - أن تُقتل مقاتلتهم ، وأن تُسبى نساؤهم وأولادهم وأموالهم ، نتيجة لنقضهم العهد ، ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني اليهود ﴿ مِن صَيَاصِيهِمۡ ﴾ قصورهم =

وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(1) [التوبة : ٤٠] ، وقال

وحصونهم ، ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ [الأحزاب : ٢٦-٢٧] وهي خيبر التي كانت عند اليهود ، أورثهم الله إياها بعد ذلك ، فالحاصل أن هذه نتيجة الصبر والثبات للمؤمنين ، أن المؤمنين تكون معهم الملائكة ، والكفار تكون معهم الشياطين .

(١) وهذا موقف ثالث ، وهو حالة الرسول ﷺ لما أراد الهجرة واللحاق بأصحابه ، أراد المشركون منعه ، وتشاوروا فيه واجتمعوا ، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ يعني بالحبس ، ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، فأخرجه من بينهم وهم لا يشعرون ، وذهب هو وصاحبه إلى غار ثور جنوب مكة واختفيا فيه ، وأخذ المشركون يطلبونهم بكل وسيلة ، وجعلوا جوائز لمن يأتي بهم ، وبحثوا عنهم حتى وقفوا عليهم في الغار ولم يروهم ، وصرف الله أبصارهم عنهم ، ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني : الملائكة ، نزلت لتأييد الرسول ﷺ وصاحبه ، فخرجوا من الغار ، وركبوا الرواحل ، وذهبوا إلى المدينة بسلامة الله ، لم يتعرض لهم أحد ، حتى وصلوا إلى المدينة ، هذه نتيجة الصبر والثبات والجهاد في سبيل الله . ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾ يعني أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، هذه شهادة لأبي بكر بالصحبة ، فإذا قيل لك : من الصحابي الذي شهد =

تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[1] [آل عمران : ١٢٤-١٢٥] وهؤلاء تأتيهم

الله له بالصحبة ؟ هو أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وذلك أن الرسول ﷺ لما قال أبو بكر - خائفاً على رسول الله منهم - : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لأبصرنا ، فقال ﷺ - مطمئناً له - : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » (صحيح البخاري / ٣٤٥٣ - صحيح مسلم / ٢٣٨١) . فأنزل الله ما أنزل ، ورد الكفار خائبين ، وحمى رسوله ﷺ وصاحبه منهم ، هم اثنان وأهل مكة كلهم خرجوا في طلبهم ، وما قدروا على أنهم يسيطرون عليهما ، ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ ما معهم أحد .

(١) هذا قيل : إنه في غزوة بدر وقيل : إنه في غزوة أحد ، أن الله ﷻ أمدَّ المسلمين بالقوة والنصر ، ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ ، قال الله ﷻ : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ يعني : من جهتهم ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ يعني معلَّمين بعلامات ، ليست من علامات البشر ، أو خيولهم معلَّمة ، قيل : إن عليهم عمائم بيض وقيل : إن خيولهم لها شعور غير شعور الخيول المعروفة ، مسومة : يعني مُعلَّمة ، فهذا إمداد الله ﷻ لأوليائه أولياء الرحمن ، لأن الكتاب في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فهذه إمدادات الله لأولياء الرحمن ، أنه يمدهم بالملائكة وبالنصر وينقذهم من المواقف الصعبة الضيقة ، ويجعل لهم الفرج والمخرج ، وهذه مواقف الشياطين مع أوليائهم ، هذا موقف الشيطان مع أوليائه الخزي والعار والهزيمة .

أرواحٌ تخاطبهم[١] وتتمثل لهم[٢] ، وهي جن وشياطين[٣] ، فيظنونها ملائكة[٤] ، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام[٥] ، وكان من أول ما ظهر من هؤلاء[٦] في الإسلام المختار بن أبي عبيد الثقفي[٧] ، الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم

---

(١) (وهؤلاء) يعني : أولياء الشيطان ، تأتيهم أرواح تخاطبهم ، وهي شياطين تكلمهم ويظنون أنها ملائكة ، وهم شياطين تلقنهم الشر ، (أرواحٌ) يعني خفية ؛لأن الجن والشياطين يتشكلون بأشكال لا يُعرفون بها .

(٢) تتمثل لهم بأشخاص ؛ لأن الجني يقدر على أن يتشكل ، ويصير دابة ، أو حشرة ، أو إنسان .

(٣) وهي في حقيقتها جن ، ليست على ظاهرها ، إنها هي جن وشياطين لتغرير بني آدم .

(٤) ويفرحون بهذا ، ويظنون أن هؤلاء الملائكة مثل الذين نزلوا على الرسل ، أنهم تنزل عليهم الملائكة كما تنزل على الرسل ، وأنهم ليسوا بحاجة إلى الرسل ؛ لأنهم يأتيهم مثل ما يأتي الرسل ، أو أنهم أحسن حالاً من الرسل كما سيأتي .

(٥) سبق لنا أن عُبَّاد الأصنام ، وعُبَّاد القبور أنهم يسمعون أصواتاً ، أو يرون صوراً للأموات الذين يدعونهم ، ويخاطبونهم ، ويقضون حاجاتهم ، فيظنون أنهم ملائكة ، وهم شياطين ، تخاطبهم من القبر ، تخاطبهم من الصنم ؛ لكي تُغرر بهم .

(٦) (من هؤلاء) يعني : الذين تخاطبهم الشياطين .

(٧) المختار بن أبي عبيد الثقفي من قبيلة ثقيف من الطائف ، ظهر في أول أمره بالصلاح والاستقامة وكان مع ابن الزبير ، ثم إنه انحرف وذهب مع الشيعة ، ثم في النهاية ادَّعى أنه نبي ، وأنه يوحى إليه ، هذا المختار بن أبي عبيد ، فعلت به الشياطين ما =

في « صحيحه » عن النبي ﷺ أنه قال : « سيكون في ثقيف كذاب ومبير » (صحيح مسلم / ٢٥٤٥) ، وكان الكذاب المختار بن أبي عبيد[(١)] ، والمبير الحجاج بن يوسف[(٢)] ، فقيل لابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إن المختار يزعم أنه يُنزَل إليه ، فقالا : صدق . قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[(٣)] [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] ، (انظر : تفسير الطبري ١٧ / ٦٧١ ، من قول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه) ، وقال الآخر : وقيل له :

فعلت بأمثاله من الخديعة حتى ادعى النبوة ، وتخاطبه الشياطين ظناً منه أنها ملائكة ، فادعى النبوة ، مع أنه لا نبي بعد محمد ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ عن ظهوره فقال : « سيكون في ثقيف كذاب ومبير » (صحيح مسلم/ ٢٥٤٥) الكذاب هو المختار ، والمبير : يعني الذي يقتل الناس ، وهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ ، ظهر الكذاب وهو المختار ، وظهر الحجاج الذي هو المبير .

(١) كذاب ؛ لأنه ادعى النبوة .

(٢) الحجاج بن يوسف ، الذي كان أميراً في وقت بني أمية ، وكان فاتكاً شجاعاً قوياً ، وكان عقوبة على قتلة عثمان ، تتبَّعهم حتى قضى عليهم ، ففيه منافع وفيه مضار ، وهو مؤمن ظالم ، ليس مثل المختار بن أبي عبيد .

(٣) زعم المختار أنه يُنزل عليه أو تنزل عليه الملائكة ، فأخبروا ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فقالا : صدق تنزل عليه الشياطين ، لأن الله أخبر بذلك : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ وهم الكهنة الذين تنزل عليهم الشياطين وتسترق السمع وتكذب معهم .

إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾[1] [الأنعام : ١٢١] ، (انظر : تفسير الطبري ٩ / ٥٣٠ ، من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ومن هذه الأرواح الشيطانية : الروح الذي يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى إليه ذلك الكتاب[2] ، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين وشيء معين[3] ، وهذا مما تفتح لصاحبها اتصالاً

---

(١) هناك وحيان : وحي من الله ، ووحي من الشيطان ، فالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ينزل عليهم الوحي من الله ، والكهنة والكذابون يأتيهم الوحي من الشياطين ، ﴿ لَيُوحُونَ ﴾ يعني يخبرونهم ، الوحي : هو الإخبار بالخفية ، يخبرونهم بأشياء كاذبة ، تغرر بهم ، وينخدعون بها ؛ لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء ، كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، هذا هو السبب ، ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠] غرور - والعياذ بالله - وهذا الذي حصل للمختار بن أبي عبيد ، ويحصل للكهان .

(٢) صاحب « الفتوحات » الذي هو ابن عربي ، له مؤلف اسمه : « الفتوحات المكية » ، ومؤلف آخر اسمه : « فصوص الحِكم » المشحونان بالضلال والإلحاد ، ويزعم أنه ألقي إليه هذا الكتاب ، وصحيح أنه أُلقي إليه ، لكن من الذي ألقاه إليه ؟ الشيطان ألقاه إليه . فهو يزعم أنه جاءه آت ، وأعطاه الكتاب ، وقال : إن الذي جاء هو الرسول ، وأعطاه هذا الكتاب ، وهو شيطان .

(٣) من شطحات الصوفية وضلالهم ، أنهم ينعزلون عن الناس في خلوات أياماً ، ولا يأكلون ولا يشربون حتى تصفو أرواحهم ، ومنهم من يهيئ نفسه للرسالة ، ويخلو يريد أن تنزَّل عليه الملائكة ، وتصفو روحه ، خداع من الشيطان - والعياذ بالله - ، =

بالجن والشياطين[١] ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء وإنما هو من الأحوال الشيطانية[٢] ، وأعرف من هؤلاء عدداً[٣] ، ومنهم من كان يُحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود[٤] ، ومنهم من كان يُؤتى بمال مسروق

نعم ينعزل ويترك الطعام والشراب ، وتصفو روحه للشيطان ، فينزل عليه الشيطان عند ذلك ، أما المؤمن فهو لا يخلو ولا ينعزل ؛ بل يصلي مع المسلمين ، ويجالس المسلمين ، ويحضر حِلَق الذكر والدروس ، أما هؤلاء فينعزلون حتى يحصل لهم الضلال - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ، ومنهم في وقتنا من ينعزل ، وتأتيه الأفكار الكفرية ، والأفكار المنحرفة ، كما ترون في بعض الشباب ، فالانعزال عن المسلمين ، والانعزال عن المساجد ، والانعزال عن ذكر الله يسبب هذا الضلال ، إما أن شياطين الجن تأتيه وتضله ، وإما شياطين الإنس يأتونه بالأفكار المنحرفة ، ويلقون في ذهنه أن المسلمين كفار ، وأنهم يحتاجون إلى جهاد ، فيحصل ما يحصل ، كل هذا بسبب الانعزال والعزلة عن المسلمين ، وعن بيوت الله ، وعن ذكر الله ﷻ .

(١) إذا خلا وترك الأكل والشرب مدة يأتيه الشيطان ويضره ، ويظن أنه ملك من الملائكة .

(٢) يظنون أن الذي يحصل لهم من هذه الغرائب أنه من الكرامات ، وأنهم أولياء لله ، والواقع أن هذه ليست كرامات وإنما هي خوارق شيطانية ، وأنه إهانة لهم على يد الشيطان ليضلهم .

(٣) الشيخ يعرف من هؤلاء الذين ابتلوا بهذه الخلوات وهذه النزغات ، يعرف منهم عدداً في وقته رحمه الله .

(٤) ومنهم من تخدمه الشياطين ، إذا تقرب إليهم وأطاعهم خدموه ، فصاروا يطيرون به
=

تسرقه الشياطين[١] ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجُعل يحصل له من الناس[٢] ، أو بعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك ، ولما

في الهواء ، فيظن الناس أنه هو يطير بنفسه ، ويقولون : هذه كرامة ، يطير في الهواء ، يمشي على الماء ، يمشي على البحر ولا يغرق ، يدخل النار والجمر ، وما أشبه ذلك ولا تأكله ، وإنها هذه أعمال شيطانية ، الشياطين تحمله ، وتعمل له هذه الأشياء بسبب أنه أطاعهم فخدموه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ [الأنعام : ١٢٨] استمتع بعضنا ببعض ، فالإنسي أطاع الجني ، فهذا استمتاع الجني بالإنسي أنه أطاعه ، والجني خدم الإنسي وحمله في الهواء وما أشبه ذلك من الخوارق ، فهذا استمتاع من الإنسي بالجني .

(١) ومنهم من يُحضر الأشياء المفقودة ، إذا ضاع لأحد شيء ذهب إليه ، وقال : ضاع لي كذا ، فيحضر له ماله ؛ ويظن المسكين الإنسي أن هذا من كراماته ، وأنه أحضرها باسمه ، وهذا من عمل الشيطان ، الشيطان هو الذي أحضر له هذا الشيء ، لأن الشياطين تقدر على ما لا يقدر عليه الإنس ، وتطلع على ما لا يطلع عليه الإنس ، فتأتيه بالشيء المفقود ، أو تخبرهم أن ذلك في المحل الفلاني لأنه تطَّلع ، أو أنها تسرق من أموال الناس وتأتي له بالمال ويقول : هذا كرامة من الله وهو من الشيطان ؛ لأنه سبق لكم أن الخارق للعادة إذا كان مع الطاعة والاستقامة فهو كرامة ، وإن كان مع الكفر والضلال فهو خارق شيطاني ، وليس كرامة من الله ﷻ ، فلا يشتبه هذا بهذا .

(٢) إذا سُرق لهم شيء جاؤوا إلى الكاهن ، أو من هؤلاء المتصوفة الضلال ، وهم كهنة ، فيخبرهم أين المال المسروق ، ومن الذي سرقه ، فيظن الناس أنه من عنده ، وهو =

كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم[١] .

كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص »[٢] ، وأشباه ذلك يمدح الكفار مثل : قوم نوح ، وهود ، وفرعون ، وغيرهم[٣] . ويتنقَّص الأنبياء كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهارون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٤] ،

ليس من عنده ، بل من عملائه الشياطين ، ويعطونه أجرة ، ويُحَضِّر لهم مسروقاتهم أو يخبرهم أين هي ، يقول له : بعيرك أو ضالتك أو شاتك في المحل الفلاني ، ترعى في كذا ، فإذا ذهب وجدها في ذلك المكان من الذي أعلمه ؟ الشيطان .

(١) لما كانت أحوالهم شيطانية كانوا مناقضين للرسل عليهم الصلاة والسلام ، هذا فرق بين من تنزَّل عليه الملائكة ومن تنزَّل عليه الشياطين ، فرق بين هذا وهذا .

(٢) أكثر هذه الضلالات موجودة في هذين الكتابين لابن عربي الحاتمي الطائي .

(٣) لأن في كتبهم مدح الكفار ، وأنهم أبطال ، وأن لهم مكانة ، فيمدحون قوم هود ، وقوم صالح ، وقوم نوح ؛ لأنهم إخوانهم ، كفار مثلهم فيمدحونهم ، ومع الأسف الآن وُجد من كتَّابنا من يمدح ابن عربي وغيره ، ويقول : هؤلاء أصحاب أفكار نيرة ، ولكن أنتم تحسدونهم وأنتم ، وأنتم ، ويُلقي باللائمة على الخلفاء الذين قتلوا هؤلاء ، يقول : هؤلاء قضوا على الفكر المستنير ، وهذا لا يجوز ، وهو في بعض صحفنا مع الأسف .

(٤) هذا شيء ضروري ، أن من مدح الكفار وأثنى عليهم ، فإنه سيتنقص الرسل وأتباعهم ، ويصفهم بالغباء ، ويصفهم بأوصاف قبيحة .

ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين[١] ، كالجُنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري[٢] ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه[٣] ، كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد - قدس الله روحه - كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد ، فقال : (التوحيد إفراد الحدوث عن القِدَم)[٤] (الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ١ / ١٩) ، فبيَّن أن

---

(١) وهذا واقع أن من مدح الكفار وأعجب بهم سيتنقص المسلمين ، ولاسيما العلماء ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء ، وهم يذمون الأنبياء ، ويذمون ورثتهم ، لأن الأنبياء وورثة الأنبياء يقفون في طريقهم ، ويبينون ضلالهم ، فيقعون في العلماء ، ويتنقصونهم ، ويستغفلونهم ، ويقولون فيهم ما يقولون ، وهذا شيء موجود الآن كما أشرت لكم في بعض الصحف .

(٢) قدماء الصوفية العُبَّاد الزهاد ، الذين لم يدخلوا هذه المداخل ، وإنما هم عباد وزهاد وأتقياء لله ﷻ معروفون ، وعلماء أيضاً ، فيذمونهم .

(٣) ويمدحون علماء الضلال والملاحدة ، يقولون : أصحاب أفكار ، وأصحاب اطلاع ، وأنتم تعادونهم لتقضوا على الفكر النيّر ، وعلى الأفكار الصحيحة ، فيقعون في علماء المسلمين ، ويمدحون الملاحدة ، وعلماء الضلال : كمنصور الحلاج الملحد الكافر ، الذي يرى أنه هو الله .

(٤) الفرق بين المخلوق والخالق ، إفراد الحدوث وهم الخلق ، عن القِدَم الذي هو من صفة الله ﷻ ، فَفَرق الجنيد بين الخالق والمخلوق ، وهذا هو التوحيد ، وهم يقولون : لا فرق بين الخالق والمخلوق ، والتوحيد : الإقرار بوَحْدَة الوجود ، وأن الوجود كله هو الله لا انقسام له ، فمن قسَّم الوجود إلى خالق ومخلوق فهو مشرك ، عندهم الشرك : تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق - كما سبق ذكر هذا - .

التوحيد أن تُميز بين القديم والمُحدَث ، وبين الخالق والمخلوق . وصاحب « الفصوص » أنكر هذا ، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد هل يميِّز بين المحدَث والقديم إلا من يكون غيرهما ؟[١] فخطَّأ الجنيد في قوله : (إفراد الحدوث عن القدم) ؛ لأن قوله هو : (إن وجود المحدث هو عين وجود القديم) ، كما قال في « فصوصه »[٢] : (ومن أسمائه الحسنى : العلي ، على من ؟ وما ثَمَّ إلا هو[٣] ، وعن ماذا ؟ وما هو إلا هو ؟ فعلُّوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات

---

(١) لأن صاحب « الفصوص » - الذي هو ابن عربي - يرى وحدة الوجود ، فينكر على الجنيد أنه يفرق بين الخالق والمخلوق ، ويقول : لا فرق ، وأنت إذا ميزت بينهم صرت شيئاً ثالثاً ، وهذا انقسام ، والكون - ولا يسميه الخلق - كله هو الله ، ومن قسَّمه فهو مشرك ، هذا الشرك عند الاتحاديين : أن تقر بأن هناك مخلوق وخالق ، والتوحيد عندهم أن تقول : الكون كله هو الله ، كما أن الشرك عند المعتزلة ومن سار معهم : إثبات الصفات ، فمن أثبت الصفات ، قالوا : هذا مشرك ، ومن نفى الصفات ، قالوا : هذا موحد .

(٢) لا فرق بينهما ، وكل هذا الكلام الآن في ابن عربي الذي يمجده بعض الناس ، ويثنون عليه ، ويطبعون كتبه ، ويجلبونها في معارض الكتب .

(٣) يقول صاحب « الفصوص » - قبحه الله - : من أسماء الله الحسنى : العلي ، عليّ على ماذا ؟ عليٌّ على نفسه ؟ ما ثَمَّ إلا هو ، لا يوجد عليّ ومَن دونه أبداً ، هو شيء واحد ، حتى ينتقد الله ﷻ في وصف نفسه بأنه العلي العظيم .

هي العلية لذاتها وليست إلا هو) ، إلى أن قال : (هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثَم من يراه غيره ، وما ثَم من يبطن عنه سواه[١] ، ... ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات)[٢] (الفصوص ١ / ٧٦ ، ٧٧) ، فيقال لهذا الملحد : ليس من شرط المميِّز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما[٣] ، فإن كل واحد من الناس يُميِّز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالث ، فالعبد يعرف أنه عبد ، ويُميِّز بين نفسه وبين خالقه[٤] ، والخالق ﷻ يُميِّز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع[٥] ،

---

(١) كل هذا من كلام ابن عربي .

(٢) الله هو أبو سعيد الخراز ؛ لأنه لا فرق بين المخلوق والخالق ، بعضهم يقول : (ما في الجبَّة إلا الله) (انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ١٩٩) ، ما في الجبة : يعني جبته التي هو لابسها ، ما فيها إلا الله .

(٣) فالله ﷻ ميَّز نفسه بالأسماء والصفات ، ولا يقال : إن الذي ميَّز أسماء الله وصفاته غير الله ، هو الله ﷻ وصف نفسه ، سمى نفسه .

(٤) ولهذا يقول شاعرهم :

العَبْد رَبٌّ والرَّبُّ عَبْدٌ   لَيْتَ شِعْرِي مَنِ المُكَلَّف

(الفتوحات المكية لابن عربي ١ / ٣٥)

كيف يكلف والرب هو العبد والعبد هو الرب ؟!

(٥) ولكن لما قيل لهم : هذا يخالف ما في القرآن ، قالوا : القرآن شرك ، لأنه يُميِّز بين الخالق والمخلوق ، عندهم لا يوجد تمييز ، الكون كله هو الله ، ولا ينقسم .

والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يُقرُّون به باطناً وظاهراً ، وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم ، وهو أحذقهم في اتحادهم[١] ، لما قُرئ عليه « الفصوص » ، فقيل له : القرآن يخالف فصوصكم ، فقال : القرآن كله شرك[٢] ، وإنما التوحيد في كلامنا[٣] ، فقيل له : فإذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً ؟[٤] فقال : الكل عندنا حلال[٥] ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم[٦] ، وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهر ، فإن

---

(١) العفيف التلمساني من أقطاب وحدة الوجود .

(٢) لماذا شرك عندهم ؟ لأنه يُقسِّم الكون إلى خالق ومخلوق ، هذا الشرك عندهم ، التوحيد هو أنه لا يُقسَّم الكون ، الكون كله هو الله .

(٣) قيل في كلامهم : أن الكون كله هو الله ، ليس هناك خالق ومخلوق ، هذا هو التوحيد عندهم .

(٤) لماذا تَميَّز هذا وهذا ؟ الزوجة حلال والأخت حرام ، دل على أن هذا غير هذا ، الأخت غير الزوجة ، وإلا صار كله زوجة ، أو كله أخت .

(٥) ليس ذنباً في هذا ، ولهذا يستبيحون نكاح محارمهم ، لأنه لا فرق بين الأخت والزوجة ، الأخت هي الزوجة ، والزوجة هي الأخت ، وهو الأخت والأخت هي هو .

(٦) قالوا : كلهن عندنا سواء وحلال : الأخت ، والبنت ، والعمة ، والخالة ، والأجنبية ، كلهن سواء ، لكن الناس قالوا : هذا حلال وهذا حرام ، فنحن جاريناهم في الظاهر ، قلنا مثل ما يقولون ، لأجل أن لا يستنكروا علينا ، و(المحجوبون) : أتباع الأنبياء ، =

الوجود إذا كان واحداً فمن المحجوب ومن الحاجب ؟! ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده : من قال لك إن في الكون سوى الله فقد كذب ، فقال له مريده : من هو الذي يكذب ؟[١] ، وقالوا لآخر : هذه مَظاهِر[٢] ، فقال لهم : المظَاهِرُ غير الظَاهِر أم هي ؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وإن كانت إياها فلا فرق ، وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ، وبينا حقيقة قول كل واحد منهم[٣] ، وإن صاحب « الفصوص » يقول : المعدوم شيء ، ووجود الحق فاضَ عليه ، فيفرق بين الوجود والثبوت[٤] ، والمعتزلة الذين قالوا : المعدوم شيء ثابت في الخارج ، مع ضلالهم خير منه ، فإن أولئك قالوا : إن الرب خَلَقَ لهذه الأشياء

يعني محجوبون عن المعرفة ، فحرام عليكم أنتم لأنكم محجوبون عن المعرفة ، أما هم فليس حراماً عليهم .

(١) مريده يعني تلميذه ، قال الشيخ : من قال : إن في الكون سوى الله فهو كاذب ، فقال له تلميذه : إذاً من الكاذب ؟ صار الكاذب غير الصادق ، صار هناك صادق وكاذب ، فصار هناك انقسام ، فخَصَمه تلميذه .

(٢) هذه الأشياء مظاهر الله ، يعني : الجبل ، والكلب ، والحمار ، هذه مَظَاهر الله عندهم ، لأنه لا يوجد انقسام .

(٣) هذا موجود في « مجموع الفتاوى الكبير » ، وفيه الرد عليهم .

(٤) صاحب « الفصوص » يقول : إن المعدوم شيء ، مع أن المعدوم ليس شيئاً ، فالشيء هو الموجود فقط ، وهو يقول : لا ، حتى المعدوم يسمى شيئاً .

الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب ، وهذا زَعَم أن عين وجود الرب فاض عليه ، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق[١] ، وصاحبه الصدر القُونَوي يُفرِّق بين المُطْلَق والمُعَيَّن ، لأنه كان أقرب إلى الفلسفة ، فلم يُقِرّ بأن المعدوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق[٢] ، وصنَّف « مفتاح غيب الجمع والوجود » ، وهذا القول أدخلُ في تعطيل الخالق وعدمه[٣] ، فإن المطلق بشرط الإطلاق - وهو الكلي العقلي - لا يكون إلا في الأذهان[٤] ، لا في الأعيان[٥] ، والمطلق لا بشرط - وهو الكلي الطبيعي - وإن قيل : إنه موجود في الخارج ، فلا يوجد في الخارج إلا معيناً ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ،

(١) فوجود الخالق هو وجود المخلوق .

(٢) كل موجود لابد مقيد ، وهم يقولون : لا ، وجود مطلق ليس مقيداً ، وهذا لا يوجد في الخارج ، إنما هذا تصور في الذهن فقط .

(٣) تعطيل الخالق : يعني نفي الخالق ، يقولون : لا يوجد خالق ومخلوق ، كل هذا الكون هو الخالق ، وهو الله .

(٤) لا يكون في الخارج أبداً ، شيء موجود مطلق لا يمكن ، الموجود لازم له أوصاف تقيده . فهم يقولون : الله هو الوجود المطلق ، ليس له أسماء ولا صفات ، وهذا محال ، لا شيء في الكون يكون بدون أسماء وصفات ، أقل الأحوال يقال : إنه موجود ، والوجود صفة .

(٥) الأعيان يعني الوجود .

فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفياً في الخارج ، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات ، وإما أن يكون عين وجود المخلوقات ، وهل يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود ؟ أو يكون بعض الشيء خالقاً لجميعه ؟[١] ، وهؤلاء يفرُّون من لفظ الحلول ؛ لأنه يقتضي حالا ومحلًا[٢] ، ويفرُّون من لفظ الاتحاد ؛ لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر[٣] ، وعندهم الوجود واحد ، ويقولون : النصارى إنما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ، ولو عمَّموا لما كفروا[٤] ، وكذلك يقولون في عُبَّاد الأصنام[٥] ، إنما أخطئوا لما عبدوا بعض المظاهر دون

---

(١) كل هذه الأقوال محال وباطلة ، لكنها تلزم على قولهم .

(٢) لا يقولون بالحلول ، الحلولية يقولون : هناك خالق ومخلوق ، لكن الخالق حالٌّ في المخلوق ، داخل في المخلوق ، أما أهل الوَحْدَة فيقولون : لا يوجد حالّ ومحل ؛ لأن هذا تفريق ، فهم أغرق في الضلال من الحلولية ، مع كفر الحلولية .

(٣) فلا يقال لهم : أهل الاتحاد ، وإنما يقال لهم : أهل الوَحْدَة ؛ لأن الاتحاد معناه أن يكون شيئان اتحدا ، واختلطا ، وهم لا يرون ذلك .

(٤) النصارى كفروا ؛ لأنهم خصصوا المسيح بأنه هو الله ، مع أن المسيح والله شيء واحد ، ما يقال : هذا الله وهذا المسيح ؟ لأن الكون كله واحد ، ويقولون : فرعون إنما كفر ؛ لأنه قال : أنا ربكم الأعلى ، مع أن الكون كله هو الرب ، فهو خصَّ نفسه .

(٥) إنما كفر عُبَّاد الأصنام لأنهم فرَّقوا ، وقالوا : إن الأصنام أرباب وأن ما عداها عبيد ، فهم ضلُّوا من هذا الباب .

بعض ، ولو عبدوا الجميع لما أخطئوا عندهم[١] ، والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام[٢] ، وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض ، لأنه يقال لهم : من المخطئ ؟ لكنهم يقولون : إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق[٣] ، ويقولون : إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق[٤] .

ويقولون ما قاله صاحب « الفصوص » : (فالعليُّ لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية ، ... ، سواء كانت محمودة عُرفاً أو عقلاً أو شرعاً ، أو مذمومة عُرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة)[٥] (الفصوص ١ / ٧٩) ،

---

(١) لو عبدوا الكون كله ما أخطئوا ، لكن إذا عبدوا الأصنام هذه بعض من الكون ، فيكونون بعَّضوا ، وهذا شرك عندهم .

(٢) لا يضره عبادة الأصنام ؛ لأنه ما عبد إلا الله ، حتى لو عبد الكلب والخنزير ، يقولون : هذا ما عبد إلا الله ، لأن هذه مَظَاهِر لله ﷻ .

(٣) لا فرق بين الخالق والمخلوق ، فالمخلوق مع نقائصه وما فيه من العيوب يقولون : هو الله - جل الله عن ذلك - .

(٤) لأنها هي هو ؛ لا فرق .

(٥) كل هذه ضلالات وإلحاد ، لكن الشيخ رحمه الله يريد أن يَسُدَّ عليهم الطريق من كل =

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فإنه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك[١] ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني : أنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل[٢] ، ويقولون : من أراد

النواحي ، ويبطل رأيهم ، مع أنه باطل في البداهة ، ولكن لما كان هؤلاء لهم وجود ، ويوصفون بالعُبَّاد والعلماء وأصحاب الأفكار ، كان لابد أن الشيخ يبيِّن ضلالهم ، ويبيِّن تناقضاتهم ، ولو تُركوا لموَّهوا على الناس .

(١) ما زال الكلام في مناقشة الشيخ ﷺ لأهل وحدة الوجود ، فيقول لهم : إن مذهبهم يخالف الحس والعقل ، كما هو مخالف للشرع ، فمعلوم انقسام الكون إلى خالق ومخلوق ، والمخلوقات أيضاً مختلفة ، فليس الكلب هو الفيل ، وليس الخنزير هو الشاة أو العنز ، وكل شيء مختلف عن الآخر فكيف يقال : إن الكون شيء واحد لا ينقسم ، وهذا هو التوحيد ؟! ومعلوم أن هذا غير ذاك في كل شيء . أولاً : الخالق والمخلوق ، وثانياً : المخلوقات لاشك أنها مختلفة ومتفاوتة وليست شيئاً واحداً ، فلا يقبل هذا عقل من عقول البشر ، ولكن الضلال - والعياذ بالله - إذا أخذ في عقول الناس جاؤوا بالغرائب ولا يأنفون من أنهم يخالفون العقول والفطر ، فضلاً عن أنهم يخالفون الشرائع والوحي المنزل ، فهذا كفر ما بعده كفر ، كفر أهل وحدة الوجود ليس بعده كفر ، هم أكفر أهل الأرض .

(٢) يقولون : ما علينا من العقل ، نحن ثبت عندنا بالكشف ، الذي دلهم على هذه الأمور ، كشفهم واكتشافهم هذه الأشياء ، ويظنون أنهم اختصوا بكشف لم يكتشفه غيرهم ، فهم لا يبالون بالعقول ، ويقولون : نحن نعتمد على ما كُشف لنا من الأسرار ، وهل الإنسان في غنية عن العقل ؟ هل الإنسان في غنية عن الشرع ؟ أبداً =

التحقيق ، يعني تحقيقهم فليترك العقل والشرع[(١)] ، وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم[(٢)] ،

ليس في غنية عن الشرع مهما أُوتي من الذكاء ومن الفطنة ، فإنه لن يستغني عن عقله ، ولن يستغني عن الشرع المنزَّل .

(١) من أراد التحقيق الذي هو تحقيقهم ، فليترك العقل ويترك الشرع ، إذاً ماذا بقي إذا ترك العقل والشرع ؟! ماذا تكون نهايته ؟! يكون أحطّ من المجانين ، كيف يرضى إنسان أن يصل إلى هذه الدرجة ؟! أن يلغي العقل ويلغي الشرع ، ويقول : هذا هو التحقيق ، أما العقل ليس فيه تحقيق ، والشرع ليس فيه تحقيق ، هذا منتهى الضلال .

(٢) ما يكشفه الله للأنبياء مما لا يكشفه لغيرهم ، وما يختصهم به من الغيب الذي لا يعلمه غيرهم ، الذي أعطاهم الله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] فقد يطلع الله رسوله على شيء من الغيب لمصلحة البشر ، فليس هناك كشف أعظم مما أوتيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لكن هؤلاء يقولون : نحن فوق الأنبياء ، ونحن أفهم من الأنبياء ؛ بل بعضهم كما سبق يقول : الأنبياء يأخذون منا ، حين وصل الأمر بالإنسان إلى هذا الحد ، فلا فائدة من مخاطبته ؛ لأنه لا يريد الحق ، والذي لا يريد الحق مهما جادلته ، ومهما أقمت له من البراهين والأدلة ، فلن يقتنع ، ولن يقبل ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ لا يسمعون للشرع ولا يعقلون بعقولهم ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣-٤٤] فالأنعام تدرك مصالحها ، وتدرك ما تقوم به حياتها ، أما هؤلاء فقد هبطوا عن مستوى الأنعام السائمة ؛ بل هم أضل سبيلاً .

وخبرهم أصدق من خبر غيرهم[١] ، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته ، لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع[٢] ، فيخبرون عليهم السلام بمحارات العقول[٣] ، لا بمحالات العقول[٤] ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ﷺ ما يناقض صريح العقول[٥] ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان سواءً كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً[٦] ، فكيف بمن ادعى

---

(١) لأن الأنبياء لا يأتون بشيء من عندهم ، أو يعتمدون على عقولهم ومداركهم ، وإنما الأنبياء يتلقون عن الله ﷻ وحيه وأمره ونهيه ، فهم أعظم الخلق علماً ، وأعظمهم كشفاً ، وأعظمهم عقولاً ، وما جاؤوا بهذا الذي جاء به أهل وحدة الوجود .

(٢) الأنبياء يأتون بما يحيِّر العقول ، ولا يأتون بما يخالف العقول السليمة ، ولهذا للشيخ كتاب من أعظم كتبه فيه موافقة العقل للشرع ، وقال : (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح) (مجموع الفتاوى ٧ / ٦٦٥) ، فإن اختلف العقل والنقل ، فلابد إما أن النقل غير صحيح ، وإما أن العقل غير صريح . هذه قاعدة ، فالأنبياء ما جاؤوا بما يخالف العقول ، قد جاؤوا بما تعجز عنه العقول ، ولا تدركه العقول ، أما أنهم يأتون بشيء يخالف العقول السليمة فهذا لن يكون أبداً .

(٣) بمحارات العقول يعني : ما يحيرها ، كأمور الآخرة ، وأمور لا تدركها العقول .

(٤) لا يأتون بشيء لا تجيزه العقول ، لكن يأتون بشيء تتحير فيه العقول ؛ لأن العقول مخلوقة قاصرة لا تدرك كل شيء .

(٥) هذا معنى القاعدة : موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح ، لا يختلفان أبداً .

(٦) لا يتعارض دليلان صحيحان أبداً . الأدلة الصحيحة لا تتعارض ، لكن العقل قد يعجز عن التوفيق بينها ، وهي في نفس الأمر لا تتعارض أبداً . أما إذا كان أحدهما =

كشفاً يناقض صريح الشرع والعقل[١] ؟! وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب[٢] ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ، ويظنونها في الخارج[٣] ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من

غير قطعي وإنما هو ظني ، فإنه قد يتعارض أو يظهر تعارضه مع القطعي ، أما إذا كان الدليلان قطعيين - إما عقليين أو شرعيين - ، أو أحدهما عقلي والآخر شرعي ، فلن يتعارضا أبداً ؛ لأن الشرع تنزيل من حكيم حميد ، وهو الذي خلق العقول ، فلا يتعارض أبداً دليلان قطعيان ، أما إذا كانا غير قطعيين فقد يختلفان . والمراد بالسمع : الشرع أو الوحي .

(١) فكيف بمن أتى بشيء يزعم أنه يخالف العقل والشرع وهو الكشف - كشف وحدة الوجود - هذا باطل .

(٢) هؤلاء أهل ضلال وأهل إلحاد ، لكن بعضهم لا يتعمد الكذب ، وإنما يخيل إليه أن ما ذهب إليه صحيح ، ويكون مخطئاً ، أما الذي يتعمد الإلحاد والكذب ، فهذا لا فائدة في مخاطبته ، إنما الكلام مع الذي لم يتعمد ، هذا هو الذي يناظر ويُبيَّن له ، وربما يرجع إلى الصواب ، فهم على قسمين :

القسم الأول : الذي لم يتعمد الكذب ، فهذا فيه رجاء أنه إذا نوقش وبُيِّن له خطأه أنه يقبل ، ولهذا كان الشيخ يناظر بعضهم .

أما القسم الثاني : المتعمد الذي يعلم بطلان ما هو عليه ، ولكنه يتعمد المضي فيه ، فهذا لا فائدة في مخاطبته .

(٣) يأتيهم تخيلات في أنفسهم ، ويظنون أنها صحيحة ، وأنها واقعة في الخارج ، يعني : واقعة وموجودة ، وهي غير موجودة .

كرامات الصالحين وتكون من تلبيسات الشياطين[1] ، وهؤلاء الذين يقولون بالوَحْدَة قد يقدمون الأولياء على الأنبياء[2] ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع كما يُذكر عن ابن سبعين وغيره[3] ، ويجعلون المراتب ثلاثة[4] : يقولون : العبد يشهد أولاً : طاعة ومعصية[5] ، ثم طاعة

---

(١) قد يظنون أنها موجودة في الخارج ، وأنها كرامات من كرامات الأولياء ، وهي في الواقع ليست من كرامات أولياء الرحمن ، وإنما هي من فلسفات وخرافات أولياء الشيطان .

(٢) الذين يقولون بوحدة الوجود ، وأنه لا انقسام في الكون ، إذا قيل لهم : الأنبياء جاؤوا بخلاف ما تقولون قالوا : الأولياء - ويقصدون الأولياء أصحابهم ؛ لأنه عندهم هذه الشبهات ومخاريق الشيطان - يقولون : نحن أفضل من الأنبياء . الأنبياء ما أدركوا ما أدركنا ، ولا وصلوا إلى ما توصلنا إليه ، والأنبياء إنما جاؤوا للعوام ، ولم يأتوا إلينا ؛ لأننا لسنا بحاجة إليهم ، نحن أدركنا وعرفنا ، إنما الأنبياء للعوام الذين ما أدركوا ، ولا وصلوا إلى ما وصلنا إليه ، فهؤلاء يسمونهم خاصة الخاصة لأنهم عرفوا ووصلوا بمداركهم ومعلوماتهم إلى شيء لم يصل إليه الأنبياء ، ولذلك يفضلون الولي على النبي ، ويقولون :

مَـقَـامُ النُّـبـوةِ في بَـرزَخٍ فُويقَ الرَّسُـولِ ودُونَ الـــوَلِيّ

الولي أعلى مرتبة عندهم .

(٣) يقولون : النبوة لم تنقطع ، وليس محمد ﷺ هو خاتم النبيين ؛ بل إن النبوة مستمرة إلى يوم القيامة ، يبعث الله أنبياء ، ففتحوا الباب للكذّابين والمدّعين للنبوة .

(٤) يتدرج فيها ويترقّى .

(٥) هذه أول مرتبة ، وهذه مرتبة العوام الذين يفرِّقون بين الطاعة والمعصية .

بلا معصية[١] ، ثم لا طاعة ولا معصية[٢] ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي[٣] ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر[٤] ، كما أن بعض هؤلاء يقول : (أنا كافر برب يُعصى)[٥] (نسبه شيخ الإسلام إلى الحريري في مجموع الفتاوى ٨ / ٢٥٧) ، **وهذا يزعم أن**

---

(١) ثم طاعة بلا معصية ، ويقولون : كل ما يفعله الإنسان فهو طاعة ؛ لأنه إن عصى أمره فقد أطاع قدره ، فهو مطيع لله على كل حال .

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلاً لِمَا يختاره مِنِّي فَفِعْلِي كُلُّهُ طَاعَاتُ

(٢) ثم يتحرر الإنسان عندهم ، وهذا أعلى الدرجات ، وهو في الحقيقة أسفل الدرجات ، لا يشهد طاعة ولا معصية ، وليس لأحد عليه أمر ولا نهي .

(٣) لكن هذا يقولون : مرتبة العوام الذين لا يميزون ، وأتباع الأنبياء الذين يفرقون بين الطاعة والمعصية ، وهو عندهم ليس بصحيح ، لكن في الواقع أنه هو الصحيح ، لابد أن الأفعال تكون بعضها طاعة وبعضها معصية ، فليس السجود والتسبيح والتهليل مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر .

(٤) يقولون : الشرع والقدر شيء واحد ، فالإنسان إذا فعل شيئاً ، فإن كان مخالفاً للشرع فهو مطيع للقدر ، ومطيع لله ، إذا عصى أمره فقد وافق قدره .

(٥) يعني ولا يقدر يمنع العاصي ، فالله ﷻ أعطى العباد الاختيار : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] سميع بصير يميز بين الأشياء ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن : ٢] ؛ لأن الله أعطى العباد القدرة والمشيئة والاختيار ، فهم يفعلون بمشيئتهم الطاعة ، ويفعلون بمشيئتهم واختيارهم المعصية ، ليسوا مجبرين على فعلهم ، الإنسان =

المعصية : مخالفة الإرادة التي هي المشيئة[١] ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة[٢] ، ويقول شاعرهم :

أَصْبَحتُ مُنْفَعِلاً لِـمَا يَختَارُه ... مِنِّي فَفِعْلِي كُلُّه طَاعَاتُ[٣]

(مجموع الفتاوى ٨ / ٢٥٧ ، ونسبه إلى ابن إسرائيل)

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه[٤] ، فإن

باستطاعته يصلي ويذهب للمسجد ، وباستطاعته يذهب إلى الخمارة ويشرب الخمر ، الله أعطاه هذا ، ورتَّب على أفعاله الجزاء : الثواب أو العقاب ، فقوله : (أنا كافر برب يعصى) ؛ لأنه لا يوجد رب يُعصى ، كل ما يصدر من المخلوق فهو طاعة له ، فلا معصية ولا طاعة .

(١) المعصية مخالفة القدر ، وهل أحد يخالف القدر ؟! لا يستطيع أحد أن يخالف القدر .

(٢) المشيئة القدرية ؛ لأنه لا يوجد مشيئة شرعية ، المشيئة كلها قدرية ، خلاف الإرادة - إرادة الله - فمنها ما هو قدري ومنها ما هو شرعي .

(٣) لا يوجد معصية وطاعة ، أنا أفعل بموجب القدر ، فأكون مطيعاً على كل حال ، إن زنى ، وإن صلى كله طاعة ؛ لأنه موافق للقدر .

ويقول آخر :

أَلَا كُلُّ قَوْلٍ فِي الوُجودِ كَلَامُهُ ... سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ ونِظَامُهُ

(الفتوحات المكية ٤ / ١٤٣)

(أَلَا كُلُّ قَوْلٍ فِي الوُجودِ كَلَامُهُ) يعني : كلام الله ، (سَواءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ ونِظَامُهُ) يعني : النثر والنظم كله كلام الله ، والكذب والصدق ، كله كلام الله - تعالى الله عما يقولون - .

(٤) بلا شك ، أن الله فرق بين القدر وبين الشرع ، كما سيأتي قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] فالخلق والأمر بينهما فرق ، وهناك فرق بين الطاعة والمعصية .

المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب ، مخالفة أمر الله ورسوله[١] ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢] [النساء : ١٣-١٤] وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية ، والأمر الكوني والديني[٣]

---

(١) المعصية مخالفة الأمر الشرعي . الله أمر بالطاعة ، وأمر بالعبادة ، وأمر بصلة الأرحام ، وأمر ببر الوالدين ، هذا الأمر الشرعي ، أما القدري فهذا لا حجة فيه لأحد ، هذا فعل الرب سبحانه ، ونحن لا نخاصم الرب ، ونجادل الرب ، إنما نجادل أنفسنا ، ونحاسب أنفسنا ، لماذا فعلت كذا ؟ ولماذا تركت كذا ؟ فأنت لا تجعل نقاشك مع رب العالمين وإنما تجعل نقاشك ومحاسبتك مع نفسك . لماذا فعلت كذا ؟ لماذا تركت كذا ؟ وأنا أقدر على فعله وأقدر على ترك كذا ، لماذا ضيعت وقتي وأنا مأمور بحفظه ؟ هكذا أنت تحاسب نفسك . اشتغل بمحاسبة نفسك ، ولا تشتغل بالقضاء والقدر ، ومحاسبة القضاء والقدر ، هذا شأن الله ﷻ .

(٢) حدوده : محارمه التي حدَّها لعباده ، وأيضاً حدود الله هي المباحات ، فحدود الله التي هي المحرمات لا تقربها : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ [البقرة : ٨٧] وأما المباحات فهي لا تُتعدى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

(٣) الإرادة إرادتان : إرادة كونية : وهي التي يخلق الله بها الأشياء ، ويوجد بها الأشياء ، =

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبيَّنها الجنيد رحمه الله لهم[(١)] ، من اتبع الجنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه ضلّ ؛ لأنهم تكلموا في أن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته ، وفي شهود هذا التوحيد[(٢)] ، وهذا يسمونه الجمع الأول ، فبيَّن لهم الجنيد أنه لابد من

وهذه لابد من وقوعها ، أما الإرادة الشرعية فهي الأمر والنهي : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٧-٢٨] هذه إرادة شرعية . فالإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة ، فقد يريد الله شيئاً وهو لا يحبه ، لكن لحكمة وللابتلاء والامتحان ، أما الشرعية فإن الله يحبها ، والله لا يرضى لعباده الكفر ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] فالإرادة الشرعية يحبها الله ، وأما الإرادة الكونية فقد يحبها الله ، وقد لا يحبها هذا فرق ، الفرق الثاني : الإرادة الكونية لابد من وقوعها ، وأما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع ، فالله أراد من عباده الإيمان إرادة شرعية ، لكن بعضهم يؤمن وبعضهم لا يؤمن ، بخلاف الإرادة الكونية لابد من وقوعها .

(١) الجنيد - كما سبق - من الصالحين والعباد والزهاد ، ولم يحصل منه شطحات مثل ما حصل من الصوفية المتأخرين .

(٢) يقولون : لا يوجد إلا مشيئة الله وقدرة الله ، والذي يعرف هذا هو الموحد . ويجحدون الإرادة الكونية والأوامر الشرعية ، فهم يفسرون الطاعة بأنها موافقة القدر ، وأما أهل العلم وأهل الإيمان فيقولون : الطاعة موافقة الأمر والشرع ، =

شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقه ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويُسخِطه(١) ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥-٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ

وليست موافقة القدر ، موافقة القدر قد تكون طاعة وقد تكون معصية ، بخلاف موافقة الشرع فإنه لا يكون إلا طاعة لله ﷻ ، فيوجد فرق بين الشرع والقدر ، ولهذا يقول قائلهم : إن عصيتُ أمره فقد وافقت قدره ، فأنا مطيعٌ له .

(١) فما كل ما أراده الله وقدَّره فإنه يحبه ، فهو قدَّر الكفر وقدَّر الإيمان ، قدَّر الطاعة وقدَّر المعصية ، فهو يُحب هذا ويُبغض هذا ، بخلاف الشرع فإنه لا يشرع إلا ما يحبه ، ولا يشرع ما يبغضه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ قال الله للكفار لما قالوا : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ فيزعمون أن الله أمرهم بكشف العورات في الطواف فالله ﷻ رد عليهم ، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل بالطاعة ، هذا الذي أمر الله ﷻ به : ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٢٨] أخلصوا لله في كل صلاة وفي كل عمل .

سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾[1] [الجاثية : ٢١] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[2] [غافر : ٥٨] .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربه

---

(١) هم يقولون : لا فرق بين المطيع والعاصي ، كلهم أطاعوا الله ﷻ ، أطاعوا قدره ومشيئته ، وكلهم مطيعون ، وهذا كذب على الله ﷻ ، والله ﷻ قال : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ . مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ : هذا استفهام إنكار ، أن الله لا يجعلهم سواء ، ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ ، فالله ﷻ لا يجعل الذين اجترحوا السيئات مثل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فدل على الفرق بين القدر والشرع .

(٢) ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ أعمى البصيرة ، وليس أعمى البصر ﴿ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ : البصير في قلبه ، المهتدي المطيع ما يستويان مثل قولــه : ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القلم : ٣٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُ ﴾ لا يستوي الذي آمن وعمل الصالحات مع المسيء ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ : الذي لا يفرق بين المطيع والعاصي ويقول : كلهم عبدوا الله ، وكلهم أطاعوا الله ، أطاعوا قدره وأمره الكوني ، فهم كلهم مطيعون ، هذا كذب على الله ﷻ .

ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره[١] ، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد[٢] ، ولا يرضى لعباده الكفر[٣] ، ولا يأمر بالفحشاء[٤] ، وإن كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ،

---

(١) الله خالق كل شيء ، خالق الكافر والمؤمن ، وخالق الطاعة والمعصية ، وخالق الكفر والإيمان ، وله في ذلك الحكمة البالغة ؛ لأجل ابتلاء العباد وامتحانهم ، أيهم الذي يلزم شرع الله وأمره ونهيه ، أو الذي يفجر ويكفر ويفسق ، ويقول : هذا قدر الله عليّ ، ليس له حجة في القدر .

(٢) الله خالق كل شيء ومع هذا أمر بالطاعة ونهى عن المعصية فذاك شيء وهذا شيء آخر . فلا يخلط بينهما ، فرق بين الخلق وبين الشرع .
ومع كونه قضى وقدّر كل ما يقع في الكون من خير أو شر ، فهو مع ذلك أمر بطاعته ونهى عن معصيته ، فدل على الفرق بين الأمرين الذي من قِبَل الله والذي من قِبَل العباد ، فالذي من قِبَل الله محمود على كل حال ، وأما الذي من قِبَل العباد فمنه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم .

(٣) كما قال الله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧] ، وإنما يرضى لهم الإيمان . هم يقولون : لا ، الله رضي الكفر والإيمان بدليل أنه قدّر هذا وهذا .

(٤) ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ التي هي كشف العورة ، وهم يقولون : هذا أمر الله به . يكذبون على الله ﷻ : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٢٨-٣١] استروا العورة عند كل صلاة ، من شروط صحة الصلاة والطواف ستر العورة ، فالله أمر بستر العورة ولم يأمر بكشفها ؛ لأن كشفها فاحشة ، والفاحشة ما تناهى قبحه وسترها طاعة ، والطاعة كلها خير .

ولا يرضاها ؛ بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم[١] .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية[٢] ، فإنه يرى أن الوجود واحد[٣] ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والوَلاية لله[٤] ، وهو في

---

(١) كما سبق ، أنه لا يلزم من القضاء والقدر أن الله يحب ما قضى وقدَّر ؛ بل قد يحبه وقد يبغضه ويكرهه ، إذاً يقال : لماذا قدَّره وهو يبغضه ويكرهه ؟ نقول : لأجل الابتلاء والامتحان ، حتى يتميز المطيع من العاصي ، والمؤمن من الكافر ، والصادق من الكاذب ، ترك للعباد المجال في الاختيار والمشيئة ، وأمكنهم وأعطاهم القوة والقدرة ، فهو يقدر أن يصلي ويقدر أن يزني ، ويقدر على ترك الزنا وفعل الصلاة ، لا أحد أجبره على هذا ، فلماذا ينسى قدرته وما أعطاه الله من الإمكانية ، ويحتج بالقضاء والقدر ، الذي قضى وقدَّر لا يرضى بالفحشاء ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر .

(٢) قالوا : المراتب ثلاثة أولاً : أنه يشهد معصية وطاعة . الثانية : أن يشهد طاعة بلا معصية فيقول كل ما يفعله طاعة ما عنده تقسيم ؛ لأن الله قدره وقضاه ، لكن نقول : الله قدَّره وقضاه ، لكن لم يشرعه ، ونحن مطالبون بما شرعه الله ، وأما القضاء والقدر هذا إلى الله ﷻ . وثالثاً : أن لا يشهد طاعة ولا معصية ، يقول : ليس هناك طاعة ولا معصية أصلاً ، والكون كله سواء ، ليس هناك مخلوق ولا خالق ، وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود .

(٣) الوجود واحد . هذا وحدة الوجود ، فكيف تكون الأفعال متفاوتة والكون كله شيء واحد ، ليس متفاوتاً ، والطاعة والمعصية متفاوتان ، وهذا لا يوجد .

(٤) إذا بلغ العبد هذه المرتبة فهو غاية التحقيق والوَلاية لله ، وهذا هو التوحيد عندهم ، والواقع أن هذا هو الكفر الذي ليس بعده كفر ، أعظم من كفر فرعون وهامان =

الحقيقة غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته[١] ، وغاية العداوة لله ، فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء[٢] ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٣] [المائدة : ٥١] ولا يتبرأ من الشرك

وقارون وأبي جهل ؛ لأن هؤلاء مع كفرهم يعترفون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر ، هؤلاء يقولون : لا يوجد محيي ولا مميت ولا مدبر ، والكون كله سواء ، لا ميزة لبعضه على بعض .

(١) غاية الإلحاد ، والإلحاد هو أعظم الكفر . الإلحاد في اللغة : الميل عن الشيء ، ومنه اللحد في القبر ؛ لأنه مائل عن سمت القبر ، أما الإلحاد في الشرع : فهو الميل عما شرعه الله ، وأمر به .

(٢) لأنه ليس هناك فرق بين هذا وهذا ؛ بل ليس عندهم مسلم وكافر ؛ لأن الكون كله واحد .

هذه المصيبة ، هذا واقعنا الآن . يقولون : لا تفرقوا بين يهود ونصارى ومسلمين ، كلهم أهل أديان ، وكلهم يعبدون الله ، وكلهم أتباع للأنبياء ، ويكذبون على الله ﷻ ، بعد بعثة محمد ﷺ لا يوجد نبي إلا هو ﷺ ، انتهت الشرائع ، فلا شريعة إلا شريعة محمد ﷺ . فأهل وحدة الوجود يقولون : كلهم سواء : اليهودي ، والنصراني ، والمسلم ، كلهم مطيعون لله ، فهذه مصيبة ؛ كقول هؤلاء الذين يطنطنون الآن بالتقارب بين الأديان ، يشبه قول أهل وحدة الوجود بأنه لا تمايز بين دين الإسلام وبين دين اليهود والنصارى ، وأنهم كلهم إخوان ، فلذلك بعضهم سمعته وهو يزعم أنه من الدعاة إلى الله – يقول : إخواننا المسيحيون ، أعوذ بالله !!

(٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ تحبونهم وتناصرونهم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾ أي : يحبهم ويناصرهم ويسوّغ ما هم عليه ويقول : إنهم على

=

والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه[(١)] ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[(٢)] [الممتحنة : ٤] ، وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين :

حق ﴿ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ يصبح يهودياً أو نصرانياً ؛ لأنه لم يفرق بين الكفر والإيمان ، فهو مثل أهل وحدة الوجود ما يفرقون بين الطاعة والمعصية ، والكفر والإيمان ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ منعهم الله من الهداية بسبب ظلمهم ؛ عقوبة لهم ، وأما المؤمنون فإن الله يهديهم ؛ لأنهم أرادوا الهداية وطلبوها .

(١) لا يفرق بين الكفر والإيمان ، كما فرقت ملة إبراهيم . فإبراهيم تبرأ من الكفار ، حتى من أبيه لما تبيَّن له أنه عدو لله تبرأ منه ، فلابد من الولاء والبراء في الإسلام ، موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين ، أما الذي كلهم عنده سواء المؤمنون والكافرون ، كلهم إخوان : اليهود والنصارى والمسلمون ، فهذا ما عنده ولاء وبراء .

(٢) يقول الله ﷻ لهذه الأمة المحمدية: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ : يعني قدوة حسنة ، والقدوة إما أن تكون حسنة وإما أن تكون سيئة ، قدوة في الخير أو قدوة في الشر ، لكن إبراهيم ﷺ قدوة حسنة : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ : الذين اتبعوه وآمنوا به ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ تبرأوا منهم ومن دينهم ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ : لا نتقارب معكم أبداً ، والآن يقولون : تقاربوا مع اليهود والنصارى ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ : لن تذهب هذه العداوة والبراءة حتى تؤمنوا

=

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١) [الشعراء : ٧٥-٧٧] .

بالله وحده ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه وامتنع ، قال : لأستغفرن لك ، فهذا لا يُقتدى به فيها ، وقد تبرأ منه في آخر الأمر ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ قال : لأستغفرن لك ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] فتبرأ حتى من أبيه لما تبين له أنه عدو لله ، فلا أحد يحب أعداء الله ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢٢] لا يحبونهم أبداً ، إنها إذا كانوا آباءهم يبرون بهم من باب المعاملة بالحسنى ، لا يحبونهم ولكن يبرون بهم ؛ لأن لهم عليهم حقاً من البر ، ولو كانوا كفاراً ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ . وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ في الدنيا ، وليس في الدين ، ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان ١٤] فالبراءة من الكفار واجبة وهي من الدين ، والذي لا يتبرأ من الكفار يكون منهم بنص الآية ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] هذا خطر عظيم ، وينادى الآن بإلغائه ، وأن هذا تشدد ، وأن هذا إرهاب وأن هذا ، وأن هذا ، فالمصيبة عظيمة الآن .

(١) ﴿ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ : تبرأ مما يعبدون من دون الله ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ . ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٧-٧٨] و(إلا) هذا استثناء منقطع أي : لكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين هو الذي أعبده وأحبه .

وقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[1] [المجادلة : ٢٢] .

وهؤلاء قد صَنَّف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة : بـ« نظم السلوك »[2] ، يقول فيها :

لَهَا صَلَوَاتِي فِي المَقَامِ أُقِيمُهَا[3] وأَشْهَدُ فِيهَا أَنَّهَا لِيَ صَلَّتِ[4]

---

(١) وهذه الآية أيضاً تنفي أن يكون مؤمن بالله ورسوله يحب الكفار ولو كانوا أقرب الناس إليه ؛ لأنهم لما كانوا أعداء لله عاداهم ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة : ١١٤] ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

(٢) ألفوا كتباً في وحدة الوجود ، منهم ما مرَّ بكم : كتب ابن عربي « الفتوحات المكية » و« فصوص الحكم » ، ومنهم من نظم على مذهبهم منظومة ، كابن الفارض ، مثل « نظم السلوك » التي يصرح فيها بأنه ليس هناك خالق ومخلوق ، وإنما الكون كله سواء ، وأنه يصلي لنفسه ، ويعبد نفسه ؛ لأن نفسه هي الله ، وهو لا فرق بينه وبين الله ، كلهم من هذا الكون ، وابن الفارض هذا من أهل وحدة الوجود من أتباع ابن عربي ، وقصيدته التائية مطبوعة ومتداولة ، وتنشر ويعتنى بها الآن ، وتشرح عند هؤلاء .

(٣) (لها) يعني لنفسه ، وليس لله الصلاة ، لأن كل الدنيا هي الله ، فأنا أصلي لنفسي لأنني أنا الله .

(٤) أن نفسي صلت لي ، ما في صلاة لله ، وإنما صلت له هو ، لأنه هو الله ، ولا فرق بينه وبين الله ؛ لأن الكون كله مظهر واحد .

كِلَانَـا مُـصَلٍّ وَاحِـدٌ سَـاجِدٌ إِلى حَقِيقَتِهِ بِالجَمْعِ فِي كُلِّ سَـجْدَةِ[١]

وَمَا كَانَ لِي صَلَّى سِوايَ وَلَمْ تَكُـنْ صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ[٢]

إلى أن قال :

ومَـا زِلْـتُ إِيَّاهـا وإِيـايَ لَم تَـزَلْ وَلَا فَـرْقَ بَـلْ ذَاتِي لِـذَاتِي أَحَبَّـتِ

إِلَيَّ رَسُـولاً كُنـتَ مِنِّـي مُرْسَـلاً وَذَاتِي بِآيَـاتِي عَـلَيَّ اسْـتَدلَّتِ[٣]

فَإِنْ دُعِيَتْ كُنتُ الْمُجِيبُ وَإِنْ أَكُـنْ مُنَادًى أَجَابَتْ مَنْ دَعَانِي وَلَبَّتِ[٤]

إلى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل[٥] عند الموت ينشد ويقول :

---

(١) هو يسجد لنفسه ؛ لأنه هو الله ، ويعبد نفسه ؛ لأنه لو قال : يعبد الله صار هناك فرقاً بينه وبين الله ، ولا فرق هو الله وحده .

(٢) هو يصلي ويعبد نفسه ؛ لأنه هو الله ، لا يوجد خالق ومخلوق .

(٣) الرسل ليسوا من الله ، الرسل منه وإليه ؛ لأنه هو الله ، ولا يوجد عبد ورب ، الشيء كله واحد .

(٤) وهو الداعي وهو المجيب ، ليس هناك رب يُدعى ويُجيب ، هو الداعي وهو المجيب لنفسه .

(٥) هذا القائل هو ابن الفارض ، كما روى هذا من حضره عند الوفاة أنه أدرك ضلاله ، وقال : فقد ضيعت أيامي .

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمُ ... مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي[(١)]

أُمْنِيَّةً ظَفَرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَناً ... وَاليَوْمَ أَحْسِبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ[(٢)]

فإنه كان يظن أنه هو الله[(٣)] ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبيَّن بطلانُ ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

---

(١) هذا الناظم لما حضره الموت ورأى الملائكة تريد قبض روحه ، أدرك خطأه ، وأنه على ضلال ، لكن لا ينفعه ذلك ، كل كافر عند الموت يعترف بكفره وخطئه ، لكن ما ينفعه ذلك ، فات الأوان ؛ لأنه إذا انكشف الأمر وحضرت الملائكة ، كلٌّ يعلم خطأه : الكفار والملحدون ، كلهم يعلمون أنهم عباد ، وأن لهم رباً يرجعون إليه ، فيعلنون التوبة ، لكن لا تُقبل : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء : ١٨] لا تقبل التوبة ، حتى فرعون لما أدركه الغرق ، قال : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩٠-٩١] لا تنفع التوبة وقت الغرغرة .

(٢) تبين أن ما هو عليه أضغاث أحلام ، ماله حقيقة وباطل ، لو كان لا يوجد رب – كما يقول – والكون كله هو الرب ، ما جاءت الملائكة تقبض روحه ، فدل على أنه عبد ، وأن الملائكة رسل من الرب سبحانه .

(٣) كان يظن أنه هو الله في حياته ، فلما جاءه الموت عرف أنه ليس هو الله . ومنظومة ابن الفارض هذه ردَّ عليها بعض العلماء بعنوان : « تنبيه الغبي على كفر ابن عربي » رد على هذه المنظومة نثراً ، وعلَّق عليها ، وهو مطبوع وعليه تعليق للشيخ عبد الرحمن الوكيل ﷺ وهو مطبوع ومتداول ، والذي رد عليها اسمه : برهان الدين البقاعي .

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحديد : ١] ، فجميع ما في السماوات والأرض يسبح لله ، ليس هو الله[١] ، ثم قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ . هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ[٢] ﴾

---

(١) هذه الآية : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ تردُّ على أهل وحدة الوجود ، الذين سبق ذكر مذهبهم ، التسبيح معناه : التنزيه ، أي : كل شيء في السماوات والأرض من المخلوقات ينزِّه الله تعالى عن النقائص والعيوب ، ومن أعظم ذلك هذا المذهب الخبيث ، فإن جميع ما في السماوات وما في الأرض ينزِّه الله منه ، ويبطله ، فدل هذا على أن هذه المخلوقات هي غير الله ؛ لأنها تسبح الله وتنزِّهه عن الباطل ، فهي غير الله ﷻ ، هي مخلوقة والله هو الخالق .

(٢) فهو مالك هذه الأشياء ، وليست هي هو ، لا يمكن أن يكون المالك والمملوك شيئاً واحداً ، ففرق بين المالك والمملوك ، الله له ملك السماوات والأرض ، فالسماوات والأرض ومن فيهن غير الله ﷻ .

﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ : يجعل الحياة في المخلوقات حياة النمو ، كالنباتات والأشجار ، وحياة الحركة كالحيوانات ، فالله هو الذي يجعل فيها الحياة ثم يميتها ، ينزع منها هذه الحياة ، تصبح ميتة فهو يتصرف فيها ﷻ بقدرته ، فدل على الفرق بين الخالق والمخلوق .

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ﴾ : هذا يدل على أنه ﷻ ليس قبله شيء ، وليس بعده شيء ، وليس فوقه شيء ، وليس دونه شيء ، كما قال النبي ﷺ فدل على بطلان مذهب وحدة الوجود ، لو كان مذهبها صحيحاً ما كان هناك أول ولا آخر ، ولا ظاهر ولا باطن ، لأن كل شيء واحد ، فدل على أنه الأول قبل كل شيء ، وأن كل شيء بعده ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، وهو الظاهر فوق كل مخلوقاته ، والباطن =

[الحديد : ٢-٣] . وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : « اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر »[(١)] (صحيح مسلم/ ٢٧١٣) .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٢)] [الحديد : ٤] ، فذكر أن

الذي لا يخفى عليه شيء ، مع كونه ظاهراً فوق مخلوقاته لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا يحجبه شيء ﷻ ، وهذه أسماء متقابلة : الأول يقابله الآخر ، والظاهر يقابله الباطن .

(١) هذا الحديث الصحيح يفسر الآية ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ لأن معنى الأول : الذي ليس قبله شيء ، والآخر : الذي ليس بعده شيء ، والظاهر : الذي ليس فوقه شيء ، والباطن : الذي ليس دونه شيء . هذا الحديث يفسر الآية تفسيراً واضحاً ، ويدل على الفرق بين الخالق والمخلوق ، لا كما تقوله وحدة الوجود .

(٢) هذه الآيات من مطلع سورة الحديد ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ : خلقها بجميع ما فيها ، هذا دليل على الفرق بين الخالق والمخلوق ، وأن الله هو الخالق وما =

سواه فهو مخلوق ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة ، فصَّل فيها الخلق ، كما جاء في الحديث : « وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، ... » إلخ ، (انظر : صحيح مسلم / ٢٧٨٩) كما جاء في الآيات الأخرى التي تفسِّر وتُفصِّل كيفية خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ فخلْقُها في يومين ، وتقدير الأشياء التي فيها في يومين هذه أربعة أيام : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ٩-١٢] إذا جمعت يومين ، ويومين ، ويومين ، كم تكون ؟ ستة أيام ، هذا تفصيل لما أجمل في هذه الآية ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ، فالله على كل شيء قدير ، يقدر على خلقها في لحظة ، لكن خَلْقُها في ستة أيام لحكمة إلهية ، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي : علا وارتفع . والعرش هو أعظم المخلوقات ، وأعلى المخلوقات ، وفوقها ، والله فوق العرش ، ومع علوه على العرش لا يخفى عليه شيء في قعر البحار ، وفي أي مكان ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ : ما يدخل في الأرض من الأموات والمخزونات ، وما يخرج منها من النباتات والمعادن ، ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ : من ماء المطر ، والملائكة ، ومن الأرزاق ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ أي : يصعد فيها من الملائكة والأعمال - أعمال بني آدم - كلها تصعد إلى الله ﷻ ، وهذا دليل على علو الله ﷻ ، ثم قال : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ : معكم أيها الناس المؤمنين والكفار ، هذه معية عامة ، معكم بعلمه وإحاطته ، مع أنه فوق العرش ، فهو معكم قريب منكم ، لا تخفون عليه ، أينما كنتم في أي مكان كنتم فهو معكم ، لا تغيبون عن علمه ﷻ ، =

السماوات والأرض ، وفي موضع آخر : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [السجدة : ٤] مخلوق مُسبِّح له[(١)] ، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء . وأما قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر[(٢)] ،

ولا تحتجبون من رؤيته ؛ بل هو يراكم أينما كنتم ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : لا تخفى عليه أعمالكم يبصرها ويراها ﷻ، وهو فوق عرشه ، فهذه المعية معية عامة لجميع المخلوقات ، ومعناها الإحاطة ، وليس معناها ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ ، يعني مختلط بكم ، كما تقوله الحلولية ؛ بل هو معنا بعلمه وإحاطته ، ورؤيته وسمعه وبصره ، هذه المعية ، ليست معية اختلاط .

(١) وما بين السماء والأرض خلقه الله ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [السجدة : ٤] أي : وخلق ما بينهما من الأجواء ، وما يكون في هذه الأجواء من المخلوقات من الطيور والطائرات ، وما يكون بين السماء والأرض من السحاب ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٦٤] فلا يخفى عليه شيء .

(٢) هذا رد على المؤولة الذين يقولون : أنتم تمنعون التأويل ، وأنتم أوَّلتم هذه الآية ؛ لأن ظاهرها أنه مختلط معنا ؛ لأن المعية معناها الاختلاط ، فأنتم قلتم : وهو معنا بعلمه ، ظاهرها أنه معنا بذاته – تعالى الله عن ذلك – فأنتم تمنعون التأويل ، وتؤولون ! قال الشيخ ﷺ : هذا خطأ ؛ لأن المعية ليس معناها محصوراً في الاختلاط والمقارنة والمخالطة ، هذا فهمكم ، المعية لها معاني بحسب مواردها في لغة العرب ، تقول : ما زلنا نسير والقمر معنا ، هل القمر يمشي معك في الأرض أو في السماء ؟ القمر في السماء ، ومع هذا تقول : والقمر معنا ، أي : معنا ضياؤه ونوره وأيضاً هو بجرمه ، =

كقوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١) [التوبة : ١١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾(٢) [الفتح : ٢٩] ، وقوله

كأنه في كل مكان ، كل الناس يرونه على وجه الأرض وهو مخلوق ، فكيف بالخالق ﷻ ؟! فالمعية لها معانٍ : معناها هنا الإحاطة والعلم بها يكون من عباده وأعمالهم ، فمن معنى المعية : الإحاطة ، ومن معناها : الاختلاط والمقارنة ، وهذا ليس المراد هنا ، ومنها : المصاحبة ، تقول : القمر معنا ، أي : مصاحب لنا ، فحصر المعية بأنها الاختلاط هذا غلط ، تقول : فلان معي ، نعم يمكن مختلط معك ، لكن (الله معنا) لا يختلط ، معية الله غير معية المخلوق مع المخلوق ، هذه معية خالق مع المخلوقين ، فليس هذا من التأويل ، وإنما هذا من تفسير المعنى المراد .

(١) ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ كونوا معهم في العقيدة ، كونوا معهم في المحبة ، كونوا معهم في الدين ، ولو أنت في المشرق وهم في المغرب ، أنت معهم ، أنت مع الصادقين في أي مكان ، فهذه المعية لا تقتضي مخالطة ، إذا كان هذا بين المخلوقين ، فكيف بالخالق ﷻ ؟! يعني لا تكون مع الصادقين إلا إذا كانوا بجانبك ؟! لا ، تكون مع الصادقين ولو أنت في المشرق وهم في المغرب : في المذهب والدين ، والعقيدة والمحبة ، والنصرة والموالاة ، أنت معهم .

(٢) ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ سواء الذين في عصره وهم صحابته ، أو الذين اتبعوه إلى أن تقوم الساعة ، هذه صفاتهم ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ هذه صفات المؤمنين بالرسول في كل زمان ومكان ، ليس محصوراً في الصحابة الذين كانوا يعيشون مع الرسول ﷺ ، وإنما هذا عام في كل مؤمن إلى آخر الدنيا ، فهو مع الرسول ﷺ .

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾[1] [الأنفال : ٧٥] ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة[2] ، فالعامة في هذه الآية[3] ، وفي آية المجادلة[4] : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ

---

(١) ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾ يشمل من كان في وقت نزول القرآن ، ويشمل من يأتي إلى أن تقوم الساعة ، فالمؤمنون بعضهم مع بعض .

(٢) جاءت المعية في القرآن عامة كما في هذه الآية ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] هذه معية عامة للمؤمنين والكفار ، بمعنى أن الله يحصي أعمالهم ، ويطلع عليها ويراها ويعلمها ويسمع أقوالهم ، فهو مع الجميع .
ومعية خاصة بالمؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقال سبحانه لموسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] ، ﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] هذا معناه : النصرة ، والتأييد ، والتوفيق ، فهو معهم بنصرته وتأييده ، وحفظه وكلاءته لهم ، هذه معية خاصة .

(٣) آية الحديد التي مرت : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ .

(٤) ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ هذه معية عامة .

﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] [المجادلة : ٧] ، فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه . (انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٤٦٨) .

وأما المعية الخاصة ، ففي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢] [النحل : ١٢٨] ، وقوله تعالى لموسى : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣] [طه : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٤] [التوبة : ٤٠] يعني النبي ﷺ وأبا بكر

---

(١) كما قال الإمام أحمد وغيره : « افتتح الله الآية بالعلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ واختتمها بالعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ » (انظر : تفسير ابن كثير ٨ / ٤٢) ، فدل على أن المعية معية العلم ، وليست معية الاختلاط .

(٢) أي : معهم بتأييده ونصره وحفظه ، وكلاءته لهم ، وتوفيقه لهم ، فهي معية خاصة .

(٣) لما قال موسى وهارون : ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه : ٤٥] قال الله ﷻ لهما : ﴿لَا تَخَافَآ﴾ لماذا ؟ ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ فالذي معه الله لا يخاف من المخلوقات ، وكما قال نبينا محمد ﷺ وهو في الغار مع صاحبه : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] فهذه معية خاصة .

(٤) إذ يقول الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق ، وهما في الغار ، لما وصلهم المشركون ووقفوا على الغار ، قال : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فانصرفوا ، وأخذ الله بأبصارهم ولم يروهم ، فهذا معنى المعية .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون[(١)] ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه[(٢)] ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين[(٣)] . فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ، تناقض الخبر الخاص والخبر العام[(٤)] ؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك[(٥)] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ

---

(١) فهو مع فرعون بالإحاطة وليس معه بالمعية الخاصة ، هذه مع موسى وهارون فقط ؛ وأما المعية العامة فهو مع كل خلقه ، فرعون وغيره ، يحيط بهم ويعلمهم .

(٢) وهو مع النبي ﷺ وصاحبه بالمعية الخاصة دون أبي جهل وأبي لهب وقادة المشركين ، حينما همُّوا بقتله ﷺ ومنعه من الهجرة ، لم يستطيعوا ؛ لأن الله معه ، وخرج من بينهم ولم يروه ، وجاؤوا إلى الغار وهو فيه ولم يروه ، وخرج من الغار وسافروا ، ولم يلحقوه ولم يدركوه ، ووصل إلى المدينة بسلامة الله ، هذه المعية من الله ﷻ .

(٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] فهو مع المتقين ومع المحسنين معية خاصة ، بسبب تقواهم وإحسانهم .

(٤) لو كان المعية بمعنى أنه في كل مكان ، كما تقوله الحلولية ، لتناقض الخبر العام وهو الإحاطة بالخلق ، والخبر الخاص وهو العناية بالمؤمنين ، ولقال أبو جهل : نعم ، وهو معي ، كما أنه مع محمد ، نقول : لا ، المعية غير المعية التي عندك ، هذه معية خاصة ، فلا تناقض بينهما .

(٥) مع هؤلاء المؤمنين بنصره وتأييده المعية الخاصة ، دون غيرهم من الكفار ، فهو معهم بالإحاطة والاطلاع ، وليس معهم بالنصر والتأييد والإعانة .

إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] أي : هو إلـٰه من في السماوات وإلـٰه من في الأرض[(١)] ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[(٢)] [الروم : ٢٧] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٣)] [الأنعام : ٣] ؛ كما فسره أئمة العلم ، كالإمام أحمد وغيره : أنه المعبود في السماوات والأرض[(٤)] (انظر : الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل ص ١٤٩) .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته[(٥)] ،

---

(١) ليس المعنى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أنه في السماء وفي الأرض حالٌ في الأرض . الإلـٰه معناه المعبود ، فهو معبود في السماء ومعبود في الأرض ﷻ .

(٢) ﴿ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ : الصفات الكاملة في السماوات والأرض ، لا يشبهه أحد ولا يماثله أحد ، بل هو ﷻ له الكمال المطلق ، الذي لا يشاركه فيه أحد في السماوات والأرض ، فله من الأسماء والصفات أكملها وأفضلها وأعلاها ، وكل كمال ثبت للمخلوق ليس فيه نقص ، فالخالق أولى به .

(٣) الآية يفسر بعضها بعضاً فمعنى ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني بعلمه ﷻ : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

(٤) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني معبود في السماء ومعبود في الأرض فالسماوات والأرض ومن فيهن ملكه وعبيده وتحت تصرفه ﷻ .

(٥) ليس معنى المعية المخالطة والحلول ؛ لأنه أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الله بائن =

يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1] ، يوصف بصفات الكمال دون

من خلقه ؛ بينه وبين الخلق انفصال تام ، بائن يعني : منفصل ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ﷻ . وكلمة (بائن من خلقه) هذه لم ترد بهذا اللفظ ، لكن المعنى المأخوذ من الأدلة أنه بائن من خلقه ، هذا رد على الحلولية والاتحادية الذين يرون أنه مختلط بخلقه ، فقالوا هذه الكلمة : (بائن من خلقه) للرد عليهم .

(١) هذه القاعدة المجمع عليها : أن الله يوصف بما وصف به نفسه ، أو بما وصفه به رسوله ﷺ ، لا نحدث أوصافاً من عندنا وننسبها لله ، الذي لم يأت في الكتاب ولا في السنة ينزَّه الله عنه ، فيوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف لمعناه ، بل يكون على معناه لا يُحرف ولا يُصرف عن معناه ، فيقال : المراد باليد : النعمة ، والمراد بالوجه : الذات ، والمراد بالغضب : إرادة الانتقام ، وبالرحمة : إرادة الإنعام ، هذا صرف للفظ عن ظاهره . يبقى على ظاهره من غير تحريف ، والتحريف يكون بالمعنى ويكون باللفظ . يكون بالمعنى : إذا فُسِّر بغير معناه ، ويكون باللفظ إذا زيد فيه حرف أو نقص منه حرف ، مثل قول الأشاعرة : استوى بمعنى : استولى ، اللام هذه زائدة ما جاءت لا في الكتاب ولا في السنة (استولى) هذا تحريف لفظي ، وكما قالت اليهود لما قيل لهم : ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة : ٥٨] يعني استغفروا بمعنى : حط عنا ذنوبنا ، هذا استغفار ، فقالوا : (حنطة) زادوا نوناً ؛ تهكماً بكلام الله ﷻ .

صفات النقص[١] ، ويعلم أنه ليس كمثله شيء ، في صفات الكمال[٢] ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٣] [الإخلاص : ١-٤] .

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الصمد : (العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظمته ، القدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في سؤدده)[٤] (انظر : تفسير ابن كثير ٨ / ٥٢٨) .

---

(١) يوصف الله ﷻ بصفات الكمال دائماً وأبداً ، ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٧] ، وينزه عن صفات النقص : كالسِّنة والنوم ، والولد ، والموت ، والنسيان ، وغير ذلك من صفات النقص .

(٢) لا يشابه الله أحد ، لا مثل له ، ولا ند له ، ولا نظير له ، ولا شبيه له ﷻ .

(٣) لما قال المشركون للنبي ﷺ : « صف لنا ربك ؟ » ، الذي تدعونا لعبادته ، وترك عبادة ما سواه ، فأنزل الله عليه هذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (تفسير الطبري ٢٤ / ٧٢٨) هذه صفة الرحمن سبحانه وتعالى .

(٤) الصمد معناه الكامل في كل صفة كمال في ملكه ، في عظمته ، في أسمائه وصفاته ، الكامل من كل وجه ، وهو الله سبحانه وتعالى ، هذا من معاني الصمد ، ويُفسَّر الصمد أيضاً : بالذي تصمد له الخلائق لحوائجها ، وتدعوه سبحانه ، كل الخلائق تتجه إلى الله بحوائجها وتصمد إليه ، وفُسِّر الصمد : بأنه الذي لا جوف له ، فالصمد له معان .

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره : (هو الذي لا جوف له[١] ، والأحد : الذي لا نظير له)[٢] (تفسير ابن كثير ٨ / ٥٢٧ ، ٥٢٨) ، فاسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، ونفي النقائص عنه ، واسمه (الأحد) يتضمن اتصافه بأنه لا مثل له ؛ وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة ، وفي كونها تعدل ثلث القرآن[٣] .

---

(١) هذا من معاني الصمد ، كما فسرها الصحابة بذلك .

(٢) الأحد يعني : المنفرد الذي ليس له شريك ، وليس له مثيل ، وليس له شبيه .

(٣) للشيخ مؤلف مستقل بعنوان : « جواب أهل العلم والإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » ، وهو مطبوع وموجود بكثرة ، وموجود أيضاً في « مجموع الفتاوى » (١٧ / ٥ - ٣٠٥) .

فصل

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية(١) بالحقائق الخَلْقية القدرية الكونية(٢) ، فإن الله ﷻ له الخلق والأمر(٣) .

كما قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤) [الأعراف : ٥٤] ، فهو

---

(١) هذه مسألة أخرى : مسألة الفرق بين الشرع والقدر ، الأمر الشرعي والأمر القدري . بعض الناس يقولون : لا يوجد إلا الأمر الكوني القدري ولا يوجد أمر شرعي ، وهم أهل الضلال . وهناك من يقول لا يوجد إلا أمر شرعي ، لا يوجد أمر قدري ، وأما أهل السنة ، وأهل الحق فيقولون : يوجد الأمر الشرعي والأمر القدري ، قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف : ٥٤] الأمر : هو الشرع ، والخلق : هو القدر والقضاء ، فبينهما فرق .

(٢) يخلطون بينهما ويقولون : نحن مطيعون له على كل حال ؛ لأن الله قدَر علينا ونحن نعمل بما قدَّر علينا ، وهذا هو الطاعة ، فالطاعة هي موافقة القدر كما يقولون ، وهذا باطل ؛ لأن الطاعة موافقة الشرع ، وليست موافقة القدر .

(٣) له الخلق والأمر ، كما قال سبحانه : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، فهو الخالق ، وهو الذي يأمر وينهى ، ويشرع ﷻ لعباده .

(٤) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي : معبودكم ومالككم وخالقكم الله ، لا يشاركه في هذا أحد ، =

سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، لا خالق غيره ولا رب سواه ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[١] ، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ، ومشيئته وقدرته وخلقه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله[٢] ، ونهى عن معصيته ومعصية رسله ، أمر بالتوحيد والإخلاص ونهى عن الإشراك بالله[٣] ، فأعظم الحسنات التوحيد ،

والدليل على ذلك أنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ : يطلب بعضهما بعضاً ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا ذهب هذا جاء هذا ، يتعاقبان ، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ : تجري بأمره ﷻ منظمة محكمة لا تختل ولا تختلف ، تجري ولا يختل نظامها أبداً ، ثم قال : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ : له الخلق : وهو التدبير والإيجاد ، والأمر : وهو الشرع ، يشرع لعباده ما يصلحهم ، خلقهم ورزقهم ، ويشرع لهم ما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة .

(١) لا ينازع في هذا أحد ، حتى المشركون لا ينازعون في أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر .

(٢) هذا الأمر وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، وذلك لمصالح العباد وسعادتهم ، ولم يتركهم هملاً لا يُؤمرون ولا ينهون ؛ بل أنه سبحانه أنزل الكتب وأرسل الرسل ؛ لهداية الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، ولم يتركهم هملاً على جهلهم وعلى غفلتهم ، وعلى شهواتهم وأهوائهم ، وعلى تسلُّط الجبابرة عليهم والطواغيت ، فإنه سبحانه أنزل الشرع بواسطة الرسل .

(٣) إذاً هناك فرق بين الشرع وبين القدر ، ولو كان القدر كافياً لما أنزل الكتب وأرسل الرسل بالأوامر والنواهي .

وأعظم السيئات الشرك[1] . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2] [النساء : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[3] [البقرة : ١٦٥] .

---

(١) قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ . وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٨٩-٩٠] . والمراد بالحسنة في هذه الآية التوحيد ، والمراد بالسيئة : الشرك .

فإذا قيل لك : ما أعظم ما أمر الله به ؟ تقول : التوحيد ، وإذا قيل لك : ما أعظم ما نهى الله عنه ؟ تقول : الشرك .

(٢) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ : فالشرك لا يُغفر أبداً إلا بالتوبة ، أما من مات وهو مشرك فلا طمع له في مغفرة الله ، وأما من مات وهو غير مشرك فله طمع في مغفرة الله ، وإن كان عنده ذنوب كبائر فله طمع ، إن شاء الله غفر له ولم يعذبه وإن شاء عذبه وأخرجه من العذاب وأدخله الجنة . فالذي يسلم من الشرك يطمع في رحمة الله ، وإن كان عنده كبائر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، فالمؤمن يطمع في رحمة الله ولو كان عنده مخالفات ، ولو مات ولم يتب منها ، فإنه يرجو رحمة الله ، بخلاف المشرك الذي مات على الشرك ، فإنه لا طمع له في مغفرة الله - نسأل الله العافية - .

(٣) محبة الله ﷻ هي أعظم أنواع التوحيد ، ولهذا عرَّف العلماء العبادة : بأنها غاية الذل لله مع غاية الحب لله ﷻ . ونظم الإمام ابن القيم هذا في قوله :

=

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه قال : « قلت : يا رسول الله ، أيُّ الذنب أعظم ، قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك[(١)] ،

وعِبَادةُ الرَّحْمٰنِ غَايةُ حبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِه هُما قُطْبانِ
وَعَليْهما فَلَكُ العبادةِ دائرٌ ... مَا دَارَ حَتى قَامتِ القُطْبانِ
وَمَدارُه بالأَمْرِ أَمرِ رسُولِه ... لا بِالهَوى والنَّفْسِ والشَيطانِ

(الكافية الشافية ص ٤٣)

فهذه العبادة غاية الذل مع غاية الحب ، فالذين آمنوا يحبون الله حباً خالصاً ولا يحبون معه أحداً محبة عبادة . فمحبة العبادة التي معها ذل هذه لا تكون إلا لله ﷻ ، أما المحبة التي ليس معها ذل ، هذه محبة طبيعية ، ليس لها حكم ، كما تحب الطعام ، وتحب الزوجة ، وتحب الأولاد ، وتحب المال ، هذه ليست عبادة ؛ بل محبة طبيعية ليس معها ذل ، فالمؤمنون يحبون الله محبة خالصة ، ويعبدونه عبادة خالصة ، أما المشركون فإنهم يحبون الله لكن يحبون معه غيره من الأصنام : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أي : شركاء ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ : يسوون بينهم وبين الله في المحبة ، يعبدونهم ويعبدون الله ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] يعادلون به غيره ، فمحبة المؤمنين خالصة ، ومحبة المشركين مشتركة . وهي باطلة ؛ لأن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من محبة المشركين لله ؛ لأن محبة المؤمنين خالصة ومحبة المشركين مشتركة .

(١) الكبائر تختلف بعضها أشد من بعض ، فهذه الجرائم الثلاثة المذكورة في هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ هذا الشرك ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ هذه أعظم الكبائر ، كما قال ابن مسعود لما سأل النبي ﷺ : أيّ =

قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قلت : ثم أيٌّ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك » . فأنزل الله تعالى تصديق ذلك في القرآن : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] [الفرقان : ٦٨-٧٠] (صحيح البخاري / ٤٤٨٣ - صحيح مسلم / ٨٦) .

وأمر سبحانه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي[2] .

الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » ، قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تزاني بحليلة جارك » .

الزنا من أشد المحرمات وأكبر الكبائر .

(١) ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل معناه : أن الله يستعملهم في الحسنات فيمحو بها السيئات ، فيجعل محل كل معصية طاعة ، وقيل معناه : أن السيئات التي عملوها إذا تابوا إلى الله توبة صحيحة انقلبت إلى حسنات .

(٢) هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فيها أكبر المنهيات و﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل : ٩٠] ، فيها أكبر المأمورات .

وأخبر أنه يحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المقسطين(١).

ويحبُّ التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص(٢)، وهو يكره ما نهى عنه سبحانه، كما قال في سورة سبحان: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾(٣) [الإسراء: ٣٨].

---

(١) هذه من صفاته سبحانه أنه يحب المؤمنين، ويحب المقسطين، ويحب المتقين، ويحب المتطهرين، ويحب التوابين، الله يحب هؤلاء محبة خاصة، ويبغض الكافرين والمنافقين، يحب ويبغض ﷻ، ويكره، ويسخط، ويغضب. صفات تليق بجلاله ﷻ، ليست كصفات المخلوقين.

(٢) يحب الذين يقاتلون في سبيله، ويبذلون أنفسهم في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، يحبهم محبة خاصة، فدل على فضل الجهاد في سبيل الله.

(٣) من قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢] وذكر النهي عن قتل الأولاد، والنهي عن أكل مال اليتيم، والنهي عن بخس حقوق الناس، ثم ختمها بالنهي عن الشرك، بدأها بالنهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك. ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]. وهذه مثل الآيات الثلاثة التي في آخر سورة الأنعام: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]. فآيات الإسراء مثل آيات سورة الأنعام، بدأها بالنهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك، ثم قال: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ أي: كل ما ذكره الله في هذه الآيات ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ أي: محرماً، فالله يكره المحرمات، ويكره المنهيات، ما نهى عن المنهيات إلا لأنه يكرهها ﷻ، وما شرع الطاعات إلا لأنه يحبها.

وقد نهى سبحانه عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير وعن التقتير ، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه وأن يبسطها كل البسط(١) ، ونهى عن قتل النفس بغير حق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، إلى أن قال : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾(٢) [الإسراء : ٣٨] وهو سبحانه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر(٣) ، والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً ، قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤) [النور : ٣١] وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ ، أنه قال : « أيها الناس

(١) نهى عن البخل ونهى عن التبذير ، وأمر بالوسط والاعتدال في الإنفاق بين البخل وبين التبذير .

(٢) قوله : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ هذا الشاهد لقول الشيخ : وما نهى الله عنه فهو يكرهه .

(٣) والله لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، فكل ما نهى الله عنه ، فإنه لا يرضاه ويكرهه ، وكل ما أمر الله به فإنه يحبه ويرضاه . ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] .

(٤) أمر بالتوبة وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة . والتوبة في اللغة : الرجوع والإنابة . والإنابة بمعنى التوبة وهي الرجوع ، فالمذنب والعاصي لا يقنط من رحمة الله أو يستكثر ذنوبه ، ولا يظن أن الله لا يغفر له ، هذا أشد من الذنب ؛ بل يتوب ، ويتوب الله عليه ، فالتوبة مطلوبة وممكنة وسهلة ويسيرة ، ومقبولة عند الله إذا توافرت شروطها ، هذا من رحمة الله ﷻ بعباده .

توبوا إلى ربكم ، فو الذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »[(١)] (صحيح البخاري / ٥٩٤٨ بنحوه) .

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة »[(٢)] (صحيح مسلم / ٢٧٠٢) .

وفي السنن عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال : « كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول : ربي اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مئة مرة أو قال : أكثر من مئة مرة »[(٣)] (سنن أبي داود / ١٥١٦ ، وصححه الألباني) .

(١) النبي ﷺ مع طاعته لله وكمال عبوديته ، يستغفر الله من التقصير ، ولأنه لا أحد يوفّي حق الله من الخلق ، حق الله عظيم ولكنه يعفو ويسمح ﷻ ، والرسول ﷺ يقول : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (صحيح مسلم / ٤٨٦) ، فالرسول مع كمال عبوديته يستغفر الله ويتوب إليه والله أمره بذلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر : ٣] ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٦] ، فالاستغفار والتوبة مطلوبان ومتأكدان في حق العباد ، وليسا خاصين بالذنوب ؛ بل التقصير في حق الله يحتاج إلى استغفار وتوبة .

(٢) « يغان » : يعني يحصل شيء من الانشغال والغفلة ؛ لأنه بشر ﷺ ، ثم يتوب إلى الله ويستغفر أكثر من مئة مرة ، هذا من أسباب استغفار الرسول ﷺ ، أنه قد تمر عليه لحظة يغفل عن ذكر الله ﷻ ، فهو بحاجة إلى الاستغفار ، فإذا كان هذا في حق النبي ﷺ فكيف بغيره ؟!

(٣) في المجلس الواحد مئة مرة أو أكثر ، فهو ملازم ﷺ للاستغفار والتوبة إلى الله فكيف بنا نحن ؟!

=

وقد أمر الله سبحانه عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار[١] .

هذا كله رد على الذين يكملون أنفسهم ويقولون : نحن أولياء الله ، وهم يبارزون الله بالمعاصي والكفر والشرك ، ويقولون : نحن خاصة الخاصة ، ولا يضرنا شيء ، لأننا أولياء الله ، فهذا رد عليهم .

(١) الله ﷻ أمر بعبادته وطاعته وطاعة رسوله وكلَّف عباده بذلك ، ووعدهم على ذلك الثواب الجزيل ، والخير الكثير في الدنيا والآخرة ، فهو لم يأمرهم بالطاعة وينههم عن المعاصي ؛ لأجل التضييق عليهم ، أو لأجل أن يتعبهم ؛ لأنه بهم رؤوف رحيم ﷻ ، وإنما أمرهم بالعبادة والطاعة ونهاهم عن المعاصي لمصلحتهم هم ، وهم المحتاجون إلى الله ﷻ وإلى عفوه وإحسانه ، ومن رحمته بهم لم يتركهم وأهواءهم ، وإنما بيَّن لهم ﷻ ما ينفعهم ، وأمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يضرهم ، وإلا فهو غني عنهم وعن عبادتهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٨] ، ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾ [الزمر : ٧] وهذا لمصلحتهم ، ومن رحمته بهم ، ولما كان العبد ضعيفاً وتعترضه أشياء ، قد يحصل منه نقص في عبادة الله ، أو خلل في طاعة الله ، بحكم أنه بشر ، وأنه معرض للنقص ، فمن رحمته سبحانه أنه لم يغلق دونه الباب ويتركه على هذه الحالة ، يأتي بأعمال ناقصه أو بأعمال باطلة ؛ بل شرع له التوبة والاستغفار ، ولم يعاجله بالمؤاخذة وبالعقوبة ، أو يغلق بابه دونه ، وليس هناك أحد كامل في العبادة ، لابد من نقص ، والنقص كثير ، فلذلك شرع الله الاستغفار بعد العبادات ، فكيف بالاستغفار بعد المعاصي والسيئات ، فأهل الإحسان وأهل الخير يأتون بالطاعات =

ويستغفرون الله عن النقص ، وأنهم لم يوفوا حق الله ﷻ ، وأكمل الناس عبادة لله محمد ﷺ ، ومع هذا كان يستغفر الله ويتوب إليه في المجلس أكثر من سبعين مرة ، وفي اليوم أكثر من مئة مرة ، يستغفر ربه ﷺ ؛ لأنه لا أحد يوفي حق الله سبحانه ، فإذا كان هذا في شأن الرسول ﷺ وهو لا يصدر منه ذنوب ومعاصي ، لكن التقصير حاصل ، فلذلك يستغفر الله ويتوب إليه فكيف بنا نحن ؟! الإنسان لا يقول : أنا صليت ، أنا أديت حق الله ، أنا ما تركت شيئاً ، لا يا أخي لا تسلم من النقص ، فاستدرك واجبر بالاستغفار ، ولهذا شرع الله الاستغفار بعد العبادات ، وشرع الاستغفار بعد الفريضة . كان ﷺ إذا سلَّم من الفريضة يقول : استغفر الله استغفر الله استغفر الله ثلاث مرات ، والله ﷻ أثنى على المتهجدين بالليل ، الذين يتهجدون ثم يختمون بالاستغفار : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ أي : في الدنيا ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٥-١٨] يختمون بالاستغفار في آخر الليل بعد قيام الليل يتبعون ذلك بالاستغفار ، فقال سبحانه في أوصاف المؤمنين : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] والله ﷻ ذكر السابقين المقربين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧ - ٦٠] فهم يأتون بالأعمال الصالحة العظيمة ، ومع هذا يخافون من الله أن لا يتقبل منهم ، أو أن يكون في عملهم خلل أو نقص ، لا يكملون أنفسهم ، ولا يُزكّون أنفسهم ؛ بل هم يخافون من الله ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ ﴾ يعني من الأعمال الصالحة ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ . أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠-٦١] فمن رحمته سبحانه أنه شرع لعباده الاستغفار والتوبة بعد العبادات ،

=

فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »[١] (صحيح مسلم/ ٥٩١) .

كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار[٢] .

وكذلك ختم سورة المزمل ، وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] [المزمل : ٢٠] .

فكيف بعد المعاصي والسيئات ؟! الله شرع لهؤلاء وهؤلاء شرع لهم الاستغفار والتوبة ، هؤلاء عن تقصيرهم ونقصهم ، وأولئك عن ذنوبهم ومعاصيهم ، وهذا من رحمته ﷻ بعباده ولطفه بهم ، فهذا فيه رد على من سبق ذكرهم أنهم لا يحتاجون للعبادات ؛ لأنهم أولياء ، ووصلوا لله ﷻ وعرفوا ، فليسوا بحاجة إلى العبادة والدعاء وغير ذلك من غلاة الصوفية .

(١) هذا يدل على أن العمل الصالح يُختم بالاستغفار ويُتبع بالاستغفار ، قد يقول قائل : هل هم أساءوا بصلاتهم حتى يستغفروا ، فنقول لهم : ليس بلازم أنهم يسيئون ، لكن يكون عندهم نقص في الصلاة والعبادة .

(٢) أمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا ، يختمون ذلك وقت السحر ، مع أنهم على أثر عبادة ، فهم يستغفرون من نقص يحصل لهم .

(٣) قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ . قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل : ١-٢] فأمره في أول الأمر أن يقوم غالب

=

وكذلك قال في سورة الحج : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] [البقرة : ١٩٨-١٩٩] .

الليل ، فقام ﷺ حتى تفطرت قدماه من طول القيام ، امتثالاً لأمر ربه ﷻ ، ثم إن الله خفَّف في آخر السورة ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ يعني في قيام الليل ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في الجهاد في حاجة إلى التخفيف ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ ﴾ من أي نوع من أنواع الطاعات ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا ﴾ (تجدوه) : ينصب مفعولين (هاء الغائب) : هذا المفعول الأول ، (هو خيراً) : المفعول الثاني . وضمير الفصل (هو) ضمير فصل وليس مبتدأ ؛ لذلك نصب الفعل بعده (هو خيراً) ولو كان مبتدأ لقال : (هو خيرٌ) ، ثم قال : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ، هذا هو الشاهد : أن الله أمر بعد قيام الليل بالاستغفار ، وكذلك بعد الصدقة ، وإيتاء الزكاة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ .

(١) أيضاً أمر بالاستغفار مع أداء المناسك : وهي الوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ ﴾ بعد أداء الوقوف بعرفات في اليوم التاسع ، أفضتم إلى مزدلفة ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ بمزدلفة ، قيل : المشعر =

بل أنزل ﷻ في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ غزوة تبوك ، وهي آخر غزواته : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ

الحرام هو المزدلفة ، وقيل : هو الجبل الذي في المزدلفة ، فيبدأوا بصلاة المغرب والعشاء عند الوصول ، ثم النوم والمبيت ؛ لأن المبيت بمزدلفة عبادة ومنسك من مناسك الحج ، ثم صلاة الفجر فيها ، ثم الدعاء بعد الفجر ، كل هذا من ذكر الله بالمزدلفة ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ قيل : المراد : أفيضوا من مزدلفة إلى منى ، وقيل : المراد : عطفاً على ما سبق ، أفيضوا من عرفات حيث أفاض الناس من قبل ، إبراهيم عليه السلام ومن جاء بعده ؛ لأن قريشاً كانوا يقفون بمزدلفة ولا يخرجون إلى عرفة ، ويقولون : نحن أهل الحرم ولا نخرج منه ، ويقفون بمزدلفة ، وإنما يذهب إلى عرفة الآفاقيون ، هذا مما أحدثته قريش في الحج ، مُخَالِفاً لدين إبراهيم عليه السلام ، ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعني من عرفة و﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ قيل : المراد آدم ، وقيل : إبراهيم عليه السلام ، فأرجعهم إلى الوقوف بعرفة الذي كان هو دين الأنبياء من قبل : ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ بعد هذه الأعمال الجليلة : الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ﴾ اطلبوا منه المغفرة على أثر العبادة ؛ لأنه يحصل خلل في العبادة ويحصل نقص ، فيحتاج إلى الاستغفار ليجبر هذا النقص .

تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) [التوبة: ١١٧-١١٨].

---

(١) بلغ النبي ﷺ أن الروم يريدون غزو المسلمين، فتجهز ﷺ وأمر أصحابه بالخروج، فكان ذلك وقت الصيف وشدة الحر وبُعد المسافة بين تبوك والمدينة، وفي وقت مطيب الثمار، والناس يفرحون بالثمار، الله ابتلاهم وامتحنهم في هذه الغزوة ليتميز المؤمن الصادق من المنافق، وكان ذلك في آخر حياة النبي ﷺ، فهي آخر غزوة غزاها ﷺ، ولهذا قال: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة: ٨٣] هذا يدل على أنها آخر الغزوات، فحَرَم الله المنافقين من هذه الغزوة، فتبيَّن نفاقهم، وأما المسلمون فإنهم بادروا بالمسير مع الرسول ﷺ، ولم يعبؤوا بالحر، وطول المسافة، والعدو الهائل - وهم الروم -؛ بل بادروا وخرجوا مع رسول الله ﷺ، وتخلف عن الرسول ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: المرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ يعني في عدم خروجهم ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢] هؤلاء عذرهم الله.

الطائفة الثانية: ناس من المؤمنين ليس لهم عذر، لكن تكاسلوا في أول الأمر، وكل يوم يقولون: اليوم نتجهز، تثاقلوا حتى خرج النبي ﷺ، وهم لم يُعدوا العدة للسفر، لا عن نفاق فهم مؤمنون، من أفاضل الصحابة، ولكن ابتلاء وامتحان، تثاقلوا في أول الأمر، ثم فاتتهم الفرصة. فالمؤمن لا يتثاقل عن الطاعة؛ لأنه قد يعرض له ما يمنعه منها.

=

والطائفة الثالثة : المنافقون ، الذين اعتذروا فعذرهم النبي ﷺ بناء على ظواهرهم ، وإلا فهم كاذبون ليس لهم عذر ، ولله حكمة في أنهم لم يخرجوا : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ٤٧] ، فمنعهم الله من الخروج ؛ لأجل أن لا يحصل منهم تخذيل وإرجاف بالمسلمين .

أما العاجزون والمرضى والفقراء عذرهم الله ﷻ وأنزل عذرهم ، وأما المنافقون فإن الله حبسهم رحمة بالمؤمنين ، وإلا فهم قادرون على الخروج : ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] أما الثلاثة الذين خُلِّفوا من أفاضل الصحابة : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فهؤلاء اعترفوا بذنبهم وتأخرهم ، ولم يكذبوا على الرسول ﷺ ؛ بل جاؤوا وصَدَقوا الرسول ؛ لأنهم ما تأخروا عن عذر ، فالنبي ﷺ أرجأ أمرهم ، ولم يعذرهم ، وهجرهم ﷺ أربعين ليلة ، وأمر بهجرهم ، ثم إن الله تاب عليهم : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨] هذه قصة غزوة تبوك ومن تخلف عنها . والشاهد قصة الثلاثة ، فالله ﷻ قال : ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ ففي النهاية تاب الله عليهم وعفا عنهم ؛ لأنهم صدقوا الله ورسوله ، لم يأتوا بأعذار كاذبة مثل المنافقين ، بل اعترفوا أنهم ما عندهم عذر ، وأنهم أخطأوا وندموا وتابوا ، فهذا هو الحاصل أن الله تاب على المتخلفين في نهاية الأمر . (انظر القصة بطولها في تفسير الطبري ١٢ / ٥٩ - ٦٥) .

وهي آخر ما نزل من القرآن(١) .

وقد قيل : إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾(٢) [النصر : ١-٣] .

فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار ، وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : « أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن »(٣) (صحيح البخاري / ٧٨٤ - صحيح مسلم / ٤٨٤) .

---

(١) آخر ما نزل من القرآن ؛ لأنها بعد غزوة تبوك ، وغزوة تبوك هي آخر الغزوات ، فهي من آخر ما نزل من القرآن .

(٢) وأمر نبيه ﷺ أن يختم عمره بالاستغفار ، فالمسلم إذا كان في آخر عمره فإنه يكثر من الاستغفار ؛ لأن الله أمر نبيه بأن يختم عمره بالاستغفار ، ما هي علامة أجل النبي ﷺ ؟ علامة أجله فتح مكة ، قال تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ : فتح مكة ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ : لأنه بعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وجاءت الوفود من القبائل تبايع النبي ﷺ ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ : أمره الله أن يختم عمره بالاستغفار ، فالاستغفار إذاً تُختم به صلاة الفريضة ، ويُـخْتَمُ به قيام الليل ، ويُـخْتَمُ به مناسك الحج ، ويُـخْتَمُ به العُمر .

(٣) بعدما نزلت عليه هذه السورة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ كان في سجوده وركوعه يقول هذا الدعاء : « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي » ، يتأول =

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه كان يقول : « اللهم اغفر لي خطيئتي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت لا إلـٰه إلا أنت »(1) (صحيح البخاري / ٦٠٣٥ - صحيح مسلم / ٢٧١٩) .

القرآن يعني يفسر هذه السورة ؛ لأن التأويل في الأصل يراد به التفسير ، هذا هو المعروف عند السلف ، ويراد به ما يؤول إليه الأمر في المستقبل ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ﴾ [الأعراف : ٥٣] لما رأوا مآل الأمور في الآخرة - هذا هو التأويل بالمعنى الثاني - : ما يؤول إليه الأمر في النهاية ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف : ١٠٠] تأويلها ما حصل من سجود أبويه وإخوته له ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ هذا في أول عمره ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] ما جاء تأويل هذه الرؤيا إلا في آخر عمره ﷺ : ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾ فالتأويل يراد به معنيان صحيحان : التفسير أو ما يؤول إليه الأمر في النهاية . أما التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره فهذا تأويل مُحْدَث ، لكن إذا كان لدليل صرفه فهذا يسمى تخصيص أو تفسير ، وإن كان لغير دليل فهو تأويل باطل كتأويل الأسماء والصفات .

(١) فإذا كان الرسول ﷺ يستغفر ربه هذا الاستغفار ، مع أنه أكمل الأمة عبادة لله ، بل أكمل الخلق عبادة لله ﷻ ، لكن ما أحد يكمّل نفسه أو يزكي نفسه ، وإنما يعتبر نفسه مقصراً في حق الله ﷻ .

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به في صلاتي . قال : « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم »[1] (صحيح البخاري/ ٦٩٥٣ - صحيح مسلم/ ٢٧٠٥) .

وفي السنن عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال : « قل : اللهم فاطر السموات

---

(١) هذا أبو بكر الصديق أفضل الأمة على الإطلاق ، ما بعد النبيين أفضل من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومع هذا علَّمه النبي ﷺ أن يستغفر بهذا الاستغفار : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » مع أنه من أكمل الأمة عملاً بعد النبي ﷺ ، ومع هذا طلب من النبي ﷺ أن يعلّمه هذا الدعاء ، فعلمه إياه وهو استغفار « ظلمت نفسي »: ظلمتها بأي شيء ؟ بالذنوب ؛ لأن الظلم ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ظلم الشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] .

النوع الثاني : ظلم الناس ، الذين يظلمون الناس في أعراضهم ، وفي أموالهم ، وفي دمائهم .

النوع الثالث : ظلم العبد نفسه بأن يوقعها في الذنوب والمعاصي فيهلكها ، فهو يقول: « ظلمت نفسي فاغفر لي » هذا أبو بكر الصديق ، فدل على أنه لا يستغني أحد عن الاستغفار ، مهما بلغ من الفضل والمكانة والعبادة ، فإنه مقصر في حق الله ﷻ ، وأيضاً يحصل منه خلل أو نقص .

والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم ، قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك »[1] (سنن الترمذي/ ٣٣٩٢، ٣٥٢٩، وصححه الألباني) .

فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله[2] ، والاستغفار من الذنوب ؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً . قال الله ﷻ : ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) سأل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النبي ﷺ أن يعلمه دعاء يقوله إذا أصبح وإذا أمسى ، فعلمه هذا الدعاء : « اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » فالإنسان يقترف على نفسه سوءاً فهو بحاجة إلى الاستغفار ، إذا كان هذا أبو بكر الصديق علّمه الرسول ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء « وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » ، هذا دليل على أن الإنسان بحاجة إلى الاستغفار وإلى الدعاء ، وبيّن له ﷺ أن يقول هذا الدعاء في صباحه ومسائه وعند نومه إذا أخذ مضجعه .

(٢) هذه هي النتيجة مما سبق ، ليس لأحد أن يظن استغناءه عن الله ﷻ ، إذا كان النبي ﷺ وأبو بكر يستغفرون ويدعون الله ويخافون من الله مع ما لهم من الفضائل والعبادات فكيف بغيرهم ؟!

﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾(١)

---

(١) قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ : عرضها الله عليها عرض تخيير ، لا عرض إلزام ، ولو عرضها عليها عرض إلزام لامتثلت ، ولم تخالف الله ﷻ ، ولكنه عرض عليها عرض تخيير ، فلم تزك نفسها ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ آثرن السلامة ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ : خفن من تبعتها ، والأمانة : المراد بها كل ما حُمِّله الإنسان : مع الله ، مع العباد ، مع نفسه ، كل ما حمله الله من عبادته هذه أمانة ، عبادتك لله وتوحيده والإخلاص له ، وأداء الفرائض ، وترك النواهي ، هذه أمانة أمنك الله عليها ، كذلك الأمانة بينك وبين الناس ، إذا توليت على الناس في وظيفة أو في مركز هذه أمانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] والأمانة يراد بها المسؤوليات والوظائف ، فالإنسان يتوظف لأجل أن يقوم بواجبات نحو إخوانه المسلمين ، ويقضي حوائجهم ، ويقوم بالعمل وينفع إخوانه هذا هو الهدف من العمل ، وليس الدراهم فقط وكذلك الأسرار التي تتحملها ، إذا حمَّلوك الأسرار ، وقالوا لك : لا تفشها ، هذه أمانة ، فالسر أمانة ، وكذلك الودائع التي يودعونك ويأتمنونك عليها هذه أمانة . بعض الناس يظن أن الأمانة مجرد الودائع فقط ، الودائع نوع من أنواع الأمانة ، وليست هي الأمانة كلها ، وكذلك الأمانة بينك وبين نفسك ، الله ائتمنك على نفسك بأن تنظر في مصالحها وتُجنبها المضار ، وتحملها على المصالح ، وعلى الطاعات فهي أمانة عندك ، لا تهمل نفسك ، إذاً الأمانة شاقة ، ولذلك السموات والأرض أبين أن يحملنها ؛ لأنها شاقة ، ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ : آدم وذريته ، آثروا المغنم ؛ لأن من أطاع الله فيها وأداها حصل على الأجر العظيم ، فهم آثروا المغنم الذي فيها ، والسموات والأرض والجبال آثرت السلامة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾

=

[الأحزاب : ٧٢-٧٣] ، فالإنسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة(١) .

وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم ، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد بعمله » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟! قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة

أي : الإنسان : ظلوماً لنفسه ، جهولاً بحق الأمانة ، لم يَحْسُب لها حسابها ، ثم قال تعالى : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ يعني من بني الإنسان الذين تحملوا هذه الأمانة ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فذكر أن الناس نحو هذه الأمانة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من خان الأمانة ظاهراً وباطناً ، وهم الكفار والمشركون .

القسم الثاني : من أداها ظاهراً وباطناً ، وهم المؤمنون والمؤمنات ، والمسلمون والمسلمات .

القسم الثالث : المنافقون أدوها في الظاهر وخانوها في الباطن ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فدل على أن المؤمنين لا يكملون أداء الأمانة ، لكن الله يتوب عليهم ، وإلا لو آخذهم لعذبهم كلهم ، لكنه يتوب عليهم ﷻ ، فدل على أن النقص حاصل في بني الإنسان ، فلذلك شرع الله الاستغفار والتوبة .

(١) التوبة من هذا الظلم والجهل .

منه وفضل »[(١)] (صحيح البخاري / ٥٣٤٩ - صحيح مسلم / ٢٨١٦) .

وهذا لا ينافي قوله تعالى : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ

---

(١) الجنة عظيمة وغالية ، لا تدرك بالأعمال ، والأعمال مهما بلغت ليست ثمناً للجنة ؛ لأن « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (صحيح مسلم / ٢٨٢٥) ، ولأنها دائمة لا تفنى ولا تزول ، فليس عمل ابن آدم ثمناً للجنة ، وإنما هو سبب لدخول الجنة ، وإلا لو أن الله حاسبه على تقصيره ، وعلى الخلل الذي يقع منه لما دخل الجنة ، ولصار من أهل النار ، لكن الله برحمته أدخله الجنة فلا يغتر الإنسان بعمله ، أو يثق من عمله ، ولهذا قال ﷺ : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟! قال : « ولا أنا » لأن الرسول ﷺ أعظم الناس عملاً ، لذا قال له الصحابة : ولا أنت تدخل الجنة بعملك ؟! قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » ، وأما قوله تعالى : ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٣٢] الباء (باء) السببية وليست (باء) العوض ؛ لأن العمل ليس ثمناً للجنة مهما بلغ . الجنة أعظم من ذلك ، هذا من ناحية .ومن الناحية الثانية : أن العمل يعتريه نقص كثير ، وخلل كثير ، فالإنسان لا يزكي نفسه ولكن لا يقنط من رحمة الله ﷻ ، ولا يترك الأعمال ويقول : إن كان الله كتب لي الجنة سأدخلها ، وإن كان لم يكتبها فليس بحاصل ، ولو عملت ، هذا لا يجوز - والعياذ بالله - ؛ بل يفعل السبب ، وهو العمل الصالح ، فالذي لا يعمل لن يدخل الجنة ، أما الذي يعمل فهذا يدخلها برحمة الله ﷻ . الجنة لا تُدخل إلا بعمل صالح ، فهذا دليل على أن الإنسان لا يزكي نفسه ، ولا يغتر بعمله ؛ بل يعتبر نفسه مقصراً فيستغفر الله ، ويتوب إلى الله من هذا التقصير ، أما إن أُعجب بعمله واستكثر عمله ، فإنه لن يستغفر ولن يتوب .

ٱلْخَالِيَةِ ﴾[١] [الحاقة : ٢٤] . فإن الرسول ﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة[٢] ، والقرآن أثبت باء السبب[٣] .

وقول من قال : إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب ، معناه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار ، فلم يصر على الذنوب[٤] .

---

(١) ﴿ بِمَآ أَسْلَفْتُمْ ﴾ ظاهره يدل على أن الجنة تُدخل بالعمل الصالح وأن (الباء) : باء العوض ، وليست كذلك ، (الباء) ليست باء العوض ، وإنما هي باء السبب فقط .

(٢) نفي باء المقابلة يعني : باء العوض والمعادلة ، فالعمل لا يعادل الجنة ولا يقابلها ، وإنما الجنة فضل من الله ﷻ ، لكن العمل الصالح سبب لدخولها .

(٣) فهذا يفسر قوله تعالى : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] أن ذلك إنما هو من باب السبب لا من باب العوض ، وهذا يدل على أن الإنسان بحاجة إلى الاستغفار وإلى التوبة ، مهما عمل من الأعمال الصالحة ، فإنه لا يستغني عن الاستغفار والتوبة ، والإكثار من ذلك .

(٤) إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب ؛ لأنه إذا أحبه وفقه للتوبة والاستغفار هذا معناه ، وليس معناه أنه مهما عمل من الذنوب فإنها لا تضره ، هذا ليس بصحيح ، هذا قول المرجئة ، الذين يقولون : يكفي الإيمان بالقلب ولا يضر مع الإيمان معصية ، وهذا قول باطل ؛ بل المعاصي تضر المؤمنين ، قد يعذبون في النار يوم القيامة وهم مؤمنون بسبب معاصيهم وذنوبهم ، وقد يبقون في النار مدة طويلة ، ويحترقون ثم يُخرجون ، وأيضاً المصائب التي تحصل في الدنيا على المؤمنين مع أنهم مؤمنون ، دل على أن المعاصي تضر ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] فالمعاصي تضر في الدنيا وفي الآخرة ، ولا يمحوها عن المؤمن إلا الاستغفار والتوبة .

ومن ظن أن الذنوب لا تضر(١) من أصرَّ عليها(٢) فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة(٣) ؛ بل من يعمل مثقال ذرة خيراً

---

(١) يشير إلى المرجئة الذين يقولون : أن المؤمن لا تضره المعصية ، كما أن الكافر لا تنفعه الطاعة ، نقول : نعم الكافر لا تنفعه الطاعة ، لكن المؤمن تضره المعصية ، ولماذا نهينا عن المعاصي وأمرنا بالطاعات وبالتوبة ؟ إلا لأنها تضر المؤمن .

(٢) من أصرَّ عليها تضره ، أما من تاب فإنها لا تضره إذا تاب منها . من تاب تاب الله عليه ، لكن من أصر عليها فإنها تضره في الدنيا والآخرة .

(٣) لأن الكتاب والسنة يدلان على أن الذنوب والمعاصي تضر المؤمنين ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] الرسول ﷺ والصحابة في وقعة أحد ضرتهم المعصية ، المعصية وقعت من بعضهم ، وهم الرماة الذين تخلوا عن الجبل ، وقد قال لهم النبي ﷺ : « لا تتركوا الجبل سواء انتصرنا أو هُزمنا » خالفوا ونزلوا من الجبل ، فحصلت الهزيمة على المسلمين بسبب الذنوب : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ . وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ . وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥-١٦٧] ، فإذا كانت المعصية الواحدة من بعضهم حصلت على الجميع في وقعة أحد ، ففي أول الأمر انتصر المسلمون انتصاراً كبيراً على الكفار في وقعة أحد ، فلما نزل الرماة دار الكفار على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ، فحصلت المصيبة على المسلمين بسبب المعصية ، ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم ﴾ يعني تقتلونهم ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ =

يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره[1] ، وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ . وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ

ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] الله ما قنَّطهم ولا أيَّسهم ؛ بل إنه ابتلاهم ومحَّصهم ، ثم قال : ﴿ عَفَا عَنكُمْ ﴾ ، فدل على أن المعصية تضر ، فأفضل الخلق ضرَّتهم المعصية فكيف بغيرهم ؟!

(١) لا أدق من هذا . في سورة الزلزلة ، قال ﷻ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ يعني : عند قيام الساعة ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ : ما فيها من الأموات ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ : تعجَّب الإنسان من الزلزلة والهول الذي حصل ، ﴿ مَا لَهَا ﴾ : ما السبب ؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ : الأرض تشهد يوم القيامة على ما عُمِل على ظهرها من خير أو شر ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ : الله ﷻ هو الذي أنطقها ، فهو الذي أمرها أن تشهد على بني آدم ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ يصدرون من الموقف أشتاتاً ؛ ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ : ليوقفوا على أعمالهم ويحاسبوا عليها ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ الذرة أصغر شيء ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ : قيل : النملة الصغيرة وقيل : الهباءة التي تطير في الهواء ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ، فأين الذين يقولون : لا تضر المعصية ؟!

﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١) [آل عمران : ١٣٣-١٣٥] .

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين(٢)

---

(١) ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سارعوا لا تتأخروا أو تتلكأوا ، فتفوتكم الفرصة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أُعِدَّتْ﴾ : يعني خلقها الله ﷻ بما فيها من النعيم والخير لمن ؟ للمتقين الذين اتقوا الله في الدنيا وتجنبوا المعاصي وعملوا الطاعات . من هم المتقون ؟ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وذكر صفاتهم إلى قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ هذا محل الشاهد ﴿فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ الفاحشة : هي المعصية المستفحشة في القبح ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بما دون ذلك من الذنوب والمعاصي والسيئات ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ : استحضروا عظمة الله ، وخافوا منه ، وأنه شهيد ورقيب عليهم ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ : هذا محل الشاهد ، أهل الجنة يستغفرون لذنوبهم ، فأين الذين يقولون : لا تضر المعصية المؤمنين ؟!

(٢) القضاء والقدر من الله ﷻ ، والإيمان به ركن من أركان الإيمان الستة ، كما قال الرسول ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (صحيح مسلم / ٨) فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر فقد جحد ركناً من أركان الإيمان ، وذلك بأن يؤمن بأن الله قدَّر الأشياء قبل وقوعها وكتبها ، أولاً : علمها ﷻ بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، علم ما كان وما يكون ، ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، حينما خلق القلم ، قال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن في اللوح المحفوظ إلى أن تقوم الساعة ، فما من شيء إلا هو مكتوب في =

اللوح المحفوظ ، ثم إن الله ﷻ يُوجِد هذه الأشياء في مواقيتها ، إذا شاءها وُجِدت في مواقيتها لا تتأخر عنها ، كل شيء يوجد في وقته يشاؤه سبحانه ثم يخلقه في وقته ، لا يخرج شيء عن هذا ، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر لم يكن مؤمناً بالله ﷻ ، وهو متوعد بالنار ، ولن يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فلا يجزع عند المصيبة ، ولا يبطر ويفرح عند النعمة ؛ بل يشكر عند النعم ، ويصبر عند النقم ، هذا ملخص الإيمان بالقضاء والقدر ، فإن الله ﷻ أخبرنا بذلك في كتابه ، قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] ، ثم بيَّن الحكمة من إخبارنا : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فلابد أن يؤمن الإنسان بهذا .

هناك طائفتان من أهل الضلال :

الطائفة الأولى : نفت القدر ، وقالوا : إن الأمر أنف ، أي : مستأنف وليس له تقدير سابق ، لم يقدره الله ولم يكتبه ، وإنما يعلمه إذا وقع ، فهذا مذهب المعتزلة ، ويقال لهم : القدرية ؛ لأنهم نفوا القدر ، ويقال لهم : مجوس هذه الأمة ؛ لأنهم يقولون : إن العبد يخلق فعل نفسه ، فهم أثبتوا خَالِقين ، كما أن المجوس أثبتوا خالقاً للخير وخالقاً للشر ، فهؤلاء زادوا على المجوس بأن قالوا : كل إنسان يخلق فعل نفسه - تعالى الله - .

الطائفة الثانية : الذين غلوا في إثبات القدر ، حتى قالوا : إن العبد مجبور على أفعاله ، ليس له اختيار ولا مشيئة ، وإنما هو كالأداة في يد محركها ، ليس له مشيئة ولا اختيار ؛ وهو مجبور على ما يفعل ، وهؤلاء يقال لهم : الجبرية من الجهمية وغيرهم ، وسبقهم

=

المشركون ، قال الله ﷻ عنهم : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ أي : ليس لنا اختيار ؛ بل الله شاء لنا هذا ، يسلون أنفسهم بهذا ، وينفون عنهم اللوم ، ويقولون : لسنا ملومين ؛ لأننا مجبرون على هذا الشيء ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ ؛ لأنهم يحرمون أشياء لم يحرمها الله كالسائبة والبحيرة والموصولة ، ويستحلون أشياء حرمها الله كالميتة ، ويقولون : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ يدفعون عن أنفسهم اللوم ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي : كلامكم هذا هل عليه دليل أن الله رضي منكم الكفر والشرك ، وتحريم الأشياء ؟! هل عندكم دليل على أن الله رضي بذلك وأجبركم عليه ؟! هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟! ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : ١٤٨] أخبر الله بأنهم سيقولون هذا وقالوه ، ذكر ذلك الله ﷻ أنهم قالوه في سورة النحل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل : ٣٥] لو أن الله ﷻ رضي بهذا ، وأنه ليس لهم اختيار ، ما كان لإرسال الرسل ، وإنزال الكتب فائدة ، فكونه أرسل الرسل تنهى عن الشرك ، وعن الكفر ، وعن الحرام ، دليل على أن الله لا يرضى بهذا ، ولا يشرعه سبحانه ولا يحبه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] فهذا دليل على أن الله لا يرضى بالكفر ولا يحبه ، ولذلك أرسل الرسل للنهي عنه ، فالجبرية على مذهب المشركين السابقين الذين ذكرهم الله في هذه الآية .

الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾(١) [الأنعام : ١٤٨] ، قال الله تعالى راداً عليهم : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا(٢) قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣) [الأنعام : ١٤٨ - ١٤٩] ولو كان القدر حجة لأحد لم

---

(١) وقد أخبر الله أنهم قالوه ، كما في سورة النحل ، ﴿ سَيَقُولُ ﴾ أي : في المستقبل ، والسين للتنفيس ؛ أي : المستقبل القريب ، فأخبر الله أنهم سيقولونه ، وقالوه .

(٢) ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : كذبوا الرسل والكتب ، واحتجوا بالقضاء والقدر ، وأنهم لا لوم عليهم ، حتى أذاقهم الله العقوبة والهلاك ، ولو كان الله يرضى هذا لما عاقبهم عليه ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ لو كان الله - كما يقولون - أجبرهم على هذا الشيء ، وليس لهم اختيار ما عاقبهم الله ؛ لأن الله لا يظلم أحداً ، كيف يعاقب من ليس له اختيار ، وليس له إرادة ولا مشيئة ، وإنما هو مجبر ؟! تعالى الله عن ذلك .

(٣) ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ هل لكم حجة على ما تقولون على الله ﷻ : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ ﴾ : (إن) بمعنى ما . أي : ما تتبعون إلا الظن ، والظن أكذب الحديث ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم : ٢٣] ، فلا يجوز للإنسان أن يتبع الظن . أمور العقيدة وأصول الإيمان لابد أن تكون على يقين ، لا على الظن أو التخرص ، أو التوقع ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : لله الحجة البالغة عليكم ، كيف تحتجون عليه أنتم تقولون : إنه أجبرنا ؟! الله هو الذي له =

يعذب الله تعالى المكذِّبين للرسل[١] ، كقوم نوح وعاد ، وثمود والمؤتفكات ، وقوم فرعون ، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين[٢] ، ولا

الحجة البالغة ؛ لأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب تنهاكم عن هذا الشيء وأنتم تقدرون ، أعطاكم قدرة على تركه ، وعلى فعل ما أمركم به ، عندكم قدرة ومشيئة فله الحجة ، وأقام عليكم الحجة ﷻ بإرسال الرسل وإنزال الكتب .

(١) لو كان القضاء والقدر حجة لأحد ، لما أذاقهم الله بأسه وعذبهم ؛ لأنهم يكونون معذورين ، كما يقولون .

(٢) لو كان مذهبهم صحيحاً لما أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، تنهى عن المعاصي والكفر والشرك ، لأنهم مجبرون على هذا ، ولا يقدرون على تركه ، إذاً ما فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب ؟ ، يكون هذا عبثاً ، فدل هذا على أنهم لهم إرادة واختيار وقدرة ، وأنهم وقعوا في هذه الأمور باختيارهم وإرادتهم ، ولهذا عذَّب الله الأمم الكافرة كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات ، وهم قوم لوط ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ . فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم : ٥٣-٥٤] أهلكهم الله ، فلو كانوا مجبرين على ما وقعوا فيه لما عذبهم الله ﷻ ؛ لأن هذا سيكون ظلماً لهم ، والله منزَّه عن الظلم ، وهو الحكم العدل سبحانه ، ولما أوجب الله الحدود على الزناة والسراق وشاربي الخمور والمرتدين ؛ لو كانوا مجبرين على هذا ، وليس لهم قدرة ، فكيف يُرتِّب الله عليهم الحدود ؟! جلد الزاني ، أو رجم الزاني ، أو قطع يد السارق ، أو جلد شارب الخمر ، كيف يعاقبهم وهو قد قدَّر ذلك عليهم وأجبرهم ؟! ، الله قدَّر هذا عليهم ، ولكن لم يجبرهم ؛ بل لهم الاختيار ، فالإنسان إن شاء أطاع الله ، وإن شاء عصى الله باختياره ومشيئته ، أما لو كانوا ليس لهم اختيار ولا قدرة فهم معذورون ، ولذلك المجنون معذور ، =

يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله[1] ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب ، فعليه ألا يذمَّ أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه[2] ؛ بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما

والصغير دون البلوغ معذور ، والنائم معذور ، والمكره معذور ؛ لأنه ليس له اختيار ، مجبر على هذا الشيء ، أو ليس عنده عقل يميز به بين الحق والباطل .

(١) لا يحتج أحد بالقدر ، ولذلك الذين يحتجون بالقدر ، ويقولون : إنهم مجبرون على ما يفعلون إنما يتبعون أهواءهم ، وليس عندهم دليل : ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام : ١٤٨] الذي ليس عنده علم يتبع هواه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، فالذي يزني إنما اتبع هواه وشهوته ، والذي يسرق إنما اتبع هواه وشهوته للسرقة ، والذي يشرب الخمر إنما شربه لهواه وشهوته .

(٢) هذه حجة مفحمة لهم ، إذا كنتم تقولون : إنه لا لوم علينا ؛ لأننا مجبرون على ما نفعل ، إذاً إذا اعتدى عليكم أحد فلا تطالبوا بالعقوبة ولا بالقصاص ، إذا قُتِل لكم قتيل ، قولوا : هذا قضاء وقدر ، إذا ضربك أحد لا تنتقم منه ؛ لأن هذا قضاء وقدر ، فهو مجبر ليس باختياره ، إذا أخذ أحد مالك لا تخاصمه على مذهبك ؛ لأن هذا قضاء وقدر مجبر عليه ، فلماذا تخاصم وتطالب بالقصاص والجزاء ؟! هذا دليل على أن الجاني ليس مجبراً ، ولأنك تطالب العقوبة ، فأنت تتناقض مع نفسك ، تلتمس لنفسك العذر ، ولا تلتمس العذر لغيرك ، فهذا لا يصلح من العقلاء ، إذا كنت أنت معذور بالقضاء والقدر كما تقول ، فاعذر من يعتدي عليك ؛ لأنه مجبور على ما فعل معك ، لماذا تطالب بالجزاء ؟! وبهذا تفسد الدنيا ، يصير الناس كالبهائم ؛ بل أحط من البهائم ؛ فلا مؤاخذة ولا عقاب ، وتفسد الدنيا بهذا المذهب الخبيث .

يوجب الألم[١] ، فلا يفرِّق بين من يفعل معه خيراً وبين من يفعل معه شراً[٢] ، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً[٣] ، وقد قال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[٤] [ص : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٥] [القلم : ٣٥] ، وقال تعالى :

---

(١) كله مجبر عليه .

(٢) لأنهم كلهم مجبرون ، فالذي فعل معك خيراً ليس له معروف ؛ لأنه مجبر على هذا ، ومن فعل معك شراً غير ملوم ؛ لأنه مجبر على هذا .

(٣) هذا ممتنع في الطباع والعقول والشرع ، حتى البهائم إذا اعتُدي عليها تنتقم لنفسها وتدافع عن نفسها ، هذا دليل على أن الأمور بالاختيار .

(٤) الله فرَّق بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الأرض ، لو كانوا مجبرين ما فرَّق الله بينهم ، لا فرق بين من يصلي ومن يزني إذا كانوا مجبرين ، فالله فرَّق بينهم ، قال سبحانه : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ فكون الله فرَّق بين هؤلاء وهؤلاء ، هؤلاء ينعِّمهم وهؤلاء يعذبهم ، هذا دليل على أنهم غير مجبرين وهذا دليل على أن لهم اختيار ومشيئة وإرادة .

(٥) ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ : من الكفار والمشركين ، هذا استنكار منه ﷻ ، أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين ، استنكار ونفي ، ولا يليق بحكمته ﷻ ذلك ، فالمسلمون يرحمهم وينعمهم ، والمجرمون يعذبهم ويعاقبهم ، لماذا فرَّق بينهم ؟ لأنهم فعلوا هذا باختيارهم ، فالذي فعل الخير فعله بإرادته واختياره ورغبته ، والذي فعل الشر فعله =

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[(1)] [الجاثية : ٢١] ، وقال تعالى :

بإرادته واختياره ورغبته ، والجزاء من جنس العمل ، هذا العدل من الله ﷻ ، ولهذا قال : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ : ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ هذا استنكار ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ . سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ [القلم : ٣٦-٤٠] من الذي تكفَّل لهم بهذه الأمور ؟ هذا دليل على أن هناك فرق بين المؤمنين والكفار ، والمطيعين والعصاة ، وأنهم فعلوا هذه الأمور باختيارهم ومشيئتهم وإرادتهم ، لا أحد يصرفهم عن ذلك .

(١) كل هذه الآيات في مسار واحد ، وكلها يصدق بعضها بعضاً : ﴿أَمْ حَسِبَ ﴾ : استفهام للاستنكار ، ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: اكتسبوها . والاجتراح: هو الاكتساب ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي : لا نجعلهم ، ولا يليق بحكمة الله وعدله أن يجعل هؤلاء مثل هؤلاء ، إذاً لا فائدة من الأعمال ، ولا فائدة من الشرائع ، ولا فائدة من إرسال الرسل . ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ : يمكن في الدنيا يصير الكافر منعماً في الدنيا ، وعنده أموال وأولاد وقوة ، والمؤمن يصير فقيراً ومريضاً ، ولا ينال شيئاً من جزاء أعماله ؛ لأن الله ادخرها له في الآخرة ، أما الكافر فاستدرجه الله في الدنيا من أجل أن يعذبه في الآخرة حكمة من الله ﷻ ، لا يستوون في الحياة والموت ، يوم القيامة يميِّز الله بين هؤلاء وهؤلاء ، فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير ، ليس مثل الدنيا الأمور مختلطة ، في الآخرة يميِّز الله بينهم ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي =

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] [المؤمنون : ١١٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[2] [القيامة : ٣٦] أي : مهملاً لا يؤمر ولا ينهى[3] ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ ، أنه قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ، فبكم وجدت مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾

رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٤-١٥] : يُسرُّون ، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٦] .

(١) كذلك لو كان كما يقولون : إنهم مجبرون على الأعمال ، سيكون إذاً خلقهم عبثاً ؛ لأنه لا يوجد جزاء على الطاعات ، ومجازاة على المعاصي - تعالى الله عن ذلك - لو كان ما هناك بعث ولا حساب ولا جزاء ، وكلٌّ يعمل ما يشاء ، ولا هناك نتيجة كان خلقهم عبثاً ، والله منزَّه عن العبث .

(٢) أي : لا يؤمر ولا ينهى ، لو كان الأمر كما يقولون : إنه مجبر ، ما حصل الأمر ولا النهي من الله ﷻ ؛ لأنه لا فائدة في الأمر والنهي ، وهذا فيه اعتراض على الله ﷻ ، وأن أمره ونهيه لا فائدة منه ، فكيف يأمرهم وينهاهم وهم مجبرون على ما يفعلون ، فليس للأمر قيمة ولا للنهي قيمة .

(٣) إذا أُخذ بقولهم إنهم مجبرون على أفعالهم ، صار الإنسان لا فائدة في أمره ونهيه ، فيترك سدى ، لا يحاسب ولا يجازى ؛ لأنه معذور على قولهم ، مجبر ليس له اختيار .

[طه : ١٢١] ، قال : بأربعين سنة ، قال : فلم تلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحج آدم موسى »[١] (صحيح البخاري / ٦٢٤٠ - صحيح مسلم / ٢٦٥٢) أي : غلبه بالحجة[٢] .

---

(١) هذا الحديث حديث عظيم ، لكن لا يفهمه معظم الناس ، ويغلطون في معناه ، يزعمون أن موسى عليه السلام احتج على أبيه آدم عليه السلام بفعل المعصية ، لماذا عصيت ربك ؟ فيظنون أن موسى عاتب أباه على فعل المعصية ، في حين أن موسى عاتبه على المصيبة التي حصلت ، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ هذه المصيبة التي حصلت بسبب المعصية ، فآدم احتج بأن الإخراج من الجنة مصيبة ، والقدر يحتج به على المصائب ، فاحتج آدم على موسى بالقدر على المصيبة ، ولم يحتج به على فعل المعصية ؛ لأنه فعلها باختياره وليس مجبراً ، وموسى يعلم هذا ، وأيضاً لا يمكن لموسى أن يلوم أباه آدم على معصية قد تاب الله عليه منها ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له . فالحديث ليس فيه حجة للجبرية من وجهين :

الوجه الأول : أن موسى إنما لام آدم على المصيبة ، وهي الإخراج من الجنة ، ولم يلمه على فعل المعصية .

الوجه الثاني : أنه لا يمكن لموسى عليه السلام أن يلوم آدم عليه السلام على المعصية ؛ لأنه تاب منها ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٢) الاحتجاج بالقدر على المصائب هذا أمر من الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، فيصبر على المصيبة ولا يجزع ولا يتسخَّط ، ويعلم أنها بقضاء الله وقدره ، أما المعصية فلا أحد من المؤمنين يحتج على فعله ، ولكن يتوب ويستغفر ، ويُرجع اللوم إلى نفسه ، ويتوب إلى الله ويستغفر ، هذا واضح .

وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان[١] : طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذنب والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر[٢] وطائفة شرٌّ من هؤلاء جعلوه حجة[٣] ، وقد يقولون : القدر حجة لأهل الحقيقة[٤] الذين شهدوه ، أو الذين لا يرون أن لهم فعلاً[٥] ، ومن الناس من قال : إنما حجَّ آدم موسى لأنه أبوه[٦] ، أو لأنه كان قد تاب[٧] ، أو لأن الذنب

---

(١) طائفتان :

الطائفة الأولى : القدرية وهم أيضاً المعتزلة ، الذين ينفون القدر ، مع أن آدم احتج به على موسى ، وهم ينفون القدر ، فهذا حجة على المعتزلة .

والطائفة الأخرى : الجبرية الذين يقولون : إن العبد مجبر ، إذاً آدم يكون مجبراً على أكله من الشجرة ، فكيف يلومه وهو مجبر على زعمكم ؟!

(٢) وهم المعتزلة الذين يقولون : إن الله لم يرد المعصية ولا شاءها ، وإنما العبد هو الذي يفعلها .

(٣) وهم الجبرية .

(٤) أهل الحقيقة : هم الصوفية - غلاة الصوفية - وعندهم الإنسان ترتفع عنه التكاليف إذا وصل إلى درجة من التصوف ؛ لأنه صار ولياً خاصاً ، ليس عليه تكاليف ؛ لأنه عرف وانتهى .

(٥) هؤلاء هم الجبرية .

(٦) وليس للابن أن يحتج على أبيه ، هذا قول ساقط .

(٧) وهذا قول لا وجه له أيضاً ؛ لأن موسى لم يذكر الذنب أبداً ، لم يقل لآدم : لماذا أكلت من الشجرة ؟ ؛ بل قال : لماذا أخرجتنا من الجنة ؟ ذكر المصيبة فقط .

كان في شريعة واللوم كان في أخرى(١) ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل(٢) ، ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة(٣) فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه ، فإن موسى عليه السلام يعلم أن التائب من الذنب لا يلام ، وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر ، لم يقل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾(٤) [الأعراف : ٢٣] والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلِّم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب(٥) ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) أي : في شريعة أخرى ، كل هذه أقوال لا قيمة لها .

(٢) كل هذه الأقوال باطلة ، وسيأتي الجواب الصحيح .

(٣) لم يقل له : لماذا أكلت من الشجرة ، وإنما قال : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ وهذه مصيبة .

(٤) لو كان آدم عليه السلام يرى أنه لا لوم عليه ، ويحتج بالقدر على المعصية ، لما تاب إلى الله : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ، فآدم اعترف بأنه ظلم نفسه بالمعصية ، وأنها فِعْلُه باختياره ، وتاب إلى الله ﷻ ، ولو كان آدم يرى أنه مجبور على المعصية لما تاب ، كيف يتوب وهو مجبور ؟!

(٥) هذه هي القاعدة : أن المؤمن عند المصائب يصبر ولا يجزع ، ولا يتسخَّط لقضاء الله وقدره ، وعند الذنوب يتوب ويستغفر ، ولا يحتج بالقدر ، وهذا ما يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع .

لِذَنۢبِكَ ﴾[١] [غافر : ٥٥] **، فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب ؛ وقال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾**[٢] [التغابن : ١١] **قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم »**[٣] (السنن الكبرى للبيهقي / ٧١٣٣)

---

(١) هذه الآية واضحة ، اصبر على ماذا ؟ اصبر على أذى المشركين ؛ لأن هذه مصيبة ، الرسول ﷺ واجه من المشركين الأذى الكثير والمتاعب ، فالله ﷻ قال له : ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ ، هذا قضاء وقدر ، وقال له : ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ ما قال : اصبر على ذنبك ؛ بل قال : استغفر لذنبك . فالذنب إنما يفعله الإنسان باختياره وإرادته ، فيحتاج إلى الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ ، فالله فَرَّق بين المصيبة والذنب . عند المصيبة ، قال : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ ولا تجزع وتترك الدعوة إلى الله ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ إذا حصل منك ذنب فاستغفر لذنبك ، فالآية واضحة في هذا .

(٢) ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ : هذا احتجاج بالقدر على المصيبة ، أنها بإذن الله وقدره ، فلا تجزع وتتسخَّط لقضاء الله وقدره ، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ : يعلم أن هذه المصيبة بإذن الله ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ : يهدي قلبه للإيمان .

(٣) الآية تعني أن الرجل إذا أصابته مصيبة يعلم أنها من عند الله ، وأنه لا فرار له منها ، قال ﷺ : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك » (مسند الإمام أحمد / ٢١٥٨٩ ، وإسناده قوي) ، وأيضاً قال ﷺ : « فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا ، لكان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل » (صحيح مسلم / ٢٦٦٤) .

والمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل ، صبروا لحكم الله[١] ، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر ، والصبر واجب باتفاق العلماء[٢] ، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله[٣] والرضا قد قيل : إنه واجب ، وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح[٤] ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة[٥]

---

(١) ولم يجزعوا مع بذل الأسباب والمؤمن لا يصبر ويُعطِّل الأسباب ، بل يصبر ، ولا يجزع ، ولكن يبذل الأسباب للخروج من المأزق ومن الشدة .

(٢) الصبر واجب وهو في كتاب الله في آيات كثيرة ، والصبر هو رأس الإيمان ، فمن ليس له صبر لا يكون عنده إيمان ، فالصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن ليس عنده صبر ، لا يبقى له دين ؛ كما أن الجسد إذا فقد الرأس لم يبق به حياة . فالصبر أمره عظيم ، قرره الله في القرآن ، وأمر به ، وذكر فوائده ونتائجه .

(٣) الصبر واجب ، وأما الرضا بالمصيبة فهو ليس بواجب ، إن حصل فحسن أن يرضى ويسلم : « هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم » ، فالرضا من كمال الإيمان ، وليس بواجب ، لأن الإنسان يتألم ويتضايق .

(٤) الرضا ليس بواجب ، إنما الصبر واجب وعدم الجزع ، أما الرضا فهذه درجة عالية ، لا ينالها كل الناس ، لكن حصلت ، فهذا شيء طيب .

(٥) وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة ؛ لأنها خير له ، قال الرسول ﷺ : « عجباً للمؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (صحيح مسلم / ٢٩٩٩) ، أما الكافر فعلى العكس ، إن أصابته ضراء جزع وتسخَّط ، وإن أصابته سراء أشر وبطر ، وتكبر .

لما يرى من إنعام الله عليه بها(١) ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ورفع درجاته(٢) وإنابته وتضرعه إليه(٣) وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين(٤) ، وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا

---

(١) لأنها تنبهه إلى التوبة ، ولأنها تقمع ما في نفسه من الكبر والتطاول ، ولأنها أعظم شيء فيها أن الله يكفر بها خطاياه ، فالمصائب تكفير للمسلمين ، يكفِّر الله بها خطاياهم ، « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولا سقم ولا حزن ، حتى الهم يهمه ، إلا كُفِّر به من سيئاته » (صحيح مسلم / ٢٥٧٣) ولما جاء أبو بكر الصديق إلى النبي ﷺ ، وقال : يا رسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟ ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ١٢٣] ، فكل سوء عملنا جُزينا به ؟ قال : « غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ » قال : بلى ، قال : « فهو ما تجزون به » . (مسند الإمام أحمد / ٦٨ ، وهو صحيح بطرقه وشواهده) ، حتى الشوكة يُشاكها يكفِّر الله بها خطاياه ، فالمصائب فيها مصالح للمؤمنين : يكفر الله بها خطاياهم ، وتنبههم للتوبة والاستغفار ، وإدراك الخطأ ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

(٢) إذا أصاب الإنسان مصيبة وهو ليس عنده سيئات يرفع الله بها درجاته في الجنة ؛ لأن الله قد يكتب للعبد درجة في الجنة لا يبلغها بالعمل ، فيقدِّر الله عليه المصائب من أجل أن يرفع الله بها درجاته في الجنة .

(٣) يتذكَّر ذنوبه فيتوب إلى الله .

(٤) مصالح عظيمة في المصائب للمؤمنين .

أذنبوا واتبعوا أهواءهم(١) ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أُنعم عليهم بها(٢) كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري(٣) أي مذهب وافق هواك تمذهبت به(٤) ، وأهل الهدى والرشاد إذا

---

(١) أهل الكفر والشرك على العكس من المؤمنين ، إذا أصابتهم مصيبة جزعوا وتسخطوا؛ لأنهم لا يؤمنون بأنها بقضاء الله وقدره ، وإذا أصابتهم نعمة فسقوا وتكبروا وأشروا وبطروا ، فهذه طريقة أهل الكفر والشرك .

(٢) وإذا أنعم عليهم بالحسنات ، لا يقولون : هذه من الله ، وإنما يقولون : هذه بسبب فعلنا وكسبنا وكدِّنا ومعرفتنا وحذقنا ، كما قال قارون لما نُصح : ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص : ٧٨] أي : أن هذا المال ليس من عند الله ، إنما هو بكدي وكسبي ، فيضيف هذا إلى نفسه ، ويجحد فضل الله عليه .

(٣) عند المعصية جبري ، وعند الطاعة قدري ؛ لأن بعض الناس إذا قلت له : افعل الطاعة قال : إذا قدَّرها الله لي فعلتها ، وإذا لم يقدِّرها لي لم أفعلها . هذه لا تزال على ألسنة بعض المخذولين الآن . وإذا قلت له : تب إلى الله ، قال : لو كتبها الله لي تبت ، وإن لم يكتبها لي فليس لي حيلة ، هذا عند الطاعة ، وعند المعصية جبري لا يلوم نفسه عليها ، بل يقول : أنا مجبر عليها وليس لي حيلة فيها ، فيعطي نفسه العذر بأنه مجبور بزعمه . فهو عند الطاعة قدري على مذهب المعتزلة ، وعند المعصية جبري على مذهب الجبرية .

(٤) وهذه مصيبة ، الذين يختارون في المذاهب والأقوال الآن - حتى في غير العقيدة - فيختارون الفتاوى والأقوال التي تصلح لهم ، حتى وإن كان ليس عليها دليل ، ولو كانت خطأ ، والتي لا تصلح لهم ، حتى وإن كان عليها دليل وبرهان ما يقبلونها ؛ لأنهم يتبعون أهواءهم .

فعلوا حسنة شهدوا إنعام الله عليهم بها[١] ، وأنه هو سبحانه الذي أنعم عليهم ، وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فزال عنهم بشهود القدر العُجْب والمَنُّ والأذى[٢] ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا إليه منها[٣] ، ففي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إلـٰه إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة »[٤] (صحيح البخاري / ٥٩٤٧) .

---

(١) شكروا الله عليها ، واعترفوا بفضل الله عليهم .

(٢) لا يُعجبون بعباداتهم ولا بطاعاتهم ؛ لأنهم يعتبرون أن الفضل من الله ، هو الذي وفقهم لها ، وهو الذي تفضل عليهم بذلك ، فيشكرون الله على الطاعة ، ويستغفرون الله عند المعصية . فهم يشكرون عند النعم ، والطاعة من أعظم النعم .

(٣) النعم ينسبونها إلى الله ، وأما الذنوب فإنهم ينسبونها إلى أنفسهم ، فيتوبون إلى الله ويستغفرونه .

(٤) هذا الحديث حديث عظيم ، وهو سيد الاستغفار ، وفيه الإقرار لله بالربوبية ، وأنه الخالق ﷻ ، وأنه المنعم : « أبوء لك بنعمتك عليّ » ، وأن الذنب من قِبل العبد : « وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » فنسب النعمة إلى الله ، ونسب الذنب إلى نفسه ، واستغفر الله ﷻ .

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ ، أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالي ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أُكسكم ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المِخْيَط غمسة واحدة ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[1] (صحيح مسلم / ٢٥٧٧) .

---

(١) هذا الحديث حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، فيما يروي النبي ﷺ عن ربه .

=

وهذا ما يسمى بالحديث القدسي ، فرقاً بينه وبين الحديث النبوي . فالحديث القدسي : ما كان من كلام الله ﷻ . والحديث النبوي : ما كان من كلام الرسول ﷺ . والأحاديث القدسية كثيرة : منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو دون ذلك ، وقد صُنِّفت فيها مصنفات وهذا الحديث من أشهرها ؛ لأنه تضمَّن أشياء كثيرة ، أول ما تضمن : تنزيه الله ﷻ عن الظلم ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، والله ﷻ منزَّه عن الظلم أن يضع العذاب في غير موضعه ، ويضع النعيم في غير موضعه ؛ بل إنه سبحانه حكيم ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢١] ، لكنه لا يعذب أحداً على غير سبب ، ولا ينعِّم أحداً على غير سبب ، بل كل يجازيه الله بعمله ، كما في آخر الحديث : « إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله » ؛ لأن هذا بتوفيق الله ﷻ ، لا بحوله ولا بقوته ، وإنما الله هو الذي وفقه وهداه ، وفي هذا رد على المعتزلة الذين ينكرون خلق الله لأفعال العباد ، إنما الهداية بفضله ﷻ ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، لكن الهداية لها أسباب من قِبَل العبد ، يفعلها العبد ، والضلال له أسباب من قبل العبد ، كما قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥-٧] فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى هذه أفعال العبد وهي سبب في تيسير الله له للحسنى والجنة ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٨-١٠] فالعبد هو الذي يسبب لنفسه الشقاء أو السعادة ، والله مُنزَّه أن يظلمه ، فيشقيه بغير سبب ، أو يسعده بغير سبب ، هذا محل الشاهد من هذا الحديث : أن الجزاء إنما يكون على الأعمال ، كلٌّ يجزى بعمله لا يجزى ويؤاخذ بعمل غيره وهذا هو العدل من الله ﷻ ، فإنه لو عذَّب أحداً بغير ذنب ، أو عذب أحداً بسبب عمل غيره ، أو نعَّم أحداً بسبب عمل غيره كان ذلك ظلماً يُنزَّه الله ﷻ عنه .

فأمر سبحانه بحمده على ما يجده العبد من خير ، وأنه إذا وجد شراً فلا يلومن إلا نفسه[١] ، وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته[٢] ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية

---

(١) فالخير فضل من الله ﷻ هو الذي وفق هذا العبد للطاعات والعمل الصالح ، ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣] ، اعترفوا بأن هذا فضل من الله ﷻ ، وكما مرَّ بنا أن الجنة ليست ثمناً للعمل ؛ لأنها لا تقابل بالأثمان ، ولكنها فضل من الله ، والعمل سبب فقط ، وأما من وجد غير الخير فلا يلومن إلا نفسه ؛ لأنه هو الذي تَسبَّب في ذلك بأعماله السيئة ، ولا يلوم القضاء والقدر ، كما سبق لنا أن القضاء والقدر يُحتج بهما في المصائب والصبر عليها ، وأما في المعاصي والذنوب فلا يُحتج بالقضاء والقدر ، وإنما يلوم الإنسان نفسه ، وهذا موافق لما سبق ، لأنه لا يحتج بالقضاء والقدر على الكفر والشرك والمعاصي ، ولكن على الإنسان أن يلوم نفسه ؛ لأنه هو الذي قدَّم لنفسه هذا الشيء ، ولهذا إذا دخل أهل النار النار يطلبون أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ليعملوا ، عرفوا أنهم ما دخلوا النار إلا بكفرهم وسوء أعمالهم فيطلبون الرجوع لإصلاح أعمالهم .

(٢) الحقيقة حقيقتان :

حقيقة كونية : تتعلق بمشيئة الله ، وهذه لا دخل للعبد فيها ، هذا قضاء الله وقدره .

حقيقة شرعية : هذه هي التي للإنسان سبب في كونه عمل بما شرعه الله من الطاعات والخيرات ، أو أنه أهمل ذلك . هذه هي الحقيقة الشرعية ، الحقيقة الكونية ليس من لازمها أن الله يحبها ويرضاها . فالكفر هذا حقيقة كونية ، فالله قدره وقضاه ولكن لا =

موافقاً لما أمر الله به على ألسُن رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة[1] ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به

يحبه ، وإنما قدره لحكمة ، وأما الحقيقة الشرعية : وهي الأوامر التي أمر الله بها فإن الله يحبها ويرضاها ﷻ ، فهو يحب المؤمنين ويحب الأعمال الصالحة ، ويكره الذنوب والمعاصي ، والكفر والشرك بالله ﷻ .

فيتعلقون بالحقيقة الكونية فقط كحالة الجبرية والصوفية وغيرهم ، الذين يتعلقون بالقضاء والقدر فقط ، وهذا خطأ وضلال . فهناك حقيقة شرعية أمر الله بها : كالأوامر والنواهي والأحكام ، وهم أغفلوها وأخذوا بالحقيقة الكونية فقط ، فلابد أن الإنسان يفرق بين القضاء والقدر ، وبين الأمر والشرع ، كما سيأتي من كلام الشيخ . فالحقيقة الكونية ليس من لازمها الرضا والمحبة ؛ بل قد يكون فيها رضا ومحبة وقد لا يكون ، أما الشرعية فمن لازمها الرضا والمحبة .

(١) هناك من يعمل بذوقه وعقله وما تميل إليه نفسه وهذا هو الضلال ؛ لأن الواجب أن يعمل بما شرعه الله ﷻ ، أما الذوق والعقل فهذا لا دخل له في الأعمال الشرعية ، فلو كان العقل يكفي لما أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ، وَلَوَكَلَهُم إلى عقولهم ، فالعقل والذوق وكون الإنسان يفرح بهذا الشيء أو يتلذذ به ، ليس ذلك دليلاً على أن هذا الشيء مستحسن فقد يستحسن الإنسان القبيح ، وقد يكره الصحيح كالطاعة والعمل الصالح ويحب الشر والفسوق والعصيان ، فما يشتهيه الإنسان ويتذوقه ليس دليلاً على أنه مستحسن ، فقد يستحسن الإنسان شراً ، وقد يكره خيراً ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، فليس المقياس أن الإنسان يرتاح إلى هذا الشيء أو يميل إليه أو أن عقله يدله عليه ، ليس هذا هو المقياس ؛ بل المقياس هو الشرع المطهر .

كثير من الناس ، ولا يفرق بين الشرع المنزَّل من عند الله تعالى[١] وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله ﷺ[٢] ، فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كافر[٣] .

وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ[٤] ،

---

(١) أيضاً كما أنهم أخطأوا في قضية العقل والذوق والوجد ، واتخذوه مقياساً ، كذلك من الناس من يتعلق بالشرع ، ولكنه لا يفرق بين الشرع المنزَّل ، والشرع المبدَّل ، والشرع المؤول :

فالشرع المنزل : هو ما أنزله الله ﷻ بمعناه وحقيقته ومدلولاته .

والشرع المبدل : هو الذي يكون من افتراءات الباطنية والإسماعيلية وأهل الضلال ، هذا شرع مبدل ؛ إنما هو شرع من عندهم . **والشرع المؤول** : هذا هو الذي يدخله الاجتهاد ، ومنه ما هو خطأ ؛ لأن الاجتهاد منه ما يخطئ ويصيب . فما أصاب الحق من الاجتهادات يؤخذ به ، وما أخطأ فإنه يُترك .

(٢) هذا هو الشرع المنزل الذي عليه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحون .

(٣) ليس لأحد أن يخرج عن الشرع المنزَّل ، لا يخرج عنه إلا كافر ؛ لأنه خرج عن أمر الله مثل إبليس ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف : ٥٠] ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف : ١٢] فلما عصى الأمر فسق عن أمر ربه ، فدل على أن الواجب على العبد أن يمتثل الأمر ، فإن عصى الأمر ، صار فاسقاً .

(٤) هذا هو الشرع المؤول الذي يدخل فيه حكم الحاكم ، أي : القاضي ، وقد يصيب الحق وقد يخطئ ، لكنه كما قال الرسول ﷺ « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » على اجتهاده ؛ لأنه يريد الحق ، فهذا هو الشرع =

هذا إذا كان عالماً عادلاً[١] ، وإلا ففي السنن ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة[٢] ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار[٣] ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار »[٤] (سنن الترمذي / ١٣٢٢ ، وصححه

المؤول ، وليس من شأنه الصواب ، فقد يخطئ ، وسيأتي أن القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار . القاضي الذي في الجنة : هو الذي عرف الحق وحكم به ، والقاضيان اللذان في النار :

الأول : الذي عرف الحق وقضى بخلافه .

والثاني : الذي لا يعرف الحق ، وحكم بجهل فأخطأ ، فجمع بين الجهل والخطأ ، هذا في النار ؛ لأنه ليس للجاهل أن يحكم ، ولا أن يجتهد وهو جاهل ، فإذا فعل فهو في النار ؛ لأنه ليس عنده مؤهلات للاجتهاد .

(١) إذا كان عالماً عادلاً فإنه يصيب ويخطئ ، أما إذا كان جاهلاً فإنه لا يجوز له أن يحكم ، وكذلك إذا كان عالماً بالحق لا يجوز له أن يتركه ويحكم بالهوى وبغير الحق : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩] ، ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ١٠٥] هذا هو الواجب على العالم ، وعلى القاضي بالذات ، أنه لا يحكم بهواه ، إنما يحكم بما أنزل الله ، فإذا كان عالماً اجتهد وأخطأ فهو معذور ، فإن أصاب فله أجران ، أما إذا كان جاهلاً فمن الأصل لا يدخل في هذا الشيء ، فإن دخل فهو في النار ؛ لأنه حكم بغير علم .

(٢) « علم الحق وقضى به فهو في الجنة » ؛ لأنه قضى بعلم وأصاب الحق .

(٣) رجل ليس عنده علم ، فلا يجوز أن يقضي بين الناس وليس عنده علم .

(٤) لأنه تعمد – والعياذ بالله – القضاء بالباطل وهو يعرف الحق ، لكن هواه انحرف به .

الألباني) . وأفضل القضاة العالمين العادلين : سيد ولد آدم محمد ﷺ[١] ، فقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : « إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم يكون ألْـحَنَ بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »[٢] (صحيح

---

(١) هذه مسألة عظيمة ، وهي أن القاضي يقضي في الظاهر على نحو ما يسمع ، وأما في الباطن فحكمه إلى الله ﷻ ، فإذا اجتهد القاضي وحكم بناء على الظاهر ، وفي الباطن الحكم خطأ ، فهذا اختلفوا فيه : هل حكم الحاكم يُحل له ما قُضي له به ؟ أو لا يُحله له ؟ الصحيح أنه لا يُحله له ، حكم الحاكم لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال في الباطن ؛ بل تُعاد الخصومات يوم القيامة ، ويقضي الله بين الناس ، فمن علم من الخصوم أنه مخطئ في دعواه ، أو مزوِّر في بينته ، فإنه يجب عليه التوبة إلى الله ، ورد الحق إلى أهله ولا يأخذه .

(٢) القاضي يحكم ولا يعلم الغيب ، حتى الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ، فهو يقضي على نحو ما يسمع للبيِّنة بالشهود ، وربما يكون أحد الخصوم عنده بلاغة وفصاحة ، فيزوِّق ويزوِّر الحجة ، والآخر مسكين ما عنده فصاحة ولا بلاغة وهو الـمُحِق ، لكن ليس عنده لسان وقوة بيان ، فيتغلب عليه الفصيح البليغ ، والقاضي يحكم بنحو ما يسمع ؛ لأنه لا يعلم الحقائق الباطنة ، ما يعلمها إلا الله ، فلا يسوغ لمن حُكِم له بظلم أن يأخذه ويقول : هذا قضاه لي القاضي فيه ، بل عليه أن يرده ، « فإنما أقطع له قطعة من النار » ، هذا الرسول ﷺ فكيف بغيره من القضاة ؟! بعض الناس يقول : إذا حكم القاضي فهو حق ، وهو يعلم أنه كذاب ومزوِّر ويريد حكم الحاكم يُسوِّغ له هذا الشيء ، هذا لا يجوز ، وحكم الحاكم لا يقلب الباطل إلى الحق ، الباطل هو الباطل .

البخاري / ٢٥٣٤ - صحيح مسلم / ١٧١٣) . فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه ، وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له ، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار[(١)] ، وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة ، إذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية ، كالبينة والإقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر ، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق[(٢)] ، وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك ؛ فأكثر العلماء يقول : إن الأمر كذلك[(٣)] ، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل[(٤)] ، وفرّق أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين النوعين[(٥)] .

---

(١) فليحذر الخصوم أن يأخذوا حقوق الناس بحكم الحاكم ، وهم يعلمون أنهم مبطلون ، وليحذر أيضاً المحامون ، الذين يحامون عن الخصوم ، ويفتحون مكاتب محاماة ، أن يخاصموا بالباطل ، وأن يزوِّروا ، وأن يقلبوا الحقائق على القاضي ، فليحذروا من هذا ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء : ١٠٥] فلا يجوز للإنسان أن يتوكل أو يحامي في قضية يعلم أنها باطلة .

(٢) بإجماع أهل العلم لا يحل له ذلك ؛ لأن الرسول ﷺ ، قال : « أقضي على نحو ما أسمع ، من قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

(٣) الحديث عام في العقود وفي الفسوخ : كالطلاق وغيره من فسوخ العقود .

(٤) لعموم الحديث .

(٥) بين العقود والفسوخ ، فعنده أن حكم الحاكم يكون في العقود ، إذا صارت خطأ والقاضي لا يدري ، فليس للمبطل أن يأخذ ما قضي به ، أما الفسوخ : كالطلاق ، فلا يجوز للقاضي أن يحكم إلا بتثبت ولا يكتفي بالظاهر ؛ بل يتأكد ويتحقق من الأمر .

فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة ، لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه[1] ، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر[2] .

ومن احتج في ذلك بقصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام[3] ، كان

---

(١) الناس على ألسنتهم الآن الشرع الشرع ، يريدون بذلك حكم القاضي ، يسمونه الشرع ، ولكن الشرع الصحيح والحق : هو ما أنزله الله ﷻ ، أما حكم القاضي فهو اجتهاد يخطئ ويصيب ، فالشرع الذي لا يخطئ هو ما أنزله الله ﷻ ، أما الشرع الذي هو حكم الحاكم فهو يخطئ ويصيب ، فلا تقل : أنا أخذت هذا الحكم الشرعي يعني بقضاء القاضي ؛ لأن القاضي يجتهد ، وقد يصيب وقد يخطئ .

(٢) هذا كغلاة الصوفية الذين يقولون : نحن وصلنا إلى الله ، وبعضهم يقول : أنا آخذ عن الله مباشرة ، ولا أحتاج إلى الرسل ، وإنما الرسل للعوام ، أما الخواص فليسوا بحاجة إلى الرسل ، هذا كفر وإلحاد - والعياذ بالله - ، فإنه ليس للناس طريق إلى الله ﷻ إلا عن طريق الرسل ، فالذي يزعم أنه يستغني عن الرسل هذا ملحد ، وإن كان يزعم أنه من أولياء الله ، فهو من أولياء الشيطان ، ليس من أولياء الله .

(٣) يحتجون بأنه يجوز للإنسان أن يخرج عن الشريعة إذا كان عنده ذوق ، أو يزعم أنه ولي من أولياء الله ، وليس بحاجة إلى الرسول ، ويحتجون بقصة الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فإن الخضر في وقت موسى ، ومع هذا ليس هو من أتباع موسى ، نقول : موسى عليه السلام رسالته ليست عامة ، كرسالة نبينا محمد ﷺ ، ولذلك قد يكون في =

غالطاً من وجهين :

أحدهما : أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر[(١)] ، ولا كان على

الزمان الواحد ، في الوقت الواحد أنبياء متعددين ، وكل له شريعة ، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] ؛ لأن الرسالات السابقة ليست عامة ، أما رسالة نبينا محمد ﷺ فهي عامة للثقلين الجن والإنس ، فلا يسع أحداً الخروج عنها مهما بلغ من الولاية ومن العلم ، ليس له أن يخرج عنها بخلاف الخضر ، فإن رسالة موسى عليه السلام ليست عامة ، إنما هي خاصة ببني إسرائيل : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف : ٥] يعني بني إسرائيل ، فهو رسول إلى بني إسرائيل ، وليست رسالته عامة للثقلين ، كنبينا محمد ﷺ ، ولذلك وَسِع الخضر أن يخرج عن شريعة موسى ؛ لأن شريعة موسى خاصة ، لا تتناول كل أهل الأرض .

والخضر : عبد صالح ، اختلفوا فيه : هل هو نبي أو ولي من أولياء الله ؟ أعطاه الله علماً ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف : ٦٥] ، فهو عنده علم من الله ﷻ ، وليس من ذوقه أو من وجده بل من الله ، وقيل : إنه نبي يوحى إليه ، ورجح بعض العلماء أنه نبي ، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يرجح أن الخضر نبي ؛ لأنه ظهر على يده معجزات لا تكون إلا للأنبياء ، والفريق الثاني : على أنه عالم ، وولي من أولياء الله .

(١) رسالة موسى عليه السلام خاصة وليست عامة ، لا تعم الخضر ، ما عمت أهل الأرض كلهم مثل رسالة محمد ﷺ ، قال ﷺ لما ذكر خصائصه : « أعطيت خمساً لم يعطها نبي

=

الخضر اتباعه ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والإنس ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجب عليهم اتباعه[(١)] فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً[(٢)] ؟!

ولهذا قال الخضر لموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله ، لا أعلمه »[(٣)]

قبلي » وذكر منها ، « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » (صحيح البخاري / ٣٢٨ - صحيح مسلم / ٥٢١) ، وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

(١) كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [آل عمران : ٨١] ، أخذ الله الميثاق على الأنبياء جميعاً أنه لو بعث محمد ﷺ ، ومنهم أحد حي أنه لا يسعه إلا اتباعه فكيف بغيرهم ؟!

(٢) هذا على الخلاف سواء كان نبياً أو ولياً ما يلزمه إتباع موسى ؛ لأنه لم يُرسل إليه ، وبهذا يُجزم بأن الخضر ميت ، ردا على الذين يزعمون أنه حي ؛ لأنه لو كان حياً لجاء إلى الرسول ﷺ واتبعه .

(٣) فدل على أن الخضر عنده علم ، كما أن موسى عليه السلام عنده علم .

(صحيح البخاري / ١٢٢ - صحيح مسلم / ٢٣٨٠) وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا[١] .

الثاني : أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام[٢] ، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بيَّنها له أقرَّه على ذلك[٣] ، فإن خَرْق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها ، إحسان إليهم ، وذلك جائز[٤] ، وقتل الصائل جائز[٥] وإن كان

---

(١) ليس لأحد أن يخرج عن شريعة محمد ﷺ ، ويقول : أنا عندي علم ، ليس عند محمد ﷺ ، كما قال الخضر لموسى عليه السلام ، ليس لأحد أن يقول هذا ؛ لأن الله أوجب على الخلق اتباعه ﷺ . هذا الجواب الأول .

(٢) الجواب الثاني : أن الخضر لم يعمل أشياء مخالفة لشريعة موسى عليه السلام ، ولم يكن لأحد أن يخرج على الشريعة ويحتج بالخضر ، لأن الخضر لم يعمل شيئاً يخالف شريعة موسى ، ولكن فعل أشياءً خفيت على موسى ، فلما وضحها له ، أقره على ذلك ، واعترف له .

(٣) قصة خرق السفينة ، وقصة قتله للغلام ، وقصة إقامته للجدار في البلد الذي لم يضيِّفوه ، هذه تخفى على موسى ، فبيَّنها له الخضر : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف : ٧٨] .

(٤) قال موسى عليه السلام : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف : ٧١] هذا في الظاهر ، ولم يكن يعلم مقصود الخضر ، الخضر علم أن هناك مَلِكاً غاصباً يأخذ كل سفينة صالحة ، فموسى عليه السلام خرقها لأجل أن يعيبها فلا يأخذها ذلك الجبار ، خرقها ورقعها ، رقع الماء ، ولم يخرج على الناس ، فإذا رأى الـمَلِك هذه السفينة مرقعة تركها .

(٥) وقتله للغلام بيَّن أنه خاف على أبويه أن يضلهما إذا كبر ؛ لأن الله أطلعه أن هذا

=

صغيراً[١] ، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله[٢] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لنجدة الحروري[٣] لما سأله عن قتل الغلمان ، قال له : « إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، وإلا فلا تقتلهم »[٤] رواه البخاري (صحيح مسلم / ١٨١٢ ، ولم أقف عليه في صحيح البخاري) وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض ، والصبر على الجوع ، فهذا من

الغلام لو كبر لأضل أبويه فقتله ؛ لأن هذا له حكم الصائل ، والصائل يجوز قتله ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف : ٨٠-٨١] فهو من باب قتل الصائل ؛ لأنه لو كبر لصال على والديه فأضلهما ، وهذا مما أطلعه الله عليه .

(١) (وإن كان صغيراً) لو جاء أحد ليقتلك وهو ابن سبع سنين ، ولا يندفع إلا بقتله ، تقتله ، فهذا صائل على أبويه علم الخضر بما علَّمه الله ، أنه لو كبر لصال على أبويه بالكفر والطغيان .

(٢) من كان حَمْل أبويه على الكفر لا يندفع إلا بقتله جاز قتله .

(٣) نجدة الحروري : يعني من رؤوس الخوارج سأل ابن عباس عن قتل الغلمان هل يجوز أو لا يجوز ؟ فأجابه .

(٤) لأن الخوارج ديدنهم القتل وسفك الدماء ، يقتلون الصغار والكبار ، فالصغار لا يجوز قتلهم ، إلا إذا أعطي الإنسان ما أعطيه الخضر ، أنه يعلم مآلهم وما يكون من شأنهم ، ويعلم أنهم سيفسدون في الأرض يقتلهم ، أما إذا كان لا يعلم ، فلا يجوز قتل الصغار .

صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع الله[(١)].

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم[(٢)]، فقد يكون ظالماً، وقد يكون

---

(١) هذا الأمر الثالث: وهو أمر اليتيمين، لما بنى الجدار وأهل القرية لم يطعموهم، قال: كيف تبني لهم جداراً ولم يطعمونا؟ ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، يعني: عوض؛ لأنهم بنوه بلا عوض، قال: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢] يعني لو تُرك الجدار لظهر الكنز، فهو بنى الجدار ليستر الكنز ويخفيه، وهذا إحسان إلى الأيتام وليس إحساناً إلى أهل القرية: ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ هذا من أمر الله ﷻ، وصبر الخضر على الجوع ومعه موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لأنهم لم يضيفوهما، فأحسن إلى الأيتام وصبر على الجوع، فما كان الخضر في هذا مخالفاً لشرع الله، ولهذا قال: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ ﴾ [الكهف: ٨٢] تأويل: يعني تفسير ما غمض على موسى عليه السلام.

(٢) **الأمر الأول**: أن يُراد بالشرع ما أنزل الله ﷻ.

الأمر الثاني: أن يراد بالشرع حكم الحاكم، كما عند العوام، وهذا فيه نظر؛ لأن حكم الحاكم ليس هو الشرع، إنما هو اجتهاد منه، ولهذا كان من وصية النبي ﷺ لبعض قواده: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا» (صحيح مسلم/ ١٧٣١)، لا تقل هذا هو الشرع؛ قل: هذا هو قضاء القاضي عن اجتهاد، يكون مصيباً، أو يكون مخطئاً، إن كان مصيباً له أجران، وإن كان مخطئاً له أجر واحد.

عادلاً ، وقد يكون صواباً ، وقد يكون خطأً[١] .

وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه[٢] ، كأبي حنيفة والثوري[٣] ، ومالك بن أنس والأوزاعي[٤] ، والليث بن سعد[٥] ، والشافعي ، وأحمد وإسحق ، وداود وغيرهم[٦] ، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة[٧] ،

---

(١) حكم الحاكم يحتمل هذه الأمور : أنه ظالم ، أو أنه عادل ، أو أنه مخطئ ، أو أنه مصيب ، هذه الأمور لا ترد على شرع الله ، شرع الله ﷺ معصوم .

(٢) قد يراد بالشرع أيضاً قول أئمة الفقه المجتهدين ، ولهذا تجدون بعض السائلين يقولون : أعطني شرع الله في هذه المسألة أعطني حكم الله في هذه المسألة ، أسألك عن حكم الله ، هذا سؤال لا يجوز أن يقول : حكم الله ، أو شرع الله ، ولكن يقول : ماذا ترى لي أنت في هذه المسألة ؟ بناء على ما يظهر لك من شرع الله ﷻ .

(٣) أبو حنيفة معروف ، والثوري : سفيان الثوري الإمام الجليل .

(٤) الأوزاعي : إمام أهل الشام .

(٥) والليث بن سعد : هو إمام أهل مصر .

(٦) إسحاق بن راهويه ، وداود الظاهري .

(٧) هؤلاء أقوالهم يحتج لها ،ولا يحتج بها ، إنما يحتج بالكتاب والسنة ، أما أحكام الفقهاء فهذه يحتج لها ، فما وافق الدليل فهو حق ، وما خالف الدليل فهو خطأ .

الآن يطنطنون بالخلافات ، وأن الناس يسعهم ما يفعلون ، لأنه لا يوجد شيء إلا وفيه خلاف بين الفقهاء ، فيقولون : هذا من سماحة الشريعة ، يجعلون خلاف الفقهاء شريعة ، وهذا من الجهل ، أو من الضلال ، الشريعة حكم الله وحكم رسوله ﷺ ، أما أقوال الفقهاء فإنها قابلة للخطأ والصواب : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] ، فأقوال الفقهاء ترد إلى الله والرسول ، إلى الكتاب والسنة .

وإذا قلَّد غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزاً[١] .

---

(١) وإذا قلَّد أحداً منهم حيث يجوز التقليد كان جائزاً ، الذي يجوز له التقليد من هو ؟ هو العامي ، والمبتدئ في طلب العلم هذا يجب عليه التقليد ، لأنه لا يجوز له أن يجتهد وهو ما عنده أهلية ، يجب عليه أن يقلد أحد الأئمة ، وأيضاً طالب العلم الذي يعرف الأدلة أحسن من العامي وأحسن من المبتدئ ، هذا عليه الترجيح ، فإذا قلَّد أحد الأئمة فلا يقلده تقليداً أعمى ، وإنما يَعرِض أقواله على الأدلة ، فإذا دلَّ الدليل على مسألة أخذ بها ، سواء قال بها إمامه أو قال به غيره ؛ لأن المدار على الدليل ، فالحنبلي إذا تبيَّن أن قول الحنفي هو الذي عليه الدليل ، فيجب عليه أن يأخذ بقول الحنفي ، هذا إذا كان عنده أهلية للترجيح ، ومعرفة الراجح من المرجوح ، فلا يجوز له أن يَجْمُد ، ويقول : أنا حنبلي ، أنا حنفي أنا أنا !! عليه أن يعرض أقوال إمامه على الأدلة ، فما وافق أخذ به وما خالف تركه وأخذ بالدليل ، فالناس على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : طبقة العوام والمبتدئين ، هؤلاء لا يسعهم إلا التقليد ، وليسوا من أهل الترجيح .

الطبقة الثانية : طبقة المتعلمين المتمكنين من الترجيح ، فهؤلاء يرجحون ، وهذا يسمى مجتهد مذهب .

الطبقة الثالثة : المجتهد المطلق ، كالإمام أحمد والمالكي والشافعي وأبي حنيفة والثوري ، هذا مجتهد مطلق ، عليه أن يأخذ الحكم من الكتاب والسنة ولا يقلد أحداً ، يحرم عليه التقليد .

وقوله : « حيث يجوز ذلك » : هذا ذكاء منه ﷺ ، ما قال : « قلد غيره » وسكت ؛ بل قال : « حيث يجوز ذلك » أي : حيث يجوز له التقليد ؛ لأن هناك من لا يجوز له التقليد .

أي : ليس اتباع أحدهم واجباً على جميع الأمة[1] ، كاتباع الرسول ﷺ، ولا يحرم تقليد أحدهم، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم[2] .

وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأوّل النصوص بخلاف مراد الله ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل[3]

---

(١) التقليد جائز للمحتاج والمضطر وليس واجباً إلا إذا كان عامياً ، فالعلماء يقولون : مذهب العامي مذهب من أفتاه ، قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فيسأل ، وإذا أفتاه العالم أخذ بقوله ولا يلحقه شيء ؛ لأن هذا منتهى قدرته ، لكن لا يسأل أي أحد ، وإنما يسأل من يثق بعلمه ودينه ، ليس بعلمه فقط ، ولا دينه فقط ، لابد من العلم والدين ، فيسأل من يثق بعلمه ودينه ويأخذ بقوله . لا يجب اتباع أحد بعينه إلا الرسول ﷺ ، أما من عدا الرسول ﷺ من العلماء فهذا يجوز اتباعه إلا إذا خالف الدليل ، فلا يجوز اتباعه مع مخالفة الدليل ، ولهذا الشيخ في بعض كتبه يقول : من زعم أن أحداً يجب اتباعه غير الرسول ﷺ وجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، ما يجب اتباع أحد من الخلق إلا الرسول ﷺ ، فإنه يجب على جميع الأمة .

(٢) التقليد ليس حراماً مطلقاً ولا جائزاً مطلقاً ، لابد من التفصيل .

(٣) هذا من الشرع المبدَّل : الذي يستدل بالأحاديث المكذوبة التي توافق هواه هذا يبدل الشرع المنزل ، يستبدل الأدلة من الكتاب والسنة بأدلة مكذوبة ، هذا بدَّل الشريعة – والعياذ بالله – وهذا هو الأول ، (أو تأول النصوص) ، بخلاف مراد الله كتأويل الباطنية الذين يقولون : إن النصوص لها ظاهر ولها باطن ، وهم يأخذون بالباطن والناس يأخذون بالظاهر ، فهذا كفر بالله ، وتبديل لشرع الله – والعياذ بالله – وهذا الثاني .

فيجب الفرق بين الشرع المنزل ، والشرع المؤول ، والشرع المبدَّل[١] ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية[٢] ، وبين ما يُستدل عليها بالكتاب والسنة وبين ما يُكتفى فيها بذوق صاحبها ووجده[٣] .

(١) الشرع المنزل : هو الكتاب والسنة ، والشرع المبدَّل : هو ما يعتمد على الأحاديث المكذوبة ، أو يفسر بغيره تفسيره ، بغير مراد الله ﷻ ، يقولون : هذا ظاهر ، والباطن نحن نعلمه ، فيجعلون للنصوص ظاهراً وباطناً . هؤلاء الباطنية وهم أضل الناس - والعياذ بالله - هذا الشرع المبدل ، والشرع المؤول هو محل الاجتهاد بين العلماء ، منه ما يكون تأويله صحيحاً ، ومنه ما يكون تأويله خطأ ، لا يقال : باطل ، يقال : خطأ .

(٢) كما سبق أن هناك حقيقة كونية : وهي القضاء والقدر ، وحقيقة شرعية : وهي التي أمر الله بها وأمر بها رسوله ﷺ .

(٣) هذا إعادة لما سبق ، أن من الناس من يأخذ بذوقه ووجده وعقله ويترك الكتاب والسنة .

فصل

وقد ذكر الله في كتابه : الفرق بين الإرادة والأمر(١) ، والقضاء والإذن ، والتحريم والبعث ، والإرسال والكلام والجَعْل ، بين الكوني الذي خلقه وقدَّره وقضاه ، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب عليه وأكرمهم(٢) ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده

---

(١) لما ذكر الشيخ ﷺ الرد على من يحتجون بالقدر ، وأنه ليس حجة لهم على فعل الكفر والمعاصي والشرك ؛ لأنهم يقولون : إن الله قدَّر الكفر والإيمان ، والشرك والمعاصي ، فمعناه أنه يرضى بالكفر ، كما يرضى بالإيمان ، ويرضى بالمعصية كما يرضى بالطاعة ، لأنه قدَّر الجميع ، وقضى الجميع على الناس ، فالطاعة عندهم موافقة القدر ، فالشيخ أراد أن يردَّ عليهم ، ويقول : هناك فرق بين القدر وبين الشرع ، فالله فرَّق بينهما في كتابه ، والطاعة هي موافقة الشرع ، وليست موافقة القدر ، القدر قد يكون طاعة ، وقد يكون معصية ، أما الشرع فلا يكون إلا طاعة ، فالله فرق بين الأمرين في القرآن ، فرق بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي ، الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، الإذن الكوني والإذن الشرعي ، وسيذكر الشيخ ﷺ نماذج من القرآن تفرق بين الأمرين ؛ ردا على الذين يحتجون بالقدر .

(٢) الله فرق بين هذه الأشياء الكونية والشرعية ، وفرق بين أوليائه وأولياء الشيطان ، فالذين يتبعون شرعه وأمره فهؤلاء أولياء الرحمن ، والذين يتبعون قدره ويخالفون شرعه ويقولون : لا فرق بينهما ، هؤلاء أولياء الشيطان .

الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب ﷻ فيما يحبه ويرضاه ، ومات على ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه(١) .

فالإرادة الكونيةهي مشيئته لما خلقه(٢) ، وجميع المخلوقات داخلة في

---

(١) فالله فرق بين المؤمنين والكفار ، والمطيعين والعاصين ، ولم يجعلهم سواء ، وإن كان قدَّر عليهم جميعاً الطاعة والمعصية ، والكفر والإيمان ، فهو فرق بينهم في الجزاء ، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ، فلم يكونوا سواء : ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] ، هذا خلاف العدل ، والله ﷻ حكم عدل ، لا يمكن أن يسوي بين المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والمؤمن والمنافق ؛ لأن المطيع اتبع أمره وشرعه ودينه ، والعاصي اتبع معصيته والكفر به والشرك ، ففرق بين العملين ، وفرق بين العبدين ، وفرق بين الجزاءين عند الله ﷻ . فالذي لا يفرق بين هؤلاء هذا إلحاد في آيات الله ﷻ ، وقد نجمت في هذا العصر فكرة خبيثة وهي الحرية ، وأن الناس أحرار ، وأنهم لا حجر عليهم ، ولا مصادرة لآرائهم وأفكارهم ، ولا يتقيدون بالشرع ، وأن كل إنسان يقول ما يريد ، ويكتب ما يريد ، ولو كان كفراً وإلحاداً ، هذا من حرية الرأي ، وحرية الكلمة - يقولون !! - هذا خروج عن شرع الله ﷻ ، هذا يشبه قول هؤلاء (حزب الشيطان) ، الذين لا يفرقون بين الشرع والقدر .

(٢) الإرادة والمشيئة : المشيئة لا تنقسم ، ولا تكون إلا كونية ، وهي ترادف الإرادة الكونية .

مشيئته وإرادته الكونية(١) ، والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه(٢) ، المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً ، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح(٣) ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٤) [الأنعام : ١٢٥] .

---

(١) جميع المخلوقات من المؤمنين والكفار والجن والإنس والشياطين كلها داخلة في إرادته الكونية ، كلهم خلقه : خلق إبليس والكفار ، وخلق الأنبياء والمرسلين والمؤمنين ، خلق هذا وهذا ، فمن جهة الخلق لا فرق ، أما من جهة الشرع والجزاء فهناك فرق .

(٢) الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة والرضا ، فقد يريد الله كوناً وقدراً ما لا يحبه ديناً ، فالكفر أراده الله كوناً وقضاه وهو لا يحبه ، ولكن قدَّره وقضاه من باب الابتلاء والامتحان ، ليتميز المطيع من العاصي ، وولي الله من ولي الشيطان .
وأما الإرادة الدينية فإن الله يحبها ويرضاها ، وسيذكر الشيخ أمثلة للإرادة الكونية ، والإرادة الشرعية من القرآن .

(٣) الإرادة الدينية مختصة بالإيمان والعمل الصالح ، أما الإرادة الكونية فهي لا تختص بالإيمان والعمل الصالح ، هي تشمل الكفر والإيمان ، تشمل العمل الباطل والعمل الصالح ، كله بقضاء الله وقدره .

(٤) هذه فيها الإرادتان : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ هذه الإرادة الشرعية ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ هذه الإرادة الكونية ، ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ : فالهداية لها أسباب وهي العمل الصالح ، والضلال له أسباب وهو المعصية والكفر .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾(١) [هود : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(٢) [الرعد : ١١] ، وقال تعالى في الثانيــة(٣) : ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٤) [البقرة : ١٨٥] .

وقال في آية الطهارة : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٥) [المائدة : ٦] .

---

(١) الشاهد في قوله : ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ هذه الإرادة الكونية التي لا حيلة فيها .

(٢) هذه إرادة كونية : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ فالله يريد السوء بمن يستحقه من الظلمة والطغاة ، والمشركين والكفار ؛ لأن الله أراد بهم سوءاً ، حيث لم يقبلوا هدى الله ﷻ .

(٣) أي : الإرادة الشرعية لأن الآيات السابقة في الإرادة الكونية ، والآيات الآتية في الإرادة الشرعية .

(٤) الله ﷻ رخَّص للمريض أن يفطر في رمضان ، ورخص للمسافر أن يفطر في رمضان ويقضيان من أيام أخر ، ثم قال : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ هذا مثال للإرادة الشرعية ، التي يرضاها ﷻ ويحبها .

(٥) قال تعالى في آية الطهارة من سورة المائدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ
=

ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[(1)] [النساء : ٢٦-٢٨] .

جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ فأمر بالطهارة من الحدث الأصغر ، والطهارة من الحدث الأكبر وهو الجنابة ، والطهارة بهاذا تكون ؟ تكون بالماء ، فإذا لم يجد الماء فإنه يعدل إلى التيمم بالتراب ، يضرب بيديه الأرض ثم يمسح بهما وجهه وكفيه ، والتراب طهور عند عدم الماء أو العجز عن استعماله ، ثم قال ﷻ : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذا مثال للإرادة الشرعية .

(١) لما ذكر المحرمات في النكاح من النساء من ذوات النسب ، وذوات السبب ، وذوات الرضاع ، ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني المزوجات ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء : ٢٣-٢٤] ، ثم قال ﷻ بعد هذه الآيات : ﴿ يُرِيدُ

=

ولما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهم عنه قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(1) [الأحزاب : ٣٣] ،

ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ فالإرادة في هذه الآيات كلها إرادة شرعية دينية .

(١) لما ذكر ما وعظ به نساء النبي ﷺ ذكر سبحانه أنه أراد من ذلك أن يطهر بيت النبي ﷺ ، فهي إرادة شرعية ، قال سبحانه : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ وهو النجاسة ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ : بيت الرسول ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢-٣٤] الشاهد منه : أن الله أراد من هذه الأوامر التي وجهها لنساء نبيه أمهات المؤمنين ، أنه يريد تطهير نساء النبي ﷺ من الأخلاق السيئة ، والمخالفات الشرعية ، ويطهرهن من ذلك تطهيراً ، فدل على أن لزوم الحجاب ، ولزوم العفة والبيت والحياء ، وتجنب التبرج ، وتجنب المغازلات ، والكلام الذي يجر إلى الشر ، أن ذلك طهارة للقلوب ، وطهارة للأعراض ، وطهارة للبيوت ، وأما الملاحدة اليوم ، فيقولون : هذا كبت لحرية النساء ، وهضم لحقوقهن ، دعوا النساء يفعلن ما شئن ، لا حَجْر عليهن ، هكذا يقولون - قبحهم الله - ، فهم لا يريدون الطهارة للأمة ، وإنما يريدون الرجس للأمة - قبحهم الله - ، وكفى الله =

والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فمن أطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه[(١)] .

وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني[(٢)] : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٣)] [يس : ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ

المسلمين شرهم ، ونساء النبي ﷺ هن القدوة ، إذا كانت نساء النبي وهن أطهر نساء على وجه الأرض وجههن الله هذه التوجيهات ، فكيف بغيرهن من سائر النساء ؟! من باب أولى .

(١) من أطاع أمر الله ، فإن الله سبحانه يطهره من الرجس الخُلقي والرجس الحسي ، ومن عصاه فإنه تنجس النجاسة الحسية والمعنوية ، فلا طهارة إلا بالإيمان والأخلاق الكريمة ، والعفة والنزاهة .

(٢) عرفنا أمثلة للإرادة الكونية والإرادة الشرعية الدينية ، وكذلك الأمر منه كوني ، ومنه شرعي .

(٣) هذا الأمر الكوني : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ لا يتأخر عن أمر الله ﷻ ولا يستعصي ؛ بل إنه يكون ويوجد بمجرد أن يقول الله له : كن ، هذا الأمر الكوني ، الذي لا يتخلف مقتضاه ، أما الأمر الشرعي فقد يتخلف مقتضاه ، وقد يتحقق ، أما الكوني فلا يتخلف أبداً . ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء : ١٦] ، هذا أمر كوني ؛ لأن الله لا يأمر بالفسق شرعاً ، وإنما يأمر به كوناً ، ويشاءه كوناً لحكمة منه ﷻ .

كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾[(١)] [القمر : ٥٠] ، **وقال تعالى** : ﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾[(٢)] [يونس : ٢٤] .

وأما الأمر الديني ، فقال تعالى : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[(٣)] [النحل : ٩٠] .

---

(١) هذا في قيام الساعة ، إذا أمر الله بقيام الساعة بلحظة كلمح بالبصر ، ولا شيء أسرع منه ، فالله إذا أمر بوجود شيء وخَلْق شيء ، إنما هو كلمح بالبصر .

(٢) قال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ سلط الله عليها شيئاً يتلفها ﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا ﴾ : أمرنا الكوني القدري ، ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴾ ، فذهب ما فيها من النبات والزخرف الزهر ، في لحظة ليلاً أو نهاراً تصبح كأن لم تغن بالأمس ، فالأمر الكوني لا يتخلف عنه مقتضاه ، ويوجد في الحال ، هذا أمر كوني .

(٣) أما مثال الأمر الديني فهذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ إن الله يأمر أمراً شرعياً دينياً ، ﴿بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ : وهو القسط ، العدل في القول ، والعدل في الحكم ، والعدل في كل شيء ، وهو عدم الجور ، العدل ضده الجور ، العدل هو القسط ، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴾
=

[الشعراء : ١٨٢] ، فالعدل في كل شيء ، في المكاييل والموازين في كل شيء ، الله أمر بالعدل في كل شيء ، ونهى عن الجور والظلم ، والقصاص عدل منه ﷺ : القصاص من القتلى ، والقصاص في الجراحات والأطراف ، والقصاص في الكلام أيضاً ، كل هذا من العدل ﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ : الإحسان فضل ، فالعدل هذا هو الانتصاف من الظالم بمثل ظلمه ، فيُقتص من القاتل ، ويُقتص من الظالم والجاهل بمثل ما اعتدى من غير زيادة في القصاص ، وأخذ الحق من المعتدي ، ولكن أفضل منه الإحسان وهو العفو ، قال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ هذا قصاص وعدل ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى : ٤٠] القصاص عدل ، والعفو فضل ، والعفو أحسن وأفضل من العدل ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ : وهو القصاص من المعتدين ﴿ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ : وهو العفو والتسامح عن المعتدي ؛ لأن هذا يجلب المودة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت : ٣٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ القربى : كل من تربطك بهم قرابة رحم من جهة الأب ، أو من جهة الأم ، لهم حق عليك ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء : ٢٦] فله حق عليك بعد حق الوالدين ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النساء : ٣٦] فبعد الوالدين القرابة من جهتهما ، لهم حق عليك بصلة الرحم ، ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ : وهي كل ما استقبح من المعاصي ، فالفحشاء هي المعصية المستقبحة ، ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ : سائر المعاصي ، ينهى عن الكبائر والصغائر من المعاصي ، ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ : وهو التعدي على الناس في دمائهم ، أو أموالهم ، أو أعراضهم ، فهذه الآية فيها الأمر الشرعي الديني .

وقال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(١) [النساء : ٥٨] .

وأما الإذن ، فقال في الكوني لما ذكر السحر : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٢) [البقرة : ١٠٢] ، أي : بمشيئته وقدرته(٣) ، وإلا

---

(١) ومن الأمر الشرعي : الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ أيها العباد ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ ﴾ : وهي كل ما اؤتمنتم عليه من حق الله ، ومن حق المخلوقين ، فهو أمانة يجب عليك أن تؤديها إلى أهلها الذين ائتمنوك عليها ، لا تبخس منها شيئاً ، ولا تخن فيها ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ : الشاهد من قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ هذا أمر شرعي ديني .

(٢) ﴿وَمَا هُم ﴾ : أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ ﴾ : أي بالسحر ، السحر يضر ، إما بالقتل وإما بالمرض - نسأل الله العافية - وهو من عمل الشياطين ، ولكنه لا يضر أحداً إلا بإذن الله ، وإذن الله هو قدره الكوني ، فلا يمكن للسحرة أن يتسلطوا على أحد ويؤذوه بسحرهم إلا بقضاء الله وقدره ، فعلى المسلم أن يتوكل على الله ، وأن يستعيذ بالله من السحرة ومن غيرهم ، الشاهد من الآية : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي : إذنه الكوني ، وإلا فإن الله لا يأذن بالسحر شرعاً ؛ بل ينكره سبحانه ، ويكفِّر من فَعَله ، وإنما هذا إذن كوني قدري ، فإذا قدَّر الله أن السحر يضر وقع الضرر منه ، فهذا يستدعي من العبد أن يلجأ إلى الله ، وأن يستعيذ به من السحرة وغيرهم .

(٣) وأما هم فلا يستطيعون أن يضروا أحداً إذا لم يُقدِّر الله الضرر ، فهو الذي يُسلِّط =

فالسحر لم يبحه الله ﷻ[١] .

وقال في الإذن الديني : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٢] [الشورى : ٢١] ، **وقال تعالى :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[٣] [الأحزاب : ٤٥-٤٦] ، **وقال تعالى :**

السحرة وغيرهم لحكمة منه ﷻ ، يبتلي بها العباد أو جزاء على سيئاتهم ، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقد يُسلِّط الله السحرة على إنسان بسبب ظلمه ومعصيته لله ﷻ .

(١) السحر لم يبحه الله ؛ لأنه كفر ، والله لا يرضى بالكفر ، وهو من عمل الشياطين ، وهو ضرر على الناس ، فالله لا يبيحه .

(٢) ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ : يعني ما لم يشرعه الله ، فالإذن يكون شرعياً ، كما أنه يكون قدرياً ، وهذه الآية في الذين يحرمون ويحللون بدون دليل من كتاب الله ، أو من سنة رسوله ، فهؤلاء شرعوا للناس شرعاً لم يشرعه الله ، ولم يأذن به الله ﷻ ، وقالوا على الله بغير علم .

(٣) قال لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ : هذه شهادة للرسول ﷺ بالرسالة ، شهادة من الله ﷻ أن الله أرسله ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ : شاهداً على هذه الأمة ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] : على هذه الأمة ، كل أمة يوم القيامة يشهد عليها نبيها أنه قد بلَّغها . ﴿وَمُبَشِّرًا ﴾ : للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا ﴾ للكافرين بالنار ، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ : تدعو الكفار إلى الإسلام ، وتدعو العصاة =

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] [النساء : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)] [الحشر : ٥] ، وأما القضاء ، فقال في الكوني : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[(٣)] [فصلت : ١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن

والمذنبين إلى التوبة ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي : بشرعه وهذا محل الشاهد ، فالرسول جاء بإذنٍ من الله أي : بشرع من الله أنزله عليه ، وأوحاه إليه ، وهذا فيه دليل على الإذن الشرعي .

(١) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ ﴾ : عموم الرسل من أولهم إلى آخرهم ، ما أرسلهم الله إلا لأجل أن يطاعوا ، لأن من أطاعهم فقد أطاع الله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] فما أرسلهم الله إلا لأجل أن يطاعوا ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ : أي بشرعه ﷺ ، وهذا محل الشاهد ، فدل على أن الإذن يكون شرعياً ، كما أنه يكون قدرياً .

(٢) هذا في غزوة بني النضير من اليهود ، أن الرسول ﷺ غزاهم في حارتهم ومكانهم ، هو وصحابته الكرام وحاصروهم ، وقطعوا بعض النخيل نكاية بهم ، فقال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ أي : من نخلة ، ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي : بشرعه ، وأن الله أذن لكم بذلك ، وشرع لكم النكاية باليهود .

(٣) القضاء ينقسم إلى قسمين : قضاء كوني قدري ، وقضاء شرعي ديني ، القضاء الكوني مثاله في القرآن : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ : قضاهن أي : السماوات السبع في يومين ، هذا قضاء كوني .

فَيَكُونُ ﴾[(١)] [البقرة: ١١٧].

وقال في القضاء الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[(٢)] [الإسراء: ٢٣]، أي: أمر، وليس المراد به: قدَّر ذلك، فإنه قد عُبد غيره، كما أخبر في غير موضع[(٣)]، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

---

(١) ﴿إِذَا قَضَىٰٓ﴾ أي: الله ﷻ ﴿أَمْرًا﴾ أي: قدره وشاءه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: في الحال لا يتأخر، الشاهد في قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أي: القضاء الكوني ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: هذا قضاء ديني شرعي، قضى: أي أمر ووصى، وليس معناه: حكم وقدَّر، كما يقوله أهل الضلال، وإنما معناه: أمر ووصى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ شرع لكم هذا.

(٣) القضاء الشرعي لا يلزم أن يقع، قد يقع وقد لا يقع، أما القضاء الكوني فلا يتخلف، فلو أن معنى الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي: قدَّر ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ما كفر أحد، لا أحد يتخلف عن القضاء الكوني، لكن الناس انقسموا إلى مؤمن وكافر، إلى مشرك وموحد، فهذا دليل على أن المراد: القضاء الشرعي، الذي يستجيب له من يستجيب، ويخالفه من يخالفه، والجزاء في المستقبل لهؤلاء وهؤلاء، والدليل على أنه ليس القضاء الكوني: أنه تخلف مقتضاه في كثير من الناس، فكثير من الناس أشركوا بالله، مع أن الله قضى ألا تعبدوا إلا إياه، فدل على أنه قضاء شرعي يفعله من يريد، ويتركه من يريد.

وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) [يونس : ١٨] ، وقول الخليل عليه السلام لقومه : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) [الشعراء : ٧٥-٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣) [الممتحنة : ٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ . لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(٤) [الكافرون : ١-٦] . وهذه

---

(١) فلو أن المراد بالقضاء : القضاء الكوني ، ما عبدوا هؤلاء ؛ لأن هذا يخالف القضاء الشرعي .

(٢) لأن قوم إبراهيم أشركوا بالله ، فلو أن المراد بالقضاء : القضاء الكوني ما خالفوا ولا أشركوا .

(٣) ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ : فدل على أنهم عبدوا غير الله ، ولو كان القضاء كونياً ما عبدوا غير الله ، فدل على أنه قضاء شرعي ، ولو كان القضاء قدرياً لما كفروا بالله ، ولآمنوا جميعاً ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] ، لو شاء ذلك كوناً وقدراً ما تخلف أحد عن ذلك ، ولكنه قضاه وأراده شرعاً وديناً ، فمن الناس من امتثل ، ومنهم من خالف .

(٤) فدل على أن هناك من يعبد غير الله ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وهناك من يعبد الله ، فالرسول ﷺ يعبد الله امتثالاً لأمره الشرعي ، وأما الكفار فهم يعبدون غير الله ، فدل على أن المراد بالقضاء هنا ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، أنه القضاء الشرعي .

كلمة تقتضي براءته من دينهم ، ولا تقتضي رضاه بذلك[1] ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2] [يونس : ٤١] ، ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم[3] ، كمن ظن أن

---

(١) ليس معنى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ أنه كلٌّ على حق أنا وأنتم – كما يقوله بعض الكتاب اليوم – ، وأن كل الناس يعبدون الله ، هذاعلى طريق اليهود ، وهذا على طريق النصارى ، وهذا طريق كذا ، فكل الناس يعبدون الله كما يقولون ، هذا من جنس قول الملاحدة ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [النحل : ٣٥] ؛ بل يوجد فرق بين دين المسلمين ودين الكافرين ، فليس قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ أنني راض عن دينكم ، ومقرٌّ لكم عليه ، بل معنى السورة وهذه الآية خصوصاً البراءة من دين المشركين ، هذا معناه ، وما تبرأ منه إلا لأنه باطل وكفر ، ولا تقتضي رضاه بدينهم وأن كلنا نعبد الله ، يقولون : وإن تعددت الطرق ، فكلهم يعبدون الله ، نقول : لا ، الله لا يعبد إلا بما شرع ، لا يعبده الناس بأهوائهم ورغباتهم ، إنما يُعبد الله بما شرع على لسان رسوله ﷺ ، ليس هناك طريق إلا طريق الرسول ﷺ .

(٢) فهذه الآية تُفسِّر قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] ، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أن معناه البراءة من دينهم ، وليس الإقرار لهم على دينهم ، وأنه دين الحق ، وكلنا سواء ، كلنا نعبد الله ، وإن اختلفت الطرق ، هذا كلام باطل .

(٣) من ظن أن هذا من الرسول ﷺ رضا بدين الكفار ، فهو من أكذب الناس على الله وعلى رسوله ﷺ ؛ لأن الرسول لم يرض بدين الكفار ولا أحد من المؤمنين يرضى بدين الكفار .

قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ [الإسراء : ٢٣] بمعنى قدر ، وأن الله سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع ، وجعل عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا الله ، فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب .

وأما لفظ البعث ، فقال تعالى في البعث الكوني : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾[1] [الإسراء : ٥] .

---

(١) البعث على قسمين : بعث كوني قدري ، وبعث شرعي . البعث الكوني مثل قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني في التوراة التي معهم . قضينا أي : أخبرناهم ، والقضاء يطلق أحياناً ويُراد به الإخبار . فقضينا إلى بني إسرائيل أي : أخبرناهم ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ : والإفساد في الأرض : إفسادها بالمعاصي والكفر والشرك ، وإصلاحها بالطاعة والعبادة . فالأرض لا تصلح إلا بعبادة الله ﷻ ، وأما الكفر بالله فهو إفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] فالإفساد في الأرض : هو النفاق والكفر والمعاصي ، وأما الطاعة والعبادة لله فهي إصلاح في الأرض ، ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ : يحصل منهم كفر ومعاصي مرتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ : يحصل منكم كبر وأشر وبطر ، فعند ذلك يعاقبهم الله في كل مرة على إفسادهم ، وعلى كبرهم وطغيانهم ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ أي : أولى المرتين وأفسدتم في الأرض ﴿بَعَثْنَا ﴾ : هذا محل الشاهد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي =

بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ : من الكفار ؛ لأنه سبق أن كل الناس عباد لله ، العبادة العامة ، كلهم عباد الله ، تنفذ فيهم أقداره وتدابيره سبحانه ، لا يخرجون عن ذلك ، كلهم عباد عبادة قهرية ، أما العبادة الاختيارية فهي للمؤمنين خاصة ، فالعبودية القهرية عامة للمؤمنين والكفار ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، وقوله : ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ أي : من الكفار ، يسلِّط الله الكفار على المسلمين بسبب الذنوب والمعاصي ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ : والعياذ بالله ، معهم قوة وعتاد وبطش ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ : أفسدوا بلادكم ، ودخلوا بيوتكم ، ونهبوا أموالكم ، بسبب الإفساد الذي حصل منكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ : بعد ذلك إذا تاب بنو إسرائيل ، واستقاموا بعد النكبة ، وعرفوا خطأهم ، وأصلحو شأنهم ، أعاد الله لهم العزة ، وأخرجوا الكفار من بلادهم ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : على الكفار الذين غزوكم في بيت المقدس ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا .إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ [الإسراء : ٦-٧] أي : المرة الثانية ؛ لأنه قال : ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ المرة الأولى مضت ، والمرة الثانية : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ [الإسراء : ٦-٧] أي : المرة الثانية ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ : إذا عصيتم مرة ثانية ، وأفسدتم في الأرض ، أعاد الله عليكم العقوبة ، وأعاد عليكم العدو ، فسودوا وجوهكم بالهزيمة النكراء – والعياذ بالله – ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس ، المسجد الأقصى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي : في المرة الأولى ، يدخلون المسجد ، ويفسدون في بيت المقدس ، ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا ﴾ أي : يُهلكوا ويتلفوا ﴿ مَا عَلَوْا ﴾ أي : علا بنو إسرائيل من الأموال والمباني والعمران ﴿ تَتْبِيرًا ﴾ : يدمروه تدميراً بسبب فسادكم ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٨] المرة الثالثة ، وقد

=

وقال تعالى في البعث الديني : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1] [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[2] [النحل : ٣٦] .

وأما لفظ الإرسال ، فقال سبحانه في الإرسال الكوني : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[3] [مريم : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ

عادوا ، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ ونصره الله عليهم وقتلهم شر قتلة في وقعة بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، وسلَّط الله عليهم رسوله ﷺ ، وأجلوا من جزيرة العرب ، وفُرِّقوا وشُتِّتوا - والعياذ بالله - فهذه المداولات مع بني إسرائيل كلما أفسدوا سلَّط الله عليهم .

(١) والبعث الديني : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ بعثه أي : أرسله .

(٢) فهذا بعث خيري ، بعث ديني ، بعث الرسل ، أما بعث الجبابرة والطغاة فهذا بعث كوني ، وعقوبة ، أما البعث الديني فرحمة ونعمة من الله ﷻ ، وفي الحديث : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » (سنن أبي داود / ٤٢٩١ ، وصححه الألباني) ، يبعث : يعني بعثاً دينياً .

(٣) ﴿ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ : هذا إرسال كوني وليس إرسالاً شرعياً . الإرسال الشرعي : هو إرسال الرسل ، أما إرسال الشياطين فهذا إرسال كوني قدري ، يسلط الله الشياطين على الكافرين ﴿ تَؤُزُّهُمْ ﴾ تدفعهم إلى الكفر والشرك ﴿ أَزًّا ﴾ : عقوبة لهم - والعياذ بالله - .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾[١] [الفرقان : ٤٨] ، **وقال تعالى في الإرسال الديني** ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢] [الفتح : ٨] ، **وقال تعالى :** ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾[٣] [نوح : ١] ، **وقال تعالى :** ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[٤] [المزمل : ١٥] ، **وقال تعالى :** ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٥] [الحج : ٧٥] .

---

(١) هذا إرسال كوني قدري ، يرسل الرياح بشرى بين السحاب . هناك رياح تثير السحاب ، وهناك رياح تجمع السحاب وتؤلفه ، وهناك رياح تفرق السحاب ، وهناك رياح تُلقح السحاب ، وهناك رياح تحمل السحاب وتَسيِّره ، ولذلك قال الله تعالى : (رياح) متعددة ، ليست ريحاً واحدة ، وهناك رياح مهلكة – والعياذ بالله – رياح رحمة ، ورياح عذاب .

(٢) الإرسال الديني هو إرسال الرسل عموماً ، ومنهم نبينا محمد ﷺ ، هذا إرسال ديني ، ورحمة للأمة ، ورحمة للعالم ، أما الإرسال الكوني فإنه يكون نقمة .

(٣) كذلك هذا إرسال ديني ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف : ٥٦] .

(٤) الله أرسل إلينا رسولاً وهو محمد ﷺ ، كما أرسل الله إلى فرعون رسولاً وهو موسى عليه السلام ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل : ١٦] ، فأنتم إن عصيتم أخذناكم مثل ما أخذنا فرعون وقومه .

(٥) الرسل على قسمين : رسل من الملائكة ، وهو الرسول الملكي ، ورسل من البشر ، وهو الرسول البشري .

وأما لفظ الجعل ، فقال في الكوني : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(١) [القصص : ٤١] ، وقال في الديني : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٢) [المائدة : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾(٣) [المائدة : ١٠٣] .

---

(١) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ : قوم فرعون ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ جعلنا : هذا جعلٌ كوني يعني : صيرنا .

(٢) ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا﴾ هذا جعل شرعي ديني ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

(٣) أي : ما شرع الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، هذه أنواعٌ ، كان المشركون يجعلونها في بهيمة الأنعام لأصنامهم . البحيرة : هي التي تشق أذنها للصنم ، علامة على أنها للصنم . والسائبة : هي التي لا يُحمل عليها إذا بلغت سناً معيناً أو أنتجت نتاجاً من الأولاد معيناً سيَّبوها للأصنام ، فلا تُركب ، ولا تُحلب ، ولا تؤكل . والوصيلة : إذا واصلت الحمل عدة مرات أيضاً سبَّلوها للأصنام – والعياذ بالله – . ولا حام : هو الفحل من الإبل إذا بلغ مبلغاً من الضراب فإنه يُحمى ظهره من الركوب والحمل ، فيسيِّبونه ولا ينتفعون منه . هذه تصرفات من المشركين ، ما أنزل الله بها من سلطان ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ يعني ما شرع الله ذلك ، وإنما هم الذين شرعوه لأنفسهم من دون الله ﷻ ، حرَّموا ما أحل الله – والعياذ بالله – الشاهد من قوله : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ أي : ما شرع الله ذلك ، وإنما هذا من الكفار .

وأما لفظ التحريم ، فقال في الكوني : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾[(١)] [القصص : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)] [المائدة : ٢٦] ، وقال في الديني : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ

---

(١) حرمنا : أي : منعنا ، التحريم معناه المنع ، فالله منع موسى ﷺ أن يرضع من امرأة لأجل أن يرده إلى أمه ، فلما خشوا عليه الهلاك ولم يرضع من امرأة ، ولم يقبل ثديها أبداً ، عرضوا عليه المراضع فلم يقبلها ؛ لأن الله منعه من أجل أن يرده إلى أمه ، كي تقرَّ عينها فالشاهد قوله : ﴿وَحَرَّمْنَا﴾ أي : منعناه من الرضاع ، هذا منع كوني ، وإلا فالرضاع حلال في الشرع ، لكن الله منعه كوناً وقدراً .

(٢) لما أبى بنو إسرائيل أن يدخلوا بيت المقدس ؛ لأن فيه جبابرة ، وهم جبناء لا يستطيعون مقابلة الجبابرة ، في النهاية قالوا : ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٤] ، فعند ذلك قال موسى ﷺ : ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة : ٢٥] أنزل الله عليهم العقوبة ، فقال : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي : دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لا يأوون إلى مبانٍ ولا إلى بلاد ، وإنما يكونون في البرية ، يتيهون ، ويذهبون ، ويجيئون ، عقوبة لهم ، إلى أن أنشأ الله جيلاً بعدهم شجعاناً ، فدخلوا بيت المقدس ، وهزموا المشركين وطردوهم منه ، الشاهد في قوله : ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي : بيت المقدس ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي : ممنوعون من دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عقوبة لهم لما أبوا أن يدخلوا مع نبيهم ، ويُخرجوا المشركين من بيت المقدس ، من المسجد الأقصى ، عاقبهم الله ﷻ ، لكن رحمهم في التيه ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأرسل الغمام يظلهم من الشمس ، رحمة منه ﷻ بهم .

ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[1] [المائدة : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾[2] [النساء : ٢٣] .

وأما لفظ الكلمات ، فقال في الكلمات الكونية : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾[3] [التحريم : ١٢] ، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ، أنه كان

---

(١) هذا تحريم ديني وليس بكوني ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ : يعني تناول لحوم الميتة ، ﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ : وهو الدم المسفوح ﴿ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ : وهو الحيوان القذر النجس المعروف .

(٢) حُرِّمت شريعةً وديناً أن تتزوجوا من هؤلاء القريبات ، أو المرضعات ، أو المصاهَرات ، أو المزوجَات .

(٣) أما انقسام كلمات الله إلى :

كلمات كونية : يدبر الله بها الأشياء ويأمر بها .

وكلمات شرعية : يشرع الله فيها لعباده ما يصلحهم وما يقربهم إليه .

وقد جاءت في القرآن أيضاً وجاءت في السنة . في القرآن هذه الآية : إن الله ذكر عن مريم بنت عمران أنها صدقت بكلمات الله الكونية . فآمنت بالقضاء والقدر ، وصدقت بكتب الله الشرعية ، التي هي كلماته الشرعية ، فهي صدقت بالكلمات الكونية والكلمات الشرعية ، وهكذا المؤمن يصدق بالكلمات الكونية ويصدق أيضاً بالكلمات الشرعية ، فلا يأخذ الكلمات الكونية فقط ويترك الشرعية كحالة الجبرية ، ولا يأخذ بالشرعية فقط ويترك الكونية .

يقول : « أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق ، ومن غضبه وعقابه ومن شرِّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » (سنن الترمذي / ٣٥٢٨ ، بنحوه وحسنه الألباني) ، وقال ﷺ : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » (صحيح مسلم / ٢٧٠٨) ، وكان يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شرِّ ما ذرأ في الأرض ، ومن شرِّ ما يخرج منها ، ومن شرِّ فتن الليل والنهار ، ومن شرِّ كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن »[1] (مسند الإمام أحمد / ١٥٤٦١ ، وإسناده ضعيف) ، وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر هي التي كوَّن بها الكائنات فلا يخرج برٌّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته ، وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزَّلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعها الأبرار ، وعصاها

(١) الحديثان الأولان : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فهذه الكلمات الشرعية ، وأما قوله : « أعوذ بكلمات الله التامات » في الحديث الثالث « التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر » هذه الكلمات الكونية ؛ لأن الكلمات الكونية قاضية على كل مخلوق ، مؤمناً كان أو كافراً لا مناص له من إجراء الكلمات الكونية عليه (القضاء والقدر) ، أما الكلمات الشرعية فإنما يلتزم بها أهل الإيمان ، أما أهل الكفر فيتجاوزونها ، ولا يعملون بها . فهذه الأحاديث فيها الكلمات الشرعية ، وفيها الكلمات الكونية .

الفجار[١] . وأولياء الله المتقون : هم المطيعون لكلماته الدينية[٢] ، وجعله الديني ، وإذنه الديني ، وإرادته الدينية ، وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها برٌّ ولا فاجر ، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده ، وجميع الكفار ، وسائر من يدخل النار . فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة ، والقدرة والقدر لهم ، فقد افترقوا في الأمر والنهي ، والمحبة والرضا والغضب[٣] وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور[٤] ، وصبروا على المقدور[٥] ، فأحبهم وأحبوه ورضي

---

(١) هذا هو الفرق بين الكلمات الكونية والشرعية : أن الكلمات الكونية لا يخرج أحد عنها ، وأما الشرعية فيخرج عنها الأشرار والكفار ، ويعصونها .

(٢) وكذلك أولياؤه يطيعون كلماته الدينية ، وأما أعداؤه فيعصون الكلمات الدينية ، ولذلك إبليس لما أُمر بالسجود عصى ، هذا أمر شرعي ، أما لو كان أمراً كونياً ما قدر على أن يخالفه .

(٣) الافتراق إنما هو في الكلمات الدينية الشرعية ، وأما الكلمات الكونية فلا افتراق فيها ، كل يطيعها طوعاً واختياراً : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران : ٨٣] انقادوا طوعاً وكرهاً ، لا أحد يستطيع أن يخرج عن الكلمات الكونية والمشيئة : مشيئة الله القدرية .

(٤) هم الذين امتثلوا الكلمات الدينية ، ففعلوا ما أُمروا به وتركوا ما نُهوا عنه .

(٥) وصبروا على القضاء والقدر ، لم يجزعوا ولم يتسخطوا ، فجرى عليهم القضاء والقدر وهو الكلمات الكونية ، ورضوا بذلك ، وامتثلوا أيضاً للكلمات الشرعية فعملوا بها ، فجمعوا بين الأمرين .

عنهم ورضوا عنه[١] . وأعداؤه أولياء الشياطين ، وإن كانوا تحت قدرته ، فهو يبغضهم ويغضب عليهم[٢] ، ويلعنهم ويعاديهم[٣] ، وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[٤] .

وجماع الفرق بينهم اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ ، فإنه ﷺ هو الذي فرَّق الله تعالى به بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء[٥] ، وبين

---

(١) كان نتيجة ذلك أن الله ﷻ رضي عنهم ورضوا عنه ، وأحبهم وأحبوه ؛ لأنهم أطاعوه وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه ، أما الكفار فإنهم عصوا أمره فغضب الله عليهم ، ولعنهم ومقتهم .

(٢) لأنهم عصوا أمره وخالفوا نهيه فهو يبغضهم ويمقتهم .

(٣) لأنهم خالفوا شرعه ودينه ، ولم ينفعهم أنهم وافقوا قضاءه وقدره وكلامه الكوني .

(٤) ولذلك عنوان الكتاب : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ، هذا هو الفرقان .

(٥) لما بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس كافة ، منهم من أطاعه وآمن به ، فنال رضا الله ﷻ وكرامته ، ومنهم من عصى هذا الرسول وكفر به ، فنال غضب الله وسخطه ولعنته : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل : ١٥-١٦] فمن أطاع هذا الرسول واتبع أمره واجتنب نهيه واقتدى به فإنه ينال رضا الله ، ومن خالف أمره وكفر به فإنه ينال غضب الله ﷻ ، هذا هو الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : أن أولياء الرحمن أطاعوا الرسول ، وأما =

أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار[١] ،وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٢]

أولياء الشيطان فهم عصوا الرسول ، ولو تركهم ولم يرسل إليهم رسولاً ما حصل فرق ، ولا تبيَّن هذا من هذا ، إنما يتبين هذا بإرسال الرسل ، وإنزال الأوامر والنواهي ، هي التي تفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فلو لم يُرسل الرسل ولم تنزل الكتب ما تميَّز هذا من هذا .

(١) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] ، علَّق الجزاء بالوصف : الأبرار في نعيم لبرِّهم ، والفجار في الجحيم لفجورهم ومعصيتهم ، فرَّق الله بين هؤلاء وهؤلاء .

(٢) هذا مما فرَّق الله به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فأولياء الرحمن يوالون ويعادون في الله ﷻ ، يوالون من أطاع الله ، ويعادون من عصى الله ، ولهذا قال : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ؛ كَفَر بالله ، وعصى الله ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ثبَّت الله الإيمان في قلوبهم ، فنتج عنه أنهم أحبوا في الله ، وعادوا في الله ﷻ حتى أقرب الناس إليهم: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ وقواهم وأمدهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بقوة إيمان منه ﷻ ، ثبتهم على هذا الولاء والبراء ، أما الذي لا يفرق بين المؤمن والكافر ، وبين المطيع والعاصي ، فهذا ليس بمؤمن : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

=

الآية [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾(١) [الأنفال : ١٢] وقال في أعدائه : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾(٢) [الأنعام : ١٢١] .

هذا ليس بمؤمن ، الذي يقول : إن الناس سواء ، وحرية الأديان ، وحرية الرأي ، ولا حجر على أحد ، هذا ليس بمؤمن ؛ لأنه لا يفرق بين مؤمن وكافر ، فما دام أنه لا يفرق ، والناس عنده سواء ، فإنه ليس بمؤمن . الإيمان يقتضي التفريق .

(١) هذا في غزوة بدر ، لما أنزل الله الملائكة لتثبت المؤمنين على لقاء العدو : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أنزلهم إلى بدر ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ : معية خاصة ، معية نصرة وتأييد ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ : ثبتوهم أمام عدوهم ، فكان من ذلك أن المؤمنين ثبتوا على قلتهم وكثرة عدوهم ، الملائكة تثبتهم بإذن الله ﷻ ، أما الكفار فقال فيهم : ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ المؤمنون يلقي الله في قلوبهم الثبات في المعركة ، وأما الكفار على كثرتهم وقوتهم ألقى الله في قلوبهم الرعب ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ : فوق الأعناق ؛ لأن القتل يكون في أعلى الرقبة بعد المفصل فوق العظم ، القتل والضرب بالسيف له موضع في الرقبة ، ليس فيه عظم ، فوق الأعناق ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ : الأصابع التي يمسكون بها السلاح اضربوها حتى لا يستطيعوا حمل السلاح . هذه نتيجة الكفر بالله ﷻ ، فالله فرق بين المؤمنين والكفار ، فرق بين أوليائه وأعدائه في هذه المعركة .

(٢) لما كان المشركون يستحلون الميتة التي ماتت بغير ذكاة ، الله أمر المؤمنين أن يأكلوا مما =

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي

ذكر اسم الله عليه ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وهي المذكاة ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ أي : الأكل من الميتة فسق ، إلا عند الضرورة إذا كان الإنسان اضطر ، وخاف من الموت ، رخص الله له أن يأكل من الميتة ؛ لإبقاء حياته ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ أي : خروج عن طاعة الله ﷻ ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ : جاء في تفسير الآية : أن الفرس يلقون إلى كفار الجاهلية أن الميتة حلال ؛ لأن الله ذبحها ، أما المذكاة فأنتم تذكونها ، فكيف تأكلون مما ذكَّيتم ولا تأكلون مما ذكَّى الله ؟! هذا جدال باطل ، مخالف لشرع الله ﷻ ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ : شياطين الإنس من فارس ، وكذلك شياطين الجن ﴿ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ : أتباعهم من الكفار الذين يأكلون الميتة ويجادلون فيها ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ، فمن أطاع أحداً في تحليل ما حرم الله وهو يعلم أنه مستحل لما حرم الله ، فإنه مشرك - والعياذ بالله - شرك الطاعة ؛ لأنه أطاع هؤلاء في أنهم شرعوا استباحة الميتة ، والتحليل والتحريم حق لله ، لا يجوز لأحد أن يحلل ويحرم من عنده ، فهذا حق لله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] الله هو الذي يشرع ، هو الذي يُحلّ ويُحرِّم ، ولا دخل لأحد في ذلك ، فمن استحل محرماً مجمعاً على تحريمه كفر ، وكذلك من أطاعه وهو يعلم ذلك يكفر مثله ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ أما من أطاعه وهو لم يعلم أنه حلَّل ما حرَّم الله ، فهذا يعتبر ضالاً ، ولكن لا يصل إلى حد الكفر .

الشاهد في قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ : فدل على أن هناك أولياء للشياطين من بني آدم .

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[١] [الأنعام : ١١٢] ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ .وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٢] [الشعراء : ٢٢١-٢٢٧] .

---

(١) ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ يعني : ليس لك أيها الرسول خاصة ؛ بل كل نبي يكون له أعداء ابتلاء وامتحاناً . ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ : فدل على أن الإنس منهم شياطين ، مثل ما أن الجن لهم شياطين ، وشياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، فيتآمرون في معصية الرسول ﷺ ومخالفته ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣١] الرسل لهم أعداء من باب الابتلاء والامتحان ، فهذا فيه التحذير من طاعة أعداء الرسل ، ومتابعتهم واستحسان قولهم .

(٢) هذا في القرآن ، قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ القرآن مذكور أنه سيُبعث هذا الرسول ، وأن الله سينزل عليه هذا القرآن ، عندهم خبر من هذا ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢-١٩٧] علماء بني إسرائيل يعلمون هذا القرآن ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا .وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧-١٠٨] صدَّقوا بالقرآن ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى

=

ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] فهم يعرفون هذا ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ﴾ أي : دلالة على صحة هذا القرآن أن علماء بني إسرائيل يعرفونه ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ لأنهم يقولون : إن هذا القرآن شعر ، وأنه كهانة وأنه أساطير الأولين ، وأنه وأنه ، والله سبحانه نفى عنه هذا ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ إنما تنزَّل به جبريل ﷺ ، وما تنزلت به الشياطين كما تتنزل على الكهان ، فالرسل لا تتنزل عليهم الشياطين ، إنما ينزل عليهم الملك من الله ﷺ : ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾ الشياطين لا يقربون الوحي ، ولا يقربون القرآن ، محروس محفوظ ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي : الوحي ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴾ الشهب ترميهم وتبعدهم ، إذا حاولوا استراق السمع طردتهم الشهب الحارسة للسماء ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون هذا ، فالشياطين لا تقرب القرآن عند النزول ، ولا تقربه عند التلاوة ، تفرّ من القرآن ، وتبعد عن القرآن ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠-٢١٢] إلى قوله ﷺ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أنتم تقولون : إن القرآن من الشياطين ، فكذّبهم الله وقال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ الشياطين لا تتنزل على الرسل أبداً . إنما تتنزل على أعداء الرسل ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ : من الكهان ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ : هم يحاولون استراق السمع (الوحي والكلام) من السماء ، ويرتفعون في الجو ، في العنان لاستراق السمع ، ثم يأتيهم الشهاب ، شهاب ثاقب ، لكن أحياناً قد يخطف كلمة مما يسمع من السماء فيلقيها إلى الكاهن ، الكاهن يكذب معها مئة كذبة ،

=

وقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ . وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ . وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ . وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِٱسْمِ

فيصدقه الناس بسبب هذه الكلمة التي سُمعت من السماء ، يقبلون تسعاً وتسعين كذبة بسبب كلمة واحدة سمعت من السماء ، كما قال النبي ﷺ ، ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ يعني يكذب مع الكلمة الواحدة مئة كذبة ، ثم قال : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ : لما نفى الله عن الرسول أنه كاهن ، وأنه لا تنزل الشياطين عليه ، قالوا : هو شاعر مثل الشعراء ، فالله نفى عنه الشعر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس : ٦٩] ما ينبغي للرسول أن يكون شاعراً ؛ لأن الشعراء أكثرهم كما وصفهم الله : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ، الشاعر يأتي بأشياء بعيدة ؛ لأن الشاعر يساعده الشيطان ، ولذلك يذكر أشياء ما رآها ويأتي بها في شعره ؛ لأن الشياطين تعينه على ذلك ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ الشاعر جبان في الغالب ، يتكلم في الشجاعة والإقدام ، ولكنه أجبن الناس ، يقولون ما لا يفعلون ، ثم استثنى الله من الشعراء من آمن بالله ونصر الحق ، مثل حسان بن ثابت ، وشعراء الرسول ﷺ الذين استعملوا شعرهم لنصرة الحق والذب عن الرسول ﷺ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ استثناهم من الذم ، ثم قال ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[(١)] [الحاقة : ٣٨-٥٢] .

---

(١) هذه الآيات من آخر سورة الحاقة ، مثل الآيات السابقة التي في آخر سورة الشعراء ، أن الله نفى عن هذا الرسول أنه كاهن أو أنه شاعر ، وأقسم على ذلك ﷻ : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ : لا ، هذه صلة للتأكيد . والأصل : أقسم . أو لا : نافية ، أي : ليس الأمر كما زعمتم ﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ : من المخلوقات ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ : نحن لا نبصر من المخلوقات إلا القليل . هناك مخلوقات لا نبصرها ، فالله أقسم بهذه المخلوقات العظيمة التي نبصرها والتي لا نبصرها ، والله ﷻ يقسم بما شاء ، ولا يقسم إلا بشيءٍ له شأن عظيم ، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله ، كما هو معلوم . المُقسَم عليه ما هو ؟ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني محمداً ﷺ الرسول البشري ، رسول كريم ﷺ ، هو قول مبلِّغ ، ليس أنه ابتدأ هذا وقاله ابتداء ، وإنما قاله مبلغاً عن الله ﷻ ، وإلا فهو كلام الله ، أضيف إلى الرسول إضافة البلاغ والبيان ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ ؛ لأنهم يقولون : الرسول شاعر . وهذا القرآن شعر ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖ﴾ كما تقولون : الرسول كاهن ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فَرْقٌ بين الرسول وبين الشاعر وبين الكاهن ، هؤلاء تنزل عليهم الشياطين ، أي : الكهان والشعراء ، وأما الرسل فتنزل عليهم الملائكة ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هذا يبيِّن قول : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ ليس هو قول الرسول ابتداء ، وإنما هو تنزيل من رب العالمين ، والرسول قاله مبلغاً وتلاه تلاوة ، تلاه لأمته مبلِّغاً لهم ، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئاً ، لا إلى من قاله مبلِّغاً مؤدِّياً ، كما هي القاعدة ، ثم بيَّن أن الرسول ليس بكذاب أيضاً ، وتارة يقولون : كاهن ، وتارة يقولون : شاعر ، وتارة يقولون : كذاب ، قال ﷻ : ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا﴾ يعني لو كذب علينا ﴿بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ لو تقول علينا بعض =

وقال ﷺ : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[(١)] إلى قوله :

الأقاويل لعاقبناه أشد العقوبة ، فكون الله لم يعاقبه دليل على رسالته ﷺ ، وأن الله أقرَّه ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ : بالقوة ، أو باليد اليمنى ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ : قتلناه شر قتلة ، والوتين : هو العرق الذي في الرقبة يجري منه الدم ، إذا قطع مات الإنسان ، ولا نمهله يكذب على الله ﷺ . ألم تروا أن الله قتل الكذَّابين على الله . قتل مسيلمة ، وقتل الأسود العنسي ، وقتل المتنبئين ، هل الله أمهلهم ؟ لا ، الله قتلهم وقطع دابرهم ، ولم يُبق لهم ذِكْراً ، أما هذا الرسول ﷺ فإن الله أقره ، وبقي ذكره ﷺ ، وبقي هذا القرآن يُتلى ، هذا دليل على أنه من عند الله ﷺ : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ هل أحد يستطيع أن يمنع الرسول إذا أراد الله قتله ؟ لا أحد يستطيع ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ : لا أحد يمنعنا من قتله والانتقام منه ، إلى آخر الآيات . الشاهد : أن هذا تزكية للقرآن ، أنه من الله ، ونفي أن يكون شعراً ، أو يكون كهانة ، أو يكون كذباً على الله ﷺ .

(١) هذا نفي لما وصفوه به : إنه كاهن ، إنه مجنون ، إنه شاعر ، إنه كذاب ، هذا دليل على اضطرابهم ، يتخرصون . تارة يقولون : شاعر ، وتارة يقولون : كاهن ، وتارة يقولون : كذاب ، وتارة يقولون : إنه يُعلَّم ، يعلمه بشر من أهل الكتاب يملي عليه ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ [الفرقان : ٥] يعني هو ما يكتب عليه ﷺ ، لكن كتبها له هذا الإسرائيلي ، وهو غلام في مكة : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ هذا البشر أعجمي ، وهذا القرآن عربي ، فكيف الأعجمي يأتي بهذا القرآن العربي الفصيح ؟! ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ ﴾ يعني لغة ﴿ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] ، هذا يدل على كذبهم في هذا . الأعجمي لا يقدر أن

﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور : ٢٩-٣٤] ، فنزَّه ﷻ نبينا محمداً ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين ، وبيَّن أن الذي جاء بالقرآن مَلَك كريم اصطفاه(١) .

يأتي بهذا القرآن الفصيح البليغ أبداً ، ليس هذا من لغته .

وهذه الآية هنا في سورة الطور ﴿فَذَكِّرْ﴾ : أيها الرسول بما أوحى الله إليك ، ولا تلتفت إلى اتهاماتهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾ كما يقولون : ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون ، ثم أيضاً هم مضطربون ، لم يثبتوا على قول . هل المجنون يقول شعراً ؟! المجنون مجنون لا يستطيع يتكلم ، هل المجنون يأتي بهذا القرآن الفصيح البليغ وهو مجنون ؟! المجنون يهذي ، ولا يحسن أن يتكلم ، لكن هم مضطربون . هل هذا القرآن شعر ؟! قارن بينه وبين الشعر ، تجد الفرق واضحاً . هل هو كهانة ؟! بينه وبين الكهانة فرق ، الكهان تجد أساجيعهم تُضحِك العقلاء ، ليست من كلام رب العالمين ، مثل سجع مسيلمة ، وسجاح ، وغيرهم من الكهان . أحياناً يقولون : كاهن ، وأحياناً يقولون : مجنون ، وأحياناً يقولون : ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ ننتظر متى يموت ونستريح منه ، مثل الشعراء غيره في الجاهلية ، يعيش مدة ، ويؤذي الناس بشعره ثم يموت ، وينقطع ذكره . هم يقولون : اصبروا على هذا الرجل إلى أن يموت ونستريح منه . هل لما مات الرسول ﷺ انقطع ذكره ، وانقطع القرآن الكريم ؟! ما انقطع ؛ لأنه من عند الله ﷻ .

(١) الذي جاء بالقرآن مَلَك كريم و، هو جبريل ؑ الروح الأمين . اصطفاه أي : اختاره من بين الملائكة .

قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١] [الحج : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢-١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢] [البقرة : ٩٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] [النحل : ٩٨-١٠٢] ، فسماه الروح الأمين ، وسماه

---

(١) الرسل على قسمين : رسل من الملائكة ، ورسل من البشر ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى ﴾ : يختار رسلاً من الملائكة ومن الناس . فالرسالة اختيار واصطفاء من الله ، ليست كما يقول الفلاسفة : إنها يكتسبها الإنسان بصفائه ، وصفاء فطرته وذهنه وفلسفته ، يتطلَّعون إلى أن يكونوا رسلاً وأنبياء . الرسالة من الله ، هو الذي يصطفي ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

(٢) هذا يبيِّن أن قوله : ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ، هو جبريل عليه السلام ، كانت اليهود لما بُعث الرسول ﷺ من سخرياتهم وعنجهياتهم ، يقولون : لو كان الذي ينزل عليه غير جبريل لآمنا به ، ولكن جبريل عدو لنا ، فلا نؤمن بهذا ، وهو ينزل عليه عدونا جبريل ، قال الله ﷻ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ جبريل ما جاء به من عنده ، وإنما جاء به من عند الله ﷻ .

(٣) يقول الله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ . إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ

=

روح القدس[١] . وقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ .ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾[٢] [التكوير : ١٥-١٦] يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي : مختفية قبل طلوعها[٣] ، فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء ، فإذا غربت ذهبت

مُشۡرِكُونَ ﴾ فإذا أراد المسلم أن يقرأ القرآن ، فإنه يبدأ بالاستعاذة ؛ لأجل أن يطرد الشيطان ، لئلا يشوش عليه قراءته ، ويغلِّطه في القراءة ، فإذا استعاذ بالله انطرد عنه الشيطان ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ المرجوم المبعد ، ثم بيَّن أن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، وهو قال هذا ، قال : ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ .إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩-٤٠] عباد الله المخلصين والمؤمنين ليس له عليهم سلطة ، ينطرد ويبعُد عنهم .

(١) سمى جبريل : الروح الأمين ، وسماه : روح القدس ، أي : الطهر ، فهو المطهر ﷺ ، وسماه جبريل ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ [البقرة : ٩٧] .

(٢) (لا) هذه إما أنها نافية ، أي : ليس الأمر كما تزعمون ، وإما أنها صلة لتأكيد الكلام ﴿أُقۡسِمُ ﴾ أي : أحلف ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ﴾ : وهي النجوم التي تختفي وتخنس إذا جاء النهار ، وتبرز إذا جاء الليل . ﴿ٱلۡجَوَارِ ﴾ تخنس في المغيب ، ثم تظهر وتجري إلى مغيبها ، من المطلع إلى المغرب ، تشاهدونها تجري ، أنت تراها في مكان ، بينما إذا مضت مدة ونظرت إليها ، وجدتها قد سارت وتقدمت عن مكانها الأول ، فهي خُنَّس وجوار ، خنس إذا غربت ، وجوار إذا ظهرت .

(٣) كما قال ﷻ عن الشيطان : ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤] الذي إذا ذُكر الله انخنس وإذا غُفِل عن ذكر الله وسوس . فالشاهد أن الانخناس هو التأخر .

إلى كُنَّاسها الذي يحجبها[١] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أي : إذا أدبر الليل وأقبل الصبح[٢] ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي : أقبل[٣] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[٤] وهو جبريل عليه السلام[٥] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ[٦] . مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[٧] أي مطاع في السماء أمين[٨] ، ثم قال : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾[٩] [التكوير : ١٧-٢٢] أي :

---

(١) تغيب في الأفق ولا يراها الناس .

(٢) ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ أي : أدبر ، انتهى وجاء الصبح .

(٣) هذه كلها إقسامات من الله أقسم بهذه الآيات العظيمة ، ولكن المقسَم عليه ما هو ؟ سيأتي .

(٤) جواب القسم ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي : القرآن ، ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ : هذا جبريل عليه السلام ، وهو القوي الأمين ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ يعني قوة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [النجم : ٦] هو جبريل عليه السلام .

(٥) في الآيات الأولى في آخر الشعراء المراد بالرسول هو محمد ﷺ ، وفي هذه الآيات من سورة التكوير المراد بالرسول : جبريل ؛ لأنه هو الذي ألقاه على محمد ﷺ .

(٦) ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ : عند الله ﷻ ﴿مَكِينٖ﴾ عند الله ، قريب من الله .

(٧) ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي : في السماء تطيعه الملائكة ، وهو أكبر الملائكة ، وسيد الملائكة عليهم السلام .

(٨) أمين على ما استُحفظ عليه من الوحي .

(٩) هذا الرسول ﷺ . لما مدح جبريل مدح الرسول ﷺ ، فهذا سند القرآن : عن محمد ، عن جبريل ، عن الله ﷻ . ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ : كما يقوله الكفار أنه مجنون ، أصابه الجن والمس من الجن ، فصار يهذي ، هل المجنون يأتي بهذا القرآن ؟! لكن ليس لهم عقول .

صاحبكم الذي منَّ الله عليكم به إذ بعثه إليكم رسولاً من جنسكم يصحبكم[١]، إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[٣] الآية [الأنعام: ٨-٩].

---

(١) ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤]
فمن مِنَّة الله أن هذا الرسول من جنسنا، نكلمه ونجالسه، ونمشي معه، ويأكل معنا ونأكل معه، ونسمع منه، لو كان من الملائكة ما استطعنا أن ننظر إليه ولا نخاطبه.

(٢) يصحبكم في السفر، وفي الحضر، وفي كل مكان، تتلقون عنه الوحي والشريعة، هذا من نعمة الله ﷺ، ثم أنتم تعرفونه أيضاً، هو منكم ومن أشرف قبائلكم، ويعيش بينكم، تعرفون أمانته وصدقه، ما جاءكم غريب.
والبشر لا يستطيعون رؤية الملائكة، ولهذا لما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] يقولون: نحن لا نصدق محمداً، لابد يأتينا ملك ويكلمنا - وهذا من تعسفاتهم -، ولا نصدق واحداً من جنسنا، هو بشر مثلنا، فلانصدقه فالله ﷻ أخبرهم أن هذا من فضله عليهم، ولو جاءهم الملك لما استطاعوا أن يستفيدوا منه، ولا يكلموه؛ لأنه من غير جنسهم، إنما الملائكة تنزل عند العذاب - والعياذ بالله - عند الهلاك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]، إذا نزلت الملائكة ورءاها الناس حصل الهلاك، فهم لا ينزلون إلا عند الموت والاحتضار، أو عند نزول العذاب - والعياذ بالله - أو عند قيام الساعة ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

(٣) ولذلك ما كان جبريل ﷺ يأتي إلى الرسول ﷺ إلا في صورة رجل، ويجلس معه
=

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾[1] [التكوير : ٢٣] أي : رأى جبريل عليه السلام ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بظنين ﴾ [التكوير : ٢٤] أي : بمتهم[2] وفي القراءة

والناس ينظرون ويتكلم معه ، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب .. » الحديث . فيأتي في صورة رجل ، يألفونه وينظرون إليه ، ويسمعون كلامه ، ويستفيدون منه ، ولو أنزل الملك ورأوه ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ : لهلكوا ﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ : ما يؤجلون ؛ بل تحل بهم العقوبة والعذاب – والعياذ بالله – ، ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ : لأجل أن يكلموه ويروه ، رجل من جنسهم .

(١) ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ : ليس صاحبكم محمد ﷺ بمجنون ، كما تقولون ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ أي : رأى جبريل على خلقته ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ رآه في بطحاء مكة ، لما رفع رأسه وإذا بجبريل بين السماء والأرض على هيئته التي خلقه الله عليها ، له ستمئة جناح ، كل جناح سد الأفق . هذه الرؤيا الأولى ، الرؤيا الثانية : ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ . عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٣-١٤] ليلة المعراج ، فالرسول ﷺ ما رأى جبريل على خِلقته الملكية إلا مرتين : مرة في بطحاء مكة ، ومرة ليلة المعراج ، عند سدرة المنتهى ، وما عدا ذلك يأتيه في صورة رجل .

(٢) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بظنين﴾ بالظاء أي : بمتهم من الظِّنَّة ، وهي الاتهام ، أو ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ بالضاد ، أي : ببخيل ، فيكتم ما أوحاه الله إليه ؛ بل إنه يبلغ ما أنزل الله إليه لا يبخل به .

الأخرى ﴿ بِضَنِينٍ ﴾[(١)] أي : ببخيل يكتم العلم ، ولا يبذله إلا بجُعل ، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾[(٢)] [التكوير : ٢٥] ، فنزَّه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً ، كما نزه محمداً ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً[(٣)] .

فأولياء الله المتقون : هم المقتدون بمحمد ﷺ ، فيفعلون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر[(٤)] ، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم

---

(١) ﴿ بضنين ﴾ بالضاد أي : بكاتم ما أوحي إليه ، وبخيل بما أوحي إليه ، أو لا يبلغه إلا بجُعل أو مال ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، فهو يبلغ ما أنزل إليه ، ولا يطلب أجراً من الناس .

(٢) ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ ، كما تقولون : إنه من تنزُّل الشياطين ، والله ﷻ قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ ، إنما هذا على الكهان ، لا على الرسل .

(٣) أو كذاباً أو مجنوناً .

(٤) الله ﷻ بيَّن من هم أولياء الله ، وذلك في قوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] هؤلاء هم أولياء الله : الذين آمنوا وكانوا يتقون ، ومن الإيمان بالله والتقوى اتباع الرسول ﷺ ، فأولياء الله هم الذين يتبعون رسول الله ، فيفعلون ما أمرهم به ، ويتركون ما نهاهم عنه ؛ لأن هذا معنى التقوى ، فالتقوى : هي فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، هؤلاء هم أولياء الله ، أما من يُدَّعى أنه من أولياء الله ، وهو ليس من المؤمنين المتقين =

بملائكته وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات(١) التي يكرم الله بها أولياءه المتقين(٢) .

المطيعين لرسول الله ﷺ فهذا من أولياء الشيطان ، وليس من أولياء الرحمن ، وليست المسألة في الدعوى ، وإنما المسألة في الحقيقة ، فإذا قيل : هذا وليّ ، ننظر في عمله ، هل هو مطيع لله ورسوله ؟ ويتقي ربه سبحانه ؟ فهذا ولي لله ﷻ ، أو هو عاص لله ورسوله ، مخالف للشريعة ، فهذا ليس ولياً لله ، وإنما هو من أولياء الشيطان .

(١) فهؤلاء يؤيدهم الله بروح منه ، بقوة إيمانية ، وبنور في قلوبهم ، وهذا كما سبق في قوله : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، هؤلاء هم أولياء الله الذين يوالون في الله ويعادون في الله ، يحبون في الله ، ويبغضون في الله ، هؤلاء هم أولياء الله ﷻ ، أما الذي ليس عنده فرق بين المؤمن والكافر ، كلهم عنده سواء ، وبين المطيع والعاصي ، فهذا ليس ولياً لله ، هذا وليٌّ للشيطان .

(٢) وأولياء الله أيضاً يمدهم الله بقوة الإيمان ، والنور الذي يجعله الله في قلوبهم يميزون به بين الحق والباطل ، ينظرون بنور الله سبحانه ويميزون ، وهؤلاء تكون لهم كرامات ، وليس بلازم أن الولي تكون له كرامات ، لكن قد تكون له كرامات ، والكرامة : هي الأمر الخارق للعادة يجريها الله على يدي الولي ، إما لإقامة الحجة على المخالف وبرهان على صدقه ، وإما لحاجة بالناس - وهذا يأتي شرحه إن شاء الله - فالكرامة تكون إما لحجة في الدين ، أو لحاجة بالمسلمين وهي الأمر الخارق للعادة الذي لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ، فالأمر الخارق للعادة إذا جرى على يدي نبي ، فهو =

وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين ، أو لحاجة بالمسلمين[(١)] ،

معجزة ، وإذا جرى على يد وليّ فهو كرامة ، وإذا جرى على يد كافر فهي خارق شيطاني ، وليست كرامة ، وهذا كما سبق بيانه وتفصيله ، فإن الكفرة والسحرة وأتباع الشياطين يكون لهم خوارق أيضاً ، يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء ، ويدخلون النار ، وغير ذلك ، ولا تضرهم ، هذا كله من الأعمال الشيطانية ، والمخاريق الشيطانية ، فلا يُغتر بها ما دام أنهم ليسوا من المؤمنين المتقين المطيعين لله ورسوله ، فهذه الخوارق إنما هي خوارق شيطانية من باب الابتلاء والامتحان ، تخدمهم الشياطين فتطير بهم في الهواء ، وتمشي بهم على الماء وتحضر لهم الأشياء البعيدة ، تخدمهم الشياطين ، فليسوا أولياء لله ، ولا يُغتر بما معهم من الخوارق ، أما إذا جرى الخارق على يد مؤمن تقي ، فهذه كرامة من الله ﷻ أعانه الله بها ، وأمده بها ، فكرامات الأولياء ثابتة بالقرآن وبالسنة ، أما في القرآن ، فكما في قصة أصحاب الكهف ، وما جرى لهم من الأمر الخارق للعادة ، وكما في قصة مريم ، أنها يأتيها رزقها وهي في مصلاها ، لا تخرج ولا تذهب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي : المصلى الذي اعتزلت فيه واحتجبت فيه عن الناس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ مع إنه لا يدخل عليها أحد ولا يأتيها أحد، ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، هذا من الكرامات ؛ لأن مريم صدِّيقة ، كما قال الله ﷻ : ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة : ٧٥] فهي من أولياء الله ، الله يرزقها وهي في مصلاها . هذا من الكرامات التي يجريها الله على يد عبد تقي مؤمن من عباده لحاجته إليها ، أو لأجل أن يحتج بها على المخالفين .

(١) وليس بلازم أن الولي يكون له كرامة ، لكن الله ﷻ قد يجريها عند الحاجة إليها ، إما للاحتجاج على المخالفين ، أو للحاجة في الناس – وهذا يأتي بيانه – وليست لأجل =

كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك[١]، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ: مثل انشقاق القمر[٢]، وتسبيح الحصى في كفه[٣]، وإتيان الشجر إليه[٤]،

الفتنة كالخوارق التي عند السحرة والكهان، وعملاء الجن والشياطين، هذه لا لحجة في الدين ولا لحاجة للمسلمين، وإنما هي شر وفتنة.

(١) فالخارق للعادة إن جرى على يد نبي فهو معجزة، وإن جرى على يد ولي فهو كرامة، وهو في نفس الوقت معجزة للرسول؛ لأن الولي ما حاز على ذلك ولا حصل عليه إلا باتباعه للرسول ﷺ، فكرامات الأولياء معجزات للأنبياء.

(٢) من معجزات الرسول ﷺ انشقاق القمر، لما اقترح عليه المشركون أن يشق القمر، فالله ﷻ شق القمر فجعله فلقتين، فلقة على أبي قبيس وفلقة على قعيقعان، وصار الناس ينظرون إليه (انظر: صحيح البخاري / ٣٤٣٨ - صحيح مسلم / ٢٨٠٢)، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢]، لما انشق القمر قالوا: سحرنا محمد، هذا سحر وليس معجزة له، فكذَّبه أهل مكة، وجاء المسافرون من البراري، وأخبروا أنهم رأوا أن القمر انشق في تلك الليلة. (انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم / ٢١٢).

(٣) سبَّح الحصى في كف الرسول ﷺ حتى سمع الناس تسبيحه (انظر: السنة لابن أبي عاصم / ١١٤٦، وصححه الألباني) وهذه معجزة من معجزات الرسول ﷺ.

(٤) لما ذهب لقضاء حاجته، وكان ﷺ إذا ذهب لحاجته يستتر، فلم يجد شجرة يستتر بها إلا شجراً متفرقاً، فدعاه ﷺ فاجتمع له واستتر به ﷺ بأمر الله هذه معجزة رآها الناس، من حديث جابر الذي ذهب معه يحمل معه الماء رأى هذا. (انظر: صحيح مسلم / ٣٠١٢).

وحنين الجذع إليه(١) ، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس(٢) ،

---

(١) لأنه ﷺ في أول الأمر كان يخطب على جذع نخلة ، يتكئ عليه حال الخطبة ، ثم صُنع له منبر ، فصار يخطب على المنبر ، فحنَّ الجذع إليه ، صاح كما يصيح الغلام الطفل الصغير ، من أجل أنه فقد الذكر الذي كان يسمعه من الرسول ﷺ ، وسمع الناس حنين الجذع ، فهذا من معجزاته ﷺ . (انظر : صحيح البخاري/ ٣٣٩٠) .

(٢) ومن معجزاته ﷺ : الإسراء والمعراج في ليلة واحدة ، الإسراء إلى بيت المقدس ، وبينه وبين المسجد الحرام مسافات ، وعروجه إلى السماء ثم نزوله إلى بيت المقدس ورجوعه إلى مكة في ليلة واحدة . فأصبح وحدَّث الناس بذلك ، فحصلت فتنة عظيمة ، وفرح المشركون في التنفير من رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنه كذاب ، كيف يذهب في ليلة واحدة ويأتي إلى بيت المقدس ، ونحن نضرب أكباد الإبل ، وكذا وكذا من المدة والمسافة ، فأظهروا كذب النبي ﷺ ، وأثَّروا على ضعاف الإيمان ، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قالوا له : أما علمت بما قال صاحبك ؟ قال : لا ، قالوا : إنه يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس ، وعُرج به إلى السماء ، وعاد في ليلة واحدة ، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن كان قال هذا فقد صدق ﷺ ؛ لأنه لا يكذب الرسول ﷺ أبداً ، يصدقه في الوحي فكيف لا يصدقه في هذه الحادثة الغريبة ؟ هذا قوة الإيمان ، واطمئنان الإيمان في القلب الذي لا يتزحزح عند الفتن ، طلبوا من النبي ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس ؛ لأنهم يعرفون علاماته ، وهو قائم يحدثهم عن ذلك ، فرفع الله بيت المقدس وجعله أمام الرسول ﷺ ، ينظر إليه وهو في مكة ويصفه لهم ، فعند ذلك حيَّرهم وبهتهم ، هذا من معجزاته ﷺ . (انظر : صحيح البخاري/ ٣٦٧٣- صحيح مسلم/ ١٧٠) .

وإخباره بما كان وما يكون[١] ، وإتيانه بالكتاب العزيز[٢] ، وتكثير الطعام

---

(١) من معجزاته ﷺ إخباره بما يطلعه الله عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة ، يخبر عن الغيوب التي أطلعه الله عليها ، الله هو الذي يعلم الغيب ولكن يطلع أنبياءه على شيء من الغيب : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] فالله يطلع الأنبياء على شيء من الغيب ، ليخبروا به الناس ؛ لأجل إقامة الحجة عليهم ، هذا من المعجزات ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ . أخبر ﷺ عن الأمم الماضية ، وأخبر عن المستقبل ، وكان خبره عن المستقبل وعن الماضي يأتي كما أخبر ﷺ .

(٢) هذا أعظم المعجزات ، أعظم المعجزات هذا القرآن الذي أتى به وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ﷺ ، وجاء بهذا القرآن الذي أعجز الجن والإنس : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، هذه الآية نزلت في مكة قبل الهجرة ، تحداهم وهو في مكة لا يأتون بمثله ، يعني لا حاضراً ولا مستقبلاً ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ ولن تفعلوا : هذا للمستقبل ولن تفعلوا إلى أن تقوم الساعة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣-٢٤] ، تحداهم الله أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، تحداهم أن يأتوا بعشر سور فعجزوا ، تحداهم الله أن يأتوا بسورة فعجزوا ، عجزوا أن يأتوا بمثل : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] عجزوا أن يأتوا بمثل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴾ [العصر : ١] عجزوا أن يأتوا بمثله ، فهذا أعظم البراهين ، والقرآن هو المعجزة الباقية المستمرة إلى أن تقوم الساعة ، فهذا هو أعظم معجزاته ﷺ .

والشراب مرات كثيرة[١] ، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سُليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المشهور[٢] .

وأروى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص[٣] ، وملأ

---

(١) من معجزاته ﷺ تكثير الشيء القليل من الطعام والشراب ، فكان إذا وضع يده في الطعام أو دعا فإن الطعام القليل يشبع الجماعات الكثيرة ويبقى منه ، إذا كان الناس عطشى وليس عندهم ماء في الصحارى في الأسفار ، فإنه ﷺ يضع يده في الماء القليل حتى يفور من بين أصابعه ، فيكفي الناس الحاضرين معه ، وسيأتي ذكر هذه الأشياء ، فيشربون ويتوضؤون من ماء أصله قليل ، فهذا من معجزاته ﷺ .

(٢) في غزوة الخندق . والخندق المراد به الحفر الذي حفره النبي ﷺ حول المدينة ؛ ليمنع المشركين من دخول المدينة ، لما غزوا رسول الله ﷺ في وقعة الأحزاب ، أشار عليه سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحفر خندقاً حول المدينة فحفره هو وأصحابه ، فلما وصل المشركون لم يستطيعوا تجاوزه ، وقالوا : هذه مكيدة لا تعرفها العرب ، يعني حفر الخندق ، فنفع الله بهذا الخندق ، وكانوا يحفرون الخندق ومعهم الرسول ﷺ يحفر ، فكأن أم سليم أم أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ رأت في وجه رسول الله ﷺ الجوع ، فذهبت وصنعت شيئاً من الطعام ، وقالت لأنس : ادع رسول الله ﷺ فدعاه ، فذهب فوجدها قد عملت شيئاً قليلاً من الطعام ، فأرسل أنساً يدعو أهل الخندق كلهم يزيدون على الألف فوضع يده ﷺ في هذا الطعام ، فأكلوا كلهم وشبعوا وبقي منه بقية ، هذه من معجزاته ﷺ . (انظر : صحيح البخاري/ ٣٣٨٥ - صحيح مسلم/ ٢٠٤٠) .

(٣) المزادة هي القربة الكبيرة ، وهم كثيرون ما تكفيهم المزادة ولا المزادات ، لكنه ﷺ عمل عملاً بارك الله فيه فزاد هذا الماء ، حتى كفى العسكر كلهم . (انظر : صحيح البخاري/ ٣٣٧ - صحيح مسلم/ ٦٨٢) .

أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص ، وهم نحو ثلاثين ألفاً[١] ، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه[٢] ، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمئة أو خمسمئة[٣] ، ورده لعين أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه[٤] ، ولما أرسل محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتل كعب بن

(١) في غزوة تبوك الغزو نحو ثلاثين ألف مقاتل ، قلَّت أزوادهم ، وخشوا من الجوع ، فأمرهم ﷺ أن يجمعوا ما معهم ، فجمعوه على بساط ، فدعا ﷺ عليه وبرَّك ، فقال : خذوا فجعلوا يأخذون من هذا الطعام لمنازلهم ورحالهم ، حتى إنهم أخذوا كلهم ما يكفيهم وبقي بقية . (انظر : صحيح مسلم / ٢٧) .

(٢) ولما كان الماء قليلاً لا يكفي الناس لوضوئهم وشربهم وطبخهم ، وضع ﷺ يده فيه ، فجعل يفور من بين أصابع يده والناس يستقون ، حتى ملأوا أوعيتهم من الماء وأخذوا حاجتهم ، هذا من معجزاته ﷺ . وقد وقع هذا عدة مرات ، وليس مرة واحدة . (انظر : صحيح البخاري / ٣٣٧٩ - صحيح مسلم / ٢٢٧٩) .

(٣) غزوة الحديبية التي جاء النبي ﷺ وأصحابه للعمرة ، فصدهم المشركون ، ونزلوا على غير ماء في الحديبية ، وهي على حدود الحرم من جهة الغرب ، متصلة بالتنعيم . فالماء قلَّ معهم ، فالنبي ﷺ دعا لهم ، حتى أنزل الله البركة في الماء وكفاهم . (انظر : صحيح البخاري / ٣٩٢١) .

(٤) أبو قتادة من أصحاب النبي ﷺ أصيب في بعض الغزوات في عينه ، وخرجت عينه فردها النبي ﷺ في مكانها ، حتى أبرأها الله ، وصارت أحسن عينيه . (انظر : مسند أبي يعلى / ١٥٤٩ ، وصححه الألباني في تحقيقه كتاب بداية السول في تفضيل الرسول ص٤١) .

الأشرف ، فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرئت[(١)] .

وأطعم من شواء مئة وثلاثين رجلاً ، كل منهم حزَّ له قطعة وجعل منها قطعتين ، فأكلوا منها جميعهم ثم فضل فضلة[(٢)] . (انظر : صحيح البخاري / ٢٤٧٥ - صحيح مسلم / ٢٠٥٦) .

ودين عبد الله أبي جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لليهودي ، وهو ثلاثون وَسْقاً . قال جابر : فأمر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل ، فمشى فيها رسول الله ﷺ ، ثم قال لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : جُدَّ له حتى وفاه الثلاثين وسقاً ، وفضل سبعة عشر وَسْقاً[(٣)] . (انظر : صحيح البخاري / ٢٢٦٦) ،

---

(١) كذلك كعب بن الأشرف اليهودي ، الذي آذى النبي ﷺ ، ويؤلب عليه المشركين ، النبي ﷺ أرسل إليه محمد بن مسلمة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقتله ، فذهب وقتله ، ولكنه سقط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فانكسرت رجله ، فمسحها النبي ﷺ فبرئت كأن لم يصبها شيء .

(انظر : صحيح البخاري / ٣٨١٣ ، إلا أن القصة لعبد الله بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقتله لأبي رافع اليهودي) .

(٢) وكذلك اللحم لحم قليل من شاة واحدة ، وهم كثيرون ، والنبي ﷺ جعل يقطع لهم من هذا اللحم ، حتى شبعوا كلهم وبقي منه بقية .

(٣) وكذلك قصة دين عبد الله بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الذي استشهد في وقعة أحد ، والد جابر بن عبد الله ، كان عليه دين ليهودي ، وهو ثلاثون وسقاً من التمر . والوسق ستون صاعاً ، وهو مبلغ كبير ، وثمرة النخل قليلة ، فطلبوا من اليهودي أن يأخذ ثمر النخل وينتهي ، فأبى إلا أن يأخذ دينه كله ، جاء النبي ﷺ ومشى في حائط عبد الله ، وقال : جُدَّ له ، فجعل يجُدّ له حتى وفاه ثلاثين وسقاً وبقي سبعة عشر وسقاً . هذا من معجزاته ﷺ .

ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة[١] .

وكرامات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً[٢] ، مثل ما كان لأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته[٣] (انظر : صحيح البخاري / ٤٧٣٠ - صحيح مسلم / ٧٩٦) ، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤] (انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٧٩) ،

---

(١) مثل هذه المعجزات للنبي ﷺ كثيرة إنما هذه نماذج منها ، وقد جُمع له ﷺ نحو ألف معجزة ، تسمى بدلائل النبوة ، ومنها كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي ، ولأبي نعيم ، وغيرهم .

(٢) أما كرامات الأولياء ، كرامات أصحابه ﷺ فهي كثيرة أيضاً ، وليست الكرامات مقصورة على الصحابة ؛ بل تجري على التابعين وأتباعهم وسائر المؤمنين .

(٣) أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقوم من الليل ويقرأ القرآن ، وكان له صوت حسن ، فقام من الليل يصلي ويقرأ ، فنزل عليه شيء مثل الظلة من السماء ، فيه أمثال السرج ، فلما رأتها الفَرَس وهي مربوطة نفرت ، حتى كادت أن تطأ ابنه يحيى ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وأخبره ، فقال : هذه الملائكة نزلت تستمع لقراءتك ، ولو أنك استمريت لاستمرت حتى يراها الناس ؛ فهذه من كرامات أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزول الملائكة تستمع لقراءته .

(٤) ومن كرامات الأولياء تسليم الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحابي الجليل.

وكان سلمان وأبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأكلان في صحفة ، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها[١] (انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٦٣) ، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط ، فلما افترقا افترق الضوء معهما ، رواه البخاري وغيره[٢] (انظر : صحيح البخاري / ٣٥٩٤) .

وقصة الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في « الصحيحين » ، لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربى من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر وامرأته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فإذا هي أكثر مما كانت ، فرفعها إلى رسول الله ﷺ ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا[٣] (انظر : صحيح البخاري / ٥٧٧ - صحيح مسلم / ٢٠٥٧) .

---

(١) ومن كرامات الأولياء ما حصل لسلمان الفارسي وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما كانا يأكلان من صحفة ، فسمعا تسبيح الصحفة أو تسبيح الطعام ، الله ﷻ قال : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، تارة يظهر الله ذلك لأجل كرامة الولي .

(٢) عباد بن بشر وأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا عند النبي ﷺ في أول الليل ، فخرجا من عنده يريدان الذهاب إلى مساكنهما ، وكانت ليلة مظلمة ، فسطع لهما نور كالسوط يمشي معهما ، ولما افترقا انقسم النور مع كل واحد منهما ، هذا من كرامات الأولياء .

(٣) وهذه أيضاً لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ذهب بثلاثة أضياف ، وليس عنده إلا شيء قليل ، =

وخبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى ، وكان يؤتى بعنب يأكله ، وليس بمكة عنبة[١] (انظر : صحيح البخاري / ٢٨٨٠) .

وعامر بن فُهيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما قُتل رُفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رُفِع[٢]، وقال عروة :

فبارك الله في طعامه ، وصار لا ينقص بل يزيد ، كل ما أكلوا منه زاد ، حتى أخذ بقيته إلى رسول الله ﷺ ، فأكل منها ، وأكل معه ناس كثيرون ، هذا من تكثير الطعام ، وهذه كرامة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) وهذا خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسره المشركون ، وذهبوا به إلى مكة ، ودفعوه إلى جماعة من أهل مكة ، كان خبيب قد قتل أباهم ، فحبسوه وسجنوه ، ولم يكن عنده طعام ، فكان يؤتى بالعنب في سجنه ، وليس في مكة عنب ، فهذا من كرامات الأولياء .

(٢) عامر بن فُهيرة هذا مولى أبي بكر الصديق الذي كان مع أبي بكر والنبي ﷺ في طريق الهجرة ، كان عامر بن الطفيل الخبيث جاء إلى النبي ﷺ ، وطلب منه أن يبعث معه جماعة من القراء ؛ ليعلِّموا قبائل العرب ، وهدفه من ذلك الغدر والخيانة ، فذهب معه سبعون من أهل الصفة ، وأوعز إلى المشركين ، فأحدقوا بهم في منزلهم وقتلوهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وعامر بن فهيرة منهم استشهد ، ورأى عامر بن الطفيل الخبيث جثة عامر بن فهيرة ترتفع إلى السماء ، يعني : ترفعها الملائكة ، ثم إنه لم يُعثر له على جثة بعد ذلك ، بحثوا عنه فلم يجدوه ، استلمته الملائكة ودفنته ، فهذا من كرامات الأولياء .

فيرون أن الملائكة دفنته(١) (انظر : صحيح البخاري / ٣٨٦٧) .

وخرجت أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، وكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حِسّاً على رأسها فرفعته ، فإذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها(٢) (انظر : مصنف عبد الرزاق / ٧٩٠٠) ، **وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده**(٣) (انظر : مسند الروياني / ٦٦٢) ، **والبراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان**

---

(١) دفنته الملائكة ، وفي بعض النسخ : (رفعته) . فالملائكة رفعته ، ولكن الدفن قضية أخرى .

(٢) هذه أم أيمن الحبشية ، التي ورثها النبي ﷺ من أبيه وحضنته عليه السلام وتزوجت بزيد بن حارثة ، وولدت له أسامة بن زيد رضي الله عن الجميع ، خرجت مهاجرة ، وليس معها شيء ، فارة بدينها من أهل مكة ، وكانت صائمة فلما حضر الإفطار ليس معها ماء ولا شيء فأبصرت بدلو معلق بين السماء والأرض فوق رأسها فشربت منه ، فأذهب الله عنها الظمأ ، ولم تظمأ بعد ذلك لبقية حياتها ، فهذا من كرامات الأولياء ، ربما يسأل سائل فيقول : خرجت ليس معها محرم ؟ نقول : هذه ضرورة ، إذا خرجت المرأة مهاجرة ، هذه ضرورة يعفى عن المحرم ؛ لأنها فارة بدينها .

(٣) هذا سفينة مولى رسول الله ﷺ ، أرسله النبي ﷺ في حاجة ، ركب في السفينة ، السفينة خَرِبت في البحر أو انكسرت ، فتعلّق في لوح منها ، حتى وصل إلى جزيرة ، فخرج في الجزيرة فإذا بالأسد ، والأسد جائع ، وخشي سفينة أن يفترسه ، فقال : أنا

إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه ، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء أقسم على ربك .فيقول : يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيُهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فمُنحوا أكتافهم ، وقتل البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيداً[1] (انظر : المستدرك على الصحيحين للحاكم / ٥٢٧٤ ، وصححه ووافقه الذهبي) .

وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حاصر حصناً منيعاً ، فقالوا : لا نسلِّم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضره[2] (انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم / ٣٦٨) ،

رسول رسول الله ﷺ ، فأطرق الأسد برأسه ، ثم جاء يدله على الطريق ، حتى خرج من البحر ، والأسد معه يدله على الطريق . هذا من كرامات الأولياء .

(١) البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان رث الهيئة ، لا يعتني بنفسه ، وكان من العباد الزهاد الأتقياء ، وكان إذا أقسم على الله أبرَّ الله قسمه ، فكانوا في الغزو إذا اشتد بهم الأمر طلبوا منه أن يقسم على الله أن ينصرهم فيُنصرون ، وقد قال ﷺ : « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » منهم البراء بن مالك هذا ، في آخر الأمر دعا اللهَ بالنصر للمسلمين ، ودعا الله أن يكتب له الشهادة ، وأقسم على الله ، فالله أجاب دعاءه فنصر المسلمين واستشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهذا من كرامات الأولياء .

(٢) وهذا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الفارس المشهور ، والقائد المظفر ، حاصر حصناً من حصون المشركين ، فقالوا : لا نسلِّم حتى تشرب السم ، من باب التحدي ، فشربه وهم ينظرون ، فلم يضره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مع أن السم يقتل ، فهذا من كرامات الأولياء .

وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مستجاب الدعوة ، ما دعا قط إلا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق[١] ، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسل جيشاً أمَّر عليهم رجلاً يسمى سارية ، فبينما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب ، فجعل يصيح على المنبر : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فقدم رسول الجيش ، فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقينا عدواً فهزمونا ، فإذا بصائح يقول : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[٢] (انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم/ ٥٢٥) .

ولما عذبت الزِّنِّيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على الإسلام في الله ، فأبت إلا الإسلام ،

---

(١) هذا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان مجاب الدعوة ، هذا من كراماته ، أنه مجاب الدعوة ، ما دعا الله بشيء إلا استجاب الله دعوته ، وهو القائد المظفر الذي قاد القادسية ، وفتح العراق ، وهزم كسرى وقيصر .

(٢) وهذا من كرامات الأولياء التي جرت على يد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد جهَّز جيشاً إلى المشرق ، فبينما هو يخطب الجمعة على منبر المدينة إذ صوَّت ، فقال : يا سارية الجبل ينادي القائد : يا سارية الجبل ، فسمعوا صوته وهم في المشرق ، ولجؤوا إلى الجبل فحماهم الله ، وهزموا عدوهم ، هذا من كرامات الأولياء ، أن الله بلَّغ صوت عمر إلى المسافة البعيدة ، ونفع الله بذلك ، وإلا فالصوت لا يذهب بعيداً ، لكن هذا من الكرامات التي هي معجزة للرسول ﷺ .

وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى ، قالت : كلا والله ، فردَّ الله عليها بصرها[1] (انظر : شعب الإيمان للبيهقي / ١٥١٤) .

ودعا سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه ، فقال : « اللهم إن كانت كاذبة فأعمي بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت »[2] (صحيح مسلم / ١٦١٠) .

والعلاء بن الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم ، يا علي يا عظيم ،

---

(١) وهذا من كرامات الأولياء ، أن هذه المرأة الصالحة لما تمسكت بدينها ، وصبرت على أذى المشركين وذهب بصرها ، قال المشركون : هذا مس من اللات والعزى ، من آلهتهم ، فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كلا والله ، فأعاد الله لها بصرها بعد العمى .

(٢) هذا سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل ، ابن عم عمر بن الخطاب ، وأبوه زيد بن عمرو بن نفيل ، هذا من الذين هداهم الله في الجاهلية للتوحيد ، فوحَّد الله ، وأنكر عبادة الأوثان ، وله أشعار في هذا ، في الدعوة إلى التوحيد ، وإنكار الشرك ، ابنه هذا سعيد بن زيد من العشرة المبشرين بالجنة ، وله بستان أو حائط في المدينة ، وبجواره بستان امرأة ، فادعت عليه المرأة أنه أخذ شيئاً من حائطها ، وكذبت عليه في ذلك ، فدعا عليها أن يقتلها الله في أرضها ، فاستجاب الله دعوته ، فأهلك هذه الكاذبة في أرضها ، بأن أعمى بصرها ، وسقطت في حفرة وماتت ، هذا من كرامات الأولياء .

فيستجاب له[١]، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضأوا لما عدموا الماء والأسقاء لما بعدهم فأجيب[٢]، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم[٣]، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد[٤] (انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٣).

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني، الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة، وهي ترمي بالخشب من مدِّها، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: تفقدون من متاعكم شيئاً، حتى أدعو الله ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني، فتبعه، فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها[٥] (انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٥/ ١٢٠)،

---

(١) العلاء بن الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عاملاً للنبي ﷺ على البحرين يعني الأحساء؛ لأن الأحساء في ذلك الوقت تسمى البحرين، وكان يدعو بهذا الدعاء، فيستجيب الله له، هذا من كرامات الأولياء.

(٢) وكذلك من كراماته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم لما فقدوا الماء وأشرفوا على الهلاك، دعا الله لهم، واستسقى لهم، فسقاهم الله.

(٣) لما حال البحر دونهم، دعا الله ﷻ أن يمشِّي الخيل على البحر، فمشت ولم تبتل سُرج الخيل، هذا من كرامات الأولياء.

(٤) نعم رفعه الله ﷻ، وأجاب دعوته.

(٥) من كرامات الأولياء هذه الواقعة لأبي مسلم الخولاني، وهو وليٌّ من أولياء الله في اليمن من التابعين، عذَّبه الأسود العنسي، الذي يدَّعي النبوة، أحضره، فقال له: =

وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له: أتشهد أني رسول الله قال: ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً[١] ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢] ، وقال : « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الله »[٣] (صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٣٧٠) .

أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا أسمع، فأمر به فألقي في النار ، فلم تضره النار . فهذه كرامة له أن الله ﷻ وقاه من النار ، وقد وقع هذا لإبراهيم الخليل ﵇ ، فهي للخليل معجزة ، ولأبي مسلم كرامة .

ولما وفد على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أو جاء إلى المدينة في حياة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فأجلسوه بين أبي بكر وعمر ، فقال عمر : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت في أمة محمد من أنقذه الله من النار ، كما أنقذ إبراهيم الخليل من النار .

ومن كرامته الثانية : هذه الواقعة ، وهي المشي على نهر دجلة على الخيول ، قطعوه ولم تتأثر خيلهم وركابهم بالماء ، حتى إنه قال لأصحابه : هل أحد منكم ضاع له شيء ؟ فقال رجل منهم : نعم ، ضاع لي مِخْلَاة . والمخلاة من المخلب ، يُقطع به الخلا وهو العشب ، فدعا الله فوجدها متعلقة بشيء فأخذها .

(١) كما كانت على إبراهيم برداً وسلاماً ، بأمر الله ﷻ ، فالله قادر على كل شيء .

(٢) إكراماً له .

(٣) وكما سبق أن الكرامة للولي معجزة للنبي ، فكرامة أبي مسلم هذه معجزة لرسول الله ﷺ .

ووضعت له جارية السم في طعامه فلم يضره[١] (التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص ٦٧) ، وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت ، وجاءت وتابت فدعا لها فردَّ الله عليها بصرها[٢] (حلية الأولياء ٥/ ١٢١) .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه ، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها[٣] (انظر : الزهد لابن المبارك/ ٨٦٢) .

ومر بقافلة قد حبسهم الأسد ، فجاء حتى مسَّ بثيابه الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه ، وقال : إنما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وإني أستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره[٤] ومرت القافلة ، (انظر : الزهد لابن

---

(١) مع أنه من عادة السم أنه يقتل ، فالذي أنجاه من النار قادر على أن ينجيه من السم ، فالله ﷻ يسلب هذه المواد خصائصها إذا شاء ، فيسلب النار الإحراق ، ويسلب السم القتل .

(٢) التخبيب : هو تنفير الزوجة من زوجها ، ومن الملعونين من خبَّب امرأة على زوجها .

(٣) يأخذ عطاءه يعني نصيبه من بيت المال ، فما لقيه من فقير أعطاه ، فلا ينقص عدد ما معه ، والنبي ﷺ قال : « ما نقص مال عبد من صدقة » (سنن الترمذي/ ٢٣٢٥ ، وصححه الألباني) ؛ بل تزيده ، إما أنه يزيد بركة وينقص عدداً ، وإما أنه لا ينقص عدده أيضاً ، كما في هذه القصة ، وهذه كرامة . أما لغيره فالمال إذا تصدَّق منه ينقص عدده ، لكن يزيده بركة ، أما هذا الولي فلم ينقص عدداً أيضاً ، فهذا من كرامات الأولياء .

(٤) أذل الله له الأسد السبع الفاتك الذي أرعب الناس ، وسد عليهم الطريق ، فجاءه

=

المبارك / ٨٦٠ - حلية الأولياء ٢ / ٩٢) ، ودعا الله تعالى أن يهوِّن عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار[١] (حلية الأولياء ٢ / ٩٢) . ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه[٢] (انظر : صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ١٢٢) ، وتغيَّب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات ، فدعا الله ﷻ ، فلم يروه[٣] ، ودعا الحسن البصري على بعض

ومسه بثيابه ، ووضع رجله على رقبته ، وقال له : إنما أنت كلب من كلاب الله ، يعني أن الله قادر على أن يمنعك من أذى الناس ، وقال : إني أستحي من الله أن أخشى أحداً غيره ، فتركهم الأسد ، ومرُّوا سالمين .

(١) ودعا الله أن يهون عليه برودة الماء في الشتاء ؛ لأنه يقوم للصلاة فيتوضأ بماء بارد ، فكان يؤتى بالماء ساخناً بدون تسخين ، إجابة لدعوته ، هذا من كراماته .

(٢) لأن الشيطان يوسوس للمصلي ويشغله ، وقلَّ من يسلم من ذلك ، لكن هذا الولي دعا الله أن يمنع الشيطان عنه ، فمنعه في صلاته ، فكان لا يقدر على أن يوسوس له .

(٣) الحسن بن أبي الحسن البصري ، إمام التابعين ، العالم المشهور ، كان الحجاج يغضب عليه ؛ لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، ويُنكر على الحجاج . والحجاج - كما تعلمون - رجل فاتك ، سفاك للدماء مخيف ، أرسل إليه في طلبه ، فدخل عليه جند الحجاج في بيته ، فدعا الله أن لا يروه ، فلم يروه . الله قادر على كل شيء ، فكما أخذ أبصار المشركين عن عيسى ابن مريم عليه السلام حتى رفعه الله من بينهم ، وهم مجتمعون لقتله ، وكما أنجى الله محمداً ﷺ من المشركين في مكة يريدون قتله ، فخرج من بينهم ، وكذلك في غار ثور وقفوا عليه هو وصاحبه فلم يروه ، ونجَّاه الله منهم ، هذه معجزة للرسول ﷺ ، وهي كرامة للحسن البصري . والكرامة إنما تحدث عند الحاجة أو عند الحجَّة في الدين .

الخوارج كان يؤذيه فخر ميتاً[١] (انظر : جامع العلوم والحكم ٢ / ٣٥٢) .

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو[٢] ، فقال : اللهم لا تجعل

---

(١) كان رجل من الخوارج ، وهم الفئة الضالة التي تشق عصا المسلمين ولا ترى السمع والطاعة لولي الأمر ، تكفر المسلمين بالذنوب التي دون الشرك ، كان يؤذي الحسن البصري ؛ لأن الحسن يخالف الخوارج ، وينقض كلامهم ، فتأذوا منه ، فجاء هذا الخارجي يهدد الحسن البصري ، فدعا الله عليه ، فخرَّ ميتاً في مكانه . فهذا من كرامات الأولياء ، إجابة الدعوة في الحال .

(٢) كذلك من الكرامات أن الله قد يحيي بعض الدواب التي تكون مع ولي من الأولياء يحمل عليها متاعه ، ويقطع بها مسافة الطريق ، قد تموت فيدعو الله أن يحييها حتى توصله . فالله ﷻ يستجيب له ويحيي هذه الدابة ، وهذا تكرر وقوعه لأولياء الله ، الله قادر على أن يحيي الموتى ، إما حياة دائمة ، أو حياة مؤقتة ، مثل ما وقع للقتيل من بني إسرائيل ، لما ضربوه بجزء من البقرة ، فأحياه الله وأخبر بمن قتله . وقصة الذين خرجوا من ديارهم ، يخشون الموت ، لما وقع الوباء في بلدهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] وكذلك قصة الذين قالوا لموسى عليه السلام : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة فهلكوا ، ثم إن موسى عليه السلام دعا الله أن يحييهم ؛ ليرجعوا معه إلى بني إسرائيل لئلا يقولوا : قتل خيارنا ، فأحياهم الله ورجعوا معه . الله قادر على كل شيء ، والذي مرَّ بالقرية وهي خاوية على عروشها فـ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] مات هو وحماره مئة عام ، ثم بعثه وبعث حماره ، هذه قدرة الله ﷻ لا يعجزها شيء .

لمخلوق عليَّ مِنَّة ، ودعا الله ﷻ فأحيا له فرسه ، فلما وصل إلى بيته ، قال : يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية ، فأخذ سرجه فمات الفرس . (انظر : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي ١ / ٣٣٢) .

وجاع مرة بالأهواز ، فدعا الله ﷻ واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير ، فأكل التمر ، وبقي الثوب عند زوجته زماناً[(١)] . (حلية الأولياء ٢ / ٢٣٩ - الكواكب الدرية ١ / ٣٣٢) . وجاء الأسد وصلة يصلي في غيضه بالليل ، فلما سلَّم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع ، فولَّى الأسد وله زئير[(٢)] . (حلية الأولياء ٢ / ٢٤٠) .

وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرَّة يسمع الأذان من قبره ﷺ أوقات

---

(١) الدَّوْخَلة : الوعاء من خوص النخل ، يوضع فيه التمر وغيره ، والغالب أنه يوضع فيه التمر ، فلما جاع هذا الولي دعا الله أن يطعمه ، فأتته دوخلة فيها التمر ، أو فيها الطعام ، فأكل منها ، ومعها حرير ، فأعطاه لزوجته ؛ لأن الحرير لا يحل للرجال ، فبقي الثوب عند زوجته تلبسه مدة ، فهذا من كرامات الأولياء .

(٢) الأسد أيضاً تكرر ما يقع منه مع أولياء الله ، ومنها هذه القصة : أنه جاء إلى صلة بن أشيم وهو يصلي في غيضة : يعني أشجار ملتفة ، فلما سلَّم - هو لم يمس المصلي حتى سلَّم - ، قال له : التمس الرزق في غير هذا الموضع ، فذهب . فهذا من كرامات أولياء الله ، يجد رجلاً ليس عنده أحد وهو جائع ، ثم يتركه ويُولِّي !! هذا من كرامات الأولياء .

الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره[(١)] (انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ١٠٠) ، ورجل من النَّخْع ، كان له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيه ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى ، فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه[(٢)] . (انظر : دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٤٩) .

ولما مات أويس القَرَني وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفَّنوه في تلك

---

(١) سعيد بن المُسَيِّب إمام التابعين المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أحد الفقهاء السبعة ، مشهور بالعلم ، لما وقعت الحرة . والحرة : هي وقعة غزا فيها جيش يزيد بن معاوية أهل المدينة ؛ لأنهم خرجوا عليه ، قد أخطؤوا في هذا ؛ لأنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر ، فغزاهم بجيش فسلط عليهم ، وفتك بهم فتكاً ذريعاً ، وبالغ في الانتقام . ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اعتزل الفتنة، ومنع أولاده أن يشاركوا فيها ، ويرى أن بيعة يزيد في أعناقهم ، ونهاهم عن الخروج عليه ، فلم يقبلوا ، فكانت العاقبة ما حصل وقعة الحرة المشهورة عقوبة لهم . كذلك سعيد بن المسيب اعتزل في المسجد ، ولم يبق فيه غيره ، والمسجد لا يُؤذَّن فيه في تلك الفترة ، لكنه كان يسمع أذاناً من جهة القبر النبوي ، فهذه كرامة من كرامات الأولياء ، والأذان هذا لأجل أن ينبهه على دخول الوقت .

(٢) هذا مثل قصة صلة بن أشيم السابقة ، أن الله تعالى أحيا له حماره ، وأغناه عن الناس ، لما دعا الله ﷻ أن يغنيه عن مِنَّة الناس ، فأغناه الله وأحيا له حماره ، حتى وصل إلى مقصوده .

الأثواب[(1)] (انظر : حلية الأولياء ٢ / ٨٣) .

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوماً في شدة الحر فأظلّته غمامة ، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه ؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم[(2)] (انظر : حلية الأولياء ٤ / ١٥٧) .

وكان مُطرِّف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط[(3)]

---

(١) أويس القَرَني سبق ذكره ، وهو من أولياء الله ، من التابعين ، من أهل اليمن ، وكان مجاب الدعوة ، أخبر عنه الرسول ﷺ بأنه سيأتي إلى المدينة ، فمن استطاع أن يدعو له ، وكان باراً بأمه ، فلما جاء وفد اليمن جاء معهم ، فعلم به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبحث عنه حتى أدركه ، فطلب منه أن يستغفر الله له ، فهذا أويس القرني من أولياء الله ، لما مات وجدوا معه أكفاناً لم تكن معه في حياته ، ثم لما ذهبوا به ليدفنوه ، وجدو قبره مجهزاً لم يحفره أحد ، فدفنوه فيه . هذا من كرامات الأولياء التي يجريها الله على أيديهم .

(٢) وهذا وليٌّ من أولياء الله ، واسمه عمرو بن عقبة بن فرقد ، وكان يغزو في الجهاد في سبيل الله ، وكان يقوم يصلي في شدة الحر في النهار ، فتظله سحابة في السماء ، وكان يحرس دواب الغزاة ، ويشترط عليهم أنه يخدمهم ، والسَّبُع لا يجرؤ أن يقرب المعسكر ، كل هذا من كرامات هذا الولي من أولياء الله .

(٣) وهذا مُطرِّف بن عبد الله بن الشخير ، الراوي المشهور عند المحدثين ، كان إذا دخل بيته يسمع تسبيح الأواني في بيته ، والله ﷻ أخبر أن كل شيء يسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم ، ولكن هذا الولي يسمع تسبيح الأواني ، وكان يسير هو وصاحب له

=

(انظر : الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ١٩٦) . ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره ، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مَدَّ بصره[(١)] . (انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ / ٩٦) .

وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً (انظر : الزهد للإمام أحمد ص ٢٩٣) ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فمر بسهلة حمراء ، فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله ، ففتحها فإذا هي حنطة حمراء[(٢)] ،

في ظلمة ، فأنار الله لهما الطريق ، وهذا وقع للصحابة الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وجلسوا معه في الليل ، فلما ذهبوا في ظلام الليل أعطاهم النبي ﷺ عصا ، فكان ينير لهم الطريق إلى أن وصلوا إلى بيوتهم ، فهذا من كرامات الأولياء . عباد بن بشر وغيره ، حصل لهم هذا مع النبي ﷺ .

(١) هذا الأحنف بن قيس التميمي من التابعين ، وكان مشهوراً بالحلم ، يضرب به المثل في الحلم ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، ومن القادة والأمراء ، وكان محبوباً عند الناس ، فلما مات وشيعوه سقطت قلنسوة رجل من المشيعين . والقلنسوة : ما يلبس على الرأس مثل الطاقية ، فأهوى ليأخذها فرأى القبر قد وسِّع ، وهذا مصداقه من الحديث : أن المؤمن « يُفْسح له في قبره مدَّ بصره » (انظر : المسند / ١٨٥٣٤ ، وإسناده صحيح) هذا في الحديث الصحيح . وأما المنافق فيضيق عليه حتى تختلف أضلاعه . (الحديث السابق) .

(٢) إبراهيم التيمي الإمام المشهور ، الزاهد والواعظ البليغ وقع له من كرامات الأولياء أنه كان يصبر عن الطعام لمدة شهرين ، بما يعطيه الله من القوة واللذة في عبادة الله ﷻ ، وأيضاً خرج ليمتار لأهله – يشتري لهم مِيرة يعني الطعام – ولم يكن معه نقود ، فلم =

فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً[١] (انظر : الكواكب الدرية ١ / ٢٠٧) .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه[٢] (انظر : حلية الأولياء ٦ / ٢٣٦) .

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له

يشتر شيئاً ، فمر برملة حمراء ، فملأ أوعيته منها من أجل أن يظهر أمام الناس أنه جاء بشيء ، فلما فتحوها وجدوها حنطة حمراء ، قلبها الله ﷻ ، فهذا من كرامات الأولياء .

(١) كانت مباركة ، حيث إنه إذا زرع من هذه الحنطة تخرج كل القصبة حب حنطة .

(٢) هذا عتبة الغلام العابد المشهور ، والمجاهد في سبيل الله ، سأل الله هذه الطلبات: أن يرزقه الله صوتاً حسناً ، فكان صوته حسناً إذا قرأ بكى وأبكى . وأن يرزقه البكاء من خشية الله ، فكانت لا تجف له دمعة من خشية الله ، وسأل الله أن يرزقه رزقاً لا كُلْفَة فيه فكان إذا جاء إلى بيته وجد فيه الطعام ، لا يُدرى من أين جاء ، وهذا كما حصل لمريم بنت عمران : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، كذلك كما حصل لخبيب بن عدي في مكة ، وهو أسير عند المشركين ، وكان يوجد عنده العنب ، مع أن مكة ليس فيها عنب ، لكن هذا من كرامات الأولياء .

أعضاءه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تُطلَق له أعضاؤه ، ثم تعود بعده[١] (انظر : حلية الأولياء ٦ / ١٥٥) .

وهذا باب واسع ، قد بُسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع[٢] .

وأما ما نعرفه عن أعيان ، ونعرفه في هذا الزمان فكثير[٣] ، ومما ينبغي

---

(١) أصابه الفالج . والفالج : داء يصيب الجسم ، أو الأعضاء فلا تتحرك ، فأصابه ، فسأل الله أن يطلق له أعضاءه ليتوضأ لعبادة الله وللطاعة ، فاستجاب الله له ، فكانت أعضاؤه تنطلق عند الوضوء فقط ، ثم تعود إلى حالتها .

(٢) ذكر الشيخ ﷺ من كرامات الأولياء شيئاً كثيراً ، وأحال على الاستيفاء والاستقصاء فيها إلى كتب أخرى معنية بهذا الشيء ، ومنها كتبه ﷺ ، وقد ذكر في مواضع منها جملة كثيرة ، وهذا باب ثابت عند أهل السنة والجماعة ، الإيمان بكرامات الأولياء ، ولا ينكر كرامات الأولياء إلا المبتدعة ، أما أهل السنة والجماعة فإن من أصول عقيدتهم : الإيمان بمعجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء شيء ثابت . سأل سائل : هل هذه الكرامات لها أسانيد صحيحة ؟ والجواب : أننا يكفي أننا نعلم أن كرامات الأولياء الإيمان بها أصلٌ من أصول العقيدة لا نشك فيها في الجملة ، أما التفاصيل فلا تحتاج إلى أسانيد ؛ لأنها ليست أحاديث يُبنى عليها أحكام شرعية من الحلال والحرام ، وإنما هي وقائع ، إن ثبتت فهي كرامات ، وإن لم تثبت فلا يضر عدم ثبوتها ، ولا ينقص الدين شيئاً ، لكنها إذا ثبتت فإنها تزيد في إيمان العبد ، وتذكِّره بالله ﷻ .

(٣) الشيخ يقول : ذَكر ما روي ، ثم أخبر أنه هو شاهد شيئاً كثيراً من هذه الكرامات في زمانه رآها عياناً ، فلا مجال للتشكيك فيها .

أن يُعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يُقوِّي إيمانه ويسد حاجته[١] ، ويكون من هو أكمل وَلَاية لله منه مستغنياً عن ذلك[٢] ، فلا يأتيه مثل

(١) الكرامات هذه إنما تحدث لأحد أمرين : إما لحاجة من تجري على يده ، بأن يكون ضعيف الإيمان فتقوي إيمانه بالله ، أو يكون محتاجاً إلى طعام أو إلى شراب - كما مرَّ بنا - أو إلى دابة يحمل عليها ، أو إلى أن يقويه الله على العبادة ، فهي إما لحاجة إيمانية ، أو حاجة إنسانية يحتاجها الإنسان ، أو تكون لحجة في الدين ، بأن تؤيد ما يقوله ذلك العالِم ، أو ذلك الولي ، فتظهره على خصومه ، مثل ما حصل للمؤلف نفسه . المؤلف ﷺ ضايقه الناس كلهم ، وضايقه السلاطين ، وسجنوه ولم يستطيعوا منعه من مزاولة نشر العلم والدعوة إلى الله ، ولم يستطيعوا بعد موته أن يمنعوا أثره الذي امتد على العالم الإسلامي إلى اليوم ، هذا من كرامات الأولياء بلا شك . كذلك الإمام أحمد ، ما جرى عليه في وقت المأمون ومن جاء بعده من الضرب والإهانة والسجن وثبت ، وفي النهاية أظهره الله وخذل أعداءه ، هذا من كرامات أولياء الله ﷻ ، هذا من إظهار الحجة ، ما يجري لأئمة الدين من الانتصار على خصومهم من إظهار الحجة في الدين .

(٢) هذا سؤال قد يرد ، أو هو وارد بالفعل وهو : هل لابد للولي أن تجري على يده كرامات ؟ لا ، ليس بلازم هذا ، وإذا لم تجرِ على يده كرامات لا يدل هذا على نقص ولايته ، فهناك من أولياء الله من هم من سادات الأولياء ولا جرى لهم كرامات ؛ لقوة إيمانهم ؛ ولأنهم ليسوا بحاجة إليها ، وقد تجري الكرامات لمن هو من دونهم في الإيمان لحكمة من الله ﷻ، فلا يقال : إنه لا يكون الولي إلا بشرط أن تجري على يده

=

ذلك لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص وَلَايته[(١)] ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)] . بخلاف من يجري

كرامة ، هذا إنما يقوله الخرافيون والمبتدعة ، أما أهل السنة فيقولون : ليس من لازم الوَلَاية لله أن تجري على يد الولي كرامة ، فينبغي أن يُعرف هذا الأمر ، فالكرامات إنما تجري لأحد أمرين : إما لحجة في الدين ، وإما لحاجة بالمسلمين ، فإذا لم يكن هناك حاجة ولا حجة ، فإنها لا تجري ، ولا يكون هذا نقصاً في ولاية ولي الله ﷻ ، ثم أيضاً ابن القيم ﷺ يقول : ليس لأولياء الله علامات يعرفون بها ، فقد يكون ولياً لله من خواص الأولياء ، وهو لا يُعرف ، كما قال ﷺ « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » ، فلا يلزم من وليّ الله أن يكون له مظهر ، وأن يكون حوله هالة من الناس ، وأن يُروّج له دعاية - كما يحصل عند الخرافيين - أبداً ، وليُّ الله يختفي ولا يُعرف ، وليس له علامة ، لا ملابس ولا يكون له هالة من حوله ودعاية ، ولا يكون له جاه عند الناس ، فليس من شرط ولي الله أن يكون له علامة يُعرف بها ، قد يكون خفياً لا يُعرف ، وقد يكون رثَّ الهيئة ، أشعث أغبر فليس شرطاً أن يكون عليه ملابس فاخرة ، وأكمام واسعة ، وعمامة ضخمة ، ليس هذا من شرط أولياء الله ﷻ . ينبغي أن يُعرف هذا الأصل لئلا يستغله الخرافيون لخرافاتهم ، كلٌ يدَّعون أنه وليٌّ لله ، ويضعون له من الدعايات حياً وميتاً ، والهالات الشيء الكثير . من أولياء الله من يعيش ويموت وهو لم يعرف .

(١) ليس كل من لا تجري على يديه الكرامة ، يكون ناقص الوَلَاية لله ﷻ ؛ بل قد يكون كامل الوَلَاية ، ولا تجري على يده كرامة ، لأنه مستغن عنها .

(٢) ولأنه لا يشترط في كمال الإيمان وقوة الإيمان وجود الكرامة ، كانت هذه الكرامات =

على يديه الخوارق لِهُدَى الخلق ولحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة(١) ، وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية(٢) مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في

في التابعين ومن جاء بعدهم أكثر منها في الصحابة ؛ لأن الصحابة لا يحتاجون إليها لفضلهم ومكانتهم وصحبتهم لرسول الله ﷺ .

(١) لهُدَى الخلق أي : لحجة للدين ، أو لحاجتهم ، فهؤلاء الذين لم تجرِ على أيديهم كرامة أعظم درجة من الذين تجري على أيديهم .

(٢) الآن انتهى من الكرامات ، وانتقل إلى الخوارق الشيطانية التي يُضل بها كثير من الناس . سبق لنا أن الخارق للعادة إن جرى على يد نبي فهو معجزة ، وإن جرى على يد وليٍّ فهو كرامة ، وإن جرى على يد عدو لله فهو خارق شيطاني ، وليس هو كرامة ، فالشياطين يعملون مع أوليائهم من الإنس أشياء تخرق العادة عند الناس ، يطيرون بهم في الهواء ، ويسيرون بهم على الماء ، ويحملونهم ، ويحضرون إليهم الأشياء الغائبة بسرعة ، من أجل أن يُضلُّوهم ويُضِلُّوا بهم ، فينبغي الفرق بين كرامة الوليّ والخوارق الشيطانية التي تجري على أيدي أعداء الله ، فإذا جرى الخارق للعادة على يد أحد ، نظرت فإن كان تقياً صالحاً ، فهي كرامة ؛ لأن الله قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من هم ؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ، وإن كان فاجراً كفاراً ، فهي استدراج من الله ﷻ ، بأن سلَّط الله عليه الشياطين ، فصارت تظهر على يده أشياء ؛ لأجل الدجل والشعوذة ، وإضلال من ينخدع بها . فالنظر إلى حالة من تجري على يده الخوارق ، فإن كان تقياً مؤمناً فهي كرامات ، وإن كان فاجراً شقياً فهي استدراج وهي خوارق شيطانية ، فإن الشياطين تخدم أولياءها من الإنس : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾

=

وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٨-١٢٩] فالله يولي بعض الظالمين بعضاً بسبب كسبهم الكفر وإجرامهم في حق الله ﷻ ، يُسلِّط الشياطين على بني آدم ؛ لأجل أن يضلوهم ويصدوهم عن دينهم ، وهذا من الاستدراج ومن الإهانة ، وليس هو من الكرامة ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ كيف ؟ استمتع الجني بالإنسي ، بأن الإنسي خضع له ، وانقاد له وعصى الله وعصى رسوله ، هذا يستمتع به الشيطان ويفرح به ، واستمتع الإنسي بالشيطان بما يخدمه به من الأمور الشيطانية ، من حمله في الهواء ، والمشي به على النار ، أو على الماء ، أو إحضار الأمور البعيدة ، أو إخباره بأشياء يعرفها الجن ولا يعرفها الإنس ، فهذا من استمتاع الإنس بالجن – والعياذ بالله – ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ هذا مصيرهم يوم القيامة . الشياطين ومن اتبعهم ، ومن أغووه وسار معهم ، وإن خدموه في الدنيا وغرر بالناس أنه ولي من أولياء الله ؛ بل إن الخرافيين يعطون الوَلاية لمن يَرون أنه لا يصلي ولا يصوم ، ولا يترك الفواحش ، ويقولون : إنه ساقط عن التكليف ، هذا بلغ مرتبة من الوَلَاية والقرب من الله ، حتى إنه سقط عنه التكليف فليس في حقه حلال ولا حرام ، ولا تجب عليه الفرائض ؛ لأنه وصل إلى الله ، هكذا يقول الشياطين – والعياذ بالله – فيعطون الولاية لمن يرونه لا يصلي ولا يصوم ، ولا يؤمن بالله ولا يؤمن بالرسل ، ويقولون : هذا ولي من أولياء الله ؛ لأنه ليس بحاجة إلى الرسل ، وليس بحاجة إلى العمل ، وليس بحاجة إلى العبادة ؛ لأنه وصل إلى الله ، انظر كيف يبلغ الشيطان ببني آدم من التغرير – والعياذ بالله – الله ﷻ قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ

=

زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه الدجال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره ، حتى تبيّن له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان[1] ، قال له النبي ﷺ : « قد خبأت لك

ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] بهذين الشرطين : الإيمان والتقوى ، فكيف يكون الفاجر الذي لا يصلي ولا يصوم ، ويفعل اللواط والزنا والفواحش ، ويشرب الخمر يكون ولياً لله ، مع أنه من أشد أعداء الله ؟!- نسأل الله العافية - ينبغي التفطن لهذا الأمر ، لأنه استشرى في الناس اليوم ؛ لضعف الإيمان ، ولقلة العلم في هذا الزمان ، وعدم نشر العقيدة الصحيحة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، لما ضعفت هذه الأمور جاءت أضدادها في المجتمعات ، والآن يقولون : إنهم يقيمون فضائيات الآن ، بث فضائي للمخرفين ، وللسحرة والكهان ، وأعداء الله ورسوله ، ويصفونهم بالوَلَاية وبالعلم والتقوى ، فليحذر المسلمون من هذه الأمور .

(١) عبد الله بن صياد هذا ظهر في وقت النبي ﷺ ، وجاء إلى المدينة وكان يظهر عليه أشياء ، ظنوا أنه الدجَّال الكذاب . النبي ﷺ اختبره بأشياء ، فتبيّن أنه ليس هو الدجال ، ولما قال أحد الصحابة ، هل أقتله يا رسول الله ، قال : « إن يكُنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكُنه فلا خير لك في قتله » (صحيح البخاري / ١٢٨٩ - صحيح مسلم / ٢٩٣٠) فتركوه ، ولم يكن من أولياء الله ، فهذا دليل على أن الخوارق تأتي على يد من ليس من أولياء الله . الدجال أكبر الكذبة ، وأكبر عملاء الشيطان ، الدجال الأكبر ، الذي يخرج في آخر الزمان ، يكون معه خوارق ، يكون معه جنه ومعه نار ، ويأمر السماء فتمطر ، ويأمر الأرض فتنبت ، ويقتل الرجل ، ويمشي بين قطعه ، ثم يأمره فيقوم حياً . هذه خوارق ، لكنها خوارق شيطانية وتدجيل وكذب ، فلا يغتر بهؤلاء .

خبأ »[١] ، قال : الدخ الدخ ، وكان قد خبأ له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك » (صحيح البخاري / ١٢٨٩ - صحيح مسلم / ٢٩٣٠) **، يعني : إنما أنت من إخوان الكهان[٢] ، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين[٣] يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع[٤] وكانوا يخلطون الصدق بالكذب[٥] ، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره ، أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة تنزل في**

---

(١) اختبره النبي ﷺ : « قد خبأت لك خبأ » يعني شيئاً خفياً ، فما هو هذا الشيء الخفي ، فلم يستطع الجواب ، فقال له : « اخسأ فلن تعدو قدرك » ، إنما أنت من إخوان الكهان .

(٢) لم يعرف ماذا خبأ له النبي ﷺ يقول : الدخ الدخ ، ما قال : سورة الدخان .

(٣) القرين من الشياطين ، كما قال الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ . حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ قال الله ﷻ : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٦-٣٩] .

(٤) (بما يسترقه من السمع) هذه ناحية . الناحية الثانية : أن الشيطان سريع في قطع الفيافي ، يطير في الهواء، ويطّلع على أمور لا يطلع عليها بنو آدم ، فيخبرون بني آدم بذلك فتنة لهم.

(٥) كما أنهم إذا سرقوا الكلمة من السماء ، وكذبوا معها مئة كذبة ، فصدّقهم الناس بسبب تلك الكلمة التي سُمعت من السماء ، صدقوهم في تسع وتسعين كذبة .

العنان وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم »[(١)] (صحيح البخاري / ٣٠٣٨) .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : « بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار ، إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم ، أو يولد عظيم ، قال ﷺ : فإنه لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء ، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يزيدون »[(٢)] (صحيح مسلم / ٢٢٢٩) .

---

(١) ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] ، هؤلاء الكهان ، وهؤلاء الذين ينخدعون بهم ، أكثرهم كاذبون .

(٢) هذا حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كلها تدل على أن الشياطين يحاولون استراق السمع ، مما يتكلم به الملائكة في السماء ، ولكن الله قيَّض لهم الشهب وهي النجوم ، رجوماً للشياطين ، تنبثق منها شهبٌ فترمي =

وفي رواية قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غُلِّظت حين بعث النبي ﷺ[1] . (مسند الإمام أحمد / ١٨٨٢) .

الشياطين ، فتحرقهم وقد يدركه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة التي سمعها ، وقد يلقيها قبل أن يدركه الشهاب ، فيكذبون معها مئة كذبة ، ويروجونها على الناس من باب الفتنة ، هؤلاء هم الشياطين . والكهان أتباع الشياطين ، هم كهان وليسوا أولياء ، لا يقال : إن هذه كرامات ، وإنما هؤلاء كهان من عملاء الشيطان - والعياذ بالله - ففرق بين ولي الله وعدو الله ، وإن جرت على يد عدو الله خوارق فلا يغتر بها ؛ لأنها من الشياطين ، وليست من الله ﷻ ، خلاف الكرامات فإنها من الله ، أكرم بها عباده المؤمنين المتقين ، فَفَرْقٌ بين مصدر الكرامة ومصدر الخارق الشيطاني ، وفرق بين ولي الله وولي الشيطان ، فرق بين هذا وهذا ، الناس بحاجة إلى معرفة هذه الأمور اليوم ؛ لأنه كثر الدجل وكثر الشعوذة ، وكثر السحر والكهانة ، فيجب على العلماء أن ينشروا هذا ، وطلبه العلم يتلقونه ويعرفونه حتى ينشروه في الناس ، ويُحذِّروا من هذه الفضائيات الكافرة الدجَّالة ، التي غرَّت الناس ، وهذه الاتصالات حيث يتصلون على الناس بالجوالات وبالانترنت ، ويروجون لهم ويهددونهم بأنك ستموت ، وأنك سيحصل لك كذا وكذا ، ولكن أعطنا كذا وكذا ونحن نسعى في خلاصك ، وما أشبه ذلك - والعياذ بالله - .

(١) كانت الشهب التي يرمى بها الشياطين في الجاهلية كثيرة ، فلما بُعث النبي ﷺ حُرست السماء ، فلم يبق منها إلا أقل القليل ، ولهذا الجن لما سمعوا القرآن ، قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ إلى قولهم : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ أي : من السماء ﴿مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ

=

والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيَّبة[١] ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبيَّن لها كفره فقتلوه[٢] .

وكذلك مسيلمة الكذاب ، كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيَّبات ، ويعينه على بعض الأمور[٣] ، وأمثال هؤلاء كثيرون : مثل الحارث

أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ [الجن : ١-١٠] ، هذا ما حصل عند بعثة النبي ﷺ ، ولما كثرت الشهب أرسل الشيطان جواسيسه يبحثون عن السبب ، فرجعوا إليه وقالوا : بُعث محمد ﷺ . فعند مبعثه حُرست السماء . الشاهد : أن هذه الشهب إنما هي رجوم للشياطين ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ . وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ . لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ . دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾ [الصافات : ٦-١٠] .

(١) الأسود العنسي ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة ، كلهم لهم عملاء من الشياطين ، غرُّوهم وخدعوهم ، وظنوا أنهم أنبياء .

(٢) أمر النبي ﷺ في آخر حياته المؤمنين الذين في اليمن أن يقتلوه ، فجاء عبد الله بن فيروز الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتمالأ مع امرأة الأسود العنسي ، وكانت مسلمة تقية ، فأعانت ابن فيروز على قتله ، فقتله شر قِتلة - والعياذ بالله - .

(٣) ومسيلمة الكذاب غزاه الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقتلوه في وقعة اليمامة المشهورة ، وأراح الله المسلمين من هؤلاء الكذبة الدجالين .

هذا من الابتلاء والامتحان ، أن هؤلاء معهم شياطين تساعدهم ، فيظن الناس أن هذه معجزات ، وأنهم أنبياء في حين أنها خوارق شيطانية ، والذين معه ليسوا ملائكة ، وإنما هم شياطين .

وهذا البحث مهم جداً جداً ؛ لأنه في صميم العقيدة ، وفيه دمغ لهؤلاء الدجالين والكذابين الذين يظهرون بين حين وآخر ، ولما تسهلت الاتصالات بين العالم ، استخدموها لإضلال الناس - والعياذ بالله - .

ولاشك أن أولياء الشيطان يظهر على أيديهم من الخوارق ما يغرُّ الناس بهم ، حتى يظنوا أن هذه كرامات ، وهي في الواقع خوارق شيطانية ، من أجل الفتنة ، من ذلك: مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ ، وهو من أهل اليمامة ، وتبعه قوم من أهل اليمامة ، وكان يظهر على يديه خوارق شيطانية ، ويأتيه الشيطان ببعض الأمور التي يظن الناس أنها معجزات ، وأنه نبي من أجل الفتنة ، فلا يُغترُّ بهذه الأمور . والضابط في هذا : أن من ظهر على يده خارق من خوارق العادات ينظر في عمله : فإن كان من عباد الله المؤمنين المتقين ، فهي كرامة من الله ﷻ ، وأما إن كان من أعداء الله ، من المكذبين ومن الكافرين والمنافقين ، فهذا خارق شيطاني ، مهما بلغ من الغرابة فهو خارق شيطاني ، فلا يُغتَر بهذا ، فمن أخذ هذه القاعدة وطبقها فإنه يستريح من هذه الشبهات ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ. ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ؛ ولأنه لا نبي بعد محمد ﷺ ، فهو خاتم النبيين ، فمن ادعى النبوة بعده فهو كاذب ، قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، وقال الرسول ﷺ : « أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » ، فكيف يُصدَّق مع ذلك من يدَّعي النبوة ، والنبوة لا تكون بعد الرسول ﷺ ؟! أو يُصدَّق أنه ولي من أولياء الله

=

الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادَّعى النبوة ، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد[(١)] ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه[(٢)] ، وتُسبح الرُّخامة إذا مسحها بيده[(٣)] ، وكان يُري الناس رجالاً وركباناً على خيلٍ في الهواء[(٤)] ، ويقول : هي الملائكة ، وإنما كانوا جناً[(٥)] .

وهو كافر ملحد ، لا يصلي ولا يصوم ، ولا يتجنب المحرمات ، ويقال : إن هذا ولي من أولياء الله ؟! المسيح الدجال في آخر الزمان يأتي بخوارق عظيمة فاتنة ، ومع هذا هو الدجال الكذاب ، هو المسيح الدجال ، ونهاية أمره أن الله يهلكه وينتهي أمره ، فلا عبرة بالخوارق ، إذا لم تكن على يد مؤمن تقي ، فإنها شيطانية .

(١) وكان معه شياطين ، إذا قُيِّد بالحديد يخرجون رجليه من القيد ، فهذه ليست كرامة ، إنما هذه خارق شيطاني فلا يغتر بها ، وغيره وغيره ، ولا يزال الدجالون حتى يكون آخرهم المسيح الدجال .

(٢) والشياطين أيضاً تكون ستراً له دون أن يصل إليه السلاح ، فهذا ليس بدليل على أنه ولي من أولياء الله ؛ بل هذا من عمل الشياطين ، يعملون معه القمرة والشعوذة وغير ذلك .

(٣) وهو شيطان ، الرخامة ما تسبح ؛ لأنها جماد ، لكن هذا شيطان يصوِّت بالتسبيح ، فيُظن أنها الرخامة سبَّحت ، كله تدجيل وكذب .

(٤) الخيل والرجال يمشون في الهواء ، هؤلاء شياطين تخدمه لتُضِلّ الناس به .

(٥) وإنما كانوا من شياطين الجن ، وليسوا ملائكة . الملائكة لا تتنزل على الكذابين والدجالين ، إنما تتنزل بأمر الله على الأنبياء والمرسلين والمؤمنين ، إذا أمرها الله ﷻ : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] ، فهذا أفاك وأثيم ، فالذي يُرى معه من هذه الأمور ، إنما هي شيطانية .

ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك لم تسمِّ الله ، فسمى الله فطعنه فقتله[١] ، وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذُكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي[٢] . فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لما وكَّله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة ، وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة » ، فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كذبك وإنه سيعود » ، فلما كان في المرة الثالثة ، قال : دعني حتى أعلمك ما ينفعك ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾ [البقرة : ٢٥٥] إلى آخرها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح[٣] ، فلما أخبر النبي ﷺ قال : « صدقك

---

(١) لأن اسم الله يطرد الشيطان ، هو طعنه ولم يسم ، فجاء الشيطان وحال بينه وبين السلاح ، فلما سمى الله هرب الشيطان ، فنفذ فيه السلاح .

(٢) وهذا أيضاً من الفوارق بين خوارق الشياطين والكرامات : أن الكرامات تأتي مع ذكر الله ، ومع تلاوة القرآن ، ومع الأعمال الصالحة ، وأما الخوارق الشيطانية فإنها تزول وتذهب مع ذكر الله ، ومع تلاوة القرآن ، وتذهب الشياطين .

(٣) أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكَّله النبي ﷺ في حفظ تمر الزكاة ، كان مجموعاً ليوزَّع ، فالنبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يحرسه ، فكان الشيطان يأتي ويحثو من التمر ، ويأخذ منه ، =

وهو كذوب »[1] ، وأخبره أنه شيطان[2] . ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها[3] . مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يحضر سماع المكاء والتصدية ، فتتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه

فيمسكه ثم يتوب ، ويعد بأنه لن يعود ، والله ﷻ أطْلَع رسوله ﷺ على أمر الشيطان ، فصار يسأل أبا هريرة كل مرة ، في النهاية لما أمسكه وأبى أن يُطلقه حتى يأتي به رسول الله ﷺ ، فلما رأى أنه لا مناص له ، ذَكَر لأبي هريرة أن يقرأ آية الكرسي ، فإنه إذا قرأها لا يقربه شيطان حتى يصبح ، ولا يزال عليه من الله حافظ حتى يصبح ، فقال له النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب » ، فدل على أن قراءة القرآن ، لاسيما آية الكرسي تطرد الشيطان ، فلو كانت كرامة لزادها القرآن ؛ لأن القرآن يزيد الكرامة ويقويها ويثبتها . أما كونها تزول هذا دليل على أنها ليست كرامة ، وإنما هي عمل شيطاني ، فيهرب الشيطان ويبطل عمله إذا قُرئت آية الكرسي ، ومن ثم يستحب للمسلم إذا أراد أن ينام أن يقرأ آية الكرسي ، حتى يحفظه الله بها ، ويبعد عنه الشياطين .

(١) دلَّ على أن الكذوب قد يصدق بعض المرات ، ولكن لا يُصدَّق . إذا صَدَق فلا يتخذ صدقه هذه المرة دليلاً على صدقه في كل شيء ، فلا يغتر به .

(٢) النبي ﷺ أخبر أبا هريرة أن الذي يأتي في كل هذه الليالي هو الشيطان ، وليس إنساناً .

(٣) إذا قرأ آية الكرسي عند الأحوال الشيطانية ، عند الشعوذات ، عند السحر ، عند وسوسة الشياطين ، فإنها تزول بإذن الله إذا قرأها بإخلاص ، أما أن يقرأ حروفها فقط بدون استحضار لمعانيها وبدون إخلاص ، فإنها قد لا تنفعه .

كلاماً لا يُعلم وربما لا يفقه[١] ، وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه[٢] ، وربما تكلَّم بأَلْسِنَة مختلفة ، كما يتكلم الجني على لسان المصروع[٣] .

---

(١) الإنسان إذا تعاطى الكفر بالله والشرك واستحلال المحرمات ، فإن الشياطين تساعده وتُظهر على يده أشياء من المخاريق الشيطانية ؛ لأجل أن يَغترَّ بنفسه ويَغترَّ به غيره ، وهذا من باب الابتلاء والامتحان من الله ﷻ لعباده فيتظاهر أنه يدخل النار ، وهو في نفسه لا يدخلها ، وإنما الشياطين تحمله ، يتظاهر بأنه يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، وهو لا يفعل هذا بنفسه ، وإنما الشياطين هي التي تحمله ؛ لأنه أطاعهم فهم خدموه ؛ لأجل إضلاله وإضلال غيره ، فلا يُغترّ بالأحوال الشيطانية مهما بلغت ، والآن ظهر الدجل والسحر والشعوذة حتى في القنوات الخبيثة ، فعلى المسلمين أن يحذروا من هذا ، وأن لا يغترُّوا به .

(٢) لأن الإنسان لا يعلم ما في القلوب ، لكن الشيطان قد يطَّلِع ؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، يخالط الإنسان ربما يطَّلع على شيء مما في نفسه أو في قلبه ، فيخبره يقول : أنت تفكر في كذا ، أنت تقول كذا في قلبك ، وهو ليس منه ، هذا من الشيطان ؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فيطَّلِع على ما لا يطَّلِع عليه الإنسان .

(٣) ويتكلم الشيطان على لسان وليه بكلام قد لا يُفهم ، وليس هو من كلام بني آدم ، فيدل هذا على أنه معه قرين ؛ معه شيطان .

وربما تكلم بألسنة مختلفة . أحياناً يتكلم بالإنجليزي ، وأحياناً يتكلم باللغة الفارسية ، وأحياناً يتكلم باللغة العربية ، هل الإنسان يستطيع هذه الأمور وهو ما تعلم اللغات ؟! عامي ويتكلم بألسنة مختلفة !! هذا ليس منه ، هذا من الشيطان يتكلم على لسانه ؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فلا يُصدَّق بهذا ، ويقال : هذه كرامة ، أنه ما تعلم ومع =

والإنسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس[١] ، ولبسه وتكلم على لسانه ، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال ، ولهذا قد يُضرب المصروع ، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء[٢] ؛ لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه ، ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه ، وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع[٣] ،ومنهم من يطير بهم الجني إلى

هذا يتكلم بألسنة مختلفة ، هذا ليس منه ، هذا من الشيطان الذي لابسه وقارنه ، كما أن الجني يتكلم على لسان المصروع الذي ليس من أولياء الشيطان ، المؤمن قد يصاب بالصرع ، يصاب بالجنون وهو مؤمن ، يتكلم الشيطان على لسانه بكلام ما كان المصروع يعرفه ، يخبر بأشياء ما كان يعرفها ، فهذا دليل على أن هذا ليس منه ، إنما هو الشيطان الذي لابسه .

(١) لا يدري بما يقوله الشيطان ، وما يقوله الجني . المجنون إذا أفاق ، وقالوا له : إنك فعلت كذا أو قلت كذا ، يقول : أبداً ، ما فعلت شيئاً ، ولا قلت شيئاً ، لا يدري ، الذي قاله غيره هو الشيطان ، ربما يضرب المجنون المصروع ، ولا يتأثر بالضرب ولا يحس به ؛ لأن الضرب لا يقع عليه ، إنما يقع على الشيطان الذي لابسه .

(٢) قد يضرب ضرباً شديداً يؤثر ، لو كان على بدنه لتأثر أو لتكسرت أعضائه ، ومع هذا لا يحس ولا يدري عنه ؛ لأنه لم يقع عليه ، إنما وقع على الجني الذي خالطه ، وهذا شيء معروف .

(٣) قد يأتيه بأطعمة وفواكه يسرقها الجني من أمكنة من الناس ، يأخذها من بيوت =

مكة ، أو بيت المقدس ، أو غيرهما[(١)] ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجاً شرعياً[(٢)] ؛ بل يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبِّي ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا

الناس ومن بساتينهم ومن حوانيتهم ، ويأتي بها لهذا الآدمي ، فيُظن أن هذه كرامة ، وهي ليست كرامة ، هذه خارق شيطاني . نعم المؤمن ولي الله قد يُحضر عنده فواكه كما سبق لنا ، لكن لأنه مؤمن تقي ، أما هذه فهو فاجر شقي ، فما يكون عنده من الفواكه إنما من سرقة الشياطين التي تخدمه ، فلا يلتبس هذا بهذا ، ولذلك عنوان هذا الكتاب المبارك : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » .

(١) هذا شيء معروف ، أنهم يطيرون ببني آدم ، الذين يكفرون بالله ويشركون بالله ، ويطيعون الشياطين ، أنها تطير بهم إلى الأمكنة التي يريدونها ؛ لأن الشيطان عنده مقدرة على قطع المسافات السريعة ، وعلى الطيران بالهواء ، عنده مقدرة فهو يخدم هذا الإنسي الذي أطاعه في معصية الله ، ويذهب به إلى حيث يريد ، وهذا معروف حتى عند العوام الآن ، يعرفون الذين يطيرون ، يعرفون أن هذا سحر ، وأنه من الجن وليس هو من الكرامات .

(٢) ومنهم من يحمله الجني إلى عرفة في يوم عرفة ولا يحرم ، إنما يذهب إلى عرفة من غير إحرام ، ثم يرجع به ، هذا لم يحج ، وإنما الجني يلعب به ، كيف يحج من غير إحرام ؟ يتعدى الميقات من دون إحرام، ولا يتجنب محظورات الإحرام ؛ لأنه يريد مخالفة أمر الله، لأن الله أوجب على من يريد الحج أن يحرم من الميقات ، وأمره أن يتجنب محظورات الإحرام ، فهو خالف أوامر الله ، فلذلك خدمه الشيطان ، فلا يُغترُّ بهذا أبداً .

يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار[(١)] ؛ بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته ، وهذا ليس بحج[(٢)] ، ولهذا رأى بعض هؤلاء الملائكة تكتب الحجاج ، فقال : ألا تكتبوني ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، يعني : حجاً شرعياً[(٣)] .

وبين كرامات الأولياء وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى[(٤)] ، والأحوال

(١) هذه أعمال طاعة فيتركها متعمداً ، فالشيطان يخدمه في ذلك ، إذا عصى الله وترك واجبات العمل الصالح وشروطه ، فإن الشيطان يخدمه في ذلك ، ويحمله إلى ما يريد ويرجع به إلى مكانه ، فلا يقال : إن هذا من أولياء الله ؛ بل هذا من أولياء الشيطان .

(٢) ليس بحج ؛ لأنه لم تتكامل شروطه وأركانه وواجباته ، فهو عمل شيطاني وليس بحج ، وإن كانوا يزعمون أنه حج ، وأنه يذهب ويأتي ؛ لأنه من أولياء الله ، فهذا من أولياء الشيطان ، وهو لم يحج .

(٣) واحد من الذين طار بهم الشيطان إلى عرفة عشية عرفة رأى الملائكة تكتب الحجاج، فلم يكتبوه ، سألهم لماذا لم تكتبوني ؟ قالوا : أنت لم تحج . فلا تكتبه الملائكة ؛ لأنه – كما سبق – لم يحرم ، ولم يلبي ، ولم يأت بأعمال الحج .

(٤) هذا هو الفارق الواضح : الإيمان والتقوى ، فالذي عنده إيمان وتقوى ما يجري على يده من الخوارق فهو كرامة ، والذي ليس عنده إيمان ولا تقوى ما يجري على يده من الخوارق فهو خارق شيطاني للغرور والاستدراج .

الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ(١) ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، فالقول على الله بغير علم ، والشرك والظلم والفواحش ، قد حرَّمها الله تعالى ورسوله ﷺ(٢) .

فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها(٣) ، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن(٤) ؛ بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأمور التي فيها شرك ، كالاستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من

---

(١) قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٦٢-٦٣] فدل على أن الذين لا يؤمنون ولا يتقون أنهم ليسوا من أولياء الله وإن جرى على أيديهم خوارق .

(٢) فالذي لا يتجنب الفواحش ، ولا يتجنب الإثم ، ولا يتجنب الشرك ، ولا يتجنب القول على الله بغير علم ، هذا ليس من أولياء الله ، وإن جرى على يده خوارق ، فهي خوارق شيطانية ، وليست كرامات .

(٣) فلا تكون هذه الخوراق التي تجري على من لا يترك الفواحش والإثم ، ولا يترك البغي على الناس ، ولا يترك الشرك ، ولا يترك القول على الله بغير علم ، ليست كرامات ، وإنما هي خوارق شيطانية ، يستدرج بها الشيطان هذا الإنسان وأتباعه .

(٤) إذا كانت الخوارق لا تحصل بتلاوة القرآن والذكر والصلاة ، فإنها خوارق شيطانية .

الكرامات الرحمانية(١) . ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزَّل عليه شيطانه ، حتى يحمله في الهواء ، ويخرجه من تلك الدار(٢) ،

---

(١) إذا كانت على عكس ما جاء في هذه الآية : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ .... ﴾ [الأعراف : ٣٣] إلى آخر الآية ، فهذا دليل على أنها ليست كرامات ، وإنما هي خوارق شيطانية ، وأن من تجري على يده ليس من أولياء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان ، فيجب على الناس أن يعرفوا هذه الأمور عموماً ، وعلى طلبة العلم خصوصاً أن يعرفوا هذه الأمور وينبهوا الناس عليها ؛ لأنها أهلكت كثيراً من الناس ، وتسلَّط أولياء الشيطان على عباد الله وغرَّروهم بسبب ما يظهر على أيديهم من خوارق الشيطان ، فأضلوهم عن سبيل الله ، فيجب العناية بهذا الأمر ، أمر الوَلاية ، وبيان من هو ولي الله ومن هو ولي الشيطان ، حتى لا يُغتر بهؤلاء ، هذا من أعظم الفقه في دين الله ﷻ .

(٢) أيضاً هذه الأحوال الشيطانية إنما تحضر عند المكاء والتصدية ، والمكاء : هو الصفير ، والتصدية : التصفيق ، وكانوا في الجاهلية يعملون هذا عند بيت الله العتيق : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] هذه صلاتهم في الجاهلية عند بيت الله العتيق ، من الذي أمرهم بهذا ؟ أمرهم بهذا الشيطان ، فإذا حصل مجلس فيه هذه الأباطيل فإن الشياطين تحضر هذا المجلس ، فإذا زادت هذه الأمور وانفعل معها الإنسان ، حملته الشياطين وأخرجته من المكان ، وظنوا أن هذه كرامة حضرت له ، وهو شيطان مريد ، يريد أن يغويه ويغوي من يغتر به ، هذه مجالس اللهو ما تجر إلا الشر ، بخلاف مجالس الذكر ، ومجالس القرآن ، فإنها تحضرها الملائكة والسكينة : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة =

فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد[١] . ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت ، سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث[٢] ، فيظن أنه

وذكرهم الله فيمن عنده » ، فهذا الفرق بين مجالس الخير ومجالس الشر مجالس الخير تحضرها الملائكة ، ومجالس الشر تحضرها الشياطين ، فرق بين مجالس أولياء الله ومجالس أعداء الله .

ومن ذلك - والله أعلم - ما يسمونه بالزَّار الآن ، يطربون ويصلون إلى حد يُغشى عليهم ، فتحضرهم الشياطين ، وربما أنها تجري على أيديهم خوارق شيطانية ، ويظنون أن هذا من كرامة الله ، وهذا يحصل عند الصوفية ولا يحصل عند المُجَّان ، المجان منحطون وليس لهم قيمة ، والناس يعرفونهم ، لكن هذا يحصل عند الذين يدَّعون العبادة والزهد ، وهم الصوفية ، ويَغترُّ الناس بهم أكثر .

(١) الشيطان يحمل هذا الذي تفانى مع المكاء والتصدية ، فإذا جاء ولي من أولياء الله انطرد الشيطان ، فسقط هذا الشخص المحمول في الهواء ؛ لأن الذي يحمله هرب ، فيسقط من الهواء ، فهذا دليل على بطلان الأحوال الشيطانية عند حضور أولياء الله ، وعند حضور ذكر الله ﷻ ، هذا من الفوارق بين الخوارق الشيطانية والكرامات الربانية .

(٢) هذا سبق في « التوسل الوسيلة » ، وهنا أيضاً : أن من استغاث بميت ، أو استغاث بمخلوق غائِب ، فإن الشيطان يتمثل به ، ويأتي ويجيب من استغاث به ، ويحضر له ما يريد ؛ لأجل الفتنة ؛ ولأجل الاستدراج ، والسبب في هذا هو الشرك ؛ لأن الاستغاثة بالميت ، والاستغاثة بالغائب شرك بالله ﷻ ، والشرك لاشك أنه يرضي =

ذلك الشخص ، أو هو مَلَك على صورته[١] ، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين[٢] .

ومن هؤلاء من يتصوَّر له الشيطان ويقول له : أنا الخَضِر[٣] ، وربما

الشيطان ، فيخدم هذا المشرك ، ويأتيه بصورة الإنسان الذي يدعوه أو يناديه ، يتشكل بشكله ويقضي حوائجه ، ويظن هذا المسكين أن هذا هو الولي الذي استنجد به أو استغاث به ، وأن الميت حضر ، أو أن الغائب حضر ، فهذا كله من الغرور .

(١) لا يقول : هذا هو الشيطان على صورته ، يغرُّه ويقول له : هذا مَلَك على صورة هذا الإنسان . الملك لا يحضر عند مجالس السوء ، ومجالس الشر ، إنما تحضرها الشياطين ، الملائكة إنما تحضر مجالس الخير ؛ مجالس القرآن والذكر .

(٢) هذا سبق ، أن الشياطين تدخل الأصنام والأحجار ، والأشجار والقبور التي تُدعى من دون الله ، تدخلها الشياطين ثم تتمثل بصورة هذا المعبود الذي يعبدونه ويقضي حوائجهم ؛ بأن يُحضر لهم الأشياء ، يسرقها من مكان بعيد من أموال الناس ويحضرها لهم ، فيظنون أن هذا ولي من أولياء الله ، وأن هذا مَلَك جاء ... ، إلى آخر ما يغرون به الناس .

(٣) الخضر هذا هو العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علماً ، والذي ذهب موسى ﷺ للقائه والتعلم منه ، وهو ميت ، لكن منهم من يدعي أنه حي ، وأنه يدور في الدنيا ، فيقول : أنا الخضر ، يجيء الشيطان ويقول : أنا الخضر ، مع أن الخضر ميت من زمان ، من عهد موسى ، ليس بموجود : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء : ٣٤-٣٥] الخضر وغيره ، هم يزعمون أنه ما مات الخضر ، وأنه حي ، وأنه يدور في الدنيا ، ويحضر عند ذكره ، من ذكره حضر =

أخبره ببعض الأمور ، وأعانه على بعض مطالبه[١] ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب[٢] ، يموت لهم الميت ، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته ، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت[٣] ، ويدخل على زوجته ويذهب ، وربما

عنده ، وهذا كله من الباطل فإن حضر شيء وتصوَّر شيء ، فإنه شيطان ، ليس هو الخضر .

(١) لأجل أن يخدعه ويغره ، ويغر غيره أيضاً ممن يدعي أن هذا ولي من أولياء الله ، وإذا قيل له : وما أدراك أنه ولي ؟ قال : هذا جرت على يده كرامة ، والكرامة لا تجري إلا على يد ولي ، فيقال له : ليست هذه كرامة ، هذه من خوارق الشيطان .

(٢) ويحصل هذا الآن بكثرة .

(٣) يظنون أنه الميت ، الميت لا يأتي أبداً . من مات فإنه لا يرجع إلى الدنيا أبداً ، غادر الدنيا مغادرة نهائية . ولا يمكن أن يرجع إلى الدنيا ، ولهذا الله ﷻ إذا طلب الكفار أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ، فإن الله ﷻ يقنِّطهم من هذا ، ويُيأسهم من هذا ، أنه لن يحصل أبداً ، فلا يرجعون إلى الدنيا ، فلن يرد الله الميت إلى الدنيا أبداً ، إنما قد يحصل هذا معجزة لبعض الأنبياء ، ليس من باب أن الميت يرجع دائماً وأبداً ، إنما قد يحصل هذا معجزة ؛ لأجل غرض من الأغراض ، مثل قصة القتيل من بني إسرائيل ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم ، ومثل قصة القرية التي مرَّ عليها الذي قال : ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، الله قد يحيي الأموات في هذه الدنيا ؛ لإقامة حجة أو إقامة برهان ، معجزة لنبي من الأنبياء .

يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند[١] ، فيظنون أنه عاش بعد موته[٢] ، ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسِّلني ، فأنا أجيء وأغسِّل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسَّل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أي غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطاناً ، وكان قد أضل الميت ، وقال له : إنك بعد الموت تجيء فتغسِّل نفسك ، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك[٣] .

---

(١) في أمة من الأمم ، أو جنس من البشر ، مثل ما هو في الهند ، يحرقون ميتهم ، فيأتي بعد الإحراق في أبهى صورة وأحسن صورة ، ويقول : أنا أبشركم إني بخير ، وإني في الجنة ، وهو شيطان ؛ لأجل أن يغريهم ، ويحرقون أمواتهم ، ومنهم من يحرق الحي ، يُجمِّلون شخصاً من الشبان بأجمل صورة ، ثم يوقدون النار ، ثم يلقونه فيها ، كما يزف العروس ، ثم بعد مدة يسيرة يأتيهم مسروراً ، وفي أبهى صورة وأحسن حلة ، ويقول : لقيت الخير ، وهذا من الشيطان ، الشيطان تصوَّر بصورته وإلا هو لا يأتي أبداً ، لكن الشيطان يتصوَّر بصورته ؛ من أجل أن يغريهم في إحراق شبابهم ، وهذا ما يريده الشيطان دائماً وأبداً مع بني آدم ، وإلى الآن كفار الهند يعملون هذا ، يحرقون أمواتهم .

(٢) أنه رجع إلى الدنيا وعادت فيه الروح ، وهذا كله من الشيطان ، الشيطان جاء على صورته فيظنون أنه حيا .

(٣) الميت أغواه ؛ لأنه ما ترك الناس يغسلونه كالحال مع الأموات ، فالميت قبل أن =

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فإذا كان من أهل المعرفة ، علم أنه شيطان ، فزجره واستعاذ بالله منه فيزول[١] ، ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدَّعي أحدهم أنه نبي ، أو صديق ، أو شيخ من الصالحين[٢] ، وقد جرى هذا لغير واحد .

يموت أجابه ، وأوصى خادمه ألا يغسِّله أحد ، طاعة للشيطان ، فلما مات جاء شخص في صورة الميت ، يظنون أن الميت غسَّل نفسه ، وفي الحقيقة الشيطان ؛ لأجل أن يَغُرَّهم ، فهو غرَّ الميت وغرَّ الأحياء هذا هو الشيطان : ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] فالحذر الحذر ، ومع شياطين الجن شياطين الإنس التي تروج هذه الأفكار الخبيثة وهذه الترهات والأباطيل .

(١) منهم من يرى عرشاً ، يعني سريراً بين السماء والأرض ، ويرى عليه نور ، وهو الشيطان تصوَّر له ، وأمره بأشياء ، فالمؤمن يُكذِّبه فيزول ويطير ويذهب ، أما غير المؤمن فإنه يغتر به ويطيعه .

ويُذكر أن عبد القادر الجيلاني ﷺ بينما هو يمشي إذ أظله شيء فوقه ، فرفع رأسه فرأى عرشاً عليه شخص ، قال له : يا عبد القادر ، أنا ربك ، وقد أبحت لك ما حرمت عليك ، فقال : كذبت إنما أنت شيطان ؛ لأنه لا ينزل بعد الرسول ﷺ تحليل ولا تحريم ، فدحره وأبطل كيده ، لكن هذا لأهل العلم والإيمان ، وأما العوام وأما الجهَّال وأما ضعاف الإيمان ، فربما يغترون بهذا الشيء .

(٢) يتصورون لبعض الناس في اليقظة ، ويدَّعون أنهم رسل ، أو أنبياء ، أو أنهم من الصالحين الأموات حضروا .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر ، إما الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو غيره قد قصَّ شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أو ثوبه ، فيُصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره محلوق ، أو مقصَّر[١] ، إنما الجن قد حلقوا شعره أو قصَّروه ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة[٢] ، وهم درجات[٣] ، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم[٤] ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ[٥] ، فإن كان الإنسي

(١) يأتي الشيطان لهذا النائم فيحلق شعره ، ويلبسه طاقية ، فيصبح عليه طاقية ومحلوق الرأس ، فيظن الناس أن هذا ملك عمل به كذا ، وإنما هو شيطان وليس مَلَكاً .

(٢) هذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، أما الذي تمسك بالكتاب والسنة فإنه لا يغتر بهذه الأمور ، انظروا ماذا قال عبد القادر رحمه الله ، قال : إنه لا ينزل بعد الرسول ﷺ تحليل ولا تحريم ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] ، فبركة العلم حمته من هذا الشيطان ، وشدة كفره .

(٣) وهم درجات يعني : أن هذه الخوارق الشيطانية درجات ، بعضها أشد من بعض بحسب كفر ولي الشيطان .

(٤) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ [الأنعام: ١٢٩] ، فهم ظالمون ، وأولياؤهم من الإنس ظالمون ، سُلِّطوا عليهم بسبب ظلمهم وكفرهم بالله ﷻ ؛ عقوبة لهم .

(٥) الشياطين التي تكون مع الإنس منهم الكافر وهو الشيطان ، ومنهم العاصي ولا يصل إلى حد الكفر ، ومنهم المخطيء الذي هو دون العاصي ، فليسوا على درجة واحدة ، فلذلك هم في الكفر والإلحاد والزندقة متفاوتون .

كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً ، دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر[١] ، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم[٢] ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة[٣] ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة الإخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهن[٤] ، أو يكتبهن بنجاسة[٥] فيغورون له الماء ،

---

(١) فإذا أطاعهم فيما يأمرونه به من الكفر خدموه وأعانوه ، فيظن من لا بصيرة عنده أن هذه كرامة ، وأن هذا ولي لله ﷻ دون أن ينظروا إلى عمله وحاله وما هو عليه .

(٢) ولذلك تجد هؤلاء المشعوذين عملاء الشياطين وعملاء الجن ، تجدهم يتمتمون بألفاظ لا تفهم ، وينادون أسماء غير معروفة ، هؤلاء هم أولياؤهم من الجن بأسمائهم وكلامهم .

(٣) إذا أطاعهم فأهان ذكر الله فإنهم يخدمونه ، كما لو كتب القرآن بالنجاسة ، أو ألقاه في القاذورات ، أو فعل ما يريدونه منه ، قدَّموا له الخدمة ، فكل ما كثرت مخالفاته كثرت خدمتهم له ، قد تكون خدمة يسيرة ؛ لأن انقياده لهم يسير ، وقد تكون خدمتهم له متوسطة ، وقد تكون خدمتهم له شديدة ، بسبب ما في قلبه من الكفر والطاعة لهم ، والانقياد لهم .

(٤) يعبث بالقرآن ويُنكِّس ألفاظه وحروفه ، فإذا فعل هذا خدموه ؛ لأن هذا من الاستهزاء بكلام الله وبكتاب الله ﷻ ، ويظن من يظن أن هذا كرامة ، وأن هذا ولي من أولياء الله ، وأنه عرف هذا السر ، مع أنه من تلقين الشيطان .

(٥) يكتبون القرآن بمادة نجسة ، أو يكتبونه في محل نجس .

وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر(١) ، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي ، إما في الهواء ، وإما مدفوعاً ملجأ إليه(٢) ، إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها(٣) ، والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت(٤) . والجبت :

---

(١) يغور الماء ، ويقول : أنا عندي مقدرة على تغوير الماء ، فيصدقونه بذلك ، أو يحملونه إلى الجهة التي يريدها بدون أن يمشي على رجليه ، أو يركب مركوباً معتاداً ، وإنما يطيرون به في الهواء ، ويوصلونه إلى المكان الذي يريد ، ويردونه إلى مكانه ، فيظن المغرورون أن هذا من أولياء الله ، وأن هذه كرامات ، ولا ينظرون إلى عمله وإلى عقيدته ، وما هو عليه ، حتى يتبين لهم ، هل هو ولي أو شيطان .

(٢) إذا صار يهوى امرأة ولو كانت بعيدة أحضروها له ، إما أنهم يحملون هذه المرأة وهذا الصبي في الهواء يحضّرونه عنده ، وإما أنهم يسوقون الإنسان يمشي راغباً إلى هذا الشخص ؛ لأنهم يدفعونه .

(٣) فالشيخ بيّن هذه الأمور التي يغتر بها الجهال ، ويغتر بها بعض الناس ، فيظنون أنها حصلت كرامة من الله ؛ لأنه ليس باستطاعة الإنسي أن يعمل هذه الأشياء ، ويقولون : هذه إنما تحصل من الله ، وعلى يد ملك من الملائكة لأنه ولي ، ولا يدرون أن هذا يحصل بعمل الشيطان الذي قيّضه الله له بكفره وشركه ، امتحاناً له وعقوبة له ، هذا يحتاج إلى فقه في دين الله ومعرفة في دين الله ، وألا يَغتر الإنسان بحال من الأحوال يراها إلا بعد أن يفحص صاحب هذه الحال ، هل هو مؤمن تقي أو كافر شقي ؟ حتى يعرف أنها كرامة ، أو أنها خارق شيطاني .

(٤) الإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت . الجبت : هو السحر ، والطاغوت : الشيطان ، فمن آمن بالجبت والطاغوت حصلت له هذه الأمور ، وهذا شأن اليهود ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، وكذلك من سار على نهجهم .

السحر . والطاغوت : الشياطين والأصنام[(١)] وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً ، لم يمكنهم الدخول معه في ذلك ، أو مسالمته[(٢)] .

---

(١) كل ما عبد من دون الله فهو عبادة للطاغوت ، فإن كان المعبود راضياً بهذا فهو طاغوت ، وإن كان المعبود لا يرضى بهذا وينهى عنه ، كأولياء الله الذين يعبدونهم بعد الموت ، كالمسيح ﷺ ، فإن عبادتهم ليست لهؤلاء الصالحين ، وإنما هي عبادة للطاغوت الذي هو الشيطان ، الذي أمرهم بها ، وإلا فالمعبود لا يرضى بهذا ؛ بل ينكره ويجاهد عليه ، فهم يعبدون الشيطان الذي أغراهم بهذا الأمر ، وهذا المعبود بريء من ذلك كل البراءة ، وينكرها يوم القيامة ، سواء الملائكة أو غيرهم ينكرون أن هؤلاء عبدوهم ، وإنما يقولون : كانوا يعبدون الجن ، أي : الشياطين ﴿ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤١] ، فالله بيَّن كل شيء ، ووضَّح كل شيء في القرآن ، ولكن أين الذي يقف مع القرآن ويتدبر آياته ؟! والله أخبر أن الإنس يستمتعون بالجن بسبب أن الإنس يكفرون بالله ويطيعون الجن ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٨-١٢٩] ، ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، الله بيَّن هذا في القرآن .

(٢) من كان يؤمن بالله ويتقيه ظاهراً وباطناً لا تقربه الشياطين ، وإن ما يحصل على يده من خوارق العادات ، إنما هو كرامة من الله أجراها على يده ، وليست من خوارق السحرة والكهان والشياطين ، فيجب الفرق بين هذا وهذا ؛ لئلا يلتبس الأمر كما التبس على كثير من الناس .

وهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عُمَّار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية[(١)] ، وكان أهل الشرك والبدع يعظِّمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به ، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب[(٢)] أقرب إلى الأحوال الشيطانية[(٣)] .

---

(١) لأن المساجد هي بيوت الله ﷻ وهي مهبط الملائكة والرحمة والسكينة ، والشياطين لا تقرب المساجد ، إنها تقرب الأمكنة القذرة والوسخة ، أو تقرب المحلات الخفية ، والسراديب المظلمة ، والكهوف البعيدة ، هذه محلات الشياطين ، والأمكنة السِّرية ، أما المساجد فهي بيوت الله ، يجتمع فيها المسلمون ، ويلقى فيها العلم والذكر ، فلا تقربها الشياطين ، فأنت تجد الذي يعمر المساجد ويتردد إليها ، تجده سالماً من هؤلاء الشياطين ، تجد عليه الصلاح والاستقامة ، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة : ١٨] ، الآية وضحت هذا ، أن الذين يعمرون مساجد الله : هم أهل الإيمان ، وأن الشياطين وأولياء الشيطان من الإنس لا يقربون المساجد ؛ بل ينفرون منها ويفرون منها ، وهذا شيء ظاهر .

(٢) كما سبق أن القبور لا تجوز العبادة عندها ، لا الصلاة ولا الدعاء إلا الدعاء للميت فلا بأس ، أما الدعاء للزائر فلا يجوز أن تدعو الله لنفسك عند القبر ، فدعاء الأموات هذا شرك أكبر ، والدعاء عند الأموات هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك ، وكذلك الدعاء بالأموات : أن تتوسل بهم إلى الله ، هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك كما سبق ، فدعاؤها أو الدعاء عندها ، أو الدعاء بها كل ذلك لا يجوز .

(٣) الذي يعتقد أن الدعاء عند القبور مستجاب هذا قريب حاله من الأحوال الشيطانية ؛ لأن الله لم يشرع لنا الدعاء عند القبور ، وإنما شرع لنا الدعاء في المساجد التي هي بيوته .

فإنه ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[1] (صحيح البخاري / ٤٢٥ - صحيح مسلم ٥٣١) .

---

(١) « لعن الله اليهود والنصارى » السبب : « اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » هذا هو سبب اللعنة ، ومعنى المساجد : المصليات ، يصلون عندها ، ويدعون الله عندها ، رجاء أن الدعاء عندها ، والصلاة عندها مستجابة ، أفضل من غيرها ، فلذلك لعنهم الله أي : طردهم وأبعدهم من رحمته ، والنبي ﷺ ذكر لنا ذلك تحذيراً لنا من أن نتشبه بهم ، ونفعل مثل فعلهم ، ونتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، كما اتخذها اليهود والنصارى مساجد .

ولكن مع الأسف تجد في كثير من البلاد ، أن المسجد الذي ليس فيه قبر ، لا يتجه إليه إلا النوادر من الناس ، ولا يرغبونه ، والمسجد الذي فيه قبر تجد الناس معتكفين فيه جالسين فيه ، ويصلون فيه الفرائض ، فهو يضاهي المسجد الحرام ، الآن الصلوات الخمس تبث من المسجد الحرام ، يسمعها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، ويضاهون المسجد الحرام ، فيبثون الصلاة عند القبور ، قبر فلان وقبر فلانة ، مسجد فلانة وقبر فلان ، ويذيعون وينشرون الصلاة عندها ، مضاهاة للمسجد الحرام ، والمسجد النبوي الشريف ، هؤلاء لاشك لعب بهم شياطين الإنس والجن ، والصلاة في المسجد الذي فيه قبر لها قيمة عندهم ، وأما الصلاة في المسجد الذي ليس فيه قبر ، فلا يرغبونه ولا يتجهون إليه ، وهذه مصيبة ، مع أن المسجد الذي ليس فيه قبر هو من بيوت الله ، وهو الذي يصلى فيه ، أما المسجد الذي فيه قبر ، فهو من بيوت الشيطان ، ولا تجوز الصلاة فيه ، ولا تقبل ولا تصح .

وثبت في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « إنَّ من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت ، إلا خوخة أبي بكر[1] ، إن من

---

(١) هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر من بعده ، لما أحس بقرب أجله ﷺ ، قال هذا الكلام ، توطئة لاستخلاف أبي بكر من بعده ، وأمر أن تُسد كل خوخة - يعني : فرجة أو الباب الذي يدخل منه بعض الصحابة - إلا خوخة أبا بكر ، من أجل أن يصلي بالناس ، وأما سائر الناس فيدخلون من الأبواب المعروفة ، التي يدخل منها المصلون ، لكن هذه خوخات خاصة ، يدخل منها بعض الصحابة ، يصلون مع الرسول ﷺ ، فأمر بسدِّها إلا خوخة أبي بكر ، هذا إشارة إلى استخلافه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو أَمَنّ للناس لصحبته لرسول الله وبذات يده ، يعني : بماله ، هذا من فضائل أبي بكر الصديق ، وفيه دلالة على أنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ ، وهذا بإجماع الصحابة ، أجمع الصحابة على بيعة أبي بكر ، فهذا فيه رد على الرافضة ، الذين يقولون : إن الخلافة بعد الرسول لعلي ، وأنه الوصي ، هو وصي الرسول ، والوِصاية هذه باطلة لا أصل لها ، علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخلفاء الراشدين ، لكن ليس هو أحق بالإمامة من أبي بكر وعمر وعثمان ، هذا مخالف لإجماع الصحابة ، ومخالف لدلالة النصوص على تقديمهم وفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، هذا صدر الحديث ، وتبرَّأ أن يكون له من أهل الأرض خليلاً لماذا ؟ لأنه خليل الله ، وخليل الله لا يكون له خليل آخر ، الخلة لا تقبل الاشتراك ، ولذلك مع حبه لأبي بكر ، ومع فضل أبي بكر ، لم يتخذه خليلاً ، وإنما اتخذه صاحباً من أصحابه : « من أَمَنَّ الناس عليَّ بصحبته » ، فأثبت لأبي بكر =

كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد[١] ، فإني أنهاكم عن ذلك »[٢] (صحيح مسلم / ٥٣٢ ، ٢٣٨٢) .

وفي الصحيحين عنه ﷺ : أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة[٣] ، وذكروا من حسنها وتصاوير فيها ، فقال : « إن أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوَّروا فيها تلك

الصحبة ، وبيَّن أنه أفضل الصحابة ، وأمنّهم على رسول الله ﷺ ؛ لأنه حماه ولازمه منذ بعثه الله إلى أن توفاه الله ، وأبو بكر إلى جانبه ، يحميه ويحفظه ، ويمده بالمال ويؤيده ، حتى توفي رسول الله ﷺ ، آخر الحديث هو محل الشاهد .

(١) هذه وصية ثانية ، بعدما أشار إلى خلافة أبي بكر ، حذَّر من شيء آخر ، وهو البناء على القبور ، خشي أن يُبنى على قبره ، كما بُني على قبور الأنبياء من قبله ، وهذا من نصحه لأمته ﷺ ، خشي أن يُتخذ حيال قبره ما اتُخذ حيال قبور الأنبياء السابقين على يد اليهود والنصارى ، فمن كمال نصحه ﷺ أنه حذّر من هذا قبل أن يموت بخمس ، أي : بخمس ليال ، قرب وفاته ﷺ .

(٢) هذا نهي بعد نهي « إن من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد » : هذا فيه النهي عن التشبه بهم ، ثم قال : « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » : هذا نهي آخر ، تأكيد للأول ، ثم قال تأكيداً ثالثاً : « فإني أنهاكم عن ذلك » تأكيدات للنهي عن البناء على قبور الأنبياء ، ومن باب أولى البناء على من دونهم من الأولياء والصالحين ، إذا كانت قبور الأنبياء لا يبنى عليها وأن من بنى عليها فهو ملعون ، فكيف بمن بنى على من دونهم من الأولياء والصالحين ؟! هو ملعون أشد اللعن – نسأل الله العافية – .

(٣) والكنيسة هي محل عبادة اليهود والنصارى .

التصاوير ، أولئكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[(١)] (صحيح البخاري / ٤١٧ - صحيح مسلم / ٥٢٨) .

---

(١) لما ذكرت له زوجاته اللاتي هاجرن إلى الحبشة ما رأين في أرض الحبشة ، والحبشة كانوا نصارى ، يبنون الكنائس ، فرأين كنيسة مزخرفة ومزينة ، فيها تصاوير للمسيح وهو مصلوب بزعمهم ، تصاوير للصالحين ، كما فعل قوم نوح ، الشيطان ما مات ، الذي زين لقوم نوح زين لمن بعدهم ، ولا يزال يُزَيِّن ، فبيَّن ﷺ محذراً أمته من هذا الصنيع : « إن أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيها ، تلك التصاوير ، أولئكِ شرار الخلق عند الله » ملعونون وهم شرار الخلق عند الله ، وفي الحديث الآخر : « إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد » فهم شرار الخلق ، وهم يعتقدون أنهم من صُلَّاح الخلق ، وأن هذا محبة للصالحين ، وأن هذا ترغيب في الخير ، وأنه .. ، من شرار الخلق - والعياذ بالله - ؛ لأنهم فعلوا فعلاً يبعدهم عن الله ، وفعلوا فعلاً يُغري بالشرك ويُغرِّر بالناس . المساجد يجب أن تكون خالية من القبور ، خالية من الصور ، تقام لذكر الله وللصلاة ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، هذه مساجد الله التي أمر ببنائها ، ونهى عن بناء المساجد على القبور ، وأخبر أنه من فِعْل اليهود والنصارى ، وأن من فَعَله يستحق اللعنة ، وأنه من شرار الخلق عند الله ، وما أكثر المساجد المبنية اليوم على القبور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا نُهوا عن ذلك ، قالوا : أنتم لا تحبون الصالحين ، ونحن لا نعبدهم ، وإنما نتوسل بهم إلى الله ، كما قال المشركون : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، هذه حجة الأولين ، هي حجة هؤلاء .

وفي « المسند » ، و« صحيح أبي حاتم » عنه[١] ﷺ ، أنه قال : « إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين اتخذوا القبور مساجد »[٢] (مسند الإمام أحمد / ٣٨٤٤ ، وإسناده حسن - صحيح ابن حبان / ٦٨٤٧) .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »[٣] (صحيح مسلم / ٩٧٢) ، وفي « الموطأ » عنه ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم

---

(١) مسند الإمام أحمد ، وصحيح أبي حاتم أي : صحيح ابن حبان .

(٢) « من شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء » : لأن الله يقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة ، يرسل ريحاً طيبة فتقبض روح كل مؤمن ، ولا يبقى إلا شرار الخلق ، تقوم عليهم الساعة - والعياذ بالله - فالساعة لا تقوم على مؤمن ، هذا صنف : الذين تدركهم الساعة وهم أحياء ، الصنف الثاني : وهو محل الشاهد : « والذين يتخذون القبور مساجد » ، وهم يظنون أنهم من صُلّاح الخلق ، وأن هذا الفعل من محبة الصالحين والاقتداء بهم ، إلى غير ذلك ، وأن من لا يفعل ذلك لا يقدر الصالحين ، ولا يحبهم .

(٣) « لا تجلسوا على القبور » : لأن هذا فيه إهانة ، فنهى عن إهانة القبور ، « ولا تصلوا إليها » : هذا فيه النهي عن الغلو في القبور ، فنهى عن التساهل ، ونهى عن الغلو في حق القبور ، فلا يُتساهل في شأنها وتُداس ، ويُجلس عليها ، ولا يُغلا فيها غلو اليهود والنصارى ، ويُصلى إليها .

مساجد »[١] (موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري/ ٥٧٠) . وفي « السنن » عنه ﷺ ، أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلُّوا علي حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني »[٢] (مسند الإمام أحمد/ ٨٨٠٤ ، وإسناده حسن - سنن أبي داود/ ٢٠٤٢ وصححه الألباني) .

---

(١) « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد » : الوثن : هو ما عبد من دون الله ، سواءً كان شجرة أو حجراً أو قبراً أو صنماً ، كل ما عبد من دون الله ، يقال له : وثن ، أما ما عُبد وهو على صورة إنسان أو حيوان ، هذا يقال له : الصنم ، فالنبي ﷺ دعا ربه ، فقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » ، كما اتخذت القبور ، فهذا دليل على أن الغلو في القبور يُصيِّرها أوثاناً تعبد من دون الله ﷻ ؛ وهذا في قبر الرسول الذي هو أشرف قبر ، فكيف بغيره من القبور ؟! ولهذا يقول ابن القيم :

فَأَجَابَ رَبُّ العالَمِين دُعَاءَه وَأَحَاطَهُ بِثَلاثَةِ الجُدرَانِ

(الكافية الشافية ص ٢١٥)

أحاط قبر الرسول ﷺ بثلاثة جدران ، فلا يراه أحد ولا يدخل إليه أحد أبداً ، فهذا من رحمة الله ﷻ .

(٢) وهذا حديث آخر : « لا تتخذوا قبري عيداً » : يعني لا تكرروا زيارته والسلام ، لا يُكرِر هذا ، كل ما دخل المسجد يذهب يصلي ويسلم على الرسول ، هذا غير مشروع ، هذا بدعة ، إنما إذا قدم من سفر ، سواء كان من أهل المدينة وهو قد سافر ، أو كان قادماً إلى المدينة من غير أهلها ، فإنه يزور قبر الرسول ﷺ ويسلم عليه ، ولا يكرر هذا ، كل ما دخل يذهب إلى القبر ، هذا من اتخاذه عيداً . العيد : هو ما يعتاد ويكرر ، هذا مما يُصيِّره عيداً ، يعني : يُعتاد ويُكرر الذهاب إليه وزيارته ، وهذا يفضي إلى الشرك به ، ودعائه من دون الله ، هذا من سد الوسائل المفضية إلى الشرك ، حتى وإن كان الزائر

=

وقال ﷺ : « ما من رجل يسلِّم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[1] (سنن أبي داود / ٢٠٤١ ، وحسنه الألباني) .

وقال ﷺ : « إن الله وكَّل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام »[2] (مسند البزار / ١٤٢٥ ، بنحوه) .

يريد السلام ، السلام الذي يتكرر كل ما دخل هذا مبتدع ، وهذا يعلق قلوب العوام والجهال بقبر الرسول ﷺ .

(١) وهذا أيضاً فيه بيان أنه لا ميزة للصلاة والسلام عليه عند قبره ، لا ميزة لذلك ، ومن يصلي ويسلم عليه من بُعد ، ولو في أقصى الأرض ؛ لأن الصلاة والسلام يُبلَّغان للرسول ﷺ ، فلا حاجة إلى أنك تأتي عند قبره ، لتصلي وتسلم عليه ، قال ﷺ : « صلوا علي حيثما كنتم » يعني في أي مكان « فإن صلاتكم تبلغني » فلا حاجة أن تذهب للقبر ، وتقول : أريد أصلي وأسلم على الرسول ، أنت ومن بالأندلس سواء - كما قال أحد ذرية الحسين - « ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء » (أخرجه سعيد بن منصور ، كما في « اقتضاء الصراط المستقيم » لابن تيمية ٢ / ١٧٢) يعني : في أقصى المغرب ، سواء عند القبر ، أو في الأندلس ، من باب المثل ، وإلا حتى لو كنت في الصين ، أو في أقصى المعمورة صليت وسلمت على الرسول يُبلَّغ هذا ، فلا حاجة إلى أنك تذهب إليه ، وهذا فيه رحمة بالمؤمنين ، وتيسير على المؤمنين ، وفيه سد لوسيلة الشرك ، ومنع التردد على قبره ﷺ .

(٢) تكرر أن الرسول ﷺ أخبر أنه يُبلَّغ السلام من بُعد ، فلا حاجة إلى الذهاب إلى قبره ، وهذا سد لذريعة الشرك والغلو ، وفيه تخفيف على المسلمين ، وإلا كان الناس يُحرمون أجر الصلاة والسلام عليه في أي مكان ، إذا كان السلام عليه عنده قبره =

وقال ﷺ : « أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليّ ، قالوا : يا رسول الله ! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ - أي : بليت - فقال : إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء »[1] (سنن أبي داود / ١٠٤٧ ، وصححه الألباني) ، وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح : ٢٣] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف : « هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلم فعبدوهم »[2] (انظر : تفسير ابن كثير ٨ / ٢٤٨ ، بمعناه) .

فقط ، هذا تضييق يُحرم الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، ولهذا قال : « صلوا عليَّ حيث كنتم » هذا تيسير على الناس ، وقد قال ﷺ : « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً » (صحيح مسلم / ٤٠٨) فيفوِّت على الناس هذا الفضل العظيم ، فهذا من التيسير من ناحية ، وسد لوسيلة الشرك - وهذا هو المقصود - من ناحية أخرى ، والحمد لله الدين واضح ، لا لبس فيه لمن طلبه .

(١) هذا تعليل آخر . **التعليل الأول** : أنه يُبلَّغ الصلاة والسلام عليه ، **والتعليل الآخر** : أنه ﷺ لا تأكله الأرض ، كما تأكل أجساد الناس ، فأجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض ، هذه ميزة لهم عن غيرهم .

(٢) ذكر الله لنا عن قوم نوح ، أنه لما نهاهم ﷺ عن عبادة الصالحين ، وأمرهم بعبادة الله وحده تواصَوا ، وقالوا : ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ما هي هذه الآلهة ؟ ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا
=

فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان(١) . فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور

﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، هذه أسماء رجال صالحين ، كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا صوَّروا صورهم ، ونصبوها فزيَّن لهم الشيطان عبادتها فعبدوها ، فهذا فيه أن الغلو في القبور قديم ، وأن الغلو في الصالحين قديم من عهد قوم نوح ، والشيطان يدعو إليه ، فيجب الحذر من هذا ، وقالوا مثل هذا للرسول ﷺ ، لما قال لهم قولوا : « لا إلـه إلا الله » ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ﴾ [ص : ٥ - ٦] ، لا تتركوها ، اصبروا عليها ، لا يضلكم هذا الرجل ، اصبروا على آلهتكم ، (آلهة) اعترفوا أنها آلهة ، وهل هناك آلهة ؟! الإلـه واحد ﷻ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة : ١٦٣] هم يقولون : لا ، هناك آلهة كثيرة ، ولما قال لهم أيضاً : قولوا : لا إلـه إلا الله ، قالوا : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات : ٣٥-٣٦] ، قال الله ﷻ : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ٣٧] هذه دعوة المرسلين جميعاً ، أنهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلم يأت محمد ﷺ ببدْع ، وإنما هو كإخوانه النبيين ، كلهم ينهون عن دعاء غير الله ﷻ ، من أولهم إلى آخرهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

(١) يعني من قوم نوح ، مبدأ أول ما حدث الشرك في الأرض في قوم نوح ، وإلا كانوا في الأول صالحين وعلى التوحيد ، من عهد آدم إلى أن صوروا الصور ونصبوها ، فحينئذ حدث الشرك بسبب هذه الصور ، فدلَّ على أن نصب الصور والغلو في الأموات يفضي إلى الشرك .

مساجد[١] ليسد باب الشرك ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ؛ لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ[٢] ، والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب[٣] ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة

(١) مساجد : يعني مصليات ، وإذا بُني عليها فالأمر أشد ، لكن حتى لو لم يُبن عليها ، الذي يذهب إلى القبور ويصلي عندها اتخذها مساجد ، ولو ما بُني عليها مساجد .

(٢) فالذي يذهب إلى القبور ويدعو الله عندها ، هذا يدعو الله ﷻ ، لكن دعاؤه في هذا المكان فيه تشبه بالذين يدعون القبور ، وإن كان هو لا يدعو إلا الله ، لكن لما تَشبَّه بهم خُشي أن يفعل مثل فعلهم ، فهذا فيه سد الوسائل المفضية إلى الشرك ، كما أنه نهى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، مع أن المصلي يصلي لله ، لكن لما كان المشركون يعبدون الشمس ، عند غروبها يسجدون لها ، وعند بزوغها يسجدون لها ، فالمسلم لا يتشبه بهم ، وإن كان لا يصلي إلا لله ، فهذا من سد الذريعة المفضية للشرك .

ولا يزال من المشركين من يسجد للشمس عند غروبها إلى الآن ، طوائف من المشركين يسجدون للشمس عند طلوعها وعند غروبها ، فالشر لم ينقطع . في وقت قريب جاؤوا في قناة من القنوات بطائفة يسجدون للشمس ، يصورونهم وهم يسجدون للشمس عند غروبها وعند طلوعها . فالشر لم ينقطع - نسأل الله العافية - .

(٣) تخرج بين قرني شيطان ، هذا أيضاً معنى آخر للنهي : أن الشيطان يخرج معها ، فلذلك نُهي لئلا يكون السجود فيه تشبه بالذين يسجدون للشيطان ، لأن هناك من يعبدون الشيطان .

لصلاة المشركين ، فسدَّ هذا الباب[(١)] .

والشيطان يُضلُّ بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها ، كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور[(٢)] ، ويُسمُّون ذلك روحانية الكوكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده ، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه[(٣)] ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه[(٤)] .

(١) انظروا إلى أن الرسول ﷺ سدَّ الباب من جهة المكان ، فلا يُصلَّى عند القبر . وسدَّ الباب من جهة الزمان ، فلا يصلى عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ؛ خشية أن يتشبه بعبَّاد الشمس .

(٢) ويظن أنه الكوكب الذي يسجد له أو الشمس ، وهو شيطان .

(٣) الشيطان قد ينفع الإنسان في بعض مقاصده ، لكن المضرة أكثر ، وهي ضياع الدين ، والشرك بالله ﷻ ، فإذا كان الشيء فيه مصلحة قليلة وفيه مفاسد كثيرة ، فإنه يحرم ولا ينظر إلى ما فيه من المصلحة القليلة .

(٤) من أطاع الشيطان فلاشك أنه خاسر ، وأن عاقبته إلى شر إلا أن يتوب ، والشيطان لا يقف عند حد ، ولهذا قال ﷻ : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة : ١٦٨] الشيطان يتدرج بالإنسان شيئاً فشيئاً ، حتى يوصله إلى النهاية في الكفر والإلحاد ، يقنع منه في أول شيء باليسير ، ليؤسس معه ، ثم ينتقل شيئاً فشيئاً حتى النهاية بالكفر .

وكذلك عُبَّاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين[١] ، وكذلك من استغاث بميت أوغائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد[٢] ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة ، وهو : « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور »[٣] ، وإنما هذا وَضْعُ من فتح باب الشرك[٤] .

---

(١) هذا سبق أنه ما يحتج بحصول المقصود والحاجة إذا كانت الوسيلة والعمل شركاً ، فإن الشيطان أيضاً يأتي إلى عبَّاد القبور ويخرج عليهم في صورة الميت ويخاطبهم ، ومن يعبد الصنم يأتي ويدخل في الصنم ويخاطبه ، وهو يظن أنه الصنم وهو شيطان ، وهكذا الشيطان عنده مقدرة لا يراها الإنس ، ولا يقدر عليها فيغرُّ بني آدم .

(٢) فإن الشيطان يتمثل له ويخاطبه ، ويظن أن هذا هو الميت خرج إليه وقضى حاجته وهو الشيطان ؛ لأن الميت ما يخرج من قبره ، ولا يرجع إلى الدنيا أبداً ، إنما هذا هو الشيطان يخرج له .

(٣) يا سبحان الله ! هذا حديث عن الرسول ﷺ ؟! الذي ينهى عن الشرك ويسد كل الوسائل المفضية إليه ، يهدم هذا كله بهذا الكلام ، فيقول : « إذا أعيتكم الأمور » يعني : أعجزتكم الأمور « فعليكم » : هذا حث « بأصحاب القبور » هذا يصدر من نبي ؟! لا يصدر هذا من عالم محقق ؛ بل لا يصدر هذا من عامي مسلم ، فكيف يصدر من نبي ؟! كيف يصدر من خاتم النبيين ﷺ ؟! فهذا علامات الوضع ظاهرة على متنه وسنده ، فهو موضوع متناً وسنداً ، ومخالف للقرآن والسنة ، ولكن يتمسك به من يتمسك .

(٤) هذا الحديث مِن وَضْعِ من فتح باب الشرك للناس ، وليس حديثاً عن الرسول ﷺ ،
=

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عُبَّاد الأصنام والنصارى والضُّلَّال من المسلمين ، أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات ، وهي من الشياطين[(١)] ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد[(٢)] أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه[(٣)] يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا[(٤)] ، فإن التوحيد يطرد الشيطان ؛ ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال : لا إلـٰه إلا الله ، فسقط[(٥)] ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق ، وخرج منه

ولا يصدقه مسلم حتى عامي ، فضلاً عن العلماء ، أن هذا حديث عن الرسول ، الذي مكث ثلاثاً وعشرين سنة ينهى عن الشرك ويأمر بتوحيد الله ، يأتي بهذا الحديث الذي يهدم كل دعوته ؟! حاشا وكلا .

(١) عند المشاهد ، يعني : عند القبور ، هي تسمى مشاهد ولا تسمى مساجد .

(٢) سروال مفتوح يجدونه قد انعقد ، من الذي عقده ؟ هذا الشيطان عقده ليَغرُّهم .

(٣) أو يأتون بالمصروع إلى القبر ، فيرون شيطانه قد فارقه ، يقولون : هذا ببركة الولي . وهو شيطانٌ خلَّى عنه ، كان ملابساً له ، ثم خلَّى عنه ؛ لأجل أن يَغُرَّهم - والعياذ بالله - .

(٤) هذا من علامات بطلان خوارق الشياطين ، أنه إذا قُرئت آية الكرسي بطلت وتعطلت هذه الخرافات ، والخوارق الشيطانية ، هذا من علامة أنها ليست كرامات .

(٥) حمله شيطان ، فلما قال : لا إلـٰه إلا الله ، على فطرته سقط على الأرض ، وهرب الشيطان وتركه .

إنسان ، فيظنه الميت وهو شيطان ، وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع[١] .

ولما كان الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ ، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات والجبال[٢]،

---

(١) رَحِمَهُ اللَّهُ وضَّح غاية الإيضاح ، ولكن يعتذر بضيق الموضع ، وإلا عنده أكثر من هذا .

(٢) المطلوب من المسلم أن يكون صادقاً في سرِّه وعلانيته ، واضحاً لا يُضمر غير ما يتكلم به ، والإسلام - ولله الحمد - دينٌ ظاهر ، ليس هو سري أو منظمة سرية ، كما يسمون المنظمات السرية ، الإسلام علانية ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة : ٣٣] ، دينٌ ظاهرٌ في نفسه ، وظاهرٌ على غيره من الأديان منتصر عليها ، ليس فيه خفاء أو أسرار ، إنما هو ظاهرٌ للعيان ، فالذين يتنحَّون ويعتزلون المسلمين ، ويعتزلون مجالس العلماء في المساجد ، أو في دور العلم ، وينزوون إلى مغارات وكهوف واستراحات وما أشبه ذلك ، هؤلاء عندهم شيء مكتوم ، لا يحبون أن يظهر أحد عليه ، وهذا ليس من الإسلام ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ : « إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة ، فاعلم أنها على تأسيس ضلالة » ، أمور الدين واضحة ما فيها خفاء ، إنما تكون السِّرية في الأمور غير الصحيحة ، والأمور التي يتكتم عليها ، وأما الإسلام - ولله الحمد - فهو علانية وظاهر ، ينادى به على رؤوس الأشهاد ، وعلى رؤوس المآذن ، وينادى به في الدروس العلمية عند العلماء ، ويُنادى به في دور العلم المعروفة ، ليس فيه شيء سرِّي ، ما يعطى إلا لأناس خاصين ، كما عند الفرق =

الضالة ، كما عند الدروز وغيرهم ، في الخلوات والأسرار التي يخفونها حتى عن أولادهم وعن تلاميذهم ، فدين الإسلام علانية ، ظاهر واضح ، فإذا رأيت من ينتحون عن مجالس العلم ، وعن حضور المساجد ، حتى الجمعة والجماعات ما يصلون مع المسلمين ، من تبنَّى هذا الفكر ينعزل عن المسلمين ، ولا يصلي لا جمعة ولا جماعة ، فهذا واضح أنه مكر من الشيطان ، أو تكون لهم سراديب وخلوات يختفون بها ، هذا ليس هو دين الإسلام ، دين الإسلام للجميع ، ويُعلن للجميع ، ولهذا لما اعتزل واصل بن عطاء الغزَّال وأتباعه عن مجلس الحسن البصري ماذا نتج عن هذا ؟ نتج عن هذا مذهب المعتزلة الضال المنحرف ، الذي لا يزال المسلمون يعانون منه . فدين الإسلام دين الجماعة ودين المحبة في القلوب . دين التعاون على البر والتقوى . فمن صفات المنحرفين : أنهم يختزلون ويختفون ويبيتون أشياء للمسلمين ، لو كانوا صرحاء لبرزوا مع الناس ، فهم ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩] فدين الصوفية هو من هذا النوع ، أنهم لهم خلوات ، ولهم أمكنة يختفون فيها ، ويلقِّن بعضهم بعضاً دين التصوف ، ومنهم من يعتزل أربعين يوماً ، ثم يخرج على الناس ، وأنه انفتح عليه باب معرفة وباب فهم ، وهذا كله من الشيطان ، فالشياطين تحضر الأمكنة الخالية ، الشياطين ما تحضر في المساجد ، ولا تحضر في دروس العلم ، إنما تحضر في المغارات والكهوف والأشياء الخفية ؛ حتى يُلقِّنوا هؤلاء المغرورين هذه الأسرار الخبيثة ، فإذا رأيت قوماً ينعزلون ، ويخرجون من البلد ، ويجتمعون في مكان ، فاعلم أن عندهم أموراً باطنة خبيثة ، لو كان عندهم خير ما أخفوه ، ولأعلنوه في المساجد وفي الدروس ، فكونهم ينعزلون هذا دليل على أن عندهم شراً لا يحبون أن أحداً يطلع عليه ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ

=

مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذي بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان ، وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك[(١)] ، وجبل اللكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقشوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس ، ويسمونهم : رجال الغيب[(٢)] ، وإنما هناك رجال

وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء : ١٠٨] فهذا شيء مسبوقون إليه ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، إذا صاروا في غار ، أو في كهف ، أو في استراحة ، أو في مكان خالٍ ، والناس ما علموا بهم ، فإن الله يعلم ما هم عليه ، يعلم ما يبيِّتون من القول ، وسييسر للمسلمين القضاء عليهم ، كما هو معروف في التاريخ ، من القضاء على هذه الفرق الضالة .

(١) نعم يبحثون عن الكهوف في الجبال يختفون فيها ، من أجل أن يدبروا أمرهم ضد المسلمين ، وينفثوا سمومهم التي في صدورهم ، ومن هو شيخهم في هذه المغارات ؟ شيخهم الشيطان ، سوّل لهم وأملى لهم - نسأل الله العافية - .

(٢) هذه المشكلة يظنون أن بها رجالاً صالحين من الذين يسمونهم رجال الغيب ، وهم شياطين ، يمكن يتصورون لهم ، ويأتونهم بصورة رجال يجلسون معهم ، ثم يلقنونهم هذه الأفكار الخبيثة ؛ لأن الشيطان إذا انقطع الإنسان عن إخوانه المسلمين تسلَّط عليه ، ولهذا حث النبي ﷺ على الجماعة ، ونهى عن الانفراد ، وقال : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (المستدرك على الصحيحين للحاكم / ٧٦٥ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير /

=

من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الإنس رجال(١) ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾(٢) [الجن : ٦] .

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعراني ، جلده يشبه جلد الماعز ،

٥٧٠١) ، وإن الشيطان ذئب الإنسان ، فالمسلم يكون مع المسلمين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] ، ولذلك شرع الله لنا الاجتماعات في العبادة ، في الصلوات الخمس ، وفي الجمعة ، وفي الأعياد ، وفي عرفة ، اجتماعات يجتمع فيها المسلمون ، ليس كل واحد يذهب الجبل أو الغار ، ويقول : أنا أعبد الله . لما قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إن رجلاً يصلي الليل ويصوم النهار دائماً وأبداً ، لكنه لا يشهد الجمعة ولا الجماعة ، قال : « هو في النار » (مصنف عبد الرزاق الصنعاني/ ١٩٩٠) ، وأنتم تسمعون في كل خطبة : وعليكم بالجماعة ، هذا نص حديث : « وعليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ، ومن شذَّ شذَّ في النار » (السنة لابن أبي عاصم/ ٨٠ ، بنحوه) .

(١) كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن : ٦] الجن لهم رجال ، يظهرون بصورة رجال .

(٢) وشيطان الإنس أخطر على المسلمين من شيطان الجن ، الإنس لهم شياطين ، كما قال تعالى : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، فأخبر أن للإنس شياطين ، هم أخطر من شياطين الجن ؛ لأن شيطان الجن إذا ذكرت الله فر ، أما شيطان الإنس إذا ذكرت الله مرَّة ذكره مائة مرَّة ، وهو على ما هو عليه من الضلال ولا يذهب ، فهو أخطر على الناس منه ، فالضالون من الإنس أشد من شياطين الجن .

فيظن من لا يعرفه أنه إنسي ، وإنما هو جني[(١)] . ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال[(٢)] ، وهؤلاء الذين يُظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال ، كما يعرف ذلك بطرق متعددة[(٣)] .

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه ، وذكر ما نعرفه من ذلك ، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر[(٤)] ، الذي كُتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل ذلك[(٥)] . والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام[(٦)] : قسم يُكذِّب

---

(١) هل الإنسي يكون بلون الماعز أو صورة الماعز ؟! هذا شيطان .

(٢) والأبدال ليسوا هؤلاء ، ورد أثر في الأبدال ، سُمُّوا أبدالاً ؛ لأنهم يخلف بعضهم بعضاً ، وهم رجال صالحون وقليلون في القرون ، - إن صح فيهم الأثر - فهم ليسوا هؤلاء ، هؤلاء رجال صالحون ، علماء .

(٣) وليسوا الأبدال .

(٤) إطلاع الشيخ شيء عجيب ، وإحاطته بالأخبار والأشياء ، فتح الله عليه فتحاً عظيماً ، وهذا ببركة العلم والعمل ، العلم النافع ، والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله .

(٥) هذا المؤلف كله جواب مسألة واحدة ، سُئل عن الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ما كتبه على أنه مُؤلَّف ، كتبه على أنه جواب لسؤال .

(٦) كما سبق بيانه : أناس غلو في نفيها كالمعتزلة ؛ ينكرون خوارق العادات ، يُسمون الآن : العقلانيين ، ينكرون المعجزات ، وينكرون الكرامات ، وأناس غلو في إثباتها حتى عَدُّوا خوارق الشيطان من الكرامات ، والوسط هم الذين أثبتوا المعجزات =

بوجود ذلك لغير الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[١] ، وربما صدَّق به مجملاً ، وكذَّب ما يُذكر له عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء ، ومنهم من يظن أن كل من كان له نوع من خرق العادة[٢] كان ولياً لله ، وكلا الأمرين خطأ[٣] ، ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله[٤] . وأولئك[٥] يُكَذِّبون أن يكون معهم من له خرق عادة[٦] ، والصواب القول الثالث ، وهو أن

والكرامات على ضوء الكتاب والسنة ، ونفوا ما عداها ، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة .

(١) بل العقلانيون المعاصرون أنكروا حتى معجزات الأنبياء ، لكن المعتزلة الذين هم سلفهم ، أثبتوا معجزات الأنبياء ، وأنكروا كرامات الأولياء ، يقولون : لئلا تشتبه كرامة الولي بمعجزة النبي .

(٢) هذا الذي غلا في الإثبات ، لم يفرق بين الكرامة وخارق الشيطان .

(٣) لا الذي غلا في النفي ، ولا الذي غلا في الإثبات .

(٤) أثبتوا الكرامات حتى للكفار من اليهود والنصارى ؛ لأن عندهم خارق العادة كرامة مطلقاً ، ما يفرقون بين الكرامة ، وبين خارق الشيطان .

(٥) أولئك : يعني الذين ينفون .

(٦) الشيطان حضر مع الكفار في بدر ، كما ذكر الله ، يحرضهم على المسلمين : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾ ، فلما رأى الملائكة مع رسول الله ﷺ وأصحابه هرب مدبراً ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ =

معهم من ينصرهم من جنسهم(١) ، لا من أولياء الله ﷻ ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾(٢) [المائدة : ٥١] .

وهؤلاء العبَّادُ والزهاد الذي ليسوا من أولياء الله المتقين ، المتبعين للكتاب والسنة(٣) ، تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما

عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ يعني : يرى الملائكة ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨] ، فهو يحضر معهم ، لكن إذا رأى قوة المسلمين ، ورأى ذكر الله ، ورأى الملائكة انهزم .

(١) معهم من ينصرهم من جنسهم من الكفار والشياطين ، كما حضر في بدر .

(٢) الشاهد في قوله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ فالذي يحضر معهم ، إنما هو من جنسهم من الكفار ، وليس من المسلمين .

(٣) العبادة إذا كانت على غير الشريعة فهي عبادة باطلة ، النصارى عباد رهبان ، يبكون وينقطعون عن الدنيا ، ويخلون في الصوامع ، ويبكون بكاء شديداً ، وهم في النار ؛ لأنهم على غير شريعة الله ﷻ . العبادة إذا كانت ليست على طريق صحيح فهي باطلة ، وتعب بلا فائدة . والزهد أيضاً عندهم زهد في الدنيا ، زهاد من الهند وغيرهم ، يزهدون في الدنيا ، فالزهد ليس قاصراً على المسلمين ، الكفار فيهم زُهَّاد ، لكن زهد على غير طريق صحيح ، وإلا مثلاً : غاندي الذي هو رئيس الهند الذي خلّص الهند من الإنجليز ، هذا زاهد تارك للدنيا ويتغذى من حليب عنز معه يذهب بها إلى المؤتمرات من الزهد ، لكنه زنديق وكافر . فالزهد منه صحيح وشرعي ، ومنه زهد كذب .

يناسب حاله[١] ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً[٢] ، وإذا حصل من له تمكُّن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم[٣] ، ولابد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً[٤] ، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين ، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين .

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[٥]

---

(١) فرق بين الكرامات التي هي من الله ، وبين خوارق الشيطان التي تجري على أيدي الفاسق والمنحرف والكافر هذه خوارق شيطانية .

(٢) كرامات الأولياء لا تتعارض ؛ لأنها من عند الله ، وأما خوارق الشياطين فهي تتعارض ؛ لأنها باطل ، والباطل لا يتفق ؛ بل يختلف .

(٣) خوارق الشيطان تبطل عند ذكر الله ﷻ ، وكرامات الأولياء تزيد مع ذكر الله ﷻ وتقوى .

(٤) لما ناظر شيخ الإسلام البطائحية الذين هم الرفاعية ، وقالوا : نحن ندخل النار ولا تضرنا ، فقال لهم : أنا أدخل معكم النار بشرط أننا نغسل أرجلنا ؛ لأنهم كانوا يضعون على أرجلهم أشياء مضادة للنار ، ويمرون عليها ، ويقولون : دخلنا فيها ، فلما قال ذلك أبوا ؛ لأنه عرف ﵀ مكرهم وحيلهم .

(٥) لأنهم قالوا : إن القرآن إنما هو سحر ، تنزلت به الشياطين على محمد ﷺ ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ . وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠] إلى أن قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] الشياطين ما تتنزَّل على أولياء الله إنما تتنزل على أعداء الله لتفتنهم .

[الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] والأفاك : الكذاب . والأثيم : الفاجر .

ومن أعظم ما يقوّي الأحوال الشيطانية ، سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين[١] ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[٢] [الأنفال : ٣٥] ، قال ابن عباس وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما من السلف : « التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير » (انظر : تفسير الطبري ١١ / ١٦٢) ، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة[٣] ، وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه

(١) هذا فرق آخر بين خوارق الشيطان وكرامات الرحمن ، كرامات الرحمن تقوى مع ذكر الله ﷻ ، وخوارق الشيطان تقوى مع المعاصي ، مع الغناء والدفوف ، ولذلك يحضرون الدفوف والمغنين ، ويغنون ويضربون الدفوف ، ويسمُّون هذا ذكراً لله وهو ذكر للشيطان ، هذا لهو وباطل ، فخوارقهم تنشط مع المعاصي والدفوف والمزامير ، والأغاني الماجنة ، وأما كرامات الأولياء فإنها تزيد بذكر الله ﷻ ، وبطاعة الله ، هذا فرق .

(٢) سماع المشركين ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ : يعني الكعبة ﴿إِلَّا مُكَآءً ﴾ وهو الصفير ، ﴿وَتَصْدِيَةً ﴾ وهو التصفيق ، يُصَفِّرون ويُصَفِّقون ، ومن العجائب أنه في المباريات تسمع الصفير والتصفيق سبحان الله ، ألا تسمعون هذا ؟ تسمع عندهم صفير وتصفيق ، هذا من أين ورثوه ؟ ورثوه من المشركين .

(٣) يتخذون التصفيق والتصفير عبادة ، وهو معصية .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم على استماع غناء قط ، لا بكف ، ولا بدف[١] ، ولا تواجد ، ولا سقطت بردته[٢] ؛ بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه[٣] .

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ[٤] ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأبي موسى

---

(١) ما اجتمع النبي ﷺ ولا أصحابه على الأغاني ، ولا على الدفوف ، وإنما يجتمعون على تلاوة القرآن ، وعلى ذكر الله ، وعلى دروس العلم ، أما أولئك فيجتمعون على المكاء والتصدية ، والطبول والمزامير ، والأغاني التي تفسد القلوب ، وتلهي عن ذكر الله ﷻ ، هذه مواد خوارقهم من المعاصي .

(٢) كما يكذبون على الرسول ﷺ ، أنه حضر مجلس الصوفية ، وسمع الغناء :

قَدْ لَسَعَـتْ حَـيَّةُ الهَـوَى كَبِـدِي   فَلا طَبِيبَ لَـهَا وَلَا رَاقِي

يقولون : لما سمع الرسول ﷺ هذا البيت ، تمايل حتى سقطت بردته ، وهذا من الكذب على الرسول ﷺ .

(٣) الحمد لله أن الله قيض لأحاديث الرسول ﷺ الحفاظ المتقنين ، الذين نقدوها وأخرجوا صحيحها من ضعيفها من موضوعها وميَّزوها ، فلم يتمكن هؤلاء من الدَّس على رسول الله ﷺ ، وهذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، فلا يتمكن ملحد أو منافق أن يكذب على رسول الله ﷺ ، لوجود هؤلاء الحفاظ .

(٤) على كتاب الله ، ولم يجتمعوا على أغاني وعلى دفوف ، ويقولون : هذا ذكر لله !!

الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ذَكِّرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون[١] (صحيح ابن حبان / ٧١٩٦، بنحوه ، وضعفه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان / ٧١٥٢) ، ومرَّ النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقرأ ، فقال له : « مررت بك البارحة وأنت تقرأ[٢] ، فجعلت أستمع لقراءتك » فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً[٣] (المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم / ١٨٠٣ ، بنحوه) أي : لحسَّنته لك تحسيناً ، كما قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »[٤] (سنن أبي داود / ١٤٦٨ ، وصححه الألباني) .

---

(١) كان أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له صوت حسن في القرآن وكان الرسول ﷺ يستمع إليه وهو يصلي بالليل ، ويتلذذ بصوته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اجتمعوا أمره أن يقرأ وهم يستمعون ، يتلذذون بالقرآن . ما يتلذذون بالمكاء والتصدية والدفوف والأغاني .

(٢) يعني بالليل وأنت تقرأ وتصلي .

(٣) يعني : لو علم بأن النبي ﷺ يستمع إليه لزيَّن صوته أكثر مما سمعه الرسول ﷺ ؛ لأن الله أعطاه حسن الصوت .

(٤) ولذلك يستحب لقارئ القرآن أن يزينه بصوته ، ولا يَهُذُّه هذَّ الشعر ، ولا ينثره نثر الدقل ، وإنما يزينه بصوته ويؤديه أداء حسناً ، حتى يؤثر في نفسه ، ويؤثر على السامعين ، لكن لا يبالغ بما يسمونه التجويد الآن ، ويمططون القرآن ، ويشتدون في الغنة ومخارج الحروف ، حتى يولِّدوا حروفاً زائدة ، ويملُّلوا السامع ، ويثقلون على المصلين بهذه التلاوة المتكلفة ، القرآن إذا جاء عن اعتدال أثَّر ، وإذا جاء عن تكلف فإنه لا يؤثر .

وقال ﷺ : « لله أشد أذناً - أي استماعاً - إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن[(١)] من صاحب القَينة إلى قَينَتِه »[(٢)] (سنن ابن ماجه / ١٣٤٠ ، وضعفه الألباني) ، **وقال ﷺ لابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « اقرأ عليَّ القرآن » ، فقال : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأت عليه سورة (النساء) ، حتى انتهيت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾** [النساء : ٤١] **قال : « حسبك » ، فإذا عيناه تذرفان من البكاء[(٣)]** (صحيح البخاري / ٤٧٦٣ - صحيح مسلم / ٨٠٠) ،

---

(١) الأذن يطلق على السماع ، كما قال عن المنافقين : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة : ٦١] يعني يستمع للوشاة ، يصفون الرسول ﷺ بأنه يستمع للوشاة - قبحهم الله - ، أُذُن يعني : يسمع ، ما أذن الله : يعني ما استمع الله .

(٢) الله ﷻ يحب من عبده أن يتغنى بالقرآن ، قال ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (صحيح البخاري / ٧٠٨٩) يعني : يحسن صوته بالقرآن ، يراد بالتغني تحسين الصوت ، لا أن يجعلها على شكل الأغاني بالتمطيط ؛ لأنه يقرأ كلام الله وليس كلام مخلوق ، فيستعد لإلقائه على أحسن ما يستطيع .

(٣) ومن الذين استمع إليهم النبي ﷺ ، وتشرفوا بسماع النبي ﷺ منهم ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكان متقناً لقراءة القرآن ، فطلب منه الرسول ﷺ أن يقرأ عليه ، قال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، فدل هذا على فضل استماع القرآن ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] فدل على فضل الاستماع للقرآن ، وهذا دليل على أن الرسول وأصحابه إنما يتلذذون بالقرآن وذكر الله ﷻ ، لا بالأغاني والدفوف والمزامير .

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم ، كما ذكره الله في القرآن فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[1] [مريم : ٥٨] .

وقال تعالى في أهل المعرفة : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2] [المائدة : ٨٣] ، ومدح سبحانه أهل

---

(١) لما ذكر الأنبياء في سورة مريم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور ، الكتب المنزّلة ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ فيتأثرون بها ويسجدون لله ﷻ عند سماعها .

وقال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧-١٠٩] أهل الكتاب إذا سمعوا القرآن سجدوا ، والمراد بأهل الكتاب المؤمنون منهم ، كالنجاشي وغيره .

(٢) ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة : ٨٢-٨٤] .

هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان ، واقشعرار الجلد ، ودمع العين ، فقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا[١] مَّثَانِيَ[٢] تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[٣] [الزمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[٤] [الأنفال : ٢-٤] .

---

(١) القرآن يطلق عليه أنه كله متشابه ، يعني يشبه بعضه بعضاً في الحسن ، ويطلق عليه أنه كله محكم : ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] يعني : أتقنت بمعنى الإتقان ويطلق عليه أن بعضه محكم وبعضه متشابه : ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران : ٧] .

(٢) ﴿مثاني﴾ : يعني تكرر آياته وأخباره وقصصه ، لأجل التأثير على القارئ والسامع ، تجدون مواعظ القرآن وأخبار القرآن مكررة ، هذه المثاني .

(٣) فهو يُليّن القلوب ويُليّن الجلود بذكر الله ﷻ ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال : ٢] .

(٤) الشاهد من هذه الآيات كلها أن سماع المؤمنين : هو القرآن ، وليس الأغاني والألحان التي عند الصوفية والكفار والمشركين ، هؤلاء سماعهم : الأغاني والدفوف والمزامير ، وأما المؤمنون فسماعهم الذي يتلذذون به ، وتلين به قلوبهم ، وتقشعر جلودهم من مواعظه ، هو القرآن الكريم ، فرق بين هذا وهذا ، ولذلك تجد المفتون إذا سمع القرآن أغلق المذياع ، وإذا سمع الأغاني انبسط وفرح ، وتجده لا يصبر على القرآن

=

أما السماع المُحْدَث - سماع الكف والدف والقَصَب - فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين ، يجعلون هذا طريقاً إلى الله ﷻ[١] ، ولا يعدُّونه من القرب والطاعات[٢] ؛ بل يعدونه من البدع المذمومة ، حتى قال الشافعي : « خلّفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغبير ، يصدّون به الناس عن القرآن »[٣] (انظر : مناقب الشافعي للبيهقي ١ / ٢٨٣) ، وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك[٤] ،

ولا دقيقة أو دقيقتين ، أما الأغاني والمزامير يمكن كل ليله ونهاره مع الأغاني والمزامير ؛ بل إن بعضهم يترك عمله أو يترك الصلاة ، ويذهب لأغنية فلانة التي جاء موعدها في البرنامج ، ويذهب ليحضرها لئلا تفوته ؛ لأن قلبه مربوط بها - والعياذ بالله - .

(١) لا يجعلون الأغاني والدفوف والمزامير طريقاً إلى الله ، وإلى تليين القلوب ؛ بل بالعكس المزامير والأغاني والدفوف تقسي القلب ، وتزرع النفاق في القلوب ، وتزرع الشهوة والعشق في القلوب ، خلاف القرآن فإنه يزرع الخشية والخوف والطمع فيما عند الله ، والخوف مما أعد الله للكافرين .

(٢) كما يعدُّه هؤلاء ؛ لأن الصوفية يعدُّون الأغاني والدفوف من الطاعات ، فلذلك يأتون بها إلى المساجد ، ويقيمونها في المساجد بدل القرآن .

(٣) التغبير : هو الأغاني والدفوف والمزامير ، يقول الشافعي : أحدثوه في بغداد ، ما كان معروفاً عند السلف ، وعند أهل العلم .

(٤) يعرفون الفرق بين سماع المؤمنين وسماع المنافقين والكفار .

ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً(١) ، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم ، ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال وَلَاية الله ، كان نصيب الشيطان منه أكثر(٢) ، وهو بمنزلة الخمر ، يؤثر في النفوس

(١) أن سماع المنافقين والكفار والفسقة هو من الشيطان ، هو الذي زيَّنه ، وهو الذي يحضره ، وهو الذي يحثهم عليه .

(٢) في الحقيقة أن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وفي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٣] علامة فارقة بين أولياء الرحمن الحقيقيين والمدَّعون للولاية ، وذلك أن أولياء الله هم الذين يتقون الله ﷻ ، هم الذين يؤمنون بالله ، وهذا معناه معرفة الله ﷻ كمال المعرفة ويتقونه ويخشونه ، أما من كان يدَّعي الوَلَاية وهو لا يعرف الله حق معرفته ، فهذا ليست ولايته حقيقية ، إنما هي دَعْوَى . الله ﷻ يعرف بأسمائه وصفاته وأفعاله ، يُعرف بآياته المخلوقة ، كالسموات والأرض ، والشمس والقمر والنجوم ، وبآياته المتلوة المنزلة ، كالقرآن والتوراة والإنجيل ، التي تتضمن كلام الله ﷻ ، والتعرف إلى عباده ، الذي يدَّعي أنه من أولياء الله ، وهو لا يعرف الله بأسمائه وصفاته ، هذه دعوى غير صحيحة ؛ لأن الإنسان إما أن يكون ولياً لله وإما أن يكون ولياً للشيطان ، أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وأولياء الشيطان هم الذين لا يؤمنون بالله ولا يتقونه ، قال الله ﷻ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ الكفر ضد الإيمان ، أي : كفروا بالله سبحانه : ﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ بمعنى الشيطان : شياطين الإنس والجن ، فالطاغوت يجمع ويفرد ، ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد .

أعظم من تأثير الخمر[١] .

ولهذا إذا قويت سكرة أهله ، نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على ألسنة بعضهم[٢] ، وحملت بعضهم في الهواء[٣] ، وقد تحصل عداوة

---

(١) الشيطان يؤثر في النفوس خبثاً وشراً أكثر مما يؤثره الخمر في العقول ، لأن الخمر تذهب بالعقول ، وتمرض الأجسام ، كذلك الشيطان - والعياذ بالله - أشد ، يفسد العقل ويفسد الدين ويفسد البصيرة ، حتى يُخرج الإنسان عن طوره .
والأغاني تحدث في النفوس تأثيراً أشد من الخمر ، لأن سكران الخمر يفيق ، وأما سكران الأغاني والهوى هذا لا يفيق :

قالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَـهُم ... العِشْـقُ أَعْـظَـمُ مِمَّـا بِـالمَجَـانِـينِ
العِشْقُ لَا يَسْتَفِيـقُ الدَّهْرَ صَـاحِبُهُ ... وَإِنَّـمَا يُـصـرَعُ المَجْـنُـونُ فِي حِـينِ

(انظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص ١٣٩ ، ونسبه إلى قيس مجنون ليلى)

(٢) الشيطان والخمر قرينان ، الشيطان يحضر عند شُرَّاب الخمر ، فإذا استحكمت فيهم سكرة الخمر ، وفقدوا عقولهم ، حضر الشيطان فصار يتصرف فيهم كما يشاء من خبث وفجور وشر ، فالخمر طريق الشيطان إلى ابن آدم ، يشربها ثم يسكر ويفسد عقله ، ثم يتسلط عليه الشيطان ، ويتحكم فيه .
وقد تتكلم الشياطين على ألسنة بعضهم ؛ فالسكران يهذي ويتكلم بكلام غير منضبط ؛ وذلك لأن الشيطان يتكلم على لسانه ، فيلقي على لسانه الكلام القبيح والكفر والفحش ، والسب والشتم ، وغير ذلك .

(٣) قد يحصل من الشياطين للسكارى أنهم يحملونهم في الهواء يطيرون بهم ، كما مرّ هذا في مناسبات كثيرة في هذا الكتاب ، أن الشياطين تطير ببني آدم في الهواء ، تحملهم إلى
=

بينهم ، كما تحصل بين شُرَّاب الخمر[(١)] ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه[(٢)] ، ويظن الجهَّال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين[(٣)] ، وإنما هذا مُبعِد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال الشياطين[(٤)] .

الأماكن البعيدة ، فهذا من الغرور لبني آدم ، بحيث يظن أن هذا الذي يطير في الهواء أن هذا ولي من أولياء الله ، وهو من أولياء الشيطان ، والذي يطير به هم الشياطين .

(١) تحصل بين العشاق عداوة وغَيْرَة من بعضهم البعض ، كما تحصل بين شُرَّاب الخمر : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] .

(٢) يحصل بين الشياطين التي تصاحب شُرَّاب الخمر نزاع ؛ لأن كل واحد من شُرَّاب الخمر معه شيطان ، وكل شيطان يريد أن يتغلب على شيطان الآخر ، ويناصر صاحبه أكثر مما يناصر الآخر صاحبه ، وربما يحصل القتل بسبب ذلك .

(٣) وأن موته شهادة ، وأنه مات من ذكر الله ، وهو مات من قتل الشيطان له .

(٤) هذه التصرفات الشيطانية يظن الجُهَّال أنها كرامات ، وأن هؤلاء أولياء الله ، وقد تكرر هذا ، وبيَّن الشيخ أن هذه خوارق شيطانية ، تجري على أيدي الشياطين مع أوليائهم من الإنس ، فالطيران في الهواء وقتل النفوس وغير ذلك خوارق شيطانية تحصل من الشياطين مع أوليائهم من بني آدم ؛ لأجل الفتنة ، ونشر الكفر بين الناس ، فمسألة الوَلاية مسألة مهمة جداً تحتاج إلى بصيرة وتمييز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وتمييز بين الكرامات التي تجري على يد أولياء الله ، وبين الخوارق الشيطانية التي تجري على يد أولياء الشياطين .

فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله ، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه ؟![1] وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة[2] ، فلم يكرم

---

(١) الله ﷺ حرم قتل المسلم أشدَّ التحريم قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٩٣] ، وفي الحديث : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيِّب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (صحيح مسلم / ١٦٧٦) ، هذه الثلاث هي التي تبيح قتل المسلم إذا زنى وهو محصن ، إذا قتل نفساً عدواناً وظلماً يُقتل قصاصاً ، إذا ارتد عن دينه فإنه يقتل ، ما عدا ذلك فالأصل أن المسلم معصوم ، يعني محرَّم الدم لا يجوز الاعتداء عليه ، فكيف يُظَن أن ما يحصل على يد الشياطين من قتل بعض المسلمين ، أن هذا من كرامات الأولياء وهو من أشد المحرمات ، هل الكرامات تكون بالمحرمات والمعاصي ؟! لا ، الكرامات إنما تحصل بالطاعات والاستقامة ، واجتناب الحرام ومن ذلك : اجتناب قتل النفس التي حرم الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء : ٣٣] ، والحق هو كما بيَّنه الرسول ﷺ : الثيب الزاني ، أو النفس بالنفس ، أو التارك لدينه المفارق للجماعة ، هذا هو الحق الذي يبيح قتل المسلم ، ما عدا ذلك فالأصل عصمة دم المسلم .

(٢) غاية الكرامة التي تجري لأولياء الله : لزوم الاستقامة على الحق والدين ولا تحصل الكرامة بالخروج عن الدين ، والكفر والمعاصي وفعل المحرمات ، وما يحصل بذلك فليس كرامة ، وإنما هو خوارق شيطانية ، وأعمال شيطانية .

الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته[١] .

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كالمكاشفات[٢] ،

---

(١) من علامة إكرام الله للعبد أن يوفقه لما يحبه ويرضاه من طاعة الله ورسوله ، والاستقامة على الدين ، هذا أعظم ما يكرم الله به العبد ، وأعظم من الأموال والجاه ، والأولاد ومتاع الدنيا ، فإن الله إذا منَّ بالدين على عبد فقد أكرمه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وفي الحديث : « وإن الله ﷻ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب » (مسند البزار / ٢٠٢٦ ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة / ٢٧١٤) .

هذا هو غاية الكرامة ، إكرام الله للعبد ليس في أن يُعطيه المال ، أو الولد ، أو الجاه أو الـمُلك ، وإنما إذا أعطاه الدين ، فقد أكرمه : ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يعني ضيَّق عليه الرزق ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر : ١٥-١٦] ، كلا ليست الكرامة والإهانة بأمور الدنيا ، وإنما الكرامة والإهانة بأمور الآخرة والعمل الصالح وتقوى الله ﷻ .

(٢) الخوارق منها ما يكون من جنس العلم كالمكاشفات والفِراسة التي يُعطيها الله لبعض عباده ، فهذا نوعٌ من العلم يُعطيه الله العبد ، فيكون عنده قوة الفِراسة والاستنباط والاستدلال ، فهذا من كرامة الله ﷻ ، وهو نوعٌ من العِلم ، لكن هذا العلم لا يحصل بالتعلُّم إنما هو شيءٌ يُلقيه الله في العبد ، وهو نتيجة لطاعة الله ورسوله ، ومعرفة الله ﷻ ، فيكون من الفرقان ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ

=

ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للعادات[١] ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يُعطاه الناس في الظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى[٢] ، وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور ، إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، ويأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله[٣] ، وعلت درجته ، وإن

يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] فرقاناً تفرقون به ، وتمييزاً تميزون به بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، وبين الهدى والضلال ، والكفر والإيمان ، هذا من أعظم أنواع العلم ، الفُرقان الذي يجعله الله في قلبِ المؤمن بسبب تقوى الله .

(١) وهذه لا يقدر عليها العبد ، هذه إنما يجريها الله ﷻ على يدي عبده ، فهي من فعل الله يجريها الله على عبده ، يعني يخرق له العادة كأن يأتيه الرزق وهو لم يسع إليه ، كما حصل لمريم : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، يؤتى به إليها ، هذا خارق للعادة ، ومثل ما يجريه الله على يدي بعض عباده المتقين من إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وغير ذلك ، هذا شيء لا يقدر عليه العبد ، إنما هذا من صنع الله ، لكن سببه تقوى العبد لله ﷻ ، وهو من جنس الجزاء من الله ﷻ ، وليس من مقدور العبد .

(٢) ومن الخوارق : الغنى ، أي : يغني الله العبد بعلمِهِ وبمالِهِ وبمقدِرتِهِ ، يُغنيه الله عن غيره ، هذا من أنواع الخوارق .

(٣) وهذا أيضاً من الفوارق بين الكرامات وخوارق الشيطان ، أن الكرامة التي يجريها الله على يد عبده المؤمن يستعين بها على طاعة الله ، وتُقوِّي إيمانه ويقينه بالله ﷻ ، خلاف الخوارق الشيطانية ، فإنها تُعين العبد على الكفر والشرك وفعل الفواحش =

استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب[١] ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية[٢] ، وإلا كان كأمثاله من المذنبين[٣] ، ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ،كما يُعزل الملك عن ملكه ، ويُسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات ، فيُنقل من الوَلَاية الخاصة إلى العامة[٤] ، وتارة ينزل إلى

والمعاصي ، أيضاً الكرامات تزيدُ صاحبها تواضعاً لله ﷻ وللخلق ، فلا يترفّعُ بها من تجري على يده ، ويُعجب بنفسه ، وإنما تزيدُهُ تواضعاً لله ﷻ ، وتواضعاً مع الخلق ، بخلاف الخوارق الشيطانية ، فإنها تزيدُ الإنسان غلواً وإعجاباً بنفسه وطغياناً .

(١) هذا من الفوارق بين الكرامات والخوارق الشيطانية .

(٢) إذا اغتر بهذه الخارقة للعادة ، واستعملها فيما يُغضب الله ﷻ أهلكته ، وصارت سبباً في هلاكه ، إلا أن يتوب إلى الله ، فإذا تاب إلى الله ورجع عن هذا الغرور ، وهذا الإعجاب والطيش ، تاب الله عليه ، وصارت في حقه نعمة ، أو تكون له أعمالٌ صالحة يمحو الله بها ما حصل منه من المخالفة ، فإن الأعمال الصالحة يمحو الله بها السيئات ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] ، وقال ﷺ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (سنن الترمذي/ ١٩٨٧ ، وحسنه الألباني) .

(٣) يعني معرضاً للعقوبة .

(٤) إذا استعمل هذه الخارقة في الذنوب والمعاصي ، فقد عرضها لأن تُسلَب منه ، وتُمنع منه عقوبةً له ، أو أنها تسلب منه كمال الولاية الخاصة إلى الولاية العامة ، والولاية العامة أنقص من الولاية الخاصة ، على كل حال تصرفات هذا العبد فيما أعطاه الله من الكرامة ، إن استعان بها على طاعة الله زادته رفعة وإيماناً ، وإن استعملها في معصية فقد عرضها إما للزوال وإما للنقص .

درجة الفساق[1] ، وتارة يرتد عن الإسلام[2] ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية[3] ، فإن كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام ، وكثيرٌ منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ؛ بل يظنها من كرامات أولياء الله[4] ، ويظن من

---

(١) يعني حسب ما يُريدُه الله ﷻ بحكمته في عقوبة هذا الإنسان ، إما أن يسلبه الكرامة ، وإما أن تنقص كرامته ، وإما أن يتحول من مطيع إلى فاسق ، وهكذا سائر النِعم التي يُنعم الله بها على العبد ، إن استعمل النعمة في طاعة الله وشكر الله عليها زادها الله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] فالكرامة نعمة من أعظم النعم ، تحتاج إلى شكر ، فإذا لم تُشكر تعرضت للزوال أو للنقص .

(٢) وهذا أشد - والعياذُ بالله - تارة يرتد عن الإسلام ، فيصير كافراً ، فهذا خطرٌ عظيم، فإن المسلم يجب عليه أن يتقي الله فيما أعطاه الله ﷻ ، ويحافظ عليه ، ولا يكونُ سبباً في هلاكه .

(٣) بأن يتحول من كونه صاحب كرامة إلى كونه صاحب خارق شيطاني ، فيرتد عن الإسلام ، ويتحول من كونه ولياً لله إلى كونه ولياً للشيطان ، فهذا كله مما يوجب على العبد ، وعلى من أُعطي كرامة من الكرامات الحذر من الغرور والانخداع ، وأن يعتبر هذا امتحاناً له وابتلاءً من الله ﷻ .

(٤) بعضهم قد يظن أن خوارق الشيطان كرامات إلهية ، فلجهلِهِ بالكرامات وعدم تفرقته بين الكرامة الَّتي هي من الله ، وبين الخوارق الشيطانية ، والكرامات سببها الطاعة والتقوى ، والخوارق الشيطانية سببها الكفر والمعاصي والذنوب ، فيُميِّز المسلم بين هذا وهذا .

يظن منهم أن الله ﷻ ، إذا أعطى عبداً خَرْق عادة لم يحاسبه على ذلك[(١)] ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً ، لم يحاسبه عليه[(٢)] ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأموراً بها ولا منهياً عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء[(٣)] ، وهم الأبرار المقتصدون[(٤)] ، وأما

---

(١) وهذا أيضاً من أدق ما يجب التنبُه له ، وهو أن هذا الذي أعطاه الله هذه الكرامة وأجراها على يده سيُحاسِبهُ عليها ، ماذا استعملها به ؟. وماذا استعان بها عليه ؟ وهل شكرها أو لم يشكرها ؟ الله يحاسب على النعم : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] ، يُحاسب على النِعم ومنها الكرامات ، فلا يغتر العبد بالكرامة التي تجري على يده ويغفل عن أنه سيُحاسب عليها ويُناقش عليها يوم القيامة .

(٢) وهذا غرور ، الذي يظُن أن الله لا يُحاسبه على النِعم ، ولا يُناقشه يوم القيامة على النعم ، ويظُن أن هذه النعم إنما جاءته عن استحقاق ، كما قال قارون : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] ، ولم يعترف أن هذا من نعم الله عليه ، ولم يعترف أنه سيُحاسب عن هذا ، فهذه غفلةٌ – والعياذُ بالله – عن الحساب : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص : ٢٦] ويوم الحساب عام لكل ما أُعطي العبد يوم القيامة .

(٣) لا من خواصهم ، الذي يستعين بالكرامات على أمورٍ مباحة ، فهذا المباح لا يثاب عليه ولا يعاقب عليه ، لكن لا يكون من خواص الأولياء ، يكون من عوام الأولياء أو من عموم الأولياء ، تنقص درجته لذلك ، هذا إذا استعملها في مباح تنقص درجته ، فكيف بالذي يستعملها في محرم أو في شركٍ أو كفرٍ أو معصية ؟!

(٤) لأن أولياء الله يتفاوتون : المقربون ، وأصحاب اليمين وهم الأبرار ، فالأبرار

=

السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء[١] ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي المَلِك[٢] . ولما كانت الخوارق كثيراً ما تنقص بها درجة الرجل ، كان

وأصحاب اليمين دون المقربين : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً . فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ . وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ . أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٧-١١] ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] الظالم لنفسه : هو العاصي الذي معصيته دون الشرك والكفر ، هذا ظالم لنفسه ، وهو من المؤمنين لكنه ناقص الإيمان ، فوقه المقتصد : الذي أدى الواجبات وترك المحرمات فقط ، فقد لا يفعل المستحبات ولا يترك المكروهات ، إنما اقتصر على أداء الواجبات والفرائض ، وتجنب المحرمات ، هذا مقتصد ، ثم فوقه السابق بالخيرات : وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات احتياطاً ، هؤلاء هم السابقون ، وقد ذكرهم الله ﷻ في أول سورة (الواقعة) وفي آخرها ، وذكرهم الله أيضاً في سورة ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ وكذلك في سورة (المطففين) ، ذكر هذه الطبقات المؤمنة، وكلهم أولياء لله لكن يتفاوتون في الوَلَاية ، فالسابقون أعظم الأولياء ، ثم يليهم الأبرار أصحاب اليمين ، المقتصدون ، ثم يليهم عموم المؤمنين الذين خلطوا بين عملٍ صالح وآخر سيئ ، عسى الله أن يتوب عليهم .

(١) السابقون أعلى من الأبرار .

(٢) العبد الرسول وهو مثل محمد ﷺ أعلى من النبي الـمَلِك مثل داود وسليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ ، فداود وسليمان عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ أنبياء وملوك ، ومحمد ﷺ عبدٌ رسول ، والعبد الرسول أفضل من النبي الـمَلِك ، هذا يدل على أن حتى الأنبياء يتفاضلون :

=

كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى[١] ، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقة[٢] ، وتُعْرَضُ الخوارق على بعضهم ، فيسأل الله زوالها[٣] ، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ،

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وكذلك سائر المؤمنين يتفاضلون ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) الكرامات لاشك أنها جزاء على الأعمال الصالحة ، قد ينقص بها أجره عند الله ﷻ ، فلذلك كان أهل الإيمان الصادق يحذرون من هذه الأمور ، أن تكون محسوبةً عليهم ، تؤخذُ من أعمالهم ودرجاتهم ، وهذا من عظيم خوفهم من الله ﷻ ، فكان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله ، يريد كمال أجره عند الله ، ولا يريد أن يؤخذ من أجره شيء في الدنيا ، خصوصاً إذا نظر أن سادات الأولياء لم يجر على يدهم مثل هذا ، فهو يخاف أن يكون هذا من نقص درجته عند الله ﷻ .

(٢) فهو يتوب من الكرامات ويخاف منها أكثر مما يخاف من الذنوب والمعاصي ، هذا من فقهه ومعرفته بالله ﷻ ؛ لأنه يشعر بأنها نقص في إيمانه ، وأنها قد تكون من باب الاستدراج ، ولا يزكي نفسه ، ولا يفتخر بهذه الكرامة ، هذه حالهم . ثم أيضاً هناك من الصالحين الأتقياء من لم تجر على يديه كرامة ، ليس من لازم الولي أن تجري على يده كرامة ؛ بل هناك من سادات الأولياء - كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وسادات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لم تجر على أيديهم شيء من هذه الأمور ، مع أنهم أتقى الأمة، وأبر الأمة ، وأصدق الأمة ، فهي ليست من لازم الولاية ، قد يكون ولياً لله من خواص الأولياء ، ولا تجري على يده كرامة .

(٣) لا يريدها لأنه يعلم أنها تُحْسَبُ من أجره ، فهو لا يريدها ، يريد أن يبقى أجره كاملاً =

ولا يجعلها همته ، ولا يتبجح بها[١] ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟![٢]

فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها[٣] ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك[٤] ، وأعرف

عند الله ﷻ ، فيستغفر ويتوب ، ويسأل الله أن يزيلها عنه ، وذلك من كمال إخلاصه وخوفه من الله ﷻ .

(١) (المريد السالك) هو التلميذ ، كان العلماء يوصون تلاميذهم بأن لا يتطلعوا إلى الكرامات ، وأن لا يجعلوها همهم ؛ بل يحذرون منها ؛ لأنها ابتلاء وامتحان ، فهم يوصون طلابهم بألا يتحرَّوا هذه الكرامات ، أو يطلبوها ، أو يحرصوا عليها ، وإذا حصلت له لا يتبجح بها ، ولا يتكبر بها ؛ بل تزيده تواضعاً وخوفاً من الله .

(٢) كيف إذا كانت خوارق شيطانية ؟! وهذا أيضاً من أسباب الحذر ؛ أنها قد تكون من خوارق الشياطين ، ولا تكون من الله ﷻ ، فيزيد الابتلاء والامتحان عليهم .

(٣) الشياطين من باب الغش لبني آدم وإغوائهم ، يخاطبونهم من خلال بعض الجمادات أو بعض الأشجار والنباتات ، ويظن أن النبات نفسه أو الشجر نفسه هو الذي يكلمهم ، مع إن الذي يكلمهم شيطان متلبس هذه الشجرة أو هذا النبات ، فالأمر خطير جداً .

(٤) إذا أحس بذلك وسمع هذا الصوت ، فإنه يلجأ إلى الله ويقرأ آية الكرسي التي تطرد الشياطين ، ولا تقرب من قرأها فيذهبون ، لو كانت كرامات ما ذهبت ، وإنما هي خداع من الشيطان ، فإذا قرأ آية الكرسي فإن الشيطان يهرب وينهزم ، فهي حصن للمسلم يتحصن بها من الشياطين .

من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الإنس ، ويخاطبه بذلك[١] .

ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، حتى يرى نفسه وهو خارجه وهو لم يفتح وبالعكس[٢] .

وكذلك في أبواب المدينة ، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تمر به أنوار أو تحضر عنده من يطلبه[٣] ، ويكون ذلك من الشياطين

---

(١) يتلبس بالطيور ، الشيطان أعطاه الله قدرة على هذا ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، فهو له قدرة على ملابسة الناس والدواب ، ويتكلم على ألسنتها ، ويظن الناس أن نفس هذا المخلوق هو الذي يتكلم ، مع أنه هو الشيطان .

(٢) يحمله الشيطان ، ويظن أن هذا كرامة ، وأنه قد طلع من البيت من دون فتح الباب ، ويظن أن هذا كرامة ، مع أنه من الشيطان حمله الشيطان ، الشيطان عنده مقدرة يدخل في البيوت ويخرج منها وهي مغلقة ، فيحمل معه هذا المغرور ، فيظن أن هذا كرامة له .

(٣) أو تتشكل على شكل أنوار ، ويظن أن هذه الأنوار ملائكة ، وهي شياطين تتلون كالغيلان ، أو يحضر له من يطلبه ، مثلاً له ابن أو قريب بعيدٌ بينه وبينه مسافات وهو مشفق على رؤيته ، فينتهز الشيطان هذا الشيء ، فيحضر هذا الشخص ، يحمله في الهواء ويحضره عند قريبه ، ويظن هذا المخدوع أن هذه كرامة له .

يتصورون بصورة صاحبه[١] ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله[٢] ، وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويعده بأنه المهدي الذي بشَّر به النبي ﷺ[٣] . ويظهر له الخوارق مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً أو شمالاً ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في

(١) إما أنه يُحضر الشخص البعيد ويحمله ، وإما أنه لا يحضره لكنه يتصور بصورته ؛ لأن الشيطان يتشكل أشكالاً مختلفة ، قد يتشكل بشكل إنسان ، يتشكل بشكل حيوان ، بشكل طير ، أشكال مختلفة .

(٢) لأنها حصن من الشيطان ، فإذا وفَّقه الله وأحس بهذه الأمور ، فإنه لا يغتر بها ؛ بل يخاف أن تكون من الشيطان ، فيبادر للتحصن بآية الكرسي ، فيقرأها فيذهب عنه الشيطان .

(٣) المهدي الذي يخرج في آخر الزمان من بيت النبي ﷺ ، من آل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فيقيم الدين ويجاهد في سبيل الله ، وينشر العدل في الأرض ، هذا سيحصل ؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عنه ولابد أن يقع ، وهو من علامات الساعة الكبار ، وهو قبل ظهور الدجال ، فالشيطان ينتهز هذا ، ويقول له : أنا المهدي الذي بشر به النبي ﷺ لأنه شيطان مريد . أو يعد الشخص نفسه ، يقول : أنت المهدي وكم حصل هذا بكثير ممن ادَّعو المهدوية وتبيَّن أنهم كذبة ، وأن ما حصل لهم إنما هو من الشيطان ، غرَّهم بذلك .

الظاهر[١] ، وتحمله إلى مكة وتأتي به[٢] ، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له : هذه الملائكة الكَرُّوبِيُّون[٣] ، أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصوَّروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى[٤] . ويقول له :

---

(١) يُحضِّر له هذه الأشياء التي تخطر بباله ؛ للغرور - والعياذ بالله - .

(٢) تحمله الشياطين إلى مكة ، ويظن أن هذه كرامة من الله ﷻ ، مع أنها أعمال شيطانية يطيرون به في الهواء ، ولا يحتاج طائرة ولا سيارة ولا شيء ، فيظن أن هذه كرامة من الله ﷻ وهي في الحقيقة شيطنة وغرور من الشيطان . هذا كله يدل على أنه لا يغتر بهذه الأشياء ولا ينخدع بها ، فيجب التثبت فيها ومعرفة الحق من الباطل فيها ، وتمييز بين ما هو صحيح وما هو كذب ، من خلال الكتاب والسنة وأحوال الشخص الذي تجري على يديه وتصرفاته ، ليس كل من ظهر على يديه شيء من هذه الأمور يبادر ويُنوِّه عنه ويُظن أنه المهدي ، أنه كذا ، أنه عيسى بن مريم ، كم من ادعى أنه عيسى ابن مريم بالكذب والخداع .

(٣) الكَرُّوبِيُّون : المقربون من الملائكة ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء : ١٧٢] وهم حول العرش الشيطان يغرُّ الإنسان ، ويأتيه بصورة جميلة ، ويقول : أنا من الكروبيين ، أي : من الملائكة المقربين ؛ لأن الشيطان ما يُقصِّر في شيء من إضلال بني آدم بجميع الحيل وجميع الطرق ، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف : ١٧] يأتي من كل جهة ليهلك هذا الإنسان إلا من عصمه الله ، واعتصم بالوحي واتباع الرسول ﷺ .

(٤) يتصور ويتشكل في اللحظة ، يكون على صورة أمرد ، ثم على صورة ملتحي في اللحظة ، من باب الفتنة والخداع .

علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ، ويراها وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان ، وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ . وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[1] [الفجر : ١٥-١٦] .

---

(١) الإنسان يتخذ الغنى والفقر مقياساً للكرامة والإهانة ، فإذا أغناه الله ظن أن هذا من كرمه على الله ، وأنه كريم عند الله ، سعيد عند الله ؛ لأن الله أعطاه هذا المال ، ولم يدر أن المال ابتلاء وامتحان : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] فهو ابتلاء وامتحان ، والدليل على هذا أن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، يعطيه الكافر وهو عدو لله ﷺ « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء » (سنن الترمذي / ٢٣٢٠ ، وصححه الألباني) ، الله يعطي هذا المال من يحب ومن لا يحب ، من باب الابتلاء والامتحان ، فهذا الإنسان يجعل المال هو المقياس للكرامة ، ويجعل الفقر هو المقياس للإهانة ، ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ يعني : اختبره ﴿رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ الله يبتلي بالغنى والفقر ﴿ فَقَدَرَ ﴾ أي : ضَيَّق ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ قال الله ﷻ ﴿كَلَّا ﴾ [الفجر : ١٧] : هذا نفي ، ليس المال هو المقياس للكرامة ، وليس الفقر هو المقياس للإهانة ، وإنما المقياس : تقوى الله ﷻ والعمل بطاعته ، فمن رُزق التقوى والعمل الصالح فقد أكرمه الله ، ومن حُرِم من التقوى ومن العمل الصالح فقد أهانه الله ، هذا هو المقياس الصحيح ، أما المال يأتي أو يذهب ليس هو الميزان ، كان خواص الأولياء فقراء ، كان رسول الله ﷺ يربط

=

قال الله ﷻ : ﴿كَلَّا﴾ [الفجر : ١٧] ، ولفظ ﴿كَلَّا﴾ فيها زجر وتنبيه : زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ويؤمر به بعده[(١)] ، وذلك أن ليس كل من حصل له نعم دنيوية تُعدُّ كرامة يكون الله ﷻ مكرماً له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ؛ بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه ولا هو كريم عنده ؛ ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه[(٢)] .

وأيضاً كرامات الأولياء ، لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى[(٣)] ،

الحجر على بطنه من الجوع ، وكان يأتي عليه الأيام لا يأكل ﷺ وهو سيد الخلق ، وكان الكفرة والجبابرة منعمين بالترف والأنواع من المآكل والمشارب ، فليس هذا هو المقياس .

(١) ﴿كَلَّا﴾ : حرف ردع وزجر ، زجر عن هذا الاعتقاد ، وتنبيه على أن غيره هو الصحيح .

(٢) مثل ما يحمي الطبيب المريض عن بعض المآكل والمشارب ؛ لأنها تضره أو تقتله ، فالله ﷻ يحمي عبده المؤمن من الدنيا ؛ لأنها تضره فهو يحميه منها .

(٣) هذا هو الفارق بين كرامات الأولياء وخوارق الشياطين ، باعتبار من تجري على يده، فإن كان صالحاً مستقيماً تقياً فهي كرامة ، وأما إن كان فاجراً فاسقاً كافراً ، فإنها خارق شيطاني وليست كرامة .

فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله[١] ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت والغائب ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات ، كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان[٢] ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك[٣] . وهو يبغض سماع

---

(١) لكن أين من يفكر في هذا ويتأمل هذا ؟! قليل من الناس .

(٢) وهذا من الفوارق بين الكرامة وبين الخارق الشيطاني ، أنها تزيد عند القرآن والخارق الشيطاني يذهب عند القرآن ويضمحل ، وقد يحصل خوارق شياطين للفجرة عند مجالس اللهو والغناء والطرب ، فقد يطيرون في الهواء ، هذه من الشياطين ؛ لأنها مقارنة للكفر والعصيان فهو من الشياطين غروراً لهؤلاء ، وأما إذا حصلت مع التقوى والاستقامة فهي كرامة من الله ﷻ ، ليعين بها هذا العبد على طاعة الله ﷻ .

(٣) هذه حالة الفجرة ، أنه يرقص كل الليل ، فإذا جاءت الصلاة يعجز عن القيام ، يصلي جالساً ، إن صلى يعجز عن الطاعة مع أنه يرقص كل الليل ، وإذا جاءت الصلاة عجز أن يقوم ، هذه علامة الخوارق الشيطانية ، وأيضاً لا يطمئن في الصلاة ولا يتلذذ بها ، وإنما ينقرها نقراً ليتخلص منها ؛ لأنها سجن عليه ، الصلاة سجن على الفجرة والفساق يريدون التخلص منها ، وهي جنة للأتقياء والأبرار يناجون ربهم =

القرآن وينفر عنه(١) ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ، ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد(٢) ، فهذه أحوال شيطانية ، وهو مما يتناوله قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾(٣) [الزخرف : ٣٦] .

ويتلذذون ، ولذلك يقوم ويطيل القيام ولا يتعب ؛ لأنه يتلذذ بهذا ويناجي ربه ﷻ ، بينما لو يقوم قياماً يسيراً في غيرها لتعب ، لو تقف قليلاً في انتظار أحد تتعب ، ولكن لو يوفقك الله لقيام الليل وتقوم قياماً طويلاً لا تتعب ، تتلذذ بهذا .

(١) هذا من العلامات أنه يبغض سماع القرآن ، ويحب سماع الشيطان الأغاني والمزامير ، ولذلك تجده دائماً يفتح المذياع على المزامير والأغاني ، حتى وهو يمشي في الطريق ، وإذا جاء القرآن يغلقه ؛ لأنه لا يتلذذ بالقرآن ولا يحبه ، فهو يغلقه ويثقل عليه ؛ لأنه ما يجتمع الغناء والقرآن ، كما يقول الإمام بن القيم :

حُبُّ الكتابِ وحُبُّ ألحانِ الغِنَا ... في قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

(الكافية الشافية ص ٢٧٣)

أي : لا يجتمع حب القرآن وحب الأغاني ، يطرد أحدهما الآخر .

(٢) المواجيد والوجد هذا من اصطلاحات الصوفية .

(٣) من ترك القرآن ابتلي بالأغاني والألحان ، ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ . حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ قال ﴾ للشيطان ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٦-٣٧] ، عندما يجد الجزاء يندم على ما سبق .

فالقرآن هو ذكر الرحمن[١] ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا [٢] وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[٣] [طه : ١٢٤-١٢٦] ، يعني تركت العمل بها[٤] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل به ، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة » ، ثم قرأ هذه الآية[٥] (انظر : تفسير الطبري ١٦ / ١٩١) .

---

(١) ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ : ذكر الرحمن هو القرآن ، فالقرآن ذكر فهو الذكر الحكيم .

(٢) قالوا – والله أعلم – : ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ هذا عذاب القبر ؛ لأنه قد يكون في الدنيا منعماً ، ليس في ضَنْك ، لكن هذا في القبر – والله أعلم – ، أنه يكون في عذاب في القبر .

(٣) الجزاء من جنس العمل ، لما نسي القرآن فإن الله نسيه ، يعني : تركه ، وليس معنى نسيه : أنه ذهل عنه ، النسيان يطلق على الترك ، معنى نسيه : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] أي : تركهم في العذاب ؛ لأن النسيان له معان ، منها الترك ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [الجاثية : ٣٤] أي : نترككم في العذاب .

(٤) فتركناك .

(٥) قال تعالى : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣] .

فصل

ومما يجب أن يُعلم أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه[١] ، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر[٢] ، ومن قامت عليه الحجة برسالته ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر[٣] ، سواء كان إنسياً أو جنياً[٤] .

---

(١) كما أن رسالة محمد ﷺ عامة للإنس ، فهي أيضاً عامة للجن ، فهو مبعوث إلى الثقلين : الجن والإنس ، فتجب على الجن طاعة الرسول ﷺ ، كلهم لا يتخلف أحد كما هو على الإنس ، ولذلك لما سمع نفر من الجن القرآن أعجبهم واستمعوا له ، وذهبوا إلى قومهم ودعوهم إلى الله وبلغوهم ما سمعوا من القرآن : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف : ٣١] دل هذا على أن الجن مخاطبون بالقرآن ، وأن الرسول ﷺ مبعوث إليهم .

(٢) أن يصدق الرسول ﷺ فيما أخبر من الأخبار الماضية والأخبار المستقبلة ؛ مما أطلعه الله عليه من علم الغيب الماضي والمستقبل وأخبر عنه ، المسلم يصدق الرسول في هذا، الجني والإنسي ، ويطيعه في ما أمر ، أمر ﷺ بأوامر تجب امتثالها .

(٣) من بلغته الحجة ببعثته ﷺ في المشارق والمغارب ، من العرب والعجم ، والجن والإنس ، فلم يؤمن فهو كافر ، ومن اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، إذا لم يؤمنوا بهذا الرسول ﷺ ، فهم كفار ، لاشك في كفرهم ؛ بل كفرهم أغلظ من كفر غيرهم ؛ لأنهم عرفوا الحق وعاندوه بعد معرفته .

(٤) وسواء كان كتابياً أو غير كتابي .

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين[١] ، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين[٢] ، لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة[٣] ، لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ[٤] فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ[٥] قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ

(١) هذه عقيدة ، لابد أن تعتقد أنه ﷺ مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس ، بعضهم قال : ليس مبعوثاً إلى كل الناس ، مبعوث للعرب فقط ، هو نبي لكنه نبي للعرب ، هذا كافر ؛ لأنه مكذب لله ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، فالذي يقول : إنه ليس رسولاً إلى الناس كافة هذا كافر ، والذي يقول : إنه رسول إلى الإنس ، وليس رسولاً إلى الجن هذا كافر أيضاً ، لابد من الإيمان بعموم رسالته ﷺ ، ووجوب طاعته والإيمان به على جميع الثقلين ، هذا من أصول العقيدة .

(٢) ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] هذا مرجعه من الطائف، لما دعا أهل الطائف ، وقابلوه – والعياذ بالله – بالمقابلة السيئة ، ورموه بالحجارة ، وعاد ﷺ مهموماً من عندهم ، قيَّض الله له من الجن من يستمعون القرآن ويبلغونه لقومهم .

(٣) وادي نخلة بين الطائف ومكة ، معروف الآن ، نخلة اليمانية ، نخلة الشامية .

(٤) قال : ﴿أَنصِتُواْ ﴾ : دل على أن من سمع القرآن يجب عليه أن ينصت له ويقطع الشواغل ، يستفيد ويتأدب مع القرآن : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، لا تنشغلوا عنه ؛ لأنه يخاطبكم ، فكيف يخاطبك الله وأنت معرض عنه مدبر عنه – والعياذ بالله – ؟!

(٥) هذا دليل على أن من تعلَّم علماً مما أنزله الله على رسوله أنه يجب عليه أن يبلغه للناس .

مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ[(١)] يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(٢)] [الأحقاف : ٢٩-٣٢] .

وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ[(٣)] فَقَالُوٓا۟ إِنَّا

---

(١) هذا دليل على أنهم يؤمنون بموسى عليه السلام ، وبالتوراة .

(٢) الإنسان ليس بهواه ، يقول : أنا حر ، أختار ما أريده من الأديان والمذاهب ، لا ، ليس حراً ، هو عبد لله ، فيجب أن يطيع الله ﷻ ، وأن يعبد الله ، وأن يطيع الرسول ﷺ إن كان يريد النجاة لنفسه . فالإيمان بالله ورسوله هو الحرية الصحيحة في الحقيقة، أما عدم الإيمان بالله ورسوله فهو الذل والعبودية ، للهوى ، للشياطين ، لدعاة الضلال ، يصير عبداً لغير الله ﷻ ، ولابد ، الإنسان عبد مهما كان ، إما أن يكون عبداً لله ، وإما أن يكون عبداً لغيره ، ما يخرج الإنسان عن العبودية أبداً ، هو عبد ، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله :

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِ الذي خُلِقُوا لَهُ فَبُلوا بِرِقِّ النَّفس والشَّيْطَانِ

(الكافية الشافية ص ٢٥٩)

صاروا أرقة للشيطان ولأهوائهم ، فالحرية الصحيحة : هي الإيمان بالله ، والعبودية والذل : هي الكفر والشرك بالله ﷻ .

(٣) ﴿ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ ثم ذكروا ما عليه أقوامهم من الضلال والضياع .

سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا . وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[1] [الجن : ١-٦] ؛ أي : السفيه منا في أظهر قولي العلماء[2] .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه ، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغياناً وكفراً (انظر : تفسير الطبري ٢٣ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) . قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا . وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾[3] [الجن : ٦-٨] .

---

(١) كل هذه الآيات في إيمان الجن بالرسول ﷺ ، ولومهم من لم يؤمن به من الجن .

(٢) ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ أي : سفيه الجن .

(٣) الاستعاذة نوع من أنواع العبادة ، فلا يستعاذ إلا بالله ، فمن استعاذ بغير الله فقد أشرك في العبادة ، وكانوا في الجاهلية - لجهلهم بذلك - يستعيذون بالجن ، بدل أن يستعيذوا بالله ، وكان أحدهم إذا نزل منزلاً في وادي من الأودية قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، وهذا شرك ، ولذلك النبي ﷺ علم أصحابه وعلَّم المسلمين أن يتركوا هذا الشرك ، وأنه من نزل منزلاً فإنه يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ، فإذا قالها لم يضره شيئاً ما دام في منزله ذلك ؛ لأن من =

وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن ينزل القرآن، ، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم[(١)] ، فلما بُعث

استعاذ بالله أعاذه الله ﷻ : ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون : ٨٨] ، فهو يعيذ من استعاذ به ، فهذا يدل على أن الاستعاذة لا تجوز إلا بالله ، أو بصفة من صفات الله ، وهي الكلام ؛ لأن الكلام من صفات الله ﷻ ، فإذا استعاذ بكلام الله ، أو بكلمات الله التامات ، فقد استعاذ بالله ؛ لأن الاستعاذة بالصفة استعاذة بالموصوف ، هكذا علّم النبي ﷺ الأمة في الاستعاذة ، وأنزل الله ﷻ : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ : كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، مثل ما جاء في هذا الحديث ﴿ فَزَادُوهُمْ ﴾ أي : زاد الإنس الجن ﴿ رَهَقًا ﴾ أي : كِبْراً وإعجاباً بأنفسهم ، حيث إن الإنس خضعوا لهم واستعاذوا بهم ، وقيل : المعنى : زاد الجن الإنس رهقاً ، أي : خوفاً ؛ لأن من استعاذ بغير الله أخافه الله ، من استعاذ بالله حماه الله وأعزه وحفظه ، ومن استعاذ بغير الله أذلّه الله ، وسلّط عليه الجن وغيرهم ، فزاد الجن الإنس رهقاً أي : خوفاً وضعفاً عقوبة لهم . الشاهد من هذا : أن الاستعاذة عبادة ، ولا تجوز إلا بالله ﷻ ، فدل هذا على أن كلام الله غير مخلوق ؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز ، ودل على أن كلام الله صفة من صفاته ، وهو غير مخلوق .

(١) الله ﷻ خلق النجوم ، وذكر فوائدها : أنها زينة للسماء ورجوم للشياطين : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك : ٥] وأيضاً فائدة ثالثة ذكرها الله وهي الاستدلال بها في السفر : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٦] ، فالنجوم خلقت لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها في البر ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام : ٩٧] ، فيسير عليها =

النبي ﷺ مُلئت السماء حرساً شديداً وشهباً[(١)] ، وصارت الشهب مرصداً

المسافر ، ويعرف الاتجاه الذي هو يريد ، فهذا من فضل الله ﷻ ، أما من اعتقد في النجوم أنها تنفع وتضر ، وعبدها من دون الله ، كحال قوم إبراهيم أصحاب النمرود الذين كانوا يعبدون الكواكب ، فهؤلاء خسروا وخابوا ، النجوم لم تخلق لهذا ، مخلوقة لهذه الفوائد الثلاث ، والمخلوق لا يعبد ، والنجوم مدبرة ومسيرة ، ولهذا أراد إبراهيم عليه السلام أن يكسر حُجتهم ، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ يعني : غاب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ دل على أنه مدبر ومسيَّر ، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ يريد مناظرتهم ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ . فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦-٧٩] . فأقام عليهم الحجة عليه السلام بهذه المناظرة العظيمة ؛ لأنهم كانوا يعبدون الكواكب من دون الله ﷻ . والحاصل من هذا ما ذكره الشيخ وغيره في تفسير الآية : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي : من السماء ﴿ مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ [الجن : ٩] يسترقون السمع من الملائكة ، ثم يلقونه إلى الكهان ، ثم الكهان يكذبون مع الواحدة مئة كذبة ، ويلقونها على الناس ، هذا في الجاهلية ، فلما بُعث محمد ﷺ حُرست السماء بالشهب ، فصاروا لا يستطيعون ما كانوا يفعلونه من قبل ، لا يقدرون على استراق السمع ، ومن استرق شيئاً منه رمي بالشهاب ويحرقه ، وذلك حماية للوحي من أن تعبث به الشياطين ، فهذا من فضل الله ﷻ .

(١) حرساً من الملائكة ، وشُهباً من النجوم ، تنفصل شظية من النجم محرقة ، فتصيب الشيطان الذي يسترق السمع فتحرقه ، ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٨] .

لهم قبل أن يسمعوا ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن : ٩] ، وقال تعالى في الآية الأخرى : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(1) [الشعراء : ٢١٠-٢١٢] .

قالوا : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾(2) .

---

(١) ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ أي : القرآن ، ما تنزلت به الشياطين إنما تنزل به ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾ : ما يليق بالشيطان أن ينزل بالقرآن أو الوحي ولا يستطيع هذا ، القرآن يحرقه ويقتله ، فلا يقرب القرآن ، فكيف ينزل به - كما تقول المشركون - على محمد ﷺ ؟! : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ أي : معزولون بالشهب والرصد الذي جعل الله في السماء ، فالقرآن والوحي محفوظ فيما بين الله وبين رسوله محمد ﷺ لا دخل للشياطين فيه ، إنما الشياطين تشتغل مع الكهنة لا مع الرسل ، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] هم الكهنة .

(٢) يقولون : لا ندري ما السبب . هذه العلامات تدل على شيء سيحدث ولا ندري ما هو ، لا ندري : ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وسيحصل شيء لأهل الأرض فيه الخير ، كان كذلك حصل الرشد والخير ، والقرآن والسنة والعلم النافع على يد هذا الرسول ﷺ ، وانظروا إلى أدبهم قالوا : ﴿لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فهم في الشر ، قالوا : ﴿أُرِيدَ﴾ ، ولم ينسبوه إلى الله ﷻ ، وأما الرَّشد فنسبوه إلى الله ﷻ .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا[(١)] ﴾ [الجن : ١٠ -١١] ، أي : على مذاهب شتى ، كما قال العلماء : منهم المسلم والمشرك ، واليهودي والنصراني ، والسني والبدعي ، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ [الجن : ١٢] أخبروا أنهم لا يعجزونه ، لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه[(٢)] ، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا [(٣)] . وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ ﴾[(٤)] [الجن :

---

(١) الجن مختلفون منهم المؤمن ، ومنهم الكافر ، ومنهم الصالح ، ومنهم الفاجر ، ومنهم المتقي والعابد ، ومنهم الفاسق ، فهم مثل الإنس منقسمون ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ .

(٢) اعترف الجن أنهم لن يعجزوا الله ﷻ ، ولن يخرجوا عن قدرته وقبضته سبحانه ، مع ما أعطاهم الله من الخفة والطيران ، وغير ذلك ، هم في قبضة الله ﷻ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي : تيقنًا . الظن يأتي بمعنى اليقين : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] يعني : يتيقنون أنهم ملاقو الله ، وليس الظن : الشك . الظن يأتي بمعنى اليقين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سواء بقينا في الأرض ، أو هربنا من الأرض ، فنحن في قبضة الله ﷻ ، لن نعجزه في الأرض ، ولن نعجزه هرباً .

(٣) هؤلاء النفر من الجن أعلنوا إسلامهم ﴿لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ فهذا يدل على أن الجن منهم مسلمون ومنهم مؤمنون ، ومنهم أتقياء ومنهم أشقياء ، ومنهم فجرة ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ .

(٤) منا المسلمون ، ومنا القاسطون أي : الكفرة ، من قسط أي : جار وظلم . أما أقسط =

١٣-١٤] أي : الظالمون يقال : أقسط إذا عدل وقسط إذا جار وظلم .
﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا . وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا .
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا . لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن
ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا [1] وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[2]

فمعناه عدل ، أقسط : اسم الفاعل منه مُقسِط . وقَسَطَ : بمعنى جار اسم الفاعل منه قَاسِط ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ أي : الكفرة والفجرة . فالثلاثي قَسَطَ : معناه الجور ، والرباعي أَقْسَطَ : معناه العدل .

(١) قال الله ﷻ : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أي : الخلق ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي : على الدين الصحيح ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ : مطراً هنيئاً مريئاً ، وإنما يحبس عنهم المطر بسبب كفرهم وذنوبهم ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ : نبتليهم ونختبرهم ، وقيل : ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ أي: طريقة الكفر ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ من باب الاستدراج ، فالله يعطي الكافر النعم مع أنه كافر ؛ لأجل أن يستدرجه .

(٢) قال الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ المساجد تبنى لعبادة الله ﷻ ، وإقام الصلاة ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النور : ٣٦-٣٧] ، هذا الذي تبنى له المساجد، لعبادة الله ﷻ ، وإقام الصلاة ، وذكر الله ﷻ ، أما أن تُبنى المساجد للشرك ، وعلى القبور ، وعلى الأضرحة ، فهذه ليست مساجد ، هذه تُسمى مشاهد وليست مساجد ؛ لأنها مبنية على الشرك ، وعبادة غير الله ﷻ ، ولهذا قال : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ لا تستغيثوا =

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا . قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا[(١)] . قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا[(٢)] قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى

بأحد غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فالاستغاثة نوع من أنواع العبادة لا تكون إلا لله فيما لا يقدر عليه المخلوق ، أما ما يقدر عليه المخلوق فيجوز أن تستغيث بأخيك ، بقبيلتك أن يعينوك ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] هذا فيما يقدر عليه . فالذين لا يطهرون المساجد من الشرك والبدع ، هؤلاء خالفوا ما شرع الله ﷻ ، الله شرع بناء المساجد للتوحيد وذكر الله ﷻ وإقام الصلاة ، أما الذين يعمرونها بالاستغاثة بالمخلوقين ونداء المخلوقين ، والشرك والبدع والمحدثات، فهؤلاء دنَّسوا المساجد ، وصرفوها عن ما هيئت له ، فيجب أن تُصان المساجد ، تصان من أنواع الشرك ومن البدع ومن المحدثات وأن تُفرَّغ لذكر الله وتلاوة القرآن ، وإقام الصلاة ، وتعليم العلم النافع ، هكذا تكون المساجد عند المسلمين ، إلا أن القبوريين أبوا إلا أن يجعلوها بيوت أوثان ومعابد شرك - والعياذ بالله - ويسمونها مساجد .

(١) ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي : محمد ﷺ ، لما قام عبد الله ﴿يَدْعُوهُ﴾ ولا يدعو غيره ، كانوا يدعون غير الله ، فلما قام هذا الرسول ﷺ يدعو الله وحده تعجبوا من ذلك ، وتجمعوا عليه واستغربوا ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا . قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ ، فدل على أن دعاء غير الله شرك .

(٢) وهذا يدمغ الغلو بالرسول ﷺ ، واعتقاد أنه ينفع ويضر من غير الله ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ، الرسول لا يملك النفع والضر ؛ إنما الذي يملك ذلك هو الله ﷻ ، فهو الذي يطلب =

مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[1] أي : ملجأ ومعاذاً ﴿إِلَّا

منه النفع ويستعاذ به من الضر ، أما الرسول فإنما هو عبد ومبلِّغ عن الله ﷻ ، فالغلو في حقه واعتقاد أنه يملك النفع والضر فهذا شرك بالله ﷻ ، الذين يستغيثون بالرسول ويدعونه خصوصاً في هذه الأيام التي يسمونها أيام المولد بزعمهم يحصل منهم الشرك والاستغاثات والشكاوى إلى الرسول ﷺ ، ولا يرفعون أيديهم إلى الله ، ولا يشتكون إلى الله أو يدعون الله ، إنما يدعون الرسول ﷺ ، ويقولون : إنه يحضر الحفلات ، وأنه يسمع دعاءنا ، كل هذا من شياطين الإنس والجن . الرسول بلّغ رسالة ربه وترك فينا ما إن تمسكنا به لن نضل بعده : كتاب الله وسنته ﷺ ، وبلَّغ البلاغ المبين ، وليس له من الأمر شيء قال الله ﷻ له : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، فلماذا هذا العمل القبيح في هذه الأيام ، يسمونها مناسبة المولد ، وعيد المولد ، ثم لا يعرفون الرسول ﷺ إلا في هذه الأيام ؟! الرسول يُعرف كل يوم خمس مرات على رؤوس المنائر ، بأعلى صوت ، بعدما يشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، يشهد أن محمداً رسول الله ؛ لأن الله ﷻ قال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] ، فلا يُذكر الله إلا ويُذكر معه الرسول ﷺ ، في الأذان والإقامة والخطب ، هذا رَفعٌ لذكره ﷺ ، أما أنه ما يعرف ذكر الرسول إلا في هذه الأيام ، فهذه بدعة ظاهرة ، بعضهم يقول : طالما أننا أقمنا المولد ، يكفينا ندخل الجنة بهذا ، ولو لم نعمل شيئاً !!

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أعلن وصرَّح أمره الله بذلك ، أنه لا يملك لأحد ضراً ولا رشداً ، إنما يملك البلاغ والبيان ، وقد بيَّن وبلغ ﷺ ؛ بل هو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﷻ .

(١) ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ : لو أراده الله بنقمة ما أحد يمنع الله أن يعاقب عبده

=

بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ[(١)] وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا[(٢)] حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا[(٣)] ﴾

أبداً ، لا رسول ولا غير رسول ، إذا أراد الله الانتقام من عبد فلن يجيره أحد ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ يعني الرسول ﷺ ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ يعني لقتلناه شر قتلة ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤-٤٧] ما أحد يمنع الله ﷻ إذا أراد عقوبة أن يمنع العقوبة عنه .

(١) هذا الذي يملك الرسول ﷺ ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ هذا الذي يملكه الرسول ﷺ ، وقد بلَّغ البلاغ المبين .

(٢) ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ فالمشرك والكافر له النار خالداً مخلداً فيها ، وأما العاصي الذي معصيته دون الشرك فهذا تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه في النار ، وإن شاء عفا عنه ، وإذا عذَّبه في النار فلن يخلِّده فيها ؛ بل يُخرج من النار ومآله إلى الجنة ، فالآية هذه مجملة ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾ تبينها الأدلة الأخرى ، وهذه من آيات الوعيد ، لا تدل على أن كل معصية كفر مخرج من الملة ، كما تقوله الخوارج ، فهذه الآية من المتشابه التي يُرجع فيها إلى المحكم ، تفسرها الآيات الأخرى .

(٣) حتى إذا رأى الكفار والمشركون ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ حين ذاك ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا ﴾ هل هو الرسول ﷺ أو هم ؟! ﴿ وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ ، الرسول ﷺ معه الله ﷻ وملائكته وعباده المؤمنون ، أما هؤلاء فليس معهم إلا الشياطين ، ليس معهم أحد يعينهم وينصرهم .

[الجن : ١٣-٢٤] ، ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به فبايعوه ، وهم من جن نصيبين[(١)] ، كما ثبت ذلك في « الصحيح » من حديث ابن مسعود (صحيح مسلم / ٤٥٠) ، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن ، وكان إذا قال : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] قالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد[(٢)] .

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم ، فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علفٌ لدوابكم »[(٣)] (صحيح مسلم / ٤٥٠) ، قال النبي ﷺ : « فلا تستنجوا بهما فإنهما

---

(١) يعني في أرض العراق ، جاؤوا وسمعوا الرسول ﷺ وهو يصلي بأصحابه ، ويقرأ القرآن في وادي نخلة ، بين مكة والطائف ، لما انصرف من الطائف وأهانوه وسخروا منه ﷺ ، وفي رجوعه إلى مكة أدركتهم صلاة الفجر ، وهم في وادي نخلة وصلى بهم الفجر وقرأ القرآن ، فسمعت الجن هذا القرآن الذي لم يسمعوه من قبل ، ولم ينزل مثله إلا على موسى ﷺ ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحقاف : ٣٠] فذهبوا وبلَّغوا قومهم ، فأسلموا وجاؤوا يبايعون النبي ﷺ على الإسلام ؛ لأن الرسول ﷺ مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس .

(٢) قال ﷺ : « لقد كان الجن أحسن رداً منكم » يعني من الإنس ، « كلما قرأت عليهم : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا : لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد » (مسند البزار / ٥٨٥٣ - سنن الترمذي / ٣٢٩١ ، وحسنه الألباني) .

(٣) ولذلك نهى النبي ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروث ؛ لأن العظم طعام المسلمين من الجن يكسوه الله لحماً ، والروث يرده الله علفاً لدوابهم .

زاد إخوانكم من الجن » (صحيح مسلم / ٤٥٠) ، وهذا النهي ثابت عنه ﷺ من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهي على الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فإذا مُنع من الاستنجاء بما أعد للجن ولدوابهم ، فما أعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى[1] . ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن[2] وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سُخِّروا لسليمان عليه السلام[3] . فإنهم سُخِّروا له أن يتصرف فيهم بحكم المُلك ، ومحمد ﷺ أرسل إليهم يأمرهم بما أُمر به[4] ، فإنه عبد الله ورسوله ، ومنزلة

---

(١) إذاً هذا يدل على أنه لا يستجمر بالطعام ، ولا بعلف دواب الإنس ، ولا يجوز لأحد أن يبول عليه وأن يستجمر ، وكذلك طعام الآدميين لا يجوز لأحد أن يستجمر به .

(٢) رسالته عامة .

(٣) سليمان عليه السلام سُخِرت له الجن تعمل له ما يريد ؛ لأن الله أعطاه ملكاً لا يعطيه لأحد غيره ، ومن ذلك أنه سخر له العفاريت والجن : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ : ١٣] سخرها الله لسليمان تقوم بالعمران ، تغوص في البحار ، وتأتي بالأشياء المطلوبة ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص : ٣٧] ، يبنون له ويغوصون في البحار ، ويأتون بالأشياء المطلوبة لسليمان عليه السلام تسخيراً له ، هذه ماحصلت للأنبياء إلا نبينا محمد ﷺ ، فإنه أُعطي أكثر مما أعطي سليمان عليه السلام ، فإن الله بعثه إلى الجن والإنس بشيراً ونذيراً ، فرسالته عامة .

(٤) سليمان عليه السلام نبي وملك ، مثل أبيه داود عليه السلام نبي وملك ، مثل يوسف عليه السلام نبي وملك في نفس الأمر ، أما نبينا ﷺ فهو نبي وليس بملك .

العبد الرسول فوق منزلة النبي الـمَلِك[(١)] ، وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع[(٢)] ، وأما المؤمنون منهم ، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الإنس[(٣)] ، ولم يُبعث من الجن رسول ، لكن منهم النذر[(٤)] وهذه المسائل لبسطها موضع آخر ، والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال ، فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده[(٥)] وطاعة نبيه ، ويأمر الإنس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه[(٦)] .

---

(١) خُيِّر ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً ، وبين أن يكون نبياً وليس مَلِكاً ، فاختار أن يكون نبياً وليس بملك .

(٢) الجن مثل الإنس في الجزاء يوم القيامة يدخلون النار ، واختلف العلماء هل يدخل الصالحون منهم الجنة ؟ الظاهر – والله أعلم – أنهم يدخلون الجنة مثل الإنس .

(٣) الرسل يكونون من الإنس ، ولا يكونون من الجن ، ويكونون من الذكور لا من الإناث من الإنس .

(٤) النذر : المبلغون ﴿ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] أي : مبلغين ومنذرين لهم من البقاء على الكفر والشرك ، فهم مبلغون عن الرسل من الإنس ، وليس منهم رسول .

(٥) كمحمد ﷺ فإنه يأمر الإنس والجن بما أمره الله به من عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه .

(٦) قصد الشيخ من هذا : الرد على الذين تخدمهم الجن ، ويقولون : هذه كرامة من الله ، =

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له ، وهذا إذا كان يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم الله عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك[١] ، هذا إذا قدِّر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايته أن يكون في عموم أولياء الله تعالى ، مثل الملك النبي مع العبد الرسول ، كداود وسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢] .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله ، إما في شرك ، وإما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل ، كتمريضه

وقد سبق لكم أن هذا ليس كرامة من الله ، هذا غرور - والعياذ بالله - إنما الذي يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى الله ، هذا من الصالحين ، أما الذي يستخدمهم في المحرمات وفي السحر وفي غير ذلك ، وفي الأمور التي حرمها الله ، فهذا استخدام محرم .

(١) هذا لا أدري ، يعني فتح الباب للإنس أنهم يستخدمون الجن في المباحات ، هذا ما ينبغي فتحه للناس ؛ لأن هناك من يدَّعي هذا ، فالأحسن أن الإنسان يترك الجن ولا يستخدمهم في شيء ، ويستعين بالله ﷻ ، ويستعين بإخوانه من الإنس بما أباح الله .

(٢) قصد الشيخ من هذا : الرد على الذين يستخدمون الجن في السحر وغيره والكهانة ويدَّعون أن هذه كرامة ، وهم من أولياء الله ، وهم في الحقيقة من أولياء الشيطان ، وليسوا من أولياء الله .

وإنسائه العلم وغير ذلك من ظلمه ، وإما في فاحشة ، كجلب من يطلب الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ ، إما فاسق ، وأما مذنب غير فاسق ، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم[١] فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على أن يطيروا به عند السماع البدعي[٢] ، أو أن يحملوه إلى عرفات يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، أو أن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك ، فهذا مغرور وقد مكروا به[٣] وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ؛ بل قد يسمع أن لأولياء الله كرامات وخوارق للعادات ، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرِّق به بين الكرامات الرحمانية وبين

---

(١) انظر إلى هذا القيد (تام العلم بالشريعة) يستعين بهم في المباحات بشرط أن يكون تام العلم بالشريعة ، أما الجاهل فلا يفتح له الباب في هذا .

(٢) السماع البدعي يعني الغناء الذي عند الصوفية ، يستمعون ويغنون ويدفون بالدفوف، ثم تطرأ عليهم أحوال ، يطيرون ويقولون : هذه كرامات وهي أعمال شيطانية ، الذين طاروا بهم الشياطين ، ليس هم الذين طاروا ، وإنما الشياطين هي التي حملتهم لتغويهم .

(٣) لا يجوز أن يستخدمهم في العبادات ، وأنهم يذهبون به إلى مكة ، وإلى المدينة ، أو إلى بيت المقدس ، وإنما في المباحات إذا كان تام العلم .

التلبيسات الشيطانية[١] ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل بمن صُوِّرَ ذلك الصنم على صورته ، من مَلَك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك المَلَك أو النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ . قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[٢] [سبأ : ٤٠-٤١] .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثَّل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فإن كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة جرجس أو غيره ممن يستغيث به ، وإن كان منتسباً إلى الإسلام وقد استغاث بشيخ يُحسن به الظن من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يُعظمه ذلك المشرك ، ثم إن الشيخ

---

(١) هذا الذي ليس تام العلم يقع في هذا .

(٢) فكل مشرك سواء عبد الحجر أو الشجر أو الأصنام ، فإنه إنما يعبد الشيطان ؛ لأنه هو الذي أمره بذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ الشياطين ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ .

المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يُعرِّفه الشيطان أنه يتمثل به لأصحابه المستغيثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له بأحوالهم ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإنما هو بتوسط الشيطان ، ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة ، فقال : يُريني الجن شيئاً برَّاقاً مثل الماء والزجاج ، ويتمثلون له فيه ما يطلب منهم الإخبار به . قال : فأخبر الناس به ويوصلون إليَّ كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون جوابي إليه[1] . وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثيرٌ من هذه الخوارق إذا كذَّب بها من لم يعرفها ، وقال : إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة ، كمن يدخل النار بحجر الطَّلْق وقشور النَارِنْج ، ودهن الضفادع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية ، يتعجب هؤلاء المشايخ ، ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل ، فلما ذكر لهم الخبير ، إنكم لصادقون في ذلك ، ولكن هذه أحوال شيطانية ، أقرّوا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه ، لما تبيَّن لهم الحق ، وتبيَّن لهم من وجوه كثيرة أنها شيطانية ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع ، وعند المعاصي لله ولرسوله ، ولا تحصل عند

---

(١) يعني صاروا بريداً .

ما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية[١] ، فعلموا حينئذ أنها من مخارق الشيطان لأوليائه ، لا من كرامات الرحمن لأوليائه ، والله ﷻ أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه ، صلاة وسلاماً نستوجب بها شفاعته ، آمين[٢] .

تم بحمد الله

---

(١) الكرامات إنما تحصل عند ما يحبه الله ورسوله من الطاعات والعبادات ، وأما خوارق الشيطان إنما تحصل عند ما يبغضه الله ورسوله من المعاصي والشرك ، وهذا الفارق بين الكرامة وخارق الشيطان .

(٢) غفر الله له ورحمه .

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع **رقم الصفحة**

المؤلفات التي صدرت للمحققة:

١. إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام بتقريظ الشيخ صالح الفوزان حفظه الله.
٢. بدع التعازي بتقريظ الشيخ صالح الفوزان حفظه الله.
٣. التعليق الوقاد على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي.
٤. تيسير العلام بتلخيص شرح نواقض الإسلام للشيخ صالح الفوزان.
٥. المناسبات الموسمية بين الفضائل والبدع والأحكام.
٦. شبهات العقلانيين حول أحاديث المسيح الدجال والرد عليها.
٧. حكم السمر في ضوء الكتاب والسنة.
٨. فتاوى العلماء في المسابقات والألعاب بأنواعها المعاصرة.
٩. حقوق ولاة الأمر وخاصة عند الفتن.
١٠. محاضرات في فقه الدعاء.
١١. حكم النشيد (الإسلامي).
١٢. الخطوات الشيطانية إلى النفس البشرية وعلاجها في السنة النبوية.
١٣. التعليق المختصر المبين على قرة عيون الموحدين في توحيد دعوة الأنبياء والمرسلين . تعليق الشيخ صالح الفوزان حفظه الله

وسيصدر قريبا بإذن الله (سلسلة المحاضرات العلمية) وهي كالتالي:

أهمية العقيدة الإسلامية وكيفية تعلمها والدعوة إليها	السحر والعين في ضوء الكتاب والسنة.
أهمية العلم في الوقاية من الفتن.	القوامة.
الحجاب (معناه – أدلة فرضه– الحكمة من مشروعيته)	الحقوق الزوجية .
شبهات حول الحجاب والرد عليها.	فضل الإسلام .
أحكام الطهارتين الصغرى والكبرى	نواقض الإسلام.
صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم.	إطالة العمر
أخطاء عقدية في بعض المفاهيم والأعمال والألفاظ يجب تصحيحها	نصيحة في المنهج السلفي.
التشبه وأحكامه	منهج الصوفية عقيدة وعبادة.
ظاهرة الغلو والإرهاب	تفسير سورة الفاتحة.
حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال	فضائل عشر ذي الحجة
من ورد لعنهن في السنة.	لبيك اللهم لبيك.
الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة.	الفتن وسبل النجاة منها.